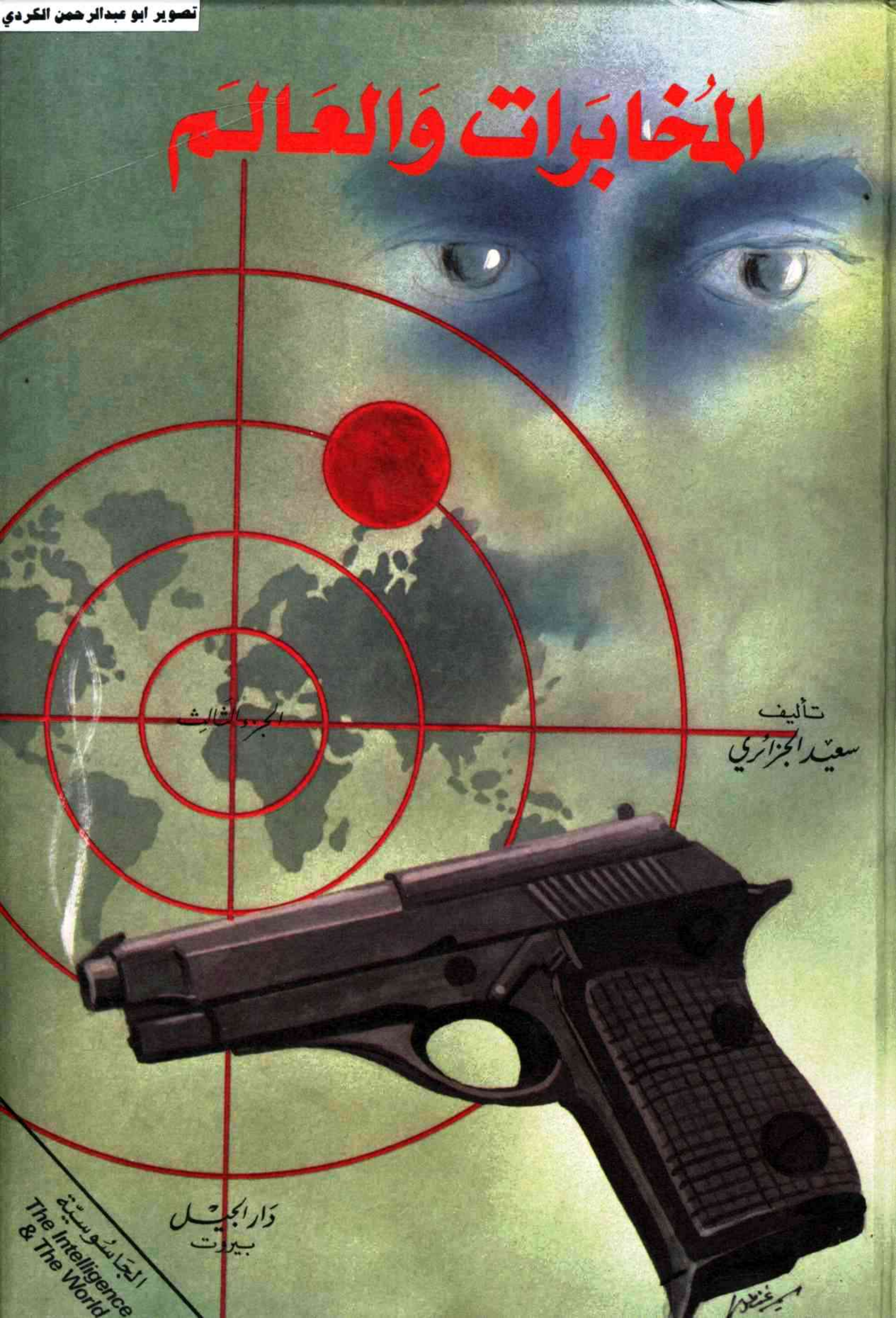

تصوير ابو عبدالرحمن الكردي
المُخابَرات وَالعَالَم
الجزء الثالث
تأليف
سعيد الجزائري
دار الجيل
بيروت
الجَاسُوسيّة
The Intelligence
& The World


منتدى إقراء الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

المُخابَرات وَالعَالَم

تأليف

سعيد الجزائري

الجزء الثالث

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

تنويه

□ ها هو « الجزء الثالث من سلسلة كتب المخابرات والعالم » أقدمه حسب وعدي للقراء الكرام واستناداً لطلباتهم ورسائلهم الغالية إليّ من جميع الذين قرأوا لي الجزئين الأول والثاني، حيث وعدتهم بالصفحة السابعة من الجزء الثاني وفي مثل هذا التنويه بأني سوف أقوم بترجمة هذه الكتب الى اللغة الانكليزية لتصل إلى أقاصي أوروبا. ولكن عدم التنفيذ من الناشر منعني من الترجمة وسوف أبقى بانتظار الفرصة الجديدة من الناشر اللبناني المعروف عبود خيرالله عبود، صاحب مؤسسة دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع الذي قدم لي التشجيع وقام باصدار الجزئين الأول والثاني بشكل رائع وإخراج متقن.

أما وعدي بتحويل هذه الكتب إلى كتيبات صغيرة مخصصة لأطفالنا لكي يشاركوا في التعرف والاطلاع على مؤآمرات العملاء والجاسوسية بشكل قصصي ومبسط فأيضاً متروك للناشر الجديد لكي تعم الفائدة من هذه الكتب للكبار والصغار.

المؤلف

الاهداء

☐ لا بد في كل كتاب من هذه الكتب المسلسلة عن أعمال المخابرات والجاسوسية العالمية من إهداء. وإهدائي يكون دائماً إلى قرائي الكرام وأخص منهم المئات من رجال الأمن الأبطال في الوطن العربي ضباطاً وضباط صف وجنود ومتطوعين وحتى المجندين، الذين علمت أن بعضهم يقتطع من راتبه المتواضع ليشتري نسخة من هذه الكتب. ويعلم الله أني ككاتب ليس لي أي دخل في ارتفاع الأسعار لأن ارتفاع الأسعار عم كل شيء، الورق، الطباعة، التجليد، اليد العاملة. وأعدهم بأني سوف أعمل جهدي مع الناشر الجديد لكي يكون بيع هذه الكتب إلى رجال الأمن خاصة بحسم خاص شريطة اثبات الشاري كونه من رجال الأمن .كما أني سوف أرجو المسؤولين المحترمين في وزارات الدفاع والداخلية لشراء كميات من هذه الكتب لمنتسبيها وبحسم اكبر، بعد إصدار تعميم يسمح بذلك، لكي تعم الفائدة المرجوة من هذه الكتب، لأن رجل الأمن عندما يقرأ هذه النوعية من الكتب « يضاعف » معلوماته عن العملاء والجواسيس الذين يهددون وطننا العربي الكبير ويعمل على المشاركة في اكتشافهم وتخليصنا من شرورهم.

وهكذا يشرفني أن أكرر الاهداء لهم جميعاً.

المؤلف الكاتب

سعيد الجزائري

عضو منظمة الصحافيين العالمية

عمليّات التجسُّس في العالم وأسلحة الجواسيس واستعمالها



المخابرات في القاموس السياسي

ما هو التجسس وما هي أسلحته؟

١ ـ المخابرات من التعابير الاصطلاحية التي برزت خلال الحرب العالمية الأولى عندما جرَّت الدول الأوروبية كثيراً من دول العالم إلى الاشتراك فيها والوقوف منها موقف الحياد. ويقصد بالمخابرات نشر الأنباء والبيانات الرسمية والدعاية للمجهود الوطني والحربي ومحاربة دعاية العدو في الدول المحايدة، ومن ناحية أخرى، جمع المعلومات ذات الأهمية من المصادر الأجنبية للصالح الوطني. وفي ضوء هذا النشاط كان الغرض من إنشاء أجهزة المخابرات، حماية الأمن الداخلي ونظم الحكم القائمة إبان السلم ومساندة المجهود العسكري ابان الحروب. وكانت الحركات الاشتراكية اكبر خطر على نظم الحكم واجهته الدول الأوروبية ابان القرن التاسع عشر، لهذا قامت في هذه الدول ـ لا سيما في المانيا وروسيا ـ أجهزة للمخابرات كانت تابعة لوزارة الداخلية وكان عليها متابعة هذا النشاط السياسي في الداخل والخارج.

أُنشِئَت وزارة للمخابرات في بريطانيا في السنوات الأخيرة للحرب العظمى وقد بدأت في عام ١٩١٤ بصورة إدارة تابعة لوزارة الخارجية، تحولت في عام ١٩١٦ إلى إدارة مستقلة تابعة لمجلس الوزراء تحت

اشراف سير هنري كارسون أحد أعضاء وزارة الحرب، وانقسم نشاطها إلى إدارات برزت منها إدارة الدعاية (البروباجندة) وكان يشرف عليها اللورد نورثكليف صاحب دور الصحف العديدة. وفي شهر شباط (فبراير) ١٩١٨ تحولت إلى وزارة، وعيّن وزيراً لها صحافي آخر هو اللورد بيفربروك.

وفي الحرب العالمية الثانية أصبحت المخابرات عنصراً هاماً في النشاط الحربي، فأعيد إنشاء وزارة المخابرات البريطانية التي استمر وجودها حتى عام ١٩٤٦. وأنشأت المانيا جهازاً ضخماً لهذا الغرض عرف بوزارة البروباجندة كان يشرف عليها غويلز كوزير للاعلام. كما أنشأت إيطاليا الفاشية جهازاً مماثلاً، ونشبت خلال الحرب ما عرف بحرب الدعاية أو حرب الأعصاب وكانت وزارات وإدارات المخابرات مركزاً لها.

٢ ــ يرتبط نشاط المخابرات بأجهزة الاعلام المختلفة كالصحافة والنشر والاذاعة فضلاً عن وسائلها الخاصة كنشر الشائعات لغرض إثارة الخواطر أو القضاء عليها. وتستعين أجهزة المخابرات مباشرة في نشاطها بالأشخاص والهيئات الرسمية كما تستعين بالمتطوعين من الأشخاص والهيئات الوطنية والأجنبية. فمن ثم كانت العلاقة بين المخابرات والجاسوسية، ولكن الجاسوسية التقليدية أخذت تتراجع منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لتحل محلها هيئات أكثر حرصاً وتستراً على أعمالها تشمل جمعيات الصداقة والروابط الأدبية والمراكز الثقافية مما لا يثير الشكوك حول نواياها. وكانت بريطانيا من أسبق الدول في استخدام هذه الهيئات ففي خلال الحرب العظمى انشأت في القاهرة « المكتب العربي » وعهدت بإدارته الى المستشرق هوجارث ومن أعوانه « لورانس المعروف بثعلب الصحراء » ومؤلف كتاب الربع الخالي عن المملكة العربية السعودية. وقصة لورانس هذا نشرت في الصفحات ١٥٦ الى ١٦٧ من

الجزء الثاني لهذه الموسوعة عن المخابرات. ثم تحوّل هذا المكتب بعد الحرب العظمى إلى مكتب السكرتير الشرقي بدار المندوب السامي البريطاني.

٣ ـــ تعرف المخابرات بالمعنى السابق بالمخابرات العامة تمييزاً لها عن المخابرات العسكرية. ونعيد أن اسمها في فرنسا وايطاليا ولبنان « الشعبة الثانية » وكان اسمها في سوريا أيضاً الشعبة الثانية ثم أصبحت الآن « شعبة المخابرات » وفي العراق اسمها « شعبة الاستخبارات » وفي جمهورية مصر العربية قبل كامب ديفيد كان اسمها « المخابرات الحربية » ومعها المخابرات العامة. والمخابرات العسكرية أو شعب المخابرات والاستخبارات هي أجهزة تتبع القوات المسلحة ووزارات الدفاع وتقوم بجمع المعلومات والبيانات المتصلة بالمجهود الحربي وكل ما يكون مفيداً بالنسبة لهذه القوات. بينما تتبع المخابرات العامة وزارة الداخلية عادة وتتابع كل نشاط سياسي يكون له أثر على الأمن الداخلي كالأحزاب والجمعيات والمنظمات التي تناوئ الحكم القائم وقد أصبحت المخابرات الآن في جميع دول العالم من القوة بحيث يستلزم لشرح أعمالها ونشاطها وتحريكها للعالم عشرات المجلدات وليس هذه الكتب المتواضعة التي نقدمها لقرائنا الكرام.

* * *

التجسس وأسلحة الجواسيس في العالم

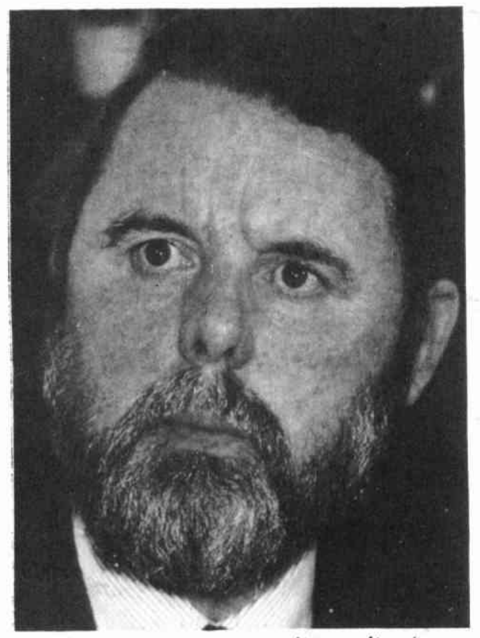
○ كنا قد كتبنا وشرحنا في الكتب والأجزاء السابقة عن تدريب الجواسيس وايفادهم « أي زرعهم » في الدول والمراد التجسس عليها. وقد ألمحنا عن جواسيس السفارات أو الجواسيس الذين ينطلقون منها وهم يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية وفي هذا الجزء من موسوعة المخابرات والعالم نقدم هذا البحث عن جواسيس السفارات وهم نوعان : الجواسيس الشرعيون وغير الشرعيين. فالشرعيون هم أعضاء السفارة المحميين بالحصانة الدبلوماسية. وهم في الغالب الذين يوجهون نشاطات الجواسيس اللاشرعيين. ولكنهم هم أيضاً يقومون بنشاطات هامة، أبرزها الاصغاء والتقاط الأخبار والأسرار ونقلها لدولتهم. وسواء ظهروا بالبزَات البراقة أو البزات العسكرية، أو بزي السهرة القاتم السموكن، فالملحقون العسكريون والتجاريون والثقافيون والقائمون بأعمال السفارات والقنصليات.. ألخ. هؤلاء جميعاً يفتحون آذانهم جيداً في الحفلات الرسمية والخاصة والكوكتيلات والدعوات التي يتلقونها بمناسبة أعياد الاستقلال وأعياد الميلاد لأصحاب الجلالة والسيادة والسمو رؤساء الدول وأعياد الجيوش فيلبون هذه الدعوات بامتنان بالغ. فهذه المناسبات تفتح أمامهم مجال الاحتكاك بمختلف أنواع البشر ومن مختلف الدول لتبادل الآراء والنقاش والمراقبة. وتمكنهم بالتالي من جمع

المعلومات التي قد تبدو عادية وفي أكثر الأحيان تكون مجزأة ولكنها بالغة الأهمية بالنسبة للمحلل التابع في مركز المخابرات، حيث يجمع ويقارن ويقطع ويلصق، فيستوعب ويصحح أو يعدل ما لديه من معلومات. ولا يغفل الجواسيس « الشرعيون » عن وضع مسجل صغير في أحد جيوبهم، فلعلهم يحتاجونه صدفة. أو لعل توقعهم يصح، فيلتقون بالشخص الذي يهمهم أمره. وغالباً ما يكون حساساً تجاه الكحول والأجواء الاجتماعية المترفة والسكرتيرات الجميلات فينطلق لسانه.

والجواسيس غير الشرعيين يلجأون أيضاً إلى هذه الأساليب « الأنيقة ». وما نقوله عن الجواسيس الشرعيين أمر معروف. ولا يخفى على أحد انهم موجودون خارج بلادهم، ليفتحوا عيونهم وآذانهم جيداً. ولا خطر عليهم ولا ملامة. وكل ما يصيبهم لدى افتضاح أمرهم هو « إبعادهم إلى بلادهم أو خارج الحدود ». وبما أن الاذن البشرية محدودة الطاقات فقد جهز الجواسيس « بآذان » تتفوق طاقتها على الأذن البشرية عشرات المرات. وجهزوا بأدمغة تسجل حرفياً وبلا خطأ ولا نقصان جميع الأصوات. وبوجود المسجل والمسجل البثاث وسواهما، لم يعد بالامكان اخفاء أي صوت عمن يصرّ على سماعه، ويبذل في سبيل ذلك المجهود اللازم.

وأدوات الاستماع والتسجيل اكثر تطوراً من آلات التصوير ويمكن تصغيرها الي الحد الأقصى بفضل تقدم علم الالكترون. ولا بد من ملاحظة وهي أن الفرق شاسع بين الآلة التي تصدر صوتاً فتمكن المراقب من تتبع « تنقلات » حاملها، وبين ناقل الصوت الذي يرسله عبر أسلاك خاصة إلى مكبر، وبين المسجل البسيط وبين المسجل البثاث، وهذا الأخير بمثابة محطة إذاعة مصغرة. وأولى هذه الأدوات أي الآلة التي يصدر عنها صوت هي بسيطة الصنع، ويمكن تصغيرها حتى تصبح بحجم رأس الدبوس. لكن الحجم الأفضل هو حجم « حبة الأسبرين »

لكونه يحوي بطارية قوية تدوم فترة طويلة. ويمكن صنع هذه الآلة بشكل « زر » وتثبيتها في ثياب الشخص المراد مراقبته. وهناك محترفات في أعمال الجاسوسية يضعن هذه الآلة عند الحاجة في مكان ما من جسدهن، وبعض الناس يبتلعها للدلالة على مكانه حين الاختطاف. ويروى أن القس تيري وايت مندوب الكنيسة الانكليكانية المختطف من قبل جهات سياسية في لبنان قد عثر معه أو في جسمه على مثل هذه الآلة وقال خاطفوه فيما بعد أن المخابرات الاميركية هي التي وضعت له هذه الآلة واسمها « باليز » لتتبع خطواته أثناء مباحثاته التي جاء بحجتها لاطلاق سبيل رهائن غيره. فاكتشف الخاطفون جهاز الباليز في جسمه وأضيف إلى الرهائن حتى الآن ونحن في شهر آب (أغسطس) ١٩٨٨ أثناء تحرير هذا الفصل عن أسلحة الجواسيس ولا يزال محتجزاً لدى خاطفيه.



رجل الدين المسيحي ـــ تيري وايت يحمل في جسمه جهاز « الباليز ».

وقد علمنا أن آلة « الباليز » هذه أرسل منها كمية كهدية للمخابرات التركية باعتبار تركيا من أعضاء حلف شمال الأطلسي وقد لاحظت المخابرات التركية أن الموظف « آمري نابيت » في حلف شمال الأطلسي وهو بالأصل « منتدب » كخبير مالي للحلف من وزارة المالية التركية، يسافر باستمرار الى خارج « أنقرة » العاصمة التركية فوضع تحت مراقبة جهاز مكافحة التجسس فلوحظ أنه « خبير » في التهرب من

مراقبيه دون أن يشعرهم، أو يبدو عليه أن أحس بوجودهم. وعندما عجزوا عن تتبع أثره، وضعوا له جهاز « باليز » في حقيبته فتمكنوا من اكتشاف تنقلاته والأشخاص الذين كان يتصل بهم وهم من المخابرات السوفياتية الذين كان ينقل إليهم وثائق سرية جداً عن حلف شمال الأطلسي. كما أن هذه الآلة الصغيرة الحجم الكبيرة الفعل أصبحت تستعمل أيضاً من قبل المباحث الجنائية وشرطة مكافحة التهريب في بعض البلدان.

ومن عادة رجال المخابرات استعمال المسجل بشكله العادي المصغر، شرط أن يتقنوا اخفاءه في غرفة أو سيارة أو أي مكان مناسب لتشغيله. والجواسيس المحترفون لا يتحدثون عادة عن أعمالهم السرية في أماكن عامة كوسائط النقل، المترو، أو الباص، أو في التكسي لأنه ولعلم القارئ يوجد الآن من بين سائقي التكسي في أغلب دول العالم « مخبرون » للمخابرات أو للمباحث الجنائية ونحن نؤيد ونطلب المزيد لأن سائق التكسي فعلاً هو « محور » كل عمليات التجسس والتهريب بجميع أنواعه وحتى الأمور المخلة بالأمن كنقل السارقين والمسروقات والمخلة بالأخلاق كنقل المومسات. وقد علمنا مجدداً في عام ١٩٨٨ أثناء تحرير هذا الكتاب أن بعض المخابرات العربية قد اشترت عدداً من السيارات وحولتها الى تكسيات يعمل عليها عناصر من نفس المخابرات وجميع هذه الأمور من محتّمات عمل المخابرات والمباحث الجنائية لكشف العملاء والمخلين بالقوانين. ونعود الى عمل الجواسيس المحترفون الذين يمكن أن يحصلوا على سيارات خاصة من سيارات المخابرات الكثيرة فهؤلاء إذا غابوا عن سياراتهم وعادوا إلى استعمالها، فانهم يفتشونها جيداً، وعندما أصبح التجسس على ضيوف الدول أمراً « طبيعياً » لدرجة أن بعض الضيوف الأجانب يفضلون النزول في مبنى سفارة بلاده أو في منزل صديق على أن يقيم في القصر المخصص لكبار

الضيوف. وحين زار مستشار المانيا الغربية آديناور موسكو سافر إليها في قطار الماني، ورفض عرض مضيفيه إنزاله في مسكن مريح، وأقام في « قطاره » طوال فترة الزيارة . ولا تفكر أية دولة في الاعتراض على مثل هذا التصرف، ولا هي تستغربه.

ونعود في هذا البحث للمسجل البثاث فهناك بعض الصعوبات في استعماله. فهو بحاجة إلى لاقط. وغالباً ما يكون اللاقط صغيراً ومخفياً. وقد ابتكر الخبراء هذه الأنواع من اللاقط « الأنتين » :

١ ــ لاقط بشكل حبة لؤلؤ يوضع في منتصف ربطة العنق.

٢ ــ لاقط بشكل قشة مغروسة في حبة زيتون على مائدة.

٣ ــ لاقط بشكل غطاء عادي لقلم الحبر.

والمشكلة الوحيدة التي قد تعترض تصغير هذا النوع من المسجلات، إلى حجم صغير جداً هي مشكلة البطارية التي هي الأساس في عمل جميع المسجلات الاستخبارية لانها تتحكم بقوة البث.

في الاسواق العادية يجد « الهواة » مجموعات كبيرة من هذه المسجلات، التي يراوح حجمها ما بين علبة الدخان وعلبة الكبريت. وأنا شخصياً ككاتب عن المخابرات وأعمالها والجاسوسية وغرائبها أملك مسجلة بحجم علبة الدخان فقط كهواية وليس لتسجيل أي كلام أسمعه « لأن المجالس أمانات » ما عدا ما يمس أمن بلدي مباشرة.

يتم البث على الموجة المتوسطة، والأف ــ أم. ويمكن التقاط ما تبثه هذه المسجلات، بواسطة أي راديو عادي يلتقط هذه الموجات على ذبذبات تتراوح سرعتها ما بين ٨٠ و١١٠. وأشهر هذه المسجلات البثاثة وأبسطها السماعة التلفونية التي هي نسخة طبق الأصل عن السماعة العادية. وتبث المكالمات على مدار مائتين أو ثلاثماية متر وهي ممنوعة في بعض الدول العربية ومتوفرة في أسواق بيروت. وهناك محاولات

لتطوير السماعة التلفونية بحيث تسجل وتبث كل ما يقال في الغرفة، حتى عندما يكون خط التلفون مغلقاً. يقسم التجسس على الأصوات إلى أشكال متعددة في استعمال التلفون، فالاستماع الى المكالمات ممكن فيما لو ثُبتت وصلة على الخطوط العامة المارة فوق الشارع أو تحت الأرض أو في المقسم الداخلي. لكن هذه العملية الأخيرة يصعب أن يقوم بها إنسان غريب عن مؤسسة الهاتف. وهناك حادثة تثبت هذه النظرية : فقد أوقفت المخابرات الكوبية ثلاثة من عملاء المخابرات الاميركية في هافانا عاصمة كوبا، وتبين أنهم كان يستمعون إلى المكالمات التلفونية الداخلية لوكالة أنباء الصين الشعبية في هافانا ويسجلونها. اكتشف أثناء التحقيق أن عملية تثبيت الوصلة على خطوط الهاتف تمت بمساعدة سكرتيرة السفارة الصينية الآنسة « مارجوري لينوكس ».

وهناك كمية ضخمة من المعلومات التي يتم جمعها بفضل الآلات اللاقطة للوسائل اللاسلكية. ومن عادة المحطات الأرضية والبحرية والمركبات الجوية المزوّدة بآلات لاقطة أن تجمع شتى المعلومات وتنقلها إلى مراكزها الأساسية. ومن المسجلات ما يثبت على الجدار أو على النوافذ من الخارج. لكن هذه الآلات اللاقطة بالغة الدقة، باهظة التكاليف وليست في متناول كل يد.

ولا تنتهي مهمة الجاسوس عند حدود سرقة الصور والتسجيلات. فالمعلومات لا قيمة لها طالما أنها لم تصل الى مستقرها ــ أي إلى مقر مخابرات الرئيس ــ وقد تكون عملية نقل المعلومات أشد خطراً وصعوبة من عملية جمعها، حيث يبدأ الجاسوس بتصغير حجم صوره وتسجيلاته قدر الامكان، ليسهل عليه اخفاؤها. وقد يوصلها إلى أحد المتعاملين معه، وقد تمر على عدد من العملاء قبل أن تتسلمها يد المسؤول الأول عن الشبكة. ومشكلة نقل المعلومات من بلد عدو إلى

بلد بعيد ليست سهلة ولا هي خالية من المخاطر. وقد درجت السفارات على إرسالها « بالحقيبة الديبلوماسية » ومنهم من يعمد إلى إخفائها في كتاب ضخم أو مجلة. وبعض العملاء يخفي أفلامه وتسجيلاته داخل قطعة معدنية أو قطعة غيار لآلة ما، أو أي أداة تستعمل بكثرة. وهنا تلعب مخيلة الجاسوس دوراً أساسياً. أما تقنيات تصغير حجم الوثائق والمعلومات فجد متقدمة. هناك مواد كالتيرفين مثلاً تمكن الصناعات المختصة من انتاج أفلام لا تراها العين المجردة، فحجمها أقل من ميلمتر واحد. ومن المعلوم أن السوفيات هم أسياد هذا الفن. ويقول خبراء المخابرات أن الصينيين ليسوا أقل منهم مهارة، خصوصاً أن فناني الصين القدماء كانوا ينحتون مئات الأحرف على ساعة من العاج لا تزيد على سنتمتر مربع واحد. ويعرض الآن في متحف قصر العظم في مدينة دمشق « حبة قمح » نحت عليها آية قرآنية كاملة وهي في منتهى الابداع العربي في هذا المضمار. لقد توصلت تقنية تصغير الحجم إلى حد يسمح بتقليص صفحة مطبوعات على الآلة الكاتبة إلى مربع لا تتعدى مساحته « نصف ميلمتر ». ويمكن تصغير جميع الوثائق على هذا المنوال، وسواء كانت من نوع التخطيط والكتابة أو الصور... ألخ. ويمكن فيما بعد تكبيرها لتستعيد حجمها الأساسي.

وأول مرة استعمل فيها الميكروفيلم (أو الفيلم المصغر) كانت في عام ١٨٧٠. يومئذٍ كان الجواسيس يتراسلون بواسطة الحمام الزاجل مما اضطرهم الى البحث عن وسائل تصغير لرسائلهم. حيث توصلوا الى تحميل الحمامة الواحدة مجموعة من « الميكروصور » تعادل بفحواها ٣٥ برقية أو وثيقة. ومخترع تصغير الأفلام إلى هذا الحد هو « رينيه داغرون » الذي أهمل اختراعه فترة، ثم استعمله من جديد عام ١٩٢٠ لاهداف سلمية وثقافية، إذ اعتمد كاسلوب لتنظيم الأرشيف في المكتبات الضخمة، ثم لم يلبث أن عاد إلى قواعده الأولى « أي عالم

التجسس ». واهم اختراع في مجال تصغير الوثائق هو بلا شك نسخ الأفلام بالالكترون. أي بدلاً من تظهير الفيلم بالضوء يتم تظهيره بتمرير خط الكتروني عليه. وهكذا يتوافر عنصران أساسيان، عنصر التصغير وعنصر السرعة القصوى في التصغير. ويمكن تشغيل الخط الالكتروني بواسطة آلة حاسبة أو دماغ آلي، مما يوفر أيضاً موظفين اختصاصيين ويحفظ الأسرار وهذا العنصر الأخير بالغ الأهمية. وتوصلت أجهزة المخابرات الى تصغير حجم الوثائق لدرجة قصوى خلال الحرب العالمية الثانية. وقد اكتشف أحد خبراء المخابرات الاميركية رسالة مخفية تحت طابع بريد، يسأل فيها مرسلها عن المكان الذي تتم فيه التجارب على الأورانيوم. وكان التصغير يصنع باليد وقتئذٍ.

أما اليوم فتؤخذ صورة الوثيقة من خلال مجهر موضوع فوقها بعكس وضعه الطبيعي (أي يُصغر بدلاً من أن يُكبر) فتأتي الصورة بمساحة ميلمتر واحد، أي بحجم يظهر للعين المجردة على أنه نقطة. بعد ذلك يتم تظهير الفيلم ويوضع بواسطة رأس ابرة « تحت طابع بريدي » أو يثبت على أحد الأحرف ضمن رسالة عادية ومطبوعة بالآلة الكاتبة. وأحياناً كثيرة يلجأ الجاسوس إلى الحبر الشفاف لكتابة رسائله السريعة. وقد وفر العلم مجموعة من الوسائل لهذا الغرض، والتي لا يظهر لونها، إلا تحت تأثير مواد كيماوية خاصة معاكسة. وهذه الوسائل لا يكشفها حتى المكبر ولكل منها مادة خاصة بها تعيد إليها لونها. والجاسوس الذي يستعملها هو وحده يملك كمية قليلة منها. ومن عادة الجاسوس أن يكتب بها بريشة ناعمة لا تترك أي أثر على الورقة البيضاء ثم يعود فيخط فوقها رسالة عادية بالحبر العادي[1].

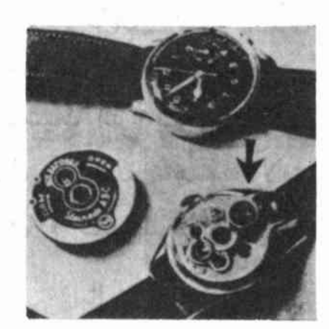
---

(١) طبق الأصل كما شرحنا في الصفحتين (٣٤ و٣٥) في الجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن أعمال المخابرات حيث نشرنا صوره كاملة لنسخة عن رسالة عميل مزدوجة وقعت في أيدي المخابرات السورية لدى كشفها لهذا العميل وغيره من العملاء.

ونذكر الآن بعض الأدوات التي يستعملها العميل في سبيل جمع المعلومات. مثل أدوات أخذ الصور وتسجيل الأصوات التي تسمى « أسلحة الجواسيس » والتي لولاها لما تمكنوا من إداء مهماتهم الصعبة.

لقد اتخذت كاميرات التصوير أشكالاً جد متنوعة وغريبة وقد ذهبت مخيلة كتَّاب الروايات الجاسوسية الغربيين إلى أبعد وأغرب من الواقع الغريب، فجعلت من آلة التصوير « زراً في بدلة » أو « حمالة للبنطلون » أو « حجراً في خاتم ». على أن الواقع « يكفي » لاثارة العجب فعلاً. فالآلات المصغرة كالقداحات (ولاعات السجائر) لعبت في هذا المجال دوراً كبيراً في الماضي وقد استغني عنها اليوم بعد افتضاح أمرها. بعض عملاء اليوم يستعملون « الكاميرا الخفية » في ساعة اليد. فهم ينزعونها من معاصمهم، ويظهرون أنفسهم أن يملأونها، ثم يتفحصونها برفعها الى آذانهم، ومن خلال هذه الحركات تكون قد صورت الشخص المطلوب من بين مجموعة من الناس. وفي الاسواق أيضاً بقية من هذه الساعات المصوِّرة ويمكن لمن يستعملها أن ينحني كأنه يتفقد الوقت، فيحدد إطار الصورة، ويسجلها. لكن حتى هذه الساعات انتقلت من أعمال الجاسوسية إلى يد الهواة ولا يمكن لعميل يعيش في جو عدائي أن يستعملها بدون أن يكتشف أمره. ويمكن غير ذلك وضع آلة تصوير مصغرة في مقبض عصا طبية أو في قلم الحمرة للشفاه وحتى في جوانب علبة البودرة ضمن الماكياج للمرأة. وقد اكتشفت المخابرات الاميركية منذ مدة (حلية ــ عبارة عن آلة تصوير) تحملها رينيه ليفان زوجة الفرنسي بيتر كرانيك الذي كان يعمل لحساب المخابرات السوفياتية وهذه الحلية هي من نوع ميدالية كبيرة، تتدلى من العنق بسلسلة. وكانت صاحبتها تتلاعب بها فتوجهها إلى حيث تضبط الصورة. وأحد الأسلحة المفضلة للعميل المصور هي العدسة المكبرة وكثيراً ما حصل العميل على صور قواعد عسكرية جوية وبحرية، وعلى صور عملاء لفريق العدو

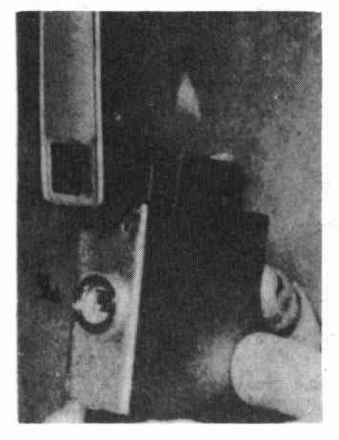
يدخلون مقر سفارة أو يغادرونها، وهو جالس في سيارته الواقفة على جانب طريق بعيد. وعرف عن دوغلاس دونالد بريتر الضابط البريطاني وعميل المخابرات السوفياتية أنه كان يستعمل كاميرا مخفية داخل علبة سجائر (CRAVEN-A) وكان يخرج العلبة من جيبه ويقدم لزواره إحدى السجائر المصطفة أمام آلة التصوير المصغرة التي كانت تعمل بفعالية حتى في الظلام.



ساعة يد بداخلها كاميرا سرية.



علبة سجائر وكاميرا.



ولاعة سجائر وبداخلها كاميرا.

ومن الآلات المعروضة على جمهور الهواة والفضوليين آلة « المينوكس — سي » وهي أقدم آلة تصوير مصغرة واكثرها اتقاناً. وهي تعمل بالالكترون وبشكل أوتوماتيكي، وتبلغ سرعتها واحد على ألف في الثانية. وهي مزودة بفلاش (باعث ضوء) ومكبر وركيزة، مما يجعل استعمالها سهلاًومناسباً لشتى الظروف. أما أفلامها فمن نوع ٣٥ ميلمتر و٩,٥ ميلمتر. ولها ٤ عدسات تتراوح مساحتها ما بين ١٥ و٢٥ ميلمتر، وأقصى امكانية لفتحتها هي ٢,٧ أو ٣,٥ وتكبير صور هذه الآلة ممكن،

ولكن يقتضي مهارة ودقة. وهناك (القلم الآلة) وفتحة عدسته ٣,٥ ميلمتر وسرعته واحد على خمسين من الثانية. وله فلاش وعداد أوتوماتيكي. ويمكن تكبير صورها الملونة حتى ٦ × ٦ سم.

وهناك آلة الروليف ١٦ أبس، المزودة بعين الكترونية تشير إلى كون الضوء كافياً أو غير كاف. وغالباً ما يستعملها المخبر الخاص أو رجال المخابرات المحترفين. وهناك آلة المينولتا ١٦ أم. جي، مع عدسة روكور فتحتها ٢,٨/٢٠ ميلمتر. وسرعتها تتراوح بين واحد على عشرين وواحد على ٢٥٠ ثانية. مزودة بعين الكترونية، وأفلامها ١٦ مليمتراً تباع في كاسية مغلقة. وهناك أنواع من آلات تصوير المينوكس المبالغ في تصغيرها واتقانها، والتي لا يستعملها سوى المحترفين من العملاء. وأحدثها المينوكس « سي » التي لا يزيد حجمها عن حجم قلم الحبر الناشف، وآلة التيسيتا بشكل ولاعة مبسطة، والياشيكا التي يمكن للعميل أن يضعها في قبضة يده دون أن تسترعي الانتباه. وتختلف هذه الآلات عن تلك التي تشابهها شكلاً وتباع في الأسواق « كالستيلوفوتو » مثلاً والتي لا تعطي نتائج مضمونة.

وليس تصوير الأشخاص والأمكنة هو عمل الجاسوس الوحيد. بل قد يكون عملاً ثانوياً من حيث الكمية، لو قيس بجمع الوثائق وأخذ نسخ عنها طبق الأصل عنها وذلك اما باستعارتها لفترة قصيرة، أو بتصويرها حيث هي. وأخذ النسخ لا يستطيع القيام به إلا من رسخت قدماه في عمله. مثل « بينكوفسكي » الضابط في الجيش السوفياتي الذي أصبح عميلاً للغرب بدافع إيديولوجي. حيث بدأ بالعمالة للغرب بمساعدة غردفيل واين عميل المخابرات البريطانية. وخلال ستة عشر شهراً سلم بينكوفسكي أكثر من ستة آلاف وثيقة سرية هامة عن الاتحاد السوفياتي والدول الشرقية، للمخابرات البريطانية والاميركية. وكان يلجأ إلى التصوير بآلات التصوير وطبع نسخ عنها طبق الأصل. ثم يحملها إلى

منزله حيث يحولها إلى ميكروفيلم، ويسلمها إلى المتصلين به من موظفي السفارة الاميركية في موسكو. وكان التصوير أحد أسباب افتضاح أمره. فقد نشط بحماسة جعلته « موضع شك » من قبل المخابرات السوفياتية. وذات ليلة من ليالي شهر تموز (يوليو) الحارة كان على موعد مع زميله واين في إحدى غرف فندق يانكا في موسكو. وكانت الغرفة مجهزة بجميع أنواع المسجلات، لكن العميلين الحذرين تحدثا بشيفرة غريبة لم تتمكن المخابرات السوفياتية من فك رموزها. إلا أن ما لم يحسب العميلان حسابه كان آلات التصوير الخفية المثبتة الى جانب المسجلات. ولا شك أن تصرفات بينكوفسكي وواين قد شكلت برهاناً كافياً لادانتهما. أوقف الكولونيل (عقيد) بينكوفسكي ونقل إلى مركز المخابرات السوفياتية أما واين فقد حمته الحصانة الدبلوماسية إلى أن تمت مبادلته مع عميل بريطاني كان يعمل للمخابرات السوفياتية. حوكم بينكوفسكي وصدر عليه الحكم بالاعدام « رمياً بالرصاص » ونفذ الحكم في ساحة السجن جزاء ما اقترفت يداه من خيانة.

ومن العملاء الذين اعتمدوا آلات التصوير في عملهم التجسسي « وليم فاسال » الموظف في الأميرالية البحرية البريطانية، والذي كان ينقل الوثائق المهمة إلى المخابرات السوفياتية في السفارة، حيث يتم تصويرها. ومن ثم يعيدها إلى مكانها دون أن يتنبه أحد الى « تغيّبها » المؤقت خاصة وإن فاسال كان هو ذاته حارس هذه الوثائق « كما يقال حاميها حراميها ». وحصل أن زوده أرباب عمله البريطانيين بكاميرا « اكزاكاتا » بهدف تقليص مخاطر مهمته حسب اعتقادهم. فأخذ يستغل هذه الكاميرا ويصور الوثائق « مرتين » أي نسختين، نسخة لعمله والنسخة الثانية يسلمها للمخابرات السوفياتية بدون تظهيرها ومع هذا فقد انكشف أمره من قبل عميل آخر وقبض عليه وحوكم حيث حكمت محكمة الجنايات عليه بالسجن ١٥ سنة.

ومن المعروف في مجال المخابرات أن كاميرا « الأكزاكاتا » هي أداة عمل العملاء السوفيات. وهي آلة بالغة الاتقان مصنوعة في مدينة « مدريد ». ومزوّدة بعدسة بسيطة فتحتها ٣,٥. وإن امكانات الآلات المصغرة وأساليب اخفائها بأشكال غريبة تسمح بانجاز أعمال تجسسية باهرة. لكن مخيلة العميل ومهارته هما الأساس الضروري الذي لا بد منه لحسن استعمال هذه الآلات الالكترونية. فرغم اتساع فتحة العدسة، ودقة الآلة وحساسيتها البالغة، فإن استعمال آلة تراوح سرعتها بين واحد على عشرين وواحد على خمسين ثانية يتطلب كمية معينة من الضوء. وتصوير الخرائط أو الصفحات المكتوبة أو المطبوعة يقتضي تركيزاً، وتقديراً صائباً للمسافة، ووضع آلة التصوير والأشياء المطلوب تصويرها في وضع معين لا يتم من خلال نظرة سريعة بل يحتاج كما ذكرنا إلى خبرة العميل. ويستحيل استعمال الفلاش في مثل هذه الظروف. فنُوره غير كاف أو غير موجه ومركّز، وهو يترك انعكاسات على الصورة فيشوهها. فإذا لم يتمكن العميل من سحب الوثائق من مكانها ليصورها في محترفه فعليه أن يحمل إلى مكان الوثائق آلات وأدوات كثيرة. منها عدة لمبات ومرتكز لآلة التصوير ومقاييس وأسلاك ووصلات أسلاك وأدوات احتياطية لاستبدال ما قد يتعطل أثناء العمل. ويصعب على العميل أن يقوم بهذه المهمة بمفرده. لأنه لا بد من مراقبة النوافذ والأبواب والشقوق التي فيها، والتي قد تفضح وجود أضواء أثناء التصوير. ومن عادة رجال المخابرات العاملين في بلادهم أن يأتوا بشاحنة صغيرة في داخلها مختبر متحرك يديره اختصاصيون، حيث يوقفون السيارة المختبر في شارع قريب. ثم يتولى أحد العملاء أخذ الوثائق ونقلها إلى السيارة. ويقضي العرف أن يتحمل العميل مسؤولية ومخاطر عمله هذا بمفرده وغالباً ما يكون « العميل ــ السارق » رجل ظل، يعمل في الليل. وقد توفر التقنية العلمية المتطورة باستمرار وسائل عمل أكثر سهولة وأقل خطراً من الآلات المعروفة حتى الآن، فأجهزة مكافحة التجسس تعمل على اكتشاف سائل

يخفي معالم الوثيقة تماماً حين تسلط عليها أنوار عادية، ولا يظهرها إلا تحت أنوار خاصة.

التصوير من خلف الجدران « حقيقة »

○ توصلت شركات صناعة آلات تصوير التجسس في مجال سرقة المعلومات إلى صنع كاميرا تفوق سرعتها سرعة الصوت، وتأخذ صوراً « عبر » الجدران السميكة وحتى عبر حواجز من الفولاذ. هذه الكاميرا كانت حتى وقت قريب حلماً علمياً، حتى قدمها العلم الحديث هدية لمحترفي الجاسوسية في العالم حيث ظهرت فجأة بشكل آلة معقدة التركيب، سهلة الاستعمال. في البدء كان حامل الكاميرا الأسرع من الصوت يأخذ صوراً عديدة بأوضاع مختلفة للأشياء الموجودة خلف الجدار أو الحاجز. وطورت الكاميرا فيما بعد فأصبحت تعكس الأشياء المطلوب تصويرها على شاشة تلفزيونية، فيتمكن المصور من تصويب آلته عليها. المأخذ الوحيد على هذه الكاميرا ذات الامكانات الهائلة، هو كون حملها ونقلها لا يزال يلفت الأنظار. ولا يمكن توفير الوقاية من خطر هذه الكاميرا أي خطر مشاهدتها حتى اكتشف الخبراء مادة لدهن الأشياء السرية بمادة لا نستطيع تسميتها، ولا كشف عناصر تركيبها، لأنها من أسرار الدفاع الفرنسي. ولم يعرف ما إذا كانت دولة أخرى قد توصلت الى اختراع وسيلة اخرى للوقاية. ولا بد من ملاحظة نعتبرها بالغة الأهمية وهي أن معلومات كثيرة تصل الى العملاء بسهولة، ودون أن يحركوا ساكناً في سبيل جمعها. والذين يسربون هذه المعلومات ـــ دون قصد أكثر الأحيان ـــ هم الصحافيون، وخصوصاً العاملين منهم في مجالات مختصة، علمية، عسكرية، وذلك عندما ينشرون صورة قاعدة جوية أو سلاحاً سرياً، أو يعددون قائمة الأسلحة التي أوصى عليها الجيش

من مختلف المصادر. أو عندما يُنشر مرسوم استملاك العقار رقم كذا، في منطقة كذا لصالح وزارة الدفاع... ألخ.، قال الرئيس الأميركي كارتر « ان ٩٥٪ من المعلومات السرية تصل الى الخارج عن طريق الصحف ». قد يكون كارتر مبالغاً في هذا الرقم. لكن خبراء التجسس يعتقدون أنه لم يبالغ كثيراً.

فن تسميم عقول الجماهير

○ اطلعنا من مراجع المجلات العسكرية الاكاديمية والعلوم العسكرية على ما يسمى « برنامج تسميم عقول العدو ». ويبدأ هذا البرنامج بالحيلة التكتيكية البسيطة، ليصل الى برنامج ضخم متماسك، هدفه بث الشعور بالخيبة في صفوف العدو أو نشر الأخبار الكاذبة.. الخ وقد تعدى تسميم العقول النطاق العسكري أي تعدى نطاق تسميم عقول العسكريين في الجبهة والداخل بأخبار تدعوهم للتخاذل الذي أصبح جزءاً صغيراً في عالم التجسس ـــ ليحتل فيما بعد مركز الصدارة بين أسلحة التجسس الفتاكة في المجالات الديبلوماسية والسياسية والاقتصادية بما في ذلك تسميم عقول الجماهير. وتسميم العقول، حسبما فسره بعض خبراء هذا السلاح، هو عمل خبيث، أو ضغط على العقول من أجل ترسيخ بعض الآراء والأفكار فيها، وذلك بهدف تحطيم المعنويات واحلال الضياع محل التصميم، والوهم والزيف محل الحقيقة والواقع. واداة تسميم عقول الجماهير هي جميع وسائل الاتصالات والاعلام، القادرة على توجيه العقول باتجاه فكري، يفيد الذي « يسمم » والذين « يتسممون ». أما أساليب التسميم فعمليات بطيئة تنفذ بمهارة فائقة، وتركز على ترسيخ فكرة معينة في ذهن قيادة عسكرية، أو سلطة، أو فريق سياسي، أو جزء من الرأي العام، أو تسميم « كل الرأي العام للدولة المستهدفة » من مثقفيه في قمة الهرم إلى رجل الشارع العادي الذي

يمثل قاعدته. وهذا الأسلوب هو أحدث الأساليب العصرية وأخطرها.

ومن نتائج عملية التسميم الناجحة أن تقود الفريق الذي استهدفته إلى حالة من الضياع، يفقد معها كل قدرة على مقاومة أي عدو يهاجمه. وأحياناً يبلغ التسمم درجة تجعل المصاب بالتسمم يستنجد بعدوه الذي سمّه، حاسباً إياه محرراً وليس محتالاً وأصل البلاء. وبعض الدول الشرقية تعتبر استاذاً في استخدام هذا السلاح، لأنها تعتمد على السلاح المنوه عنه وعلى السيطرة والقوة. والولايات المتحدة الاميركية لا تقل براعة عن الدول الشرقية في هذا المجال، وإن كانت تعتمد على « الدولار » بدلاً من الضغط لتصل إلى أهدافها.

ولا يمكن تسميم عقول شعب بكامله إلّا بفضل معرفة عميقة بنفسية ذلك الشعب، وبعلم النفس بشكل عام. وبفضل علم النفس يتم تحطيم معنويات المواطن، وارباك السلطات والجيش والشرطة، والأكثرية الصامتة التي لا تعود تتجرأ على ابراز ردة فعلها فتبقى مكبوتة حتى يصل النظام إلى هاوية الانهيار الكامل. والتسميم الديبلوماسي أو السياسي قد يمهد لعمليات التسميم أو يرافقها، أو يعمل في مجال بعيد عنها ظاهراً، ومتصل بها اتصالاً عضوياً في واقعه. ويسير هذا التسميم باتجاه اقناع العدو بأن الاهتمام مركّز على دولة بعيدة واقعة داخل منطقة نفوذ مختلفة عن التي ينتمي إليها بلد العدو. وأيضاً فإن مشاكله متأتية من تلك الدولة بالذات. ويحقن ذهن العدو بمعلومات تأتيه من مصادر ملتوية ومتنوعة، بحيث يتصور أنه اكتشف سراً خطيراً حسن وصلت إليه، وهكذا يقع في الفخ بسهولة. وتكون ميزات التسميم في الأساليب الذكية الخبيثة، وليدة التفكير العميق والتخطيط الصائب.

وغالباً ما يتبع التسميم أو يرافقه حملة تشويه وتكذيب . فبعد أن يبلغ المتسمم درجة من التضليل تفوق طاقته للاستيعاب، تبدأ عملية جرّه إلى

الخلف. ويعني ذلك بشكل عملي جره إلى اعادة النظر في المعلومات والأخبار والمسلمات التي أعطيت له خلال فترة معينة، ومحاولة اقناعه بأن جزءاً منها كان خاطئاً ومضللاً. والهدف هو اقناعه بأن ما بقي في الغربال هو، هذه المرة، الحقيقة الساطعة التي لا مجال للشك فيها. وهكذا تطمئن ضحية التسمم ــ خاصة وإنها مرت في مرحلة الشكوك ــ وتأمن إلى « موجهها الفكري » الذي التقى معها في الشك، وانتقل معها بعد ذلك إلى نور اليقين. وهذه العملية الأخيرة ــ أي عملية الجرّ الى الخلف ــ أشبه ما تكون بغسل الدماغ. والذي يتعرض لها يصبح سهل الانقياد في اتجاه جديد، يتبعه دون تردد ولا حذر. وربما لو تكشف له هذا الاتجاه الجديد، منذ بداية عملية التسميم لوجد لديه تردداً أو مقاومة.

والأساليب والتأرجحات والمداورات نفسها التي تستعمل في تسميم العقول، تستعمل في حملات التضليل أو « غسل الدماغ ». على أن غسل الدماغ لعبة أدق وأشد خطورة من التسميم، بل هي ذروة التسميم الحاسمة.

وتسميم العقول موجود منذ أن وجد الانسان ووعى مصالحه. وبما أنه عمل ذهني في الأساس فقد تطور بتطور العقل الانساني ومدى إدراكه. وقد عرفه إنسان ما قبل التاريخ وإنسان العصر الحجري والقرون الوسطى، كل على مستوى عصره. أما اليوم فعبارة تسميم العقول، موضة منتشرة تجدها في التقارير العسكرية وفي تقارير الشرطة وفي وثائق الادارات الرسمية. وهي في الشارع وفي المنازل على ألسنة زعماء الأحزاب وجميع الديبلوماسيين.

وليست الكلمة مقتصرة على المجال السياسي، بل هي مستعملة في التجارة والصناعة. وأدوات التسميم الحديثة جد متنوعة. ومنها الصحافة والاذاعة والتلفزيون واللافتات والبيانات والمنشورات على اختلاف

أشكالها وأنواعها. والمهتمون بدراسة ظاهرة تسميم العقول يتفقون على أنها كانت في الماضي بسيطة بدائية، ولا تشكل أية خطورة رغم أنها تعطي مفعولها لدى الخصوم :

○ مثل الهارب من قلعة من قلاع العدو الذي « يطلق » حصانه في اتجاه، ويسير هو باتجاه معاكس ليضلل الذين يلاحقونه.

○ الملوك والامراء الذين كانوا يعرضون ويتباهون بثرواتهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك بدافع التباهي والمغامرة، وإنما ليرسخوا في أذهان الشعب مدى قوتهم وسطوتهم المستمدة من كثرة أموالهم.

○ فرقة الجيش التي أشعلت حول مخيمها « نيراناً كثيرة » لتوهم العدو بأن عددها كبير فرحل عن قتالها.

○ ومن الماضي القريب قيام الزعيم حسني الزعيم، رئيس جمهورية سوريا ١٩٤٩ بالايعاز بوضع مداخن المدافئ بشكل بارز في الخيام ومراكز المدفعية باتجاه الكيان الصهيوني بمعدل ٤ لكل مدفع حقيقي حيث كان العدو الصهيوني يراقب القطاعات العسكرية السورية بالمنظار في حينه فظن أن السوريين قد ملأوا « الجبهة » بالمدفعية وأصبح يعد للألف قبل الاقدام على أي اعتداء.

كل هذا كان في الماضي وكانت هذه الأساليب فعالة لتسميم عقول العدو. وبعضها لا يزال فعالاً ودارجاً حتى عصرنا هذا، مع بعض التطوير والتنويع. ولبعض الباحثين في تسميم العقول نظرية تقول أن تلك الظاهرة كانت تمارس في مناسبات محددة خلال الأجيال الماضية، والتاريخ لا يذكر لنا تفاصيل تثبت أو تنفي صحة هذه النظرية، لكن مما لا شك فيه هو أن الصحافة والاذاعة ــ السري منها والعلني ــ وسرعة وسائل الاتصال ونقل الأخبار... كل ذلك يجعل عمليات تسميم العقول سريعة ومتواصلة في عصرنا. وتسميم العقول في عصرنا هو عمل جماعي وليس عملاً

فردياً، وتعمل الجماعة بشكل فريق منسق النشاطات منظم منسجم، كالاوركسترا. ويبدأ العمل بتحديد وجهة العملية، وعرض ما يمكن أن يطرأ على مسيرتها من ردات فعل العدو ومدى تأثره بعنصر أو بآخر تأثيراً ذهنياً وعاطفياً. حيث يبدأ العمل بتحرك بطيء ومتواصل لخلق المناخ المناسب. وتنطلق الاشاعة الأولى بحذر بالغ، ولا تكون واضحة حتى لا تولد صدمة. أما العملاء الذين يتولون نقلها ونشرها فهم من الصنف الخبير المتمرس طويلاً في هذا المجال. ثم يجري تثبيت الاشاعة الكاذبة في الأذهان، برسائل وتفسيرات بريئة في مظهرها، تبث من الاذاعات وتنشر في الصحف وترافقها أخبار تبدو للسامع والقارئ وكأنها أفلتت صدفة من منابعها وضد إرادة أصحابها. فحين يهدف التسميم إلى إسقاط سلطة في بلد ما، مثلاً فقد يبدأ بنشر تعليقات وملاحظات شفهية لها طابع اخباري منطقي منضبط وموضوعي، وخال من أي تهجم أو عنف. ثم تلي ذلك مرحلة انتظار ريثما يكون الرأي العام قد استوعب الأخبار وراح يساهم في نشرها وتضخيمها . ثم يتولى بعض العملاء توجيه النقمة الى « مسؤول » محدد وذلك باسلوب الايحاء لا الفضح. وأخيراً يترك للناس أمر تنفيذ المخطط، حتى تحقيق هدفه النهائي.

خلال الحرب العالمية الثانية كلف سيلتون ديلمان بوضع برامج اذاعية باللغة الالمانية « تبث من بريطانيا » واقترح من جملة ما اقترح من مواضيع وأشكال لبرنامجه أن تذاع « أخبار » توحي للمستمعين الالمان بأنها ليست موجهة إليهم. أي بحيث يظن الالماني الذي يسمعها أنه قد اكتشف صدفة، اذاعة سرية تملكها السلطات الالمانية بينما كانت الأخبار تهدف إلى تحطيم معنويات الشعب الالماني فعلاً.

واليوم لم تعد الاذاعة السرية ضرورية لمثل هذه الأعمال فالاسلوب الحديث يقضي بادخال بعض العملاء سراً إلى المؤسسات الصحافية

والاذاعية والتلفزيونية، في كل دولة يراد تسميم عقول مواطنيها. ومن عادة العسكر أن يعهدوا لعملية تسميم العقول إلى عميل مزدوج، يكلفونه اعطاء العدو معلومات خاطئة. على أن مثل هذا العميل، لا يصلح لتنفيذ مخطط جدي شامل، تضعه القيادة ويقتضي تنفيذه الاطلاع على الأسرار الدفاعية. ذلك أن العميل المزدوج لا يوثق باخلاصه في الغالب، مهما برهن على هذا الاخلاص. وهو فضلاً عن ذلك لا يتمكن من الاتصال بالشخصيات البارزة والمؤثرة في مجتمعها. والعميل المنتقى لتنفيذ عملية تسميم جدية وعلى مستوى عال لا بُدّ له وأن يكون صاحب مواهب تجعل منه شخصاً مرموقاً، ومن صنف نادر. وهو لا يتجسس رغم كونه في الواقع من أخطر الجواسيس، أو أخطرهم على الاطلاق. بحيث لا يظهر عليه أنه يستعلم عن أي أمرٍ ويبحث عن سر. ولا يبدأ بممارسة دوره الفعال في عملية التسميم إلا بعد وقت طويل نسبياً، أي بعد أن يستكمل الشروط والعناصر التي تجعل كلامه مسموعاً وموثوقاً به. وهو ينشر « معلوماته » بالوسائل الطبيعية ودون اظهار أي اهتمام بها أو أي قصد منه بنشرها. وعليه أن يعايش الأوساط الثقافية والعلمية ذات المستوى الرفيع. وبالتالي لا يمكن أن يكون انساناً فاشلاً أو ضعيفاً. بل ولا بُدّ له أن يكون شخصية بارزة ذات علاقات طيبة مع كلا الطرفين (أي الطرف واضع السم والطرف الذي يتلقاه) وحتى لا يثير الشكوك في أقواله وآرائه، لا بُدّ له وأن يكون مطّلعاً تماماً على خطة التسميم ومستوعباً تفاصيلها بكاملها. ولا بُدّ لمستوى هذا العميل من أن يتصاعد باستمرار. فغالباً ما يستقطب العميل من أوساط المسؤولين التقنيين في كادرات الصناعة والجيش والادارة، ويرتقي ليصل إلى مرتبة « عالم » أو ديبلوماسي أو سياسي أو مثقف كبير. وقد بات معروفاً أن المؤسسات المكلفة بتنفيذ هذه المهمات وهي المخابرات وخاصة فروع « مكافحة التجسس » تختار عملاءها من الأوساط الراقية جداً، في مجال العلم والثقافة والنفوذ السياسي وغيرها.

إنَّ أشكال وأنواع التسميم التي حددها مركز الاستعلامات الفرنسي في قيادة الشعبة الثانية أي المخابرات لا تزال صالحة ومطابقة للكثيرين عمليات التسميم العصرية، ويمكن إيرادها كمثال يوضح موضوعنا هذا :

○ تبدأ مهمة العميل بتكليفه بنقل خبر صحيح للعدو. ويسمى هذا العمل « خبر اتصال » وبالطبع غالباً ما يكون الخبر قديماً لم تعد له أهمية فعلية، أو يكون انتقاله الى العدو لا يشكل خطراً لأنه خبر من نوع الاستثمار الذي يقتضي التضحية بجزء من رأس المال. وبعد هذا الاتصال بوقت قد يطول أو يقصر حسب الظروف، تبدأ عملية التسميم الحقيقية. عملية بالغة الدقة، أخبارها ناقصة بحيث تسمح للعدو أن يبذل مجهوداً شخصياً في البحث والتنقيب، حتى يكملها. وتدريجياً تثبت ثقة العدو بالعميل. ويسمح لنفسه بالثرثرة اكثر فأكثر. كما تتكاثر المعلومات الواردة إليه من مستخدميه. وتقضي اصول اللعبة أن يعطى العميل من حين لآخر معلومات تبرهن أن هدفه ليس مجرد إعطاء المعلومات. كما تقضي بأن ينقل أخباراً تدل على حسن نيته وعلى جهله التام باهتمام العدو باخباره وكيفية استخدامه لها. وعليه أيضاً أن يخطئ من حين لآخر وأن يعود فيصحح اخباره الخاطئة. ويركز خبراء التسميم على أهمية هذا الخطأ لأن العميل يبرهن بواسطتها عن كونه ينقل أخباراً لا يعي خطورتها ولا يعتمد نقلها، ولأن ثقة الأعداء تزداد كثيراً حين يرونه جاداً في عرض الأسباب والوقائع التي جرته إلى استنتاجات خاطئة.

* هناك أمثلة كثيرة تبدو أشبه ما تكون بالأساطير والروايات الخيالية، لولا أنها قد حصلت فعلاً. ومن أطرف حوادث التسميم العسكري حادثة الرجل غير الموجود التي رويت بعنوان (المخابرات تستخدم الأموات) في الجزء الأول من هذه السلسلة في الصفحات ٢١٣ الى ٢١٦. صاحب الفكرة كان قانونياً مجنداً احتياطياً مكلفاً بمصلحة أمن بسيطة

أما منفذ الفكرة فكان الضابط البحري أيوين مونتاغو. أما عميل التسميم هذه المرة للعدو الالماني فكانت جثة لرجل ميت.

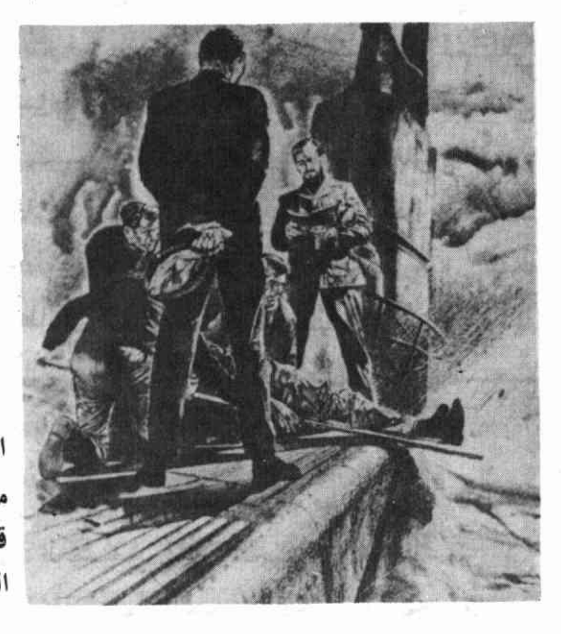
كان على الضابط مونتاغو أن ينقل معلومات « بالغة الخطورة » إلى قيادة الجيش الالماني ولا يمكن نقلها بواسطة عميل عادي أو سفارة أو أي إنسان، لأنه لا يفترض أن يكون أي إنسان مطلعاً على نيات الجنرال أوشيبالدي والأميرال كوينغهام والجنرال الكسندر. بعد تفكير طويل خطر لمونتاغو أن يضع هذه المعلومات في جيوب ملابس ضابط ميت ثم يلقي بجثته بالقرب من الشاطئ الاسباني. بحث مونتاغو كثيراً حتى عثر على جثة رجل ميت فأقنع عائلته بتسليمه جثته، لأمر خطير يتعلق بالأمور العسكرية الهامة « لصاحبة الجلالة » وجرى تزويد الجثة باسم « الميجر وليم مارتان » وأوجدوا له خطيبة، وحساباً في أحد المصارف. بينما استمر خبراء المخابرات البريطانية في رسم خطوط العملية التسميمية وتحضير الأوراق والمستندات اللازمة لها، وتقرر أن تكون وثائق التسميم صادرة من سلطات عليا جداً وهي :

١ ـــ رسالة موجهة من رئيس الأركان المعاون للامبراطورية الجنرال أرشيبالدي إلى الجنرال الكسندر قائد الجيش الثامن عشر في افريقيا. وتحمل الجثة نسخة عنها باعتبار صاحبها الميجر مارتان من الضباط القادة في المنطقة وتقضي الرسالة أو يفهم منها بأن « صقلية » ستكون الهدف القادم للحلفاء.

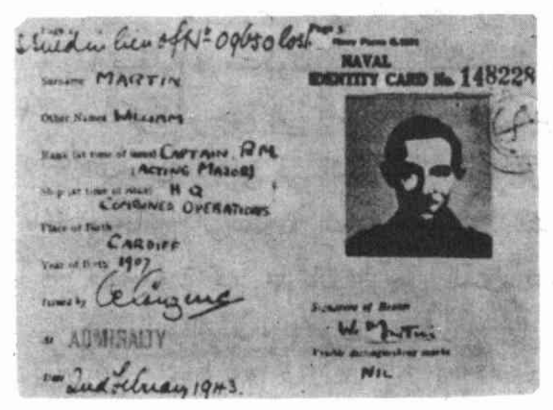
٢ ـــ مذكرة موجهة إلى أميرال الاسطول البريطاني السير كوينغهام القائد البحري الأعلى في المتوسط من اللورد مونتباتن يشرح فيها مهمة « حامل الرسالة » الميجر مارتان. لتنتهي المذكرة بهذه الألغاز : ستجدون في مارتان الرجل الذي يناسبكم أرجو إعادته لي فور انتهاء « الهجوم » فربما استطاع أن يحمل إلينا « السردين » فهو متقن هنا... ؟

وهنا يتضح أن الألمان استنتجوا من هذه المذكرة أن الهدف المقبل للحلفاء سيكون « سردينيا ».

واحتراماً لقواعد التسميم فقد اكتفى الحلفاء والمخابرات البريطانية بهذا القدر من التسميم حسب القاعدة التي تقضي باعطاء معلومات ناقصة وغير محددة لتبلغ غايتها لدى الأعداء. وقد أثمرت هذه العملية بشكل جيد وابتلعت السلطات الألمانية التسميم للآخر.



الجثة المهمة طعم التسميم تلقى من الغواصة البريطانية (سارف) قرب الساحل الاسباني بينما أحد الضباط يتلو صلاة الموت.



Issued in lieu of No. 09650 lost

NAVAL IDENTITY CARD No. 148228

Surname MARTIN

Other Names WILLIAM

Rank CAPTAIN, RM (ACTING MAJOR)

Ship H Q COMBINED OPERATIONS

Place of Birth CARDIFF

Year of Birth 1907

Issued by

at ADMIRALTY

Date 2nd February 1943.

Signature of Bearer W. Martin

Visible distinguishing marks NIL

البطاقة الشخصية الخاصة بالكابتن « ويليام مارتن » في البحرية الملكية البريطانية. وكلها مزيفة « بعلم من يهمه الأمر ».

* وهناك حادثة تسميم عقول حصلت منذ فترة ليست ببعيدة، وتصلح كمثال سريع عن عمليات التسميم السياسي. فقد كان التنافس على البحر الكريبي بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة قد بلغ ذروته في كوبا. فاعتمدت المخابرات السوفياتية خطة لمصلحة كاسترو وقسمتها إلى ثلاث مراحل. ونجحت المرحلة الأولى بسهولة، بفضل شغف الأميركي بالفولكلور، وبفضلها اكتشف الرأي العام الاميركي أن باتيستا « رئيس كوبا السابق » ديكتاتور فاسد، واكتشف من ناحية ثانية ان فيديل كاسترو إنسان شريف محبب متحمس لمبادئ سامية، بالاضافة الى كونه وسيم. ويذكر المراقبون أن ميل الرأي العام إنطلق وقتئذٍ من النوادي النسائية في الولايات المتحدة ومن المبشرين والمراهقين. ومثل هذه الانطلاقة تصعب مقاومتها كثيراً. وكان أن هرب باتيستا مع عائلته وثروته التي جمعها من الشعب الكوبي، بعد نجاح الثورة. وتسلم فيديل كاسترو زمام الحكم في كوبا، وسط جو من الاعجاب والتمجيد من قبل الصحافة الاميركية. بعد وقت مناسب تأكد المراقبون السياسيون أن المخابرات السوفياتية نجحت نجاحاً باهراً في إعداد الرأي العام الاميركي لتقبل ذلك.

ومعروف أن كاسترو بدأ باعادة المستثمرين الاميركيين إلى بلادهم، لاكتشافه أن الأرباح الطائلة التي كانوا يجنونها من بلاده تستعمل بشكل أفضل فيما لو استقرت « في الخزائن الكوبية ». وكانت ردة فعل الاميركيين دهشة بالغة، وقد ظنوا أنهم يستبدلون باتيستا بشبيه له. ولا شك في أن المخابرات الاميركية، التي لا بد وانها عارفة بماضي كاسترو، كانت هي الأخرى مسممة لدرجة جعلتها تستخف به ولم تبلغ السلطات الأميركية بما لديها من معلومات عنه.

في المرحلة الثانية كانت المخابرات الاميركية تعد العدة للأخذ بالثأر في عملية « خليج الخنازير » وكانت لا تزال تحت تأثير التسميم السوفياتي كما يبدو. إذ أنها أبلغت رئيس الولايات المتحدة أن كوبا

ستقع فريسة سهلة، حالما يطل عليها « المحررون » الاميركيون. ومن قواعد التسميم أن أسهل وأنجح أساليبه يقضي بتثبيت اعتقاد العدو فيما يريد هو أن يعتقده. وبالتالي لم تكن مهمة المخابرات السوفياتية جد صعبة هذه المرة.

التسميم العسكري والسياسي الذي تمَّ قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ :

حادثة ثانية وهامة قريبة العهد تشكل نموذجاً للتسميم السياسي والعسكري. ولنعد بالذاكرة إلى أسابيع الاتصالات التي جرت قبل حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ وباختصار « الكيان الصهيوني كان على أتم الاستعداد للحرب ». فأشاعت وسائل الاعلام الاسرائيلية داخل أوساط معينة في تل أبيب أنها متخوفة من هجوم عربي ساحق عليها، وتساءلت : أي بلد في العالم يظل يهتم بها ويساندها فيما لو خسرت الحرب ؟ وحددت السلطات الاسرائيلية مصلحتها في نقطتين أساسيتين :

الأولى : عدم تدخل الاتحاد السوفياتي بجانب العرب.

الثانية : استغلال عنصر المفاجأة.

وبدأت عملية التسميم بحمل المصريين على الاعتقاد الجازم بأنهم سيكونون وحيدين في هذه المعركة.

كانت موسكو تساعد مصر علناً. والأمم المتحدة أجبرت اسرائيل على التراجع في إيلات. وفرنسا وبريطانيا لم تعودا حليفتي اسرائيل لأسباب « بترولية » مفهومة. وحتى الولايات المتحدة حليفة ومربية اسرائيل الأولى أظهرت تردداً في امكان تدخلها علناً في المعركة.

من ناحية القاهرة ؟ كيف بدا لها الموقف العالمي ؟

كانت القاهرة « تراقب » أبا إيبان وزير خارجية الكيان الصهيوني في حينه وهو يهرول من هنا إلى هناك طالباً المساعدات الدولية. وامعاناً في الخديعة والتسميم المقصود لمصر والدول العربية فقد طلب أبا إيبان « مقابلة » الرئيس الاميركي جونسون وأذيع ذلك اعلامياً في طول الدنيا وعرضها.. ولكن الرئيس الاميركي لم يستقبله وتركه ينتظر فترة طويلة، بينما استقبل أثناء ذلك فريق كرة اليد الرياضي. ثم سافر الى مزرعته تاركاً الوزير الاسرائيلي « ينتظر ». وأخيراً تمّ استقبال إيبان في البيت الأبيض « سراً » ولم يستطع الصحافيون مقابلته سوى في المطار حيث بدا محطماً فاقد الثقة والأمل « بعد مقابلة جونسون الفاشلة » كما ادعى. وتطمئن القاهرة التي اعتقدت نتيجة ذلك التسميم بأن اسرائيل أصبحت معزولة وقد خيّب الأميركيون أملها. وقد اشترك في عملية التسميم هذه أمهر الدبلوماسيين كما اشترك في عملية التسميم « كبيرهم » الرئيس جونسون نفسه حتى انتهت هذه العملية بما سمي « حرب حزيران أو نكسة حزيران » بما عرف من غدر سلطات الكيان الصهيوني.

سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد
و « ردّ الاعتبار » ومصر العربية


الرئيس الأسد يحيّي أبطال حرب رمضان

○ وقد قامت سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد وجمهورية مصر العربية (قبل كامب ديفيد) برد الصاع صاعين للكيان الصهيوني حيث تم اجراء تنظيم عسكري على أساس خطة اتفق عليها للهجوم المفاجئ على اسرائيل . كما تمّ الاتفاق بين القيادتين السياسية والعسكرية في مصر وسوريا اعتباراً من شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٣ للبدء في دراسة اختيار يوم الهجوم وساعة الصفر بما يتناسب مع موقف كل من الجيشين المصري والسوري، مع ابتداء خطة متكاملة بين المخابرات السورية والمخابرات الحربية في مصر لبدء العمل في اطلاق أجواء التسميم العسكري والسياسي قبل هذه العملية. وسارت الدراسات سيراً جيداً فالخبراء العسكريون تولوا دراسة موقف العدو وحالة الطقس، وخاصة حركة الشمس على أن تكون الشمس في

ساعة الهجوم في اتجاه أعين العدو الاسرائيلي وخلف القوات العربية على الجهتين السورية والمصرية وقد خصصت الدراسات لاختيار يوم الهجوم وساعة الصفر استناداً لما يلي :

- تم اختيار يوم الهجوم في يوم تكون فيه عدد ساعات الليل أطول من عدد ساعات النهار حتى تتمكن القوات العربية من تأمين رؤوس كباري ليلاً. واقامة الكباري في فترة الليل وذلك لتقليل تأثير ضربات العدو الجوية.
- كان هذا اليوم من الأيام التي تعطل فيها المصالح الحكومية في الكيان الصهيوني كما أعطي هذا اليوم أفضلية خاصة للهجوم باعتباره يوم تقام فيه احتفالات دينية خاصة باسرائيل وهو « يوم الغفران ».
- كان هذا اليوم واليوم الذي يليه من الأيام التي تعطل فيها المصالح الحكومية في الدول الاوروبية حتى يتعطل اجتماع الحكومات أو المنظمات الدولية التي من مهمتها اصدار قرار وقف اطلاق النار قبل تحقيق الأهداف.
- استقر الرأي أن أفضل يوم هو يوم السبت السادس من تشرين أول (أكتوبر) لأنه يحقق العناصر الرئيسية المطلوب توفيرها.
- تم اختيار (ساعة الصفر) أيضاً وهي ساعة بدء الهجوم المشترك على الجبهتين السورية والمصرية وقد رُوعي في اختيار هذه الساعة لكي تحقق المزايا التالية :

أ ـ أن يكون الوقت المناسب لتكون حركة الشمس في أعين العدو الصهيوني في وقت واحد على كلا الجهتين السورية والمصرية وهذا ما ساعد القوات العربية في دقة التسديد.

ب ـ أن توفر ساعة الهجوم للقوات العربية على الجهتين فترة محددة للعمل نهاراً في حدود أربع ساعات بحد أقصى وهو الوقت اللازم لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف بسرعة خاطفة. وبنفس

الوقت على الجبهة السورية في الجولان لتعطيل ومنع مدرعات العدو التي تمثل الاحتياطات التكتيكية والتعبوية من التدخل السريع لدعم قواته التي يعتبر أنها ستكون « منهارة » في هذه المرحلة الحرجة من العملية. وأيضاً حرمان العدو على الجبهتين من المعاونة الجوية نهاراً.

جـ ـــ أن تكون حركة المدّ في قناة السويس في ذروتها وهذا يساعد على ارتفاع منسوب المياه في القناة مما يسهل سرعة انزال قوات الاقتحام شرقي القناة.

د ـــ أن تكون سرعة التيار في حدها الأدنى (٠,٠٨ متر ثانية) حتى يسهل على القوارب ووسائل العبور من المحافظة على اتجاهها وأيضاً أن يقلل من انتشار النابالم في حالة نجاح العدو في إشعال جزء منه.
هـ ـــ أن يكون هذا التوقيت غير تقليدي حتى يمكن تحقيق أكبر قدر من المفاجأة وقد جرى العرف أن يبدأ الهجوم اما أول ضوء أو آخر ضوء.

و ـــ أن يسمح توقيت ساعة الصفر للقوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي من تحقيق الضربة الجوية الأولى والتمكن من عودة الطائرات الى قواعدها لاعادة ملء الخزانات بالوقود لتكون جاهزة لتوجيه ضربة جوية ثانية في حالة الحاجة إليها. وذلك قبل نهاية الضوء، وفي نفس الوقت ونظراً لأن وسائل الدفاع الجوي سوف لا يفرض عليها الصمت أثناء قيام القوات الجوية بتنفيذ ضرباتها. فإن الحاجة لفترة الضوء هذه ضرورية لسهولة تمييز الطائرات من قبل الدفاع الجوي العربي سواء أثناء عودتها أو عند عودة اقلاعها مما يقلل الخسائر الناتجة عن ضرب الطائرات بنوع الخطأ الذي وقعت به اسرائيل نفسها فيما بعد.

○ وهذا الاسلوب الذي تم فيه التعاون الوثيق بين القوات الجوية ووسائل الدفاع الجوي يعتبر تنفيذه ونجاحه الأول من نوعه في الحروب

التي جرت قبل ذلك. ليس في الحروب العربية الاسرائيلية فحسب، ولكن في الحروب العالمية ايضاً فكان هذا نموذجاً للدروس العسكرية السورية والمصرية المستفادة والتي خصصت للبحث والتطوير في جميع المعاهد العسكرية العليا في العالم.

بعد ذلك وبناءً على هذه الاعتبارات التي كان لا بد من مراعاتها عند تحديد ساعة الصفر، وهي ساعة اقلاع القوات الجوية من قواعدها في كل من سوريا ومصر لتوجيه الضربة الجوية الأولى في العمق الاسرائيلي، طرحت هيئة العمليات بالقوات المسلحة العربية اليوم الذي اقترحته وقدمت معه يوماً آخر مماثلاً وساعة صفر مماثلة تتحقق فيهما الشروط المطلوبة ولكن في فترة أخرى وفي فصل آخر من فصول السنة وتركت للقيادة السياسية العليا في كل من سوريا ومصر « حق » اختيار اليوم الأنسب .وبذلك تحقق عامل السرية اكثر حتى بالنسبة لمن قاموا باعداد هذه الدراسة وهم يعدون على أصابع اليد من القادة.

وفي يوم ١٩٧٣/٨/٢٧ تمت الموافقة من قبل القيادة السياسية والعسكرية في كل من سوريا ومصر بناء على ما عرضه الفريق أول احمد اسماعيل وزير الدفاع المصري والذي وقع عليه الاختيار ليكون « القائد العام » لقيادة العمليات على الجبهتين السورية والمصرية على تحديد يوم وساعة بدء القتال المسماة « ساعة الصفر » عسكرياً لتكون الساعة ١٤٠٠ من يوم السبت العاشر من رمضان ١٣٩٣ هـ الموافق للسادس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣ م.

وقد تم اختيار يوم ١٩٧٣/٨/٢٧ موعداً لتحديد يوم الهجوم حيث بدأ من ذلك اليوم « العدّ التنازلي » لتنفيذ العملية. ولتوضيح معنى العدّ التنازلي، فليس المقصود هو عدّ تنازلي فقط لكن خطة العدّ التنازلي هي خطة في منتهى الدقة والسرية. كما تمّ بنفس الوقت اتباع طريقة التسميم

العسكري من جهة ثانية فأعلنت القيادة العامة للقوات المسلحة في مصر على تنزيل درجة التعبئة إلى حالتها العادية مما يسمح معه بمنح العسكريين اجازات يصل خبرها عن طريق العملاء إلى العدو ثم أعلنت نفس القيادة عن السماح لألفي حاج من تعداد القوات المسلحة باداء « فريضة الحج » لذلك العام. وقامت الصحف المصرية مثل الأهرام والجمهورية بنشر هذا الخبر المثير حيث علمت المخابرات الاسرائيلية بطبيعة الحال سواء من عملائها أو من نفس الصحف المصرية التي تصلها من سفاراتها في الخارج. وبذلك انطلى عليها التسميم المصري بشكل رائع. كما أصبحت جميع الاشارات اللاسلكية من القيادة الى الجبهة المصرية والمحتمل التقاط العدو لبعضها تحمل صيغة الأوامر بالتدريب العادي فقط.

○ أما في سوريا فقد كان الحال أفضل من ناحية تطبيق عملية التسميم العسكري ضد اسرائيل فقد تم تسريح دفعة كبيرة من العسكريين الاحتياط أي العسكريين الذين أنهوا مدة خدمة العلم وهي الواجب العسكري على كل عربي سوري ويحتفظ بهم لأسباب تقدرها القيادة، ومنها التخوف من نشوب قتال ، أو تكون المنطقة تتعرض لأزمة أو مؤآمرات صهيونية أو امبريالية وهؤلاء يُسمون « الاحتياطيين » وهذا لا يحدث إلّا أن تكون سوريا في حالة عادية جداً وليست مقبلة على حرب مطلقاً.

وهكذا كانت الحال بالنسبة للتسميم السياسي السوري ضد اسرائيل فقد نشرت وسائل الاعلام السورية ومنها صحف تشرين والبعث والثورة أن السيد الرئيس حافظ الأسد سيقوم في يوم السبت ٦ تشرين الأول (اكتوبر) بزيارة للمحافظات الشرقية. وهذا يعني سياسياً أن الرئيس السوري ليس لديه أية فكرة أو نية في هجوم على اسرائيل وليس مشغولاً بالخطط العسكرية مع القيادة السياسية في سوريا وانه « سوف »

يغادر دمشق في زيارة للمحافظات الشرقية كما ذكرنا.. ومتى ؟ في السادس من تشرين الأول... (يوم الحرب). وهكذا ابتلعت اسرائيل وهي المدعية الطعم بالتسميم السياسي والعسكري وفوجئت بالقوات المصرية وهي تدك خط بارليف فوق رؤوس صانعيه وبالقوات السورية تجتاح الجولان المحتلّ بآلاف الدبابات يقودها رجال أبطال،كما كان لسلاحي الجو في البلدين نصيب كبير في ضرب العدو الاسرائيلي وبالعمق حتى علمنا أن معظم الاسرائيليين داخل الكيان الصهيوني قد هيئوا « الأعلام البيضاء » لرفعها فوق منازلهم عندما شاهدوا مئات الطائرات العربية فوق رؤوسهم تدمّر رموز الصهيونية، وعلموا أن القوات العربية اجتازت خط بارليف وعبرت الجولان باتجاه قلب فلسطين.

والذي حدث أن ما توقعته القيادة العامة من احتمال تغيير الموقف قد وقع بالفعل بما سمي في مصر بـ« ثغرة الدفرسوار » وهبوب الولايات المتحدة لنجدة اسرائيل ووضع ثقلها العسكري الكامل بجانبها باقامتها جسراً جوياً[1] وبحرياً لاسرائيل.نقلت لها عبر هذا الجسر أضعاف ما فقدته من العتاد في هذه المعركة المفاجئة وجعلتها تستعيد السيطرة على الأجواء مع الأسف حتى تمّ الاعلان عن وقف القتال في ٢٢ تشرين الأول. مع العرض بأن الهجوم لم يكن قاصراً على القوات المسلحة السورية والمصرية فقط باعتبارهما طلائع هذا اليوم العظيم، وإنما شاركت فيه قوات شقيقة من العراق وليبيا والاردن والكويت والمغرب والسودان

---

(١) الجسر الجوي: هو عملية نقل مكثفة طويلة الأمد تقوم فيها طائرات النقل العسكرية او المدنية بنقل قطعات أو أسلحة ومعدات وذخائر بشكل مستعجل وبين نقطتين متباعدتين يكون النقل البري أو البحري بينهما متعذراً أو بطيئاً على نحو يؤثر على الوضع العسكري في نقطة الوصول. ولا يعطي الجسر نتائج إيجابية إلا إذا تم بعيداً عن مدن طيران الخصم. وأول جسر جوي في العالم كان لنقل قوات فرانكو من المغرب إلى اسبانيا عام ١٩٣٦.

ومنظمة التحرير الفلسطينية. أما بقية الدول وعلى رأسها المملكة العربية السعودية والملك الراحل فيصل فكان لمبادرتهم بادخال البترول سلاحاً في المعركة مع الدعم السياسي والمعنوي والمادي الذي قدموه ما أعاد إلى الأذهان تاريخ وعظمة الأمة العربية التي وضعت عالمياً في ترتيب القوة السادسة في العالم.

خلفية حرب رمضان من قادة العدو والمتعاونين معه

○ وأخيراً هناك حقيقة واضحة. هناك حرب حقيقية تمت بامكانياتنا المتواضعة. ومعنى هذا أننا نستطيع في أي وقت وبفضل وحدة الارادة العربية أن نتغلب على العدو ولو كان يملك ضعف الامكانيات ونكرر هذه المعركة والنصر إن شاء الله. ونحن نقدم للقارئ في نهاية هذا العرض الحثّ عن حرب رمضان نموذجاً من بعض أقوال قادة وكتاب العدو والمتعاونين معه حتى نرضي رغبات الجميع وهي :

ــ قالت « غولدامائير » رئيسة وزراء العدو أثناء المعركة :

« ... أما كيف كانت هذه الأيام بالنسبة لي فهذا ما لا أستطيع أن أصفه، يكفي أن أقول أنني لم أكن قادرة حتى على البكاء.. لقد عبر المصريون القناة وضربوا بشدة قواتنا في سيناء وقام السوريون بنفس الشيء في الجولان. وفي يوم الأحد ٧ تشرين الأول « اليوم التالي للقتال » قدم موشي دايان « وزير الدفاع » استقالته لي وهو بائس جداً ولكنني لم استطع قبولها، إنني أعترف أنه حدث لنا ما أحدثناه لمصر عام ١٩٦٧ ».

— الجنرال إيلي زبرا — رئيس المخابرات العسكرية في اسرائيل أثناء الهجوم العربي عليها قال في مقابلة مترجمة عن راديو الجيش الاسرائيلي :



إيلي زبرا

« ... لقد فوجئنا فعلاً. رغم جميع امكانياتنا الاستخبارية وملايين الدولارات التي صرفناها هدراً في سبيل معرفة مثل هذا اليوم ».

وقد أقيل هذا الجنرال من رئاسة المخابرات العسكرية الاسرائيلية فوراً.

— من مقال « منال ممتاز » الذي نشر في مجلة اسبوع الطيران عدد كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٣ عن مجلة القوات الجوية في الشرق الأوسط :

« ... لقد قام العرب أيضاً بعمل يحتذى به وذلك باخفاء نواياهم الحقيقية بينما كانوا يقومون بالواجب الشاق نحو تجميع واعداد وتدريب قواتهم الضاربة الكبرى وقد اختاروا بمهارة الساعة المناسبة في اليوم المناسب لبدء عملياتهم للحصول على أكبر مفاجأة وأقل ردّ فعل.. لقد كان اليوم هو « يوم الغفران » هذا اليوم المقدس الذي لا يعمل فيه الاسرائيليون مطلقاً. وكانت الساعة الثانية بعد الظهر أي عندما تكون الشمس في أعين الاسرائيليين ولا يتبقى سوى ساعات قليلة من ضوء النهار، لا تمكن القوات الجوية الاسرائيلية من التصويب بدقة لضرب المعابر التي أقامها المصريون عبر القناة ».

— من كتاب « زلزال في اكتوبر » للكاتب اليهودي « زئيف شيف ».

« ... وازداد الذهول بمفاجأة أخرى لم تكن متوقعة. ففي البداية اعتقد القادة الاسرائيليون أن دبابات جيش الدفاع الاسرائيلي سوف توقف المشاة المصريين بسهولة وكان الجميع مقتنعين بأن ضربة المدرعات سوف تخيف الجنود المصريين. وها هي الأنباء تقول بأن أولئك الجنود يواجهون نجاح دبابات جيش الدفاع الاسرائيلي (أنهم يطلقون علينا الصواريخ والبازوكات بغزارة). كانت هذه الجملة تتكرر دائماً في أجهزة الاتصال الاسرائيلية... وبعد الظهر اصدر الجنرال جوتين أوامره للدبابات الاسرائيلية « بعدم الاقتراب » وأن يطلقوا نيرانهم « على المشاة » حتى من على بعد عدة كيلومترات ».

ــ من مقالة « حرب الشرق الأوسط » لـ« ميليتري ديفيو » الأميركية نشرت عام ١٩٧٤: «لقد تمكن قناصة الدبابات من أفراد المشاة المصريين من تدمير حوالي ٢٠٠ مائتي دبابة اسرائيلية على طول جبهة قناة السويس في غضون ساعات قليلة ».

ــ من مقال حرب يوم الغفران الواردة في مجلة « المشاة » « أنفانتري » الاميركية عدد حزيران (يونيه) ١٩٧٤.

« ... وقد عانت القوات الجوية الاسرائيلية من الخسائر الجسيمة في طائراتها من الدفاع الجوي السوري المتمكن من أسلحته المتطورة والدفاع الجوي المصري أيضاً « عندما كلف الطيران الاسرائيلي بحماية القوات البرية ». وقد تمّ إسقاط ١٠٠ مائة طائرة اسرائيلية عندما حاول طياروها الاغارة على القوات السورية والمصرية « في اليوم الأول والثاني للقتال ».

ــ وفي مجلة « اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء » عدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣.

« ... وقد بلغ اجمالي خسائر القوات الجوية الاسرائيلية ومن نفس

المصادر الاسرائيلية ١١٧ مائة وسبع عشرة طائرة أسقطت بمختلف الوسائل وهي تشمل ١٢ طائرة ميراج ٣ + ٣٥ طائرة فانتوم E.4 + ٥٥ طائرة اسكاي هوك A.4 + ٦ طائـرات مستير + ٦ طائـرات هيلوكبتر، وقد أسقط منهم في اليوم الأول للهجوم ٣٠ طائرة اسكاي هوك A.4، وعدة طائرات فانتوم ».

— ومن كتاب « التقصير » الذي ألفته مجموعة من الكتّاب الاسرائيليين :

« ... وفي اليوم الثالث من الحرب كانت الخسائر الاسرائيلية مرتفعة بدرجة محسوسة وكان بين الأسرى الكولونيل عساف ياجوري والذي ظهر في نفس المساء في التلفزيون المصري. وللمرة الأولى منذ أنشئت اسرائيل أخذت الدبابات الاسرائيلية « تحارب وهي تنسحب » وللمرة الأولى أيضاً تتعطل الدبابات الاسرائيلية الكثيرة في أرض العدو وفي داخلها قتلى وجرحى دون أن يستطيع أحد نجدتهم أو تخليصهم منها. ولقد تمّ قتل وأسر عدد كبير من أطقم الدبابات التي تمّ تدميرها.

« لقد كنا دائماً في جميع حروبنا السابقة ننفذ العقيدة المقدسة لدينا في اسرائيل التي تقول بأنه لا يجب ترك جريح واحد على أرض العدو مهما تحملنا في سبيل ذلك من تضحيات. أما هذه المرة فإن الأمر جد مختلف وكان يتعيّن على أي قائد اسرائيلي يدخل في اتصال مباشر مع العدو أن يختار وفي ظرف ثوان قليلة : هل يخلص الجرحى ؟ أم يقابل من يهاجمه فيقتله هو أيضاً ؟ هل يحترم تلك القاعدة المقدسة ؟ أم يحارب « منسحباً » أي يحارب للوراء لكي يعيد تنظيم صفوفه ويتمكن من استئناف القتال ؟».

— أما خط بارليف فقد وصف أحد كبار المستشارين السوفيات بأنه سلسلة مواقع « من صنع الشيطان » وحده لأنه لم يشاهد في حياته

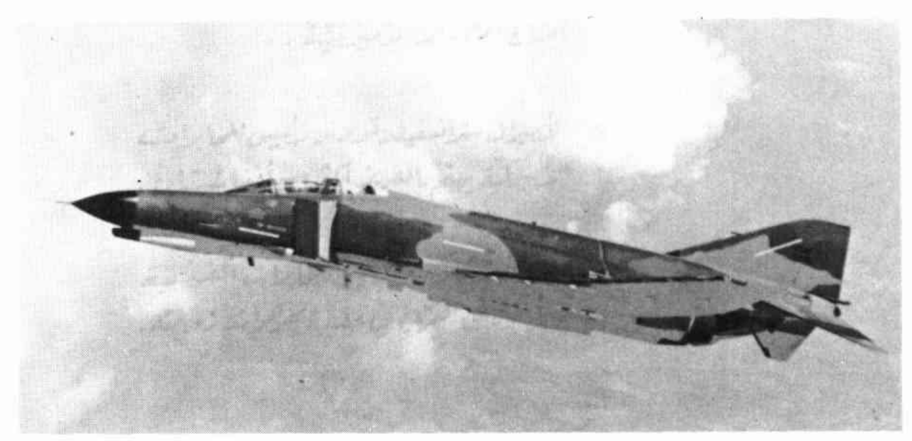
العسكرية مثل هذه السلسلة المنيعة من العوائق والموانع الطبيعية والصناعية التي أقامتها اسرائيل على الضفة الشرقية لقناة السويس وكلفتها عشرات ملايين الدولارات.

ــ نشرت مجلة .M.R عدد شهر آب (أغسطس) ١٩٧٤ في مقال عن حرب اكتوبر ما يلي :

« ... إن حرب اكتوبر قد حطمت الخرافة التي كانت قائمة منذ الانتصار الاسرائيلي السريع في عام ١٩٦٧. وقد أدى النجاح المذهل



وحدة من الدفاع الجوي السوري.



طائرة فانتوم .E.4 أسقط الدفاع الجوي السوري الكثير منها.

للجيشين السوري والمصري في حرب ١٩٧٣ إلى انتفاض الروح الوطنية لدى الشعب العربي بكامله، وتأكيد الذات العربية وقدرتها على القتال وعلى الانتصار. وأكدت للعالم حقيقة القومية العربية، وإن العرب قادرون على نبذ خلافاتهم جانباً وفوراً لمواجهة العدوّ المشترك صفاً واحداً. فهل يعيد التاريخ نفسه وتتحرر مصر العربية من معاهدة الذلّ الاسرائيلية وتعود الى الصف العربي للاشتراك كعادتها وفي هجوم النصر هذه المرة الله أعلم ».

نماذج
من أعمال المخابرات العالمية
التي
يقودها عمالقة التجسس في العالم

- رئيس المخابرات السوفياتية يوري أندروبوف أضاع المخابرات الأميركية .

- الأميرال سترانسفيلد توند رئيس المخابرات الأميركية يهتم بالفريز أكثر من أفغانستان .

- الكسندر دومارانش رئيس المخابرات الفرنسية ينقل الوثائق السرية في حقيبة مجوهرات زوجته .



كيف تعمل المخابرات في العالم

○ في شهر كانون الأول من عام ١٩٧٩ اكتشفت الأقمار التجسسية الاميركية ومحطات التنصت اجتياز فرقتين مدرعتين سوفياتيتين للحدود الافغانية متجهتين نحو الجنوب. فأعلم الأميرال ستانفيلد تودنر رئيس المخابرات الأميركية الذي اكتشف أسباب تحرك الجيش الأحمر إلى داخل افغانستان « متأخراً » بالاضافة إلى استنتاجه بنفس الوقت لأشياء خاطئة.

○ في العشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ هاجم واعتصم مئات الثوار في المسجد الحرام في مكة المكرمة بتخطيط خارجي ومع هذا لم تلاحظ المخابرات السعودية أو المخابرات الاميركية التي أطلقت أقمارها التجسسية للمراقبة أي تغيير مشكوك فيه قبل هذا الهجوم.

○ أيضاً في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ كان الأميركيون يدركون وضع إيران بالتفصيل ولم يصدقوا انتصار الثورة الاسلامية حتى آخر دقيقة لأنه لم يكن هناك من أثر لآية الله الخميني في الأدمغة الالكترونية التابعة للمخابرات الاميركية.

ومع هذه يمكن معرفة أي شيء عن أي بلد ما دون فهم ما يجري وتصوير أشياء صغيرة مثل كرة التنس بواسطة الأقمار التجسسية دون

معرفة نوايا العدو كما يمكن تبذير ملايين بل مليارات الدولارات بينما بامكان « عميل متيقظ » أن يكتشف الضروري والمهم. وتكشف هذه الأزمات الرئيسية الصراع الدائم بين أجهزة المخابرات العالمية والجهاز الحيوي لأي مخابرات هو الجهاز الذي يعتمد على معلومات يعطيها عميل يراقب الأوضاع « محليّاً ». بينما الجهاز التقني هو جهاز الكمبيوتر والأدمغة الالكترونية التي تعطي فكرة واضحة عن الوضع في أي بلد وهذه مصادر معلومات المخابرات الحديثة :

١ ــ خمسين بالمائة من معلومات المخابرات في العالم تؤمنها الأجهزة الالكترونية.

٢ ــ أربعين بالمائة من المعلومات تأتي من مصادر « مفتوحة » أي من الصحف والمجلات والكتب والأدوات التقنية.

٣ ــ خمسة بالمائة فقط مؤمنة بواسطة الجهاز الحيوي.

٤ ــ خمسة بالمائة الباقية فمصدرها أساساً خارجي. فهي تأتي من بلاد تتقاسم معلوماتها مع الولايات المتحدة الاميركية كإسرائيل وبريطانيا ومصر أخيراً.

وتتعدى ميزانية المخابرات الاميركية لجمع المعلومات الالكترونية ٥٠ مليار دولار سنوياً ما بين أقمار صناعية ومحطات تنصت وطائرات استكشاف. ومع هذا لم تنفذ هذه المخابرات سوى ثلاث عمليات خاصة خلال ثلاثين شهراً بين كانون الثاني (يناير) ١٩٧٧ و١٩٧٩ ولكنها حصلت على الضوء الأخضر بعد أزمة أفغانستان للقيام بست عمليات خاصة لم يكن بامكان أحد تصورها قبل ذلك.

نجاح الثورة الاسلامية الايرانية

○ تبقى إيران المثال الأكبر لسقوط الجهاز التقني في المخابرات الاميركية. ففي عام ١٩٧٨ استكملت المعلومات في الكمبيوتر وتابعت أجهزة التنصت عملها بصورة ممتازة مسجلة أي تحرك لأي طائرة أو دبابة داخل إيران وكان الشاه بامكانه أن يطمئن فليس هناك ما يهدده بصورة مفاجئة وحوله أقوى حرس امبراطوري في العالم ولديه المخابرات الايرانية « السافاك »[١] والأميركيون يعرفون كل شيء « عدا » أن الجيش الإيراني لن يحارب وأن هذا الجيش سيذوب في الاضطرابات وأن آلاف التسجيلات الكاسيت لصوت آية الله الخميني مسجلة في باريس حيث كان يقيم الإمام سوف تقرر مصير الامبراطورية.أما المخابرات الإسرائيلية التي كان لها الباع الطويل في طهران الشاه وكانت السفارة الاسرائيلية « وكراً حقيقياً » من أوكار التجسس ضد إيران وضد الدول العربية والدبلوماسيون الذين يعملون في السفارة كانوا يجيدون اللغة الفارسية كأهلها وقد عرفوا وأدركوا أن الشاه قد انتهى ولذلك قاموا بتدارك الأمور وتهريب الكثير من أعضاء السفارة الاسرائيلية والاسرائيليين العاملين في

---

(١) هناك فصل كامل عن المخابرات الايرانية في عهد الشاه « السافاك » نشرناه في الصفحات من [٦١ الى ٨١] في الجزء الثاني من سلسلة كتب (المخابرات والعالم) لمن يود معرفة كل شيء عن هذا الجهاز الدموي.

الوكالة اليهودية وأطنان من الطرود الدبلوماسية « هربوا » بها وثائقهم الجاسوسية وكانوا بذلك « أذكى » من الاميركيين الذين استولى الطلبة الإيرانيون السائرون على نهج الامام على سفارتهم فيما بعد.

○ المخابرات الفرنسية فرع السفارة الفرنسية في طهران كانت تراقب الأمور في طهران وشكت في الأمر.

○ رئيس فرع المخابرات الاميركية في السفارة « فلايشمان » القوي بتأكيدات الأجهزة الألكترونية ومئات العملاء في طهران لا يعرف شيئاً لأنه لا يتكلم الفارسية ولأن هدفه الأساسي كان التنصت على الاتحاد السوفياتي من الأراضي الايرانية. وكان نجاح الثورة الاسلامية الايرانية مفاجأة ضخمة للأميرال تورنر رئيس المخابرات الاميركية الذي كان يبلغ من العمر في حينه ٥٧ عاماً وكان صديقاً حميماً للرئيس كارتر في أكاديمية أنابوليس وهو الذي رأس المخابرات الاميركية في أوضاع صعبة منها: طرد مجلس الشيوخ لمستشار الرئيس السابق جون كنيدي من المخابرات لاتهامه باليسارية. قام تورنر بعد ذلك بتنظيف المخابرات الاميركية فطرد خلال سنتين أكثر من ألف موظف مدني وعدداً من العسكريين لأنه أراد اعادة النظام إلى جهاز عاجز عن الحركة تماماً منذ نهاية حرب فيتنام وبعد سقوط الرئيس ريتشارد نيكسون. لكن طريقة تنفيذ الطرد بدت مفاجئة لأن كمبيوتر « ملقم » بالملفات الشخصية لكل موظف أو عميل هو الذي يعطي الحكم دون مراجعة ويرفض الأميرال أن يتغاضى عن حكم الجهاز الالكتروني. وهنا نذكر مثلاً شهيراً كان ميشال ليدن رئيس تحرير « واشنطون كورترلي » يقوله عن أحكام الجهاز الالكتروني التي لا ترد : لقد طرد أحد عملاء المخابرات الاميركية الأكفاء الذي كان يقوم باتصالات مباشرة مع عدد لا بأس به من رؤساء الدول ورؤساء الحكومات لأنهم أي الرؤساء « غير أكفاء » برأي الكمبيوتر.

○ لقد مارس الكونغرس الاميركي وصاية مشددة على المخابرات المركزية الاميركية بعد صدور تقرير السيناتور فرانك تشرش عام ١٩٧٥ بعد التحقيق الذي أجراه عن أخطاء هذه المخابرات وتجاوزاتها. فأصبحت ثمان لجان من مجلس الشيوخ مؤلفة من ٢٠٤ أشخاص منهم ١٦٣ برلمانياً و٤١ موظفاً تمارس المراقبة الفعالة على نشاطات المخابرات وكانت النتيجة أن عقّد الأميرال تورنر بشخصيته الوضع أكثر مما كان معقّداً لأنه كان يعتقد نفسه في فيلم «كاين» يمثل دور الممثل العريق همفري بوغارت كما صرح أحد معاونيه.

○ إنّ عمل تورنر رئيس المخابرات الاميركية الذي يقبع في مكتبه الكائن في الطابق السابع من بناء المخابرات الاميركية في ضاحية لانفلي التي تبعد ١٥ كلم عن العاصمة الاميركية واشنطون يقتصر في أغلب الأحيان على تقديم « الفريز » إلى زواره الذين يصلون إلى مكتبه بمصعد خاص ومباشر لا يقف على الطوابق السابقة. وكان تورنر مغرماً بالفريز إلى درجة أنه نشر بتاريخ ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ بياناً مذهلاً حول « سرقة كمية من الفريز من براد مكتبه الخاص في المخابرات » قال في هذا البيان: « بطبيعة الحال سيجري تحقيق رسمي عن سارق الفريز وسوف أعلمكم بأي تطور في التحقيق. والأمل كبير في أن يعترف هذا اللص بجريمته وإنني أراهن براتبي كأميرال للكشف عليه وانني آسف إذ أجد نفسي مضطراً لأن أقوم بذلك لكن الأمن القومي يفرض هذا الاجراء ». وليتصور القارئ معنا اهتمام الأمن القومي الاميركي بسرقة كيلو من الفريز يخص رئيس المخابرات الاميركية ومن أعمال تورنر العجيبة إبان رئاسته للمخابرات نشر إعلان صغير في صحيفتي « واشنطون بوست » و« نيويورك تايمز » يطلب فيه موظفين من الجنسين للعمل في المخابرات وقد تلقى « ٢٣٠٠ » طلب نتيجة هذا الاعلان اختار منهم مئات الموظفين ليغطي النقص لديه بعد تسريحه التعسفي

لمئات من موظفي المخابرات. وأضاف تورنر فرع دراسة وتحليل للتصرفات النفسية والجسدية للموجهين الأجانب في المخابرات. وقد أرسل تورنر عن طريق وزارة الخارجية الاميركية إلى الرئيس أنور السادات ملفاً كاملاً عن مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي في حينه وملفاً آخر عن عزرا واينرمان وزير الدفاع وبطبيعة الحال أرسل نفس الملف عن أنور السادات إلى الاسرائيليين لكنه كان يضيع عشرات الساعات لتحليل التقارير التي ترد من موسكو لكي يتأكد في حينه من أن ليونيد بريجينيف زعيم الاتحاد السوفياتي لم يستبدل بآخر شبيهاً له خلال استقباله زواراً أجانب مهمين في مطار سير ميتيفور.

○ بتاريخ ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ أخذ جرس الهاتف يرن بصورة دائمة في مكتب « ريشارد ليهمن » رئيس « جهاز الطوارئ » في قسم التحليل والدراسة في المخابرات. ويقوم هذا القسم على تقويم جميع المعلومات المتعلقة بخطر المواجهة مع الاتحاد السوفياتي. ففي هذا اليوم أعلن الموظف المسؤول عن وصول معلومات خطرة ومتناسبة من الاتحاد السوفياتي : لقد استطاع القمر التجسسي للمراقبة الذي يمرّ فوق الاتحاد السوفياتي كل ٩٠ دقيقة أن يلاحظ تحركات عدة أقسام عسكرية سوفياتية على الحدود الأفغانية. وسجل قمر تجسس آخر هو « ك ـــ هـ ـــ ١١ » تحركات عسكرية عدة على مطارات متفرقة في الاتحاد السوفياتي. وأبلغت معلومات من قمر آخر كما جاء في أول هذا الفصل وصول فرقتين من المشاة السوفياتية الى القاعدة العسكرية الأفغانية في « باغرام » التي تبعد ٤٥ كيلومتراً من كابول. ماذا تستنتج المخابرات من هذه المعلومات ؟ بقي الشك سائداً خلال ثلاثة أسابيع فيما يتعلق بنوايا موسكو الحقيقية ولم يعد التنصت إلى ما يدور بين قواد الكرملين « مجدياً » لأن السوفيات أصبحوا حذرين. وتبقى الأشياء المصيرية غامضة فلجأت المخابرات الأميركية إلى عملاء لها ممن

يترددون على السفارة السوفياتية في واشنطون ليتمكنوا من دس ميكرفونات صغيرة داخل هذه السفارة. واتضح فيما بعد أن المخابرات السوفياتية في السفارة اكتشفت هذه الميكروفونات في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ واحتاطت للأمر ولكنهم لم يحتجوا إلّا في كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ بعد أن أقاموا عدة محاضرات « موجّهة » مطمئنة وخاطئة عن الوضع القادم في أفغانستان أي بعد أن « ضللوا » الاميركيين كعادتهم.

المخابرات السوفياتية (K-G-B)
ورئاسة أندروبوف لها

○ اكتفت اميركا باظهار قلقها على الوضع في أفغانستان في ما بين ٤ و٢٦ كانون الأول. والرجل الذي استطاع أن يخدع الأميرال تورنر هو « يوري أندروبوف » رئيس المخابرات السوفياتية (K-G-B) في حينه. وأندروبوف ليس رجلاً دموياً مثل البعض ممن سبقوه بل يصفه دبلوماسي غربي تعرَّف إليه في بودابست بأنه « رجل فكر يهتم بالفن الحديث ويستطيع أن يكون مرحاً » لكنه كان سفيراً لبلاده في العاصمة المجرية خلال عام ١٩٥٦.

وقد برز أندروبوف في أيار (مايو) ١٩٦٧ عندما أقنع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بخطورة الهجوم الاسرائيلي الذي يخطط لسوريا في حينه وقدَّم له عن طريق السفارة السوفياتية في القاهرة ملف « نعمان » الذي حمل اسم الرجل الثاني في الموساد الاسرائيلي وقد حمل هذا الملف (أي نقله) سامي صراف للرئيس عبد الناصر وقد اتضح أنه عميل للـ(K-G-B). وقد نجح أندروبوف إبان رئاسته الطويلة لجهاز المخابرات السوفياتية بتقديم المعلومات الخاطئة وابتكار « ملفات أميركية رسمية » وهذه بعض الأمثلة عن عمله :

ـــ في عام ١٩٧٥ وزعت المخابرات السوفياتية برئاسته (دليل

الجيش الأميركي) وهو دليل خاطئ من ترتيب القسم المختص بالمخابرات السوفياتية بموافقة أندروبوف شخصياً وصدر هذا الدليل موقعاً أي يحمل امضاء الجنرال وليام وستمورلاند وبلغ من اتقانه أنه وزع في عشرين بلداً على الأقل وهو يحوي فكرة تدخل الولايات في الأوضاع الداخلية لحلفائها.

ــ في عام ١٩٧٦ عرضت المخابرات السوفياتية عملية تلغراف لا أساس لها من الصحة عن مقاطعة الدولة الاميركية لاعانة الموظفين مع رواية محرّفة قليلاً (نقلاً عن أخرى حقيقية) تهدف إلى إبراز الولايات المتحدة كدولة تحاول توريط الموظفين الأوروبيين للحصول على معلومات وطنية وسرية.

ــ في عام ١٩٧٦ أيضاً نشرت المخابرات السوفياتية عدة تلغرافات « برقيات » لا أساس لها أبداً تهدف إلى إشاعة التوتر في العلاقات التركية ــ اليونانية وإضعاف تأثير حلف شمال الأطلسي.

ــ في عام ١٩٧٨ نشرت المخابرات السوفياتية معلومات خاطئة على ورقة تحمل شعار (اشارة) حلف شمال الأطلسي وتوقيع جوزيف لونز، السكرتير العام للحلف (في حينه) ويشرح النص « الملفق » أن الأمر يتعلق بحرمان ومعاقبة بعض الصحافيين الذين لا يؤيدون القنبلة النووية.

ــ في عام ١٩٧٩ نشرت المخابرات السوفياتية على ورقة رسمية من أوراق سفارة الولايات المتحدة في روما خبراً يهدف إلى تأكيد الاشاعات التي أطلقتها أيضاً الـ كي. جي. بي. والتي تشير إلى أن الاميركيين يكدسون الأسلحة الكيمائية والطبيعية في قاعدة تابعة لحلف شمال الأطلسي تقع بالقرب من مدينة نابولي الايطالية. واستطاع أندروبوف إبان رئاسته للـ كي. جي. بي. أن يضيّع الاميركيين فيما يتعلق بتأخير السوفيات في مجال هذه الأسلحة بواسطة جندي فار اسمه فيدور

لقّنته المخابرات السوفياتية المعلومات التي أرادت أن يعرفها الاميركيون. وكانت النتيجة أن الجنرال جورج كيفان رئيس جهاز المعلومات في الجيش الاميركي الجوي سابقاً أكد فيما بعد أن سفناً حربية سوفياتية وهي بالاسم « كييف » و« خاركوف » و« فينسك » كانت مجهزة بقذائف غازية وأن جميع وحدات الصف الأول التابعة لحلف وارسو كانت مجهزة بأسلحة كيمائية. ولقد دهش الاسرائيليون وأصابتهم الرهبة عندما اكتشفوا الكميات الهائلة من الغاز التي بقيت في الجولان عام ١٩٧٣. وفي حين يعتقد الخبراء المختصون في المخابرات الاميركية أن الضباط السوريين قد تلقوا التدريبات الكافية فيما بعد من قبل الخبراء السوفيات. كما تقول مصادر المخابرات الاميركية أيضاً أن بعضاً من العتاد الكيمائي قد جرّب من قبل على بعض الثوار المعادين للشيوعية في « لاوس » وأن بعضاً من الوحدات السوفياتية قد استعملت الأسلحة الكيماوية في أفغانستان. وعندما كان أندروبوف يرأس المخابرات السوفياتية هذا الجهاز الضخم الذي يحوي وسائل الكترونية كان لديه عشرات الألوف من الموظفين والعملاء. وقد أكدت مصادر المخابرات الاميركية أنها لا تملك الآن سوى ست مراكز أو مصادر أساسية في الاتحاد السوفياتي للحصول على المعلومات الاستخبارية بينما هناك حوالي (٢٠٠٠ عميل) بمختلف الأشكال يعيشون في الولايات المتحدة ويعملون لصالح المخابرات السوفياتية. كما يوجد عشرات العملاء السوفيات في قلب العاصمة الفرنسية موزعين بين السفارة والقنصلية وبعض المراكز التجارية. أما في بريطانيا فيوجد مركز مهم جداً للمخابرات السوفياتية[1] وقد استطاع الانكليز أن يبعدوا ١٠٥ من

(١) إلى من يود معرفة تفاصيل مراكز لندن وفرنسا وغيرهم للمخابرات السوفياتية عليه مراجعة الكتاب الوثائقي للمؤلف (ملف الثمانينات عن أعمال المخابرات)...

الدبلوماسيين السوفيات ، اعتبروهم جواسيس بعد اعترافات الجندي الفار أوليغ ليالن وذلك دون أن تحتج موسكو بلهجة شديدة.

وازدادت قوة أندروبوف في حينه بمساعدة أجهزة المخابرات الخارجية له خصوصاً مخابرات المانيا الشرقية التي كان يرأسها العقيد ماركوس « ميشا » وولف صديق أندروبوف الحميم الذي كان يبلغ من العمر الثانية والثلاثين عندما رأس هذه المخابرات. وهو أصغر رئيس مخابرات في العالم يستلم هذا المركز المرموق، ويبقى فيه « ربع قرن كامل من الزمن » فمن هو رئيس المخابرات الالمانية الشرقية :

○ **ماركوس وولف** : عقيد في جيش المانيا الديموقراطية. والده كان طبيباً مشهوراً في مجتمع شتوتغارت يعالج الأغنياء فيقبض منهم غالياً في حين يعالج الفقراء « مجاناً ». وكان مؤلفاً مسرحياً ألف مسرحيات اجتماعية عديدة منها تمثيلية « سيناكالي » و« البروفسور مملوك » ترك المانيا عام ١٩٣٣ وهاجر إلى فرنسا ثم انتقل إلى سويسرا ثم إلى الاتحاد السوفياتي حيث نشأ ولده ماركوس في موسكو وتعلم الروسية والانكليزية حيث تلقى علومه ومن ثم بدأ حياته كصحافي قبل أن يصبح الرقم (٢) في مكتب مكافحة الجاسوسية المركزي. وقد عيّن أخوه رئيساً للأكاديمية الفنية في برلين الشرقية لكن ماركوس تعرف في موسكو على عميل للمخابرات السوفياتية في المانيا الغربية فأغرته الخدمة في الجانب الآخر أي في المانيا الشرقية من خلال صورة رسمها له هذا العميل فنقل عمله إلى المانيا الديموقراطية وتسلسل في مراكز مكافحة الجاسوسية والمخابرات حتى أصبح رئيساً للجهاز وبقي على صداقة العميل الذي شجعه على العمل في المانيا الشرقية. ويقول هذا العميل عنه أن ماركوس يتمتع بصيت حسن لا يتركنا في مأزق بل يحاول دائماً انقاذنا في حال توقيفنا لأي سبب. وقد يرسل لنا بطاقات المعايدة بمناسبة رأس السنة أو يرسل بطاقة تهنئة لكل منا بمناسبة عيد ميلاده.

وطبعه بخلاف صديقه أندروبوف يحب السفر كثيراً لاداء الخدمات لصالح الأحزاب والدول التي ترتبط بصداقة مع بلاده. ففي تاريخ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ كان ماركوس في القصر الحكومي في عدن يوقع « معاهدة صداقة » بين الجمهورية « الديموقراطية » اليمنية والجمهورية « الديموقراطية » الالمانية. لكنه كان « يختبئ » وراء هونيكر رئيس الدولة الالمانية وعبد الفتاح اسماعيل رئيس الدولة اليمنية الديموقراطية في حينه. هذا الرجل الذي نجح في إدارة مخابرات قوية وقفت أمام المخابرات الأميركية ومؤآمراتها. ومن أهم أعماله المخابراتية التي يفخر بها أنه استطاع أن يدخل « عملية غونترغيوم » إلى محيط المستشار الالماني الغربي ويلي برانت حتى أصبح غونتر مستشاراً للمستشار. واكتشفت المخابرات الألمانية الغربية أمره واضطر المستشار إلى الاستقالة نتيجة اكتشاف تجسس مستشاره[1]. وقد بقي ماركوس يتصرف بحوالي عشرين ألف موظف وعميل منتشرين في كل أوساط المجتمع الالماني الغربي وفي أكثر العواصم الافريقية حيث يراقب العملاء الألمان الشرقيين مشاكل الأمن والتمويلات والمؤآمرات. ولا شك في أن شهرة ماركوس هي التي دفعت المخابرات السوفياتية لاعطائه الضوء الأخضر لتعيين جيمس فريدريك ساتلر الاميركي في مجلس الشيوخ بعد أن جنّده وأمدّه بألوف الدولارات وحصل منه تباعاً على معلومات سرية على مستوى مجلس الشيوخ الإميركي حتى اكتشف أمره في عام ١٩٧٦ لكنه استطاع أن يلتجأ إلى برلين الشرقية مروراً بالمكسيك فاستقبله ماركوس بالأحضان وأحسن وفادته وضيافته.

وإذا عدنا للتحدث عن بعض أعمال المخابرات البريطانية الانتلجانس سرفيس نجد أن الانكليز يحافظون من جهتهم عل تقاليدهم: فهوية رئيس

---

(١) إلى القراء المهتمين بمتابعة هذه القصص الجاسوسية الشيقة يرجى مراجعة الجزء الأول من هذه الموسوعة (المخابرات والعالم) الصفحات من ٣٧٧ إلى ٣٨١...

المخابرات البريطانية بقيت « سرية » منذ الحرب العالمية الثانية[٢]. ومع هذا حصلنا على أسماء رؤساء المخابرات البريطانية خلال الربع قرن الأخير بما فيهم السير جون ريني موضوع الحاشية أدناه رقم (٢) وهم :

١ ــ السيد : آرثور تمبل فرانكز.
٢ ــ السيد : ديك غولدسيت وايت (يحمل اسم جيمس بوند).
٣ ــ السيد : موريس أولدفيلو.

والمعروف أن المخابرات البريطانية رغم ضلوعها في التجسس وخصوصاً على الوطن العربي منذ أربعة قرون قد اجتازت هذه المخابرات مشاكل جمة خلال الربع قرن الماضي من عمرها. ومن هذه المشاكل هروب كيم فيلبي الى الاتحاد السوفياتي وهو الذي لم يبق بينه وبين رئاسة المخابرات البريطانية شيء. فقد كان رؤساء الأقسام الستة في الانتلجانس سرفيس يتوقعون أن يصبح فيلبي « رئيساً » للمخابرات البريطانية. وهروب جاك بيرجس ودونالد ماكلين أيضاً إلى الاتحاد السوفياتي وهما من أبرز الموظفين البريطانيين. ومن ثم لحق بهم السير أنطوني بلانت مستشار الملكة الفني المعروف عالمياً حيث أصبحوا جميعاً من « ضيوف » المخابرات السوفياتية. وبقيت المخابرات البريطانية بعد هذه المشاكل تلملم شملها. وأجريت التحقيقات ووضع جميع أعضاء المخابرات البريطانية من أصغر موظف الى المدير العام تحت المراقبة والدراسة واحتمال هروب عناصر جديدة إلى الاتحاد السوفياتي.

وكان السير أرثور تمبل فرانكز رئيس المخابرات البريطانية السابق في السفارة البريطانية في طهران عام ١٩٥٣ أيام سقوط الدكتور مصدق رئيس وزراء إيران في حينه حيث تمكن رجال المخابرات البريطانية أن

(٢) كشفت شخصية السير جون ريني رئيس المخابرات البريطانية بعد إلقاء القبض على ولده تشارلز بتهمة مخدرات.

يوقفوا أعمال الكسندر زيفاروف رئيس المخابرات السوفياتي في اسلام آباد.

ــ أما المخابرات الفرنسية التي رأسها الكونت الكسندر دومارانش[1] واسمها الاداري « الجهاز الفرنسي للتوثيق الخارجي ومحاربة الجاسوسية » فكانت تعمل بصمت وكان لها أخطاؤها أو أخطاء بعض عناصرها.وقد حاول رئيسها دومارانش الاصلاح وهو الذي عينه الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو رئيساً لها عام ١٩٧٠ فأثار بتعيينه تساؤلات كثيرة ومنها :

١ ــ أصغر الضباط سناً.
٢ ــ متزوج من أجنبية (زوجته كندية).
٣ ــ يملك الكثير من الأموال (إذا جمعنا رواتبه من خدمته في الجيش الفرنسي حتى تاريخ تعيينه رئيساً للمخابرات الفرنسية فإنها لا تساوي ٤٠٪ من الثروة التي يملكها).
٤ ــ له الكثير من الأصدقاء « الماسون » والانغلوساكسونيين.
أما عاداته الشخصية فكان فارساً يتردد الى نادي الجوكي للفروسية. وبالنسبة للعمل العسكري فيعرف عنه أنه كان مترجماً ومساعداً للمارشال جوان. ولا يعرف عنه أكثر من ذلك والظاهر أن الاجابة على هذه التساؤلات لم تثر المسؤولين بسبب اقتناع الرئيس بومبيدو أن دومارانش كان فوق الشبهات نظراً لولائه الوطني للدولة الفرنسية.

(١) للاطلاع على معلومات إضافية عن هذا الموضوع يرجى مراجعة الصفحة (٣٨٧) من هذه الموسوعة (المخابرات والعالم ــ الجزء الأول)...

معلومات من الماضي عن رئيس المخابرات الفرنسية « دومارانش »

○ ذكرت بعض ألسنة السوء أن الكونت الكسندر دومارانش فشل في امتحان تلامذة الضباط في سنة ١٩٣٩ « بسبب الاملاء ».وفي سنة ١٩٤٢ التحق بوالدته في طنجة مروراً باسبانيا وعين ضابطاً ملحقاً بالقوات الفرنسية نتيجة صداقة المارشال جوان لوالده ومعرفته التامة باللغة الفرنسية. وفي سنة ١٩٤٥ أصبح ليوتانت في الخيالة لكن الغموض بدأ يسود حياته كضابط ولا أحد يعرف كيف وصل إلى رتبة كولونيل « عقيد » ومتى.ولكن الجميع يعرفون علاقاته بالكولونيل فايول الذي كان يرأس المخابرات الفرنسية « جهاز التوثيق الخارجي ومحاربة التجسس » حيث كتب الجنرال « جورج مارشال » سكرتير دولة في الولايات المتحدة يقول عن دومارانش : « أعرفه جيداً. إنه رجل نادر يعرف تماماً القضايا الدولية ». هذا هو الشخص الذي عينه الرئيس بومبيدو بناء على توصية بيار ميسمير ليعيد النظام إلى جهاز المخابرات المحطم من جراء صراع السلطة وقضية بن بركة وانغماس البعض في تجارة المخدرات وبعض الخيانات. وبدت المهمة التي أوكلت الى دومارانش مستحيلة لكنه استطاع أن يبدل كل شيء في المخابرات الفرنسية.فغيّر رؤساء الأقسام وحدّث الأنظمة وطرق المعاملة.وبغض النظر عن أي تسلسلية

اعتمد الكولونيل على مستشاره النفساني الطبيب بيكو الذي يمارس الطب نادراً.

○ ونعود للاطلاع على أعمال المخابرات الاميركية التي توالى على رئاستها خمس رؤساء وقد شلّتها قضية أو فضيحة « ووترغيت » بينما استطاعت المخابرات الفرنسية أن تقوم بأعمال ظاهرة. فقد أوعزت إلى فرقة مدرعة فرنسية بالقيام بعدة حوادث على الحدود الليبية وهدفها القضاء على حكم العقيد معمر القذافي بمساندة دعم الرئيس السادات في حينه. والسبب الرئيسي لهذه العملية هو أن المخابرات الاسرائيلية أخبرت « الريّس » أي السادات أن الرئيس الليبي يخطط لاغتياله. لكن العملية « فشلت » بسبب بطء تحرك الجيش المصري المفترض فيه مساعدة الفرقة الفرنسية المعتدية. ثم ردة الفعل السوفياتية الفورية التي نظّمت خلال ساعات قليلة من بدء التحرك الفرنسي جسراً جوياً بين القرم في الاتحاد السوفياتي وبنغازي في ليبيا وذلك لدعم القوات الليبية أثناء ردّها للهجوم الفرنسي المصري.

وحب الكونت دومارانش رئيس المخابرات الفرنسية للسفر جعله يتنقل في العالم بأسره بسرية تامة ويغضب عندما يظهر أمامه وزير داخلية البلد الذي يزوره. ويتنقل دائماً برفقة زوجته التي يطلق عليها بعض مرافقيه من عناصر المخابرات الفرنسية الشبان لحراسة مجوهراتها اسم « كاستافيور ». وكان من عادة مدير المخابرات الفرنسية أن يدس في حقيبة زوجته بعض المستندات السرية أثناء السفر وتقع المصيبة الكبرى عندما تفقد الحقيبة. وقد حصل ذلك ذات مرة ولكن لحسن الحظ في بلد صديق فأعيدت الحقيبة مع باقة ورد.

أعمال رئيس المخابرات الفرنسية

في باريس العاصمة الفرنسية لا يظهر رئيس المخابرات أبداً لأنه يلعب دوراً مهماً في سياسة فرنسا وهو مسؤول أمام الرئيس (رئيس الجمهورية فقط) ويقوم بصورة منتظمة باستدعاء الوزراء والسفراء الفرنسيين وعدداً من مديري المصانع وبعض الصحافيين ويطلعهم على الأخطار التي كانت تهدد مصالح فرنسا ولا يبخل على الصحافيين بالمعلومات التي يحصل عليها من مصادره في واشنطون وبكين ولندن وطهران وبون وبيروت ودمشق والرباط والرياض أيضاً.

ويهوى دومارانش إهداء كتاب صيني صدر في سنة ٥٠٠ قبل السيد المسيح اسمه « فن الحرب » للكاتب الصيني « صن تزو » ومن هذا الكتاب يفخر دومارانش بقراءة هذه العبارة وتوضيحها لمن يهديهم الكتاب: « إذا كان الأمير خبيراً والجنرال ذكياً يضللون العدو، وإذا كانت انجازاتهم تفوق العادي فإن ذلك عائد للاعلام المسبق — الاستخبارات ». ووصف دومارانش من قبل الجنرال الخبير فرنون والترز الملحق العسكري الاميركي السابق في باريس والذي أصبح مترجماً لخمسة رؤساء أميركيين والرقم (٢) في المخابرات الاميركية. أما الوزير بيرنان الفرنسي السابق فيقول عن دومارانش : إنه مجنون لقد جسر على استدعاء السفير السوفياتي في باريس « ستيفان تشيرفونينكو » بدون اعلام وزارة الخارجية إلى ثكنة « مورتييه » يرافقه رئيس فرع المخابرات في السفارة لكي يطالبهم بالتزام حدودهم. والأغرب من ذلك أن السفير السوفياتي لم يحتج أبداً رغم أن ذلك كان سيثير فضيحة دبلوماسية" ويبدو أن الوزير بيرنان نسي أن السفير السوفياتي هو صديق شخصي لأندروبوف وعراب ربيع براغ وهنغاريا لذلك فهو يفهم تماماً مغزى حديث غير دبلوماسي من رئيس مخابرات غير دبلوماسي. خاصة إذا قرأ رئيس المخابرات للسفير عبارة أخرى من الكتاب الصيني فن الحرب وهي :

« هناك خمسة أنواع من العملاء السريين للاستعمال، عملاء محليون مزدوجون وداخليون وطيارون ويمكن تصفيتهم، عندما يكون هؤلاء العملاء جميعاً في أعمالهم وعندما لا يعرف أحد طريقتهم، يدعون الشلال الالهي ويشكلون ثروة للحاكم.

وإلى هنا ينتهي هذا الفصل عن أعمال المخابرات في العالم بعد أن تمت عملية لا بد منها وهي كسنة الحياة بحيث لا يبقى مسؤول في مركزه مهما طالت المدة التي يبقى فيها. وهكذا أحيل دومارانش الى التقاعد بعد أن بقي هذه السنوات الطويلة رئيساً للمخابرات الفرنسية.

المخابرات الأميركيّة (C.I.A)
في مصر
بعد معاهدات كامب ديفيد

- تراقب القصر الجمهوري .
- تراقب الحياة العامّة المصريّة .
- تستمع إلى مخابرات الرّئيس حسني مبارك .
- تعترض الطائرة المصريّة التي نقلت خاطفي السفينة الإيطاليّة (أشيلي لاورو) .



المخابرات الأميركيّة (C.I.A) في مصر
تُراقِب أعمال وتستمع إلى مُكالمات الرئيس حسني مُبارك
(للإطمئنان ؟)

○ إن صداقة الصحافي الاميركي (بوب وود وارد) من صحيفة واشنطون بوست المشهورة الذي سبق له أن أثار فضيحة « ووترغيت » التي أطاحت بالرئيس الاميركي « ريتشارد نيكسون »، للمستر كيسي رئيس المخابرات المركزية الاميركية أتاحت له التعرف والاطلاع على أسرار هذه المخابرات. فقام بنشر كتاب مشوق عن قصة الحروب السرية والمؤآمرات المنفّذة من قبل هذه المخابرات. وقد أثار هذا الكتاب الذي سمي بـ« النقاب أو الحجاب » وقامت دار البيان القطرية بنشره على صفحات جريدة البيان في خمس وعشرين حلقة وبنفس الوقت قامت جريدة الدستور الأردنية بنشره أيضاً على حلقات وذلك في النصف الثاني من عام ١٩٨٧ وتبعهم في نشر هذا الكتاب الكثير من دور النشر الرأي العام العالمي ولكن مؤلفه بوب أكد أنه حصل على بعض المعلومات الهامة لكتابه من مصدرين هامين وهما :

١ ــ المكتب الصحفي في البيت الأبيض.

٢ ــ لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ الاميركي.

بالاضافة الى «١٠٠» لقاء مع مصادر سرية حتى صدر هذا الكتاب بشكل فضيحة مدوية للمخابرات الأميركية لأنه « تضمّن » اعترافات عجيبة تتعلق باسلوب إدارة كيسي لأجهزة المخابرات في ظل رئاسة ريغان وانتهاكها الصريح لقواعد النظام الدولي المعاصر بل وللقانون الأميركي نفسه والكونغرس الأميركي نفسه وأغلب المؤسسات الأميركية بصورة عامة. ونحن نسير مع قراءنا على قاعدة اطلاعهم على كلّ جديد في عالم المخابرات.نقدم لهم في هذا الفصل معلومات لم تنشر عن أعمال المخابرات الأميركية ومنها أنها أباحت لنفسها في ظل رئاسة ريغان وكيسي نفسه أن تنتهك حرمة مكتب « رئيس دولة صديقة » هي مصر بوضعها أجهزة استماع وتنصت في مكتب رئاسة جمهورية مصر العربية الرئيس حسني مبارك بالذات حيث استطاعت الحصول على معلومات « مهمة جداً » ومنها على سبيل المثال لا الحصر : حصولها على المعلومات التي مكّنتها من ارغام طائرة مصرية مدنية على الهبوط في إحدى قواعد حلف الأطلسي في إيطاليا.ونحن نقدم هذه المعلومات التي أكّدت المصادر الأميركية نفسها أنها تستند فعلاً الى « كيسي » رئيس المخابرات الأميركية.

من أول الطريق

○ في العاشر من تشرين الأول (اكتوبر) عام ١٩٨٥ بدا كل من « أوليفر نورث »[1] عضو مجلس الأمن القومي الأميركي و« جون بويندكستر »[2] مستشار الرئيس ريغان للأمن القومي كما لو كانا يجلسان في مكتب الرئيس حسني مبارك في رئاسة الجمهورية بمصر.لأنه

---

(١) اللفتنانت كولونيل أوليفر نورث.

(٢) أدميرال جون م بويندكستر.

في ذلك اليوم اختطف أربعة فلسطينيين تابعين لجبهة التحرير الفلسطينية، السفينة السياحية أكيلي لاورو وعلى ظهرها «٤٣٨» سائحاً من مختلف الجنسيات. وقد قتل المواطن الأميركي « كلينجوفر » بعد الاختطاف وألقيت جثته في البحر. فبدأ البيت الأبيض حملة ضد الارهاب لأن الادارة الأميركية بعد علمها بمقتل المواطن الأميركي لم تعد بحاجة لايجاد مبرر لبدء حملتها ضد الخاطفين. رست السفينة المختطفة بركابها على الشواطئ المصرية وهي تحت سيطرة الخاطفين الفلسطينيين الذين يحتجزون ركابها الـ«٤٣٨» كرهائن.

كان الرئيس حسني مبارك « يكره » جهاز تأمين الأحاديث وهو جهاز ضد التنصت على المكالمات الرئاسية. هذا الجهاز الذي أهدته اياه المخابرات الأميركية وهو عبارة عن جهاز حديث يركّب تحت جهاز الهاتف ومزوّد بزرّ للتشغيل بحيث لا يستطيع أي شخص أن يدخل على نفس الخط أثناء التحدث وهو جهاز يجعل من الصعب أيضاً تداخل أي خط آخر مع خط التلفون الرئاسي. ومع كل هذه الميزات استخدم الرئيس مبارك « التلفون العادي » لأجل محادثاته مع وزير خارجيته بخصوص عملية اجلاء الفلسطينيين الأربعة من مصر الى الجزائر بعد انتهاء المحادثات معهم على هذا الأساس. وهذه المحادثات لم تنج من « مراقبة » المخابرات الأميركية والتنصت عليها وتسجيلها أي تسجيل وسرقة مكالمات الرئيس مبارك وهو في عقر داره لأن المخابرات الأميركية قامت بتشغيل كامل أجهزة الرصد وجمع المعلومات في مصر وحتى استنفار الأقمار الصناعية التي كانت تحوم فوق مصر باستمرار ابتداء من حصول الاختطاف. وفي ساعة مبكرة من صباح العاشر من تشرين الأول (اكتوبر) أمكن لأجهزة المخابرات الأميركية « التقاط » أول مكالمة للرئيس مبارك مع وزير خارجيته حيث أصدر الرئيس مبارك في هذه المكالمة أوامره بخصوص « مصير » الفلسطينيين الأربعة. وبعد

حوالي نصف ساعة كان نص المكالمة في غرفة عمليات البيت الأبيض المستنفرة في (واشنطن) وبين يدي أوليفر نورث وجون بونيدكستر.

كان الرئيس مبارك قد صرح علناً للصحافة بأن الفلسطينيين الأربعة قد خرجوا من مصر... إلا أن هذه المكالمة كانت تشير إلى غير ذلك.. إذ قال مبارك لوزير خارجيته: « إن الفلسطينيين ما زالوا في مصر وصاح قائلا : إن شولتز مجنون (جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية) لأنه يعتقد أن مصر سوف تسلم الفلسطينيين إلى الولايات المتحدة كما طلبت »[1]. في الساعة الحادية عشر من صباح اليوم نفسه وصل الى غرفة العمليات نص مكالمة أخرى تم التقاطها وحدد فيها الرئيس مبارك رقم الطائرة التي ستغادر مصر خلال بضع ساعات وعلى متنها الفلسطينيين الأربعة وهي طائرة بوينغ (٧٣٧) الرابضة في مطار قاعدة الماظة الجوية في القاهرة بانتظار التعليمات النهائية للاقلاع. وهنا أدرك أوليفر أن الحصول على مثل هذه المعلومات الدقيقة ومن رئيس الجمهورية بالذات « أمر نادر » الحصول وأنهم حصلوا بواسطة مخابراتهم التي لا تعرف أيّ حدود للأعراف بين جميع دول العالم على فرصة ذهبية لا ينبغي إهدارها... وعرض على بونيدكستر خطة جريئة طرأت على ذهنه وهي : اعتراض الطائرة المصرية بواسطة المقاتلات الأميركية وارغامها على الهبوط في قاعدة من قواعد حلف الأطلسي ثم القبض على الفلسطينيين. فوافق فوراً وقام بعرض هذه الخطة على « المعلم » أي الرئيس ريغان الذي انبهر بها ووافق عليها أيضاً. وبعد ظهر اليوم نفسه وصل إلى غرفة العمليات في البيت الأبيض وبواسطة أجهزة التنصت التي زرعتها المخابرات الاميركية في القصر الجمهوري المصري « للاطمئنان »

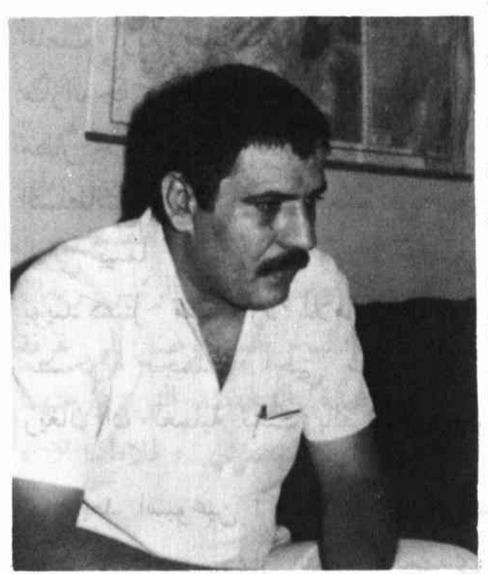
(١) قال الرئيس مبارك في حينه إن مصر دولة عربية لا يمكن أن تدير ظهرها لأشقائها الفلسطينيين...

نصوص عشر مكالمات أجراها الرئيس مبارك وناقش فيها وزير الخارجية ووزير الدفاع المصري بالخطة النهائية لترحيل الفلسطينيين. وقد أظهرت هذه المكالمات « انزعاج » الرئيس مبارك الشديد خلال إدارته لهذه العملية. ففي أول الأمر لم يكن يعلم بمقتل الأميركي كلينجوفر وعندما علم أدرك مغزى تحرك الولايات المتحدة وصاح في الهاتف « لماذا لم تبلغوني على الفور؟ ».

أبلغت غرفة عمليات البيت الأبيض التابعة أصلاً لوكالة الأمن القومي أوليفر نورث وجون بويندكستر مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي بموعد صعود الفلسطينيين الأربعة إلى الطائرة ورقم الرحلة وخط سيرها باتجاه العاصمة الجزائرية. وقام الأخير بدوره باطلاع الرئيس ريغان المهتم شخصياً بشؤون المائتي مليون مواطن أميركي .. عفواً، المهتم بملاحقة المختطفين شخصياً فأعطى الضوء الأخضر لبدء العملية واستناداً لمعلومات غرفة العمليات المستمدة من « تلفون الرئيس مبارك بالذات » أقلعت أربع طائرات ــ ف ١٤ ــ من حاملة الطائرات الأميركية ساراتوجا واعترضت الطائرة المدنية المصرية وأرغمتها على الهبوط في مطار جزيرة صقلية العسكرية التابع لحلف شمال الأطلسي حيث اعتقلت السلطات الأميركية المتواجدة في الجزيرة الفلسطينيين الأربعة. وفي اليوم التالي بينما كان الرئيس ريغان يجلس في مكتبه منتظراً النتائج دخل عليه بويندكستر مستشاره للأمن القومي حيث أدى له التحية العسكرية مصحوبة بجملة « أحيي سلاح القوى الجوية سيدي الرئيس » وفهم ريغان أن العملية تمت بالقرصنة الجوية التي سمح بها.

وبعد اسبوعين اكتشف الرئيس المصري حسني مبارك وجود جهاز التنصت ضمن جهاز التلفون المهدى له أصلاً من المخابرات الأميركية لاستعماله الشخصي فسكت على مضض لأنه من المفروض أن يوعز بتفتيش هذه الأجهزة الأميركية « فور تركيبها » إلّا أن ثقته التي كانت في

غير محلها هي التي جعلت المعلومات تنساب من فمه شخصياً إلى آلات التسجيل في الولايات المتحدة. ومع ذلك فقد كان للمخابرات الأميركية ثم وكالة الأمن القومي وسائل أخرى للتنصت أكثر تقدماً من التي اكتشفت في القصر الجمهوري المصري حيث استمرت وتستمر المراقبة على جميع الأمور في مكتب رئيس الجمهورية وأغلب المكالمات الهامة في « مصر العربية المغلوبة على أمرها ». ويستمر البيت الأبيض وهو المستهلك الأول لأعمال المخابرات الأميركية غير المشروعة في الحصول على نصوص المكالمات التلفونية الرئاسية ومنها مكالمة توضح « غضب » الرئيس مبارك من سوريا بسبب تسليمها « لأسباب انسانية » جثة الأميركي كلينجوفر للولايات المتحدة بعد انتشالها من البحر بالقرب من الشواطئ في مدينة طرطوس. وربما تكون هذه الحادثة عن غضب الرئيس مبارك من نسج خيال الكاتب باعتباره أميركي أولاً وأخيراً وقد حاول الصاق « عملية اختطاف » الباخرة الايطالية بمنظمة التحرير في كتابه المذكور في مطلع هذا الفصل. كما قام بتغطية أسباب عملية الخطف برمتها ونحن ننشرها للحقيقة فقط وهي أن الفلسطينيين الأربعة كانوا أعضاء في جبهة التحرير الفلسطينية التي يرأسها « أبو العباس » عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.



« أبو العباس عضو اللجنة التنفيذية » لمنظمة التحرير الفلسطينية

وقد ركب هؤلاء في الباخرة وهم يحملون جوازات سفر بغير أسمائهم باعتبارهم « سائحين » وكان القصد من وجودهم في الباخرة هو

قيامهم بعملية فدائية ضد السلطات الاسرائيلية لدى وصول الباخرة الى إيلات. ولكن اكتشاف أحدهم قبل وصول الباخرة إلى المياه الاقليمية المصرية حيث كان للسائح الأميركي المقعد الذي قتل دور في عملية كشفهم، جعلهم « يحولون » مهمتهم من الدخول الى اسرائيل إلى عملية خطف مؤقت للباخرة رغم كبرها وضخامة عدد المسافرين عليها للنجاة بأنفسهم حيث كانت النتيجة اختطافهم فيما بعد من الطائرة المصرية بواسطة الطائرات الأميركية وانزالهم في جزيرة صقلية الايطالية. ونذكر أن أبا العباس الذي يرأس جبهة التحرير الفلسطينية كان من بين الركاب في الطائرة المصرية أي مرافقاً لجماعته أثناء خروجهم من مصر. وقد اكتشف من قبل السلطات الأميركية التي سلمته مع الخاطفين إلى السلطات الايطالية حسب الأصول. ولما وجدت السلطات الايطالية أن ابا العباس يحمل جواز سفر دبلوماسي وأنه لا دخل له في عملية الخطف وكان السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يتتبع العملية الجوية الأميركية باعتباره مسؤولاً عن الفلسطينيين « معنوياً » فقام بمساعي حميدة لدى سلطات وزارة الخارجية الايطالية والحكومة الايطالية التي كان لقرارها المستقل والبعيد عن الضغوط الأميركية أطيب الأثر وهو :

١ ــ السماح لأبي العباس بالسفر من صقلية. وقد سافر فعلاً بأول طائرة كانت متوجهة إلى يوغوسلافيا.

٢ ــ احتفاظ السلطات الايطالية بالفلسطينيين الأربعة وعدم تسليمهم للسلطات الأميركية ومخابراتها التي طلعت من المولد بلا حمص، ثم محاكمتهم إيطالياً والحكم عليهم حسب القوانين الايطالية.

○ تلك كانت التفاصيل الكاملة عن قصة التنصت الأميركي على الرئيس المصري مبارك ونتيجة أو نهاية عملية الباخرة أكيلي لاورو. غير أن التجسس الأميركي على الحكومات الأجنبية وأجهزة المخابرات

الأجنبية بما في ذلك الأصدقاء والحلفاء.هذا التجسس الذي أباحه مدير المخابرات الأميركية السابق « لكيسي ستانفيلد » بقوله: إن الدولة العظمى بحاجة إلى التجسس على الأصدقاء والحلفاء وهو أمر كريه لكنه ضروري وأساسي ولو كانت المخابرات الأميركية تتجسس على شاه إيراه « صديقها » في حينه لما استهانت بقوة « الخميني » الذي أصبح الآن يحتجز رهائننا ».

وفي ظل هذه الرواية قامت المخابرات الأميركية التي تولت حماية الرئيس أنور السادات لكشف أي محاولة انقلاب ضده أو مؤامرة لاغتياله وتغلغلت هذه المخابرات داخل مصر بأجهزتها الالكترونية كما تغلغلت بين أعضاء الحكومة المصرية وفي المجتمع المصري حتى وصلت إلى الرئيس.وهذا وصف الرئيس السادات ومن ملف المخابرات الأميركية : السادات يتعاطى المخدرات عندما يصاب بنوبات قلق (عصبي). ولكن ستانفيلد لم يكن يعبأ بهذه الأمور ويعتبرها ثرثرة حيث كانت المخابرات الأميركية لا تفاجأ بما يفعله السادات أو ما كان يحدث في مصر.. فقد كان قصر الرئاسة ملغماً بالأجهزة الالكترونية ومصادر المعلومات « الجواسيس ».

مقتل السادات

لما كانت المخابرات الأميركية تتولى تأمين الحماية للسادات وتدريب حرسه الخاص وامداده بالمعلومات.. فقد كان من الطبيعي أن تسود حالة من التخبط في البيت الأبيض في السادس من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨١ عندما تمّ اطلاق النار على الرئيس السادات في العرض العسكري الذي أقيم بمناسبة ذكرى حرب تشرين وقتل على الفور.لأن فرع المخابرات الأميركية في القاهرة ظل يردد على

مدى ثلاث ساعات البيانات الرسمية التي تؤكد أن السادات ليس في خطر « رغم أن نشرات التلفزيون الأميركي استناداً لمراسليها في القاهرة كانت تؤكد وفاته ».

كانت مساعدة السادات على البقاء مهمة عسيرة للادارة الأميركية والمخابرات بنفس الوقت بعد أن أصبح معزولاً في الشرق الأوسط منذ توقيعه على اتفاقية كامب ديفيد أو ما سمّي معاهدة السلام. لأن السادات أصبح في حينه رئيس من صنع أميركا وصحافتها. والغريب أن المخابرات الأميركية أمدّت السادات بمعلومات عن التهديدات الخارجية التي كانت تواجهه والقوى التي تعمل ضدّه في الخارج. وفي الشهر السابق لاغتياله حصل على معلومات تفصيلية عن الأخطار التي يفترض أنها تواجهه من ليبيا وسوريا وأثيوبيا وإيران دون أن تهتم هذه المعلومات بما كان يجري ويحضّر داخل مصر. وقد أمضى الرئيس الأميركي ريغان صباح السادس من اكتوبر وهو يمني النفس بتكذيب تقارير التلفزيون الأميركي عن مقتل السادات. بعد ثلاث ساعات من اطلاق الرصاص في منصة العرض العسكري على السادات أعلن راديو القاهرة الرسمي وفاته على الملأ فكانت وفاته صدمة قاسية لرئيس المخابرات الأميركية كيسي الذي كان يخشى هو ونائبه ردبي إنيمان من أن تتخذ الحكومة المصرية التي خلفت السادات برئاسة « حسني مبارك » اجراءً عنيفاً يمس المصالح الأميركية أو أن تبعث باحتجاج شديد اللهجة بسبب « فشل » المخابرات الأميركية في تحذير السادات والعمل على حمايته. ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ولم تتقدم مصر حتى بشكوى معتدلة اللهجة. وتبيّن أن قتلة السادات بهذه الجرأة العالية كانوا ينتمون إلى جماعة اسلامية محلية داخل مصر. وكانت المخابرات الأميركية كما سبق لنا القول قد أغفلت القوى الداخلية المصرية وبدا مقتل السادات شبيهاً جداً بفشل المخابرات الأميركية في إيران. وأصبحت هذه المخابرات بحاجة إلى مزيد من قنوات

المعلومات المستقلة في مصر. وكانت بحاجة الى مزيد من مصادر المعلومات حتى داخل أعلى المستويات في الحكومة الجديدة وبحاجة كذلك إلى التغلغل بأجهزة التجسس الالكترونية الحديثة ففعلت. ولكن وليم كيسي لم يكتف بذلك لأنه كان يعتقد أنه ليس كغيره وأنه يجب أن يرى ويعرف كل شيء بنفسه وعلى الطبيعة. ففي هذه الحالة تختلف الأمور كثيراً وتكتسب أبعاداً أكبر. وفي صيف ١٩٨٣ قرر كيسي القيام بجولة سرية إلى البلاد التي تقوم المخابرات الأميركية التي يرأسها بنشاطات وخدمات فيها فركب مع ستة من مساعديه طائرة اميركية حربية خاصة للنقل الجوي للقيام بزيارة ١١ بلداً على مدى ١٨ يوماً فتوقف في السنغال وساحل العاج، نيجيريا، زائير، زامبيا، جنوب افريقيا، زيمبابوي، كينيا، ومصر. قطع مدير المخابرات الأميركية ومعاونوه ٢٢٠٠ ميل في الطائرة حتى وصلوا « القاهرة » ومن فندق الشيراتون إلى القصر الجمهوري رأساً حيث التقى كيسي بالرئيس حسني مبارك ثم اجتمع برئيس فرع المخابرات الأميركية في مصر لعدة ساعات وهو الرئيس المسؤول عن واحدة من أكبر التسهيلات الخاصة بالمخابرات الأميركية خارج الولايات المتحدة.

السادات كان يعمل لحساب المخابرات الأميركية

○ في البداية وعقب توقيع السادات على معاهدات كامب ديفيد كانت الولايات المتحدة تريد للسادات أن يبقى في السلطة التي وصل إليها عام ١٩٧٠. وبعد عامين أخرج الخبراء السوفيات من مصر فأرسلت المخابرات الأميركية له فريقاً من أمهر رجالها إلى القاهرة ولكن في مرحلة ثانية أصبح ما يعني واشنطون هو تدفق المعلومات إليها من مصادر وثيقة الصلة بالسلطة عن السادات وسياساته واسلوب إداراته للحكم. وكان الكثير من هذه المعلومات عديم الجدوى ولكن المخابرات

الأميركية كانت مولعة بمصادر تتيح لها معرفة أهواء وسياسات الوزراء ونوابهم. ولم يكن هناك تقييم حقيقي لهذه المعلومات حيث تغلب الكم على الكيف. وبعض رؤساء الدول كالسادات كانوا يستخدمون عمليات التخابر كأداة اعتقاداً منهم أنها تفتح أمامهم باباً خلفياً للبيت الأبيض فيستخدمونها كوسيلة لتجاوز القنوات الدبلوماسية. والتعاون مع المخابرات الأميركية مباشرة لطلب معلومات خاصة أو مزايا معيّنة أو حتى أموال وكان السادات يتعامل في بعض الأحيان مع مدير المخابرات الأميركية وكأنه موظف لديه. ويذكر « وليام كولبي » رئيس سابق للمخابرات الأميركية في مذكراته أنه سافر من لانفلي إلى فلوريدا عام ١٩٧٥ للقيام بزيارة مجاملة للرئيس السادات الذي كان في زيارة للولايات المتحدة وقد أضطر كولبي لقضاء الليل جالساً في سيارته (طبعاً سيارة رئيس المخابرات الأميركية تعتبر من الفخامة غرفة نوم ومكتب وبار بنفس الوقت عدا عن ميزات أخرى) أمام مقر إقامة السادات غير أن الرئيس المصري لم يره مطلقاً تلك الليلة فقد فضل السادات عليه مقابلة صحفية مع بربارا ولترز. وعقب كولبي على ذلك بقوله : « أنه في واقع الأمر لم يقطع هذه المسافة من لانفلي بواشنطون إلى فلوريدا « لمجرد » زيارة مجاملة وليس من المنطقي أن يمضي رئيس مخابرات دولة كبرى كالولايات المتحدة أمسية السبت جالساً في سيارته بانتظار مقابلة رئيس دولة صديقة كالسادات « إلّا » إذا كان في الأمر شيء هام ».

وباختصار يمكن القول أن السادات كان يعتبر رصيداً للمخابرات الأميركية ولكنه لم يكن يعمل لها بشكل مباشر ولا تحت إشرافها إلا أنه وهب نفسه لها وفتح بلاده أمامها من أجل ما يعتقد أنه « مصلحة مشتركة ». ولكن بعض مسؤولي المخابرات الأميركية ذوي الخبرة الطويلة كانوا مشككين في جدوى العلاقة مع السادات اعتقاداً منهم بأن

اسلوب السادات هو الايماء للجميع بأنه يدين لهم بالولاء . ولكنه كان يسعى إلى الورقة الرابحة ويوهب نفسه لها تماماً. وهكذا اعتقدت الولايات المتحدة والمخابرات المركزية الأميركية أنه أداة طيّعة « في أيديهم ». وهكذا كان السادات مع قادة الجيش المصري وبعض الدول العربية... وبعد اتفاقيات كامب ديفيد انتقل هذا الاعتقاد إلى اسرائيل أيضاً. وكان ذلك السبب المباشر لعزلته عن شعبه والسبب أيضاً في اغتياله فيما بعد التي أنهت وبشكل مأساوي واحدة من أهم علاقات المخابرات الأميركية بعميل كان يتقاضى أضخم راتب وكانت هذه المخابرات تستمد له هذا الراتب الضخم من إحدى الدول العربية. وعندما تولى الرئيس حسني مبارك السلطة قامت المخابرات الأميركية باعداد فيلم سينمائي عنه ليشاهده الرئيس ريغان وعندما بدأ عرض الفيلم قال المعلق : « هذا هو حسني مبارك الرئيس الجديد لمصر بعد السادات ».وبعد ذلك ظهرت على الشاشة صورة القرية الصغيرة التي ولد بها الرئيس مبارك وهي قرية « كفر المصيلحة » ثم تلا ذلك بعض اللقطات الخاصة عن مبارك وهو في ظلال السادات لأن المخابرات الأميركية كانت تعرف أن الرئيس ريغان لا يميل كثيرا لقراءة التقارير ولذلك أخذت هذه المخابرات « تنتج » له أفلاماً عن الرؤساء والملوك والأمراء ليشاهدها في البيت الأبيض أو في كامب ديفيد.

الخطط العسكرية لمهاجمة ليبيا

كانت التقارير الواردة إلى المخابرات الأميركية من ليبيا تفيد بأن معارضي الرئيس القذافي « في المنفى » أي خارج ليبيا لا يشكلون خطراً حقيقياً على نظامه وإن كانوا يتلقون مساعدات مالية من مصر « في حينه » ومن السعودية والسودان « في حينه » والعراق وبعض من رجالات المقاومة الفلسطينية ويستخدم بعضهم أراضي دولهم لمباشرة نشاطهم ضد القذافي. وهذه التقارير هي نتيجة لمتابعة الادارة الأميركية للموقف في ليبيا وتفكيرها في طريقة للاعتداء على الجماهيرية لردع « العقيد » كما يقولون. وبعد اختطاف طائرة أميركية في حزيران (يونيو) ١٩٨٥ إلى بيروت أصبحت الادارة الأميركية مدعوّة للتحرك. وفي اجتماع عقدته « مجموعة » التخطيط للأمن القومي في البيت الأبيض في منتصف شهر تموز (يوليو) بادر ماكفرلين قائلاً : إن العقوبات الاقتصادية والضغوط الدبلوماسية لم تعد « تخيف » القذافي ويتعيّن اتخاذ اجراءات أشدّ وطرح فكرة « مهاجمة الجماهيرية ». فوافق كيسي رئيس المخابرات الأميركية وجورج شولتز وزير الخارجية ووانبرجر وزير الدفاع... وآخرون وكان مثل هذا الاجتماع نادراً.. وبدأ الاعداد لخطط الهجوم والمواجهة ووضعت كلمات سرية للخطط المناهضة للقذافي وهي :

١ ــ كلمة السر « فلاور » أو الوردة وهو الاسم الذي تمّ اختياره للعمليات المناهضة للقذافي.

٢ ــ كلمة السر « تيوليب » وهو الاسم الذي أعطي لعملية سرية للمخابرات الأميركية تستهدف الاطاحة بالقذافي.
٣ ــ كلمة السر « بلاندي » وهو الاسم المستعمل بين المخابرات الأميركية والمعارضة الليبية في المنفى ومن بينهم جبهة الخلاص الوطني الليبية التي تتعاون مع مصر لازاحة القذافي « في حينه ».
٤ ــ كلمة السر « روز » وهو الاسم السري لخطة الهجوم العسكري على ليبيا بمساندة حلفاء الولايات المتحدة وبصفة خاصة « مصر ». وكانت ثكنة العزيزية التي يقيم فيها القذافي ضمن أهداف هذا الهجوم التي تولت فيه الولايات المتحدة عمليات الهجوم الجوية.

وفي أحد الاجتماعات أثير السؤال الذي ظل يتردد لسنوات عديدة في الادارة الأميركية وعلى أعلى المستويات. هل عملية « روز » هي اغتيال القذافي؟ فقال الرئيس ريغان: لا ينبغي الاهتمام بهذه المسألة. وتعهد بأن يتحمل المسؤولية كاملة. وحسم الأمر.

وكانت الخطتان « تيوليب » و« روز » تكملان بعضهما إذ تستهدفان خلق جوّ من الاضطراب والأزمة حتى يتاح لمعارضي القذافي العمل ضدّه فتصل الأمور للاطاحة به. وبينما كان مجلس الأمن القومي يعد الخطة « روز » كانت أنظار « روبرت ماكفارلين» مستشار الرئيس ريغان (سابقاً) للأمن القومي متجهة إلى لقاء القمة « في حينه » بين ريغان وغورباتشوف.وأصبح بويندكستر مسؤولاً عن الخطة ضد ليبيا وأصرّ على زيارة القاهرة بنفسه لمقابلة الرئيس مبارك لاقناعه بالاشتراك بالخطة « روز ». فقد وصل بويندكستر إلى القاهرة في عطلة الأسبوع التي تلت عيد العمال في أول أيار (مايو) ١٩٨٦. حاملاً معه «وعداً» من الرئيس ريغان بمساندة عسكرية أميركية مباشرة إلى مصر.وقبل أن يتمكن من عرض رؤيته للخطة قاطعه الرئيس المصري مبارك، ويصفه الكاتب بوب

وارد بأنه « رجل نافذ الصبر يفضل أن يتكلم على أن يستمع » قائلاً: سيادة الأميرال. وليس « سيدي » الأميرال كما جاء في الترجمة للنص لأن جميع الرتب العسكرية تتضاءل أمام رئيس الجمهورية وإذا قال الرئيس حسني مبارك للأميرال بويندكستر وهو ضيفه على كل حال « سيادة الأميرال » فذلك من قبيل المجاملة وتواضع الرئيس مبارك حيث قال له : عندما نقرر مهاجمة ليبيا سيكون القرار قرارنا وفي الوقت الذي نحدده وذلك إذا اضطرتنا الأمور. خرج بويندكستر من مقابلة الرئيس مبارك مكفهر الوجه والتقى كبار المسؤولين في وزارة الدفاع المصرية الذين استقبلوا وجهة نظره بطريقة أفضل. وبعد مغادرة بويندكستر لمصر التقى فاليوتس السفير الأميركي في مصر مع أبو غزالة وزير الدفاع المصري وكان منزعجاً لما تسرب من معلومات عن دور المخابرات الأميركية في خطة مهاجمة ليبيا.. وقال للسفير : كيف لمصر أن تثق في الولايات المتحدة. هذه بلدكم تراجعت في عملية خليج الخنازير « ضد كوبا » في آخر لحظة. ورد فاليوتس بأن الرئيس ريغان مستاء للغاية وسيتخذ اجراءات تأديبية ضد المسؤولين عن هذا التسرب.

الصحافة الأميركية تفضح المؤامرة

في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ توجه بويندكستر إلى مقر صحيفة « واشنطون بوست » معترضاً على قصة اخبارية ستنشرها الصحيفة في عدد اليوم التالي « ١٩٨٦/٢/٢٤ » عن قرار الرئيس ريغان إرسال الليفتنانت جنرال ديل فيسر في مهمة سرية إلى مصر بتاريخ اليوم التالي ١٩٨٦/١/٢٥ لمواصلة المشاورات حول خطة عسكرية لمهاجمة ليبيا. استقبل بويندكستر في الصحيفة وودع بكل حفاوة ورغم ذلك « تم نشر القصة الاخبارية » في موعدها. ونقلت وكالات الأنباء الخبر عن الصحيفة إلا أنه لم يحدث أي رد فعل في البيت الأبيض ولم « تحتج » السفارة المصرية إلى وزارة الخارجية في واشنطون ولم يتدخل مجلس الأمن القومي الأميركي فأصيب بويندكستر بدهشة كبيرة.

وبعد نشر النبأ سأل أحد أعضاء مجلس الأمن القومي دون فورتير نائب بويندكستر. ما العمل؟ فأجابه سنوغر بمنع إرسال وتوزيع الواشنطون بوست في مصر. وضحك الجميع. كان من نتيجة فضح الصحف الأميركية لخطة مساهمة مصر في عملية غزو ليبيا أن كتب بويندكستر مذكرة تفيد بضرورة إرجاء مهمة فيسر بضعة أسابيع. وبعد هدوء الضجة الصحفية سافر فيسر إلى القاهرة بعد أن سلمه بويندكستر

مذكرة تفيد أن عليه مناقشة أربع خيارات مع المصريين ثلاثة منها دفاعية والرابع هجومي. وبعد عودة فيسر من مصر أبلغ بويندكستر أنه أجرى المحادثات مع المصريين بكفاءة عالية.

وبعد الهجوم الأميركي على طرابلس في ١٤ نيسان « أبريل » ١٩٨٦ شاع في مصر نبأ الخطة العسكرية المشتركة ونبأ زيارة بويندكستر للرئيس حسني مبارك فكتب ابراهيم نافع رئيس تحرير الاهرام والقريب من الرئيس مبارك يقول : « طلبت الولايات المتحدة اكثر من مرة انضمامنا إلى عملية مشتركة ضد ليبيا ». وأشار في افتتاحية الأهرام إلى ثلاث محاولات أميركية لجرّ مصر للاشتراك في مهاجمة ليبيا ثم رفضها بوضوح. غير أن السفير فاليوتس عاد فأكد في اتصال مع واشنطون أن مبارك أبلغه بشكل خاص أن مصر ستستمر في الخطة وأن ما تكتبه الصحف الأميركية لا تترتب عليه أية نتائج ذات أهمية كبيرة.



القذافي كان المقصود من هجوم ١٤ نيسان



ريغان كان سيتحمل مسؤولية إصابة القذافي.



من أعمال المخابرات الأميركية

الإرهاب الأميركي مُسبق الصُّنع

مهنة جديدة للمخابرات المركزية الأميركية





الرئيس ريغان يسحب يده من بين يدي كولبي رئيس مخابراته (خوفاً على أحد أصابعه من السرقة).

الارهاب الأميركي مسبق الصنع

○ مهنة جديدة للمخابرات الأميركية.

○ المخابرات الأميركية لديها عملاء في كل مكان في أنحاء العالم ينتظرون الضوء الأخضر منها دائماً.

○ عجزت واشنطون عن كشف هوية الانتحاريين فأعلنت الحرب عشوائياً.

○ أميركا أصبحت أول دولة تمارس الارهاب على جميع المستويات.

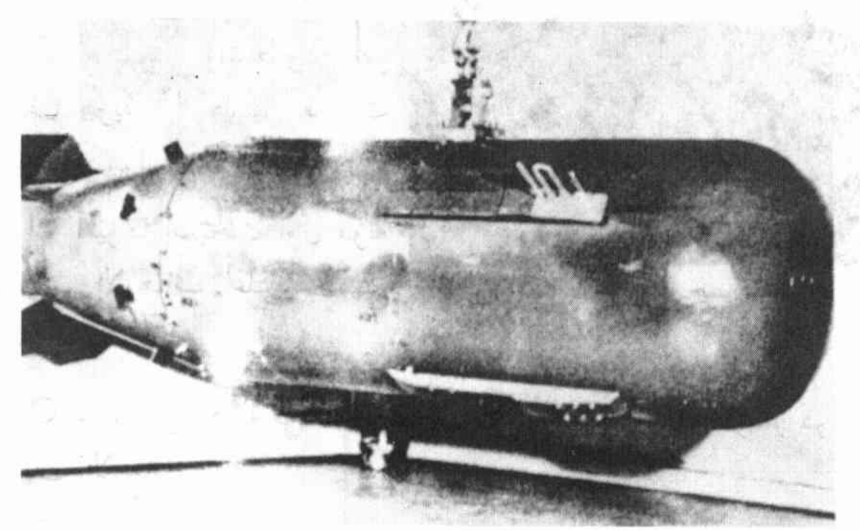


صورة سماحة الشيخ حسن عبدالله.

○ سوريا أول دولة في العالم تطالب الأمم المتحدة بعقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب.

○ في التاسع والعاشر من شهر آب (أغسطس) من كل عام تعود إلينا الذكرى المؤلمة لقيام الولايات المتحدة الأميركية بالقاء قنبلتين

ذريتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بواسطة طائرات أميركية من طراز «ب ـــ ٢٩» مما نتج عنه مقتل سبعون ألف إنسان ياباني عقب الانفجار الذري للقنبلتين ثم تبعه مقتل سبعون ألف إنسان آخرين فيما بعد نتيجة الاصابة بالحروق الذرية واستنشاق الغبار الذري وللدلالة على هول الفاجعة الذرية فقد استمرت آثار الاشعاعات الذرية « تقتل » اليابانيين على مر السنين أي من عام ١٩٤٥ وحتى الآن. وتشير النشرات الصحية الصادرة عن وزارة الصحة اليابانية خلال سنوات ١٩٨٥ ـــ ١٩٨٦ ـــ ١٩٨٧ عن وفاة أو « مقتل » أربعة آلاف إنسان ياباني متأثرين بالاشعاعات الذرية وهم ممن بقي يعاني من آلام الاشعاع الذري لأكثر من أربعين عاما وقد بقي الموت بالذرة يتربص بهم هذه المدة الطويلة ولم ينفع التداوي ولا العناية بشيء من ذرة العام سام حتى تاريخه حيث بلغ مجموع ضحايا القذف الذري هذا حتى الآن ١٤٤ ألف إنسان. ولو سألنا أميركا المتمدنة ما هو سبب التهور بالقاء القنبلتين الذريتين على المدينتين اليابانيتين الآمنتين لكان الجواب :



أول صورة طبق الأصل عن القنبلة الذرية التي ألقتها الطائرات الاميركية على مدينتي هيروشيما وناغازاكي.

○ انطلقت العشرات من الطائرات اليابانية (زيرو — ٥) التي رسم على جانبيها صورة الشمس والقرص الأحمر وهما العلامة المميزة للعلم الوطني الياباني وهي تحمل قنابل من زنة « ٢٥٠ كيلو » ويقودها طيارون انتحاريون أطلق عليهم في حينه اسم (الطيارون الكاميكاز) أي الطيارون ذوو النفس الالهية. وكانت مهمة هؤلاء الطيارين الانطلاق بطائراتهم والانقضاض على أيّ هدف أميركي يقع في المدى الذي تصل إليه الطائرة حتى ولو كان الهدف يقع في مكان لا يُبقي في خزانها قطرة واحدة من البنزين لأن قائد الطائرة وهو الطيار الكاميكازي سوف يسقط مع طائرته فوق الهدف الأميركي مباشرة. ومن الأمثلة التي سمعناها إبان تلك الحرب إن أحد هؤلاء الطيارين الانتحاريين قد أسقط طائرته وهو معها في مدخنة إحدى حاملات الطائرات الأميركية الضخمة فانفجرت بالحاملة التي قسمها الانفجار الى نصفين وغير ذلك من العشرات من القصص الانتحارية التي قصمت ظهر أميركا وكبدتها خسائر كبيرة من المعدات الحربية والرجال والسمعة مما دعا الولايات المتحدة إلى اتخاذ قرار إلقاء القنابل الذرية على اليابان بعد أن علمت السلطات الأميركية بأن هؤلاء الطيارين الانتحاريين قد جرى اتباعهم لدورات طيارين حربيين واختصر تدريبهم المكثف على قيادة الطائرات إلى أهدافها « فقط » أي أنهم لم يدرّبوا على العودة بها إلى أي مطار.

وفي أيامنا الآن « عادت حليمة » وهذه أميركا تعرض عضلاتها أمام الشواطئ اللبنانية بارسالها الأساطيل وعلى رأسها « نيوجرسي » البارجة ذات التدمير الهائل وغيرها بالاضافة الى إنزال جنود المارينز بالآلاف في بيروت ومعها قوات فرنسية وإيطالية. وقد تعاونت القوات الأميركية مع القوات الاسرائيلية والعملاء الاسرائيليين في لبنان على اخماد الروح الوطنية اللبنانية وضرب مختلف المناطق اللبنانية من البحر بصورة عشوائية. فما كان من اللبنانيين الوطنيين إلا أن شكلوا فرقاً انتحارية تشبهاً

بالكاميكاز من الأبطال اليابانيين الذين سبق أن أزلّوا أميركا وقاموا بهجمات انتحارية على مراكز القوات الأميركية والفرنسية وكان أهمها الهجوم الانتحاري الكاميكازي على « مقر قوات المارينز في بيروت » مما نتج عنه مقتل المئات من الجنود الأميركيين. فتحرك « الشعب الأميركي المغلوب على أمره من الامبريالية الحاكمة » وطالب نوابه أن يطالبوا الحكومة الأميركية بسحب القوات الأميركية من لبنان نتيجة الضرر الذي لحق بها من جراء الهجمات الانتحارية عليها وعدم استطاعة الولايات المتحدة « الرد » عليها. وهكذا تمّ سحب القوات الأميركية على مضض من لبنان ولكن المخابرات المركزية الأميركية ورئيسها الفخري الرئيس رونالد ريغان لم يسكت على الضربات الانتحارية العربية فقرر بالاتفاق مع مخابراته تشكيل مجموعات خاصة من المخابرات الأميركية ومعها مجموعة من العملاء المحليين في كل بلد « تشك » المخابرات الأميركية بوجود ارهابيين فيه كما تسميهم هذه المخابرات وذلك للقيام بعمليات ارهابية أميركية مسبقة الصنع تحت اسم (عمليات وقائية من الارهاب) أي مهاجمة من تعتقد أنهم سيهاجمون المصالح الأميركية في الشرق الأوسط مسبقاً فقامت المجموعات الخاصة المنتقاة من المخابرات الأميركية مع عناصر محلية من مختلف بلدان العالم منها عناصر لبنانية.

○ بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٨٥ انفجرت سيارة مفخخة بالقرب من منزل العلامة اللبناني الشيخ محمد حسين فضل الله الزعيم الدين المعروف في بيروت والذي تعتبره المخابرات الأميركية « المسؤول » الأول عن عمليات التفجير الانتحاري ضد قوات المارينز. الأميركية كما يعتبرونه مؤسس حزب الله والمرشد الديني العام لهذا الحزب. وكان هو المقصود من التفجير الأول في عمليات الارهاب الأميركي المسبق الصنع ولكن عناية الله سبحانه وتعالى سلمته من الحادث المؤسف الذي أودى

بحياة حوالي ثمانين شخصاً من الأبرياء الذين صادف مرورهم أو تواجدهم أمام المنزل وهم لا ذنب لهم لا عسكرياً ولا سياسياً. وقد علم فيما بعد أن المخابرات الأميركية قد نفذت هذه العملية الغادرة باستئجارها بعض العملاء الأجانب المختصين بالتفجيرات يقودهم الكابتن فرانك تومي بالتعاون مع بعض العملاء المحليين مع الأسف حيث خططوا للعملية في القبو المخصص كمستودع في السفارة الأميركية واستلموا المتفجرات التي تدخل منذ سنوات إلى لبنان بالحقائب والطرود البريدية الدبلوماسية الأميركية وقاموا بتفخيخ السيارة ومن ثم تفجيرها فيما بعد أمام منزل الشيخ محمد حسين فضل الله. ولما نشرت هذه المعلومات الدامغة قامت المخابرات الأميركية « وكعادتها » باذاعة بيان بواسطة الصحف الأميركية زعمت فيه أنه لم يكن لها علم مسبق بعملية التفجير غير أن بعض أصحاب الضمير من أعضاء الكونغرس الأميركية وبعض المسؤولين في البيت الأبيض « ردّوا » بالقول ان المخابرات الأميركية كانت مع المجموعة الارهابية حين تنفيذ عملية التفجير بل وبقيادتها وذلك استناداً للتوجيه والأمر السري الرئاسي رقم (١٣٨/ض) تاريخ ٣ نيسان (أبريل) ١٩٨٤ الذي أصدره الرئيس ريغان. هذا الأمر الذي يدعو للقيام بضربات وقائية ضد الارهابيين مسبقاً وضد البلدان التي تساندهم. وأكّد أعضاء الكونغرس ومسؤولو البيت الأبيض أنه بعد يومين من عملية تفجير ٨ آذار « ألغى » الرئيس ريغان الأمر الرئاسي السري القاضي بالقيام بالضربات الوقائية ومما سماه الارهاب المضاد خاصة مع العناصر اللبنانية. وقال المسؤولون الأميركيون أن هذه السياسة قد لقيت التأييد الكامل من قبل وزير الخارجية جورج شولتز ومستشار الرئيس للأمن القومي روبرت ماكفارلين ورئيس المخابرات المركزية الأميركية في حينه وليم كيسي ولكن الكثيرين من ضباط المخابرات الأميركية عبروا عن شكوكهم بقدرتهم على ضبط أعمال (الارهاب المضاد) في البلدان الأجنبية كما عبر هؤلاء عن قلقهم بشأن فقدان أمريكا السيطرة على تنفيذ

خطة كانت هي مسؤولة عن وضعها وبأمر رئاسي وفي بلد مثل (لبنان) لأن المسؤولين في المخابرات الأميركية أنفسهم هم الذين كانوا قد أوعزوا أثر معلومات من عملاء في لبنان بتعقب الشيخ محمد حسين فضل الله الذي تتهمه إدارة ريغان نتيجة المعلومات التي تنقل للمخابرات الأميركية من عملاءها المحليين، بالتخطيط للهجوم على المنشآت الأميركية في الشرق الأوسط. وأضاف المسؤولون أن المخابرات الأميركية لم تكن قد قررت ماذا تريد أن تفعل بالشيخ محمد حسين فضل الله « انتقاماً » للتفجيرات في المراكز الأميركية لكن « أطرافاً داخلية صديقة » حسب زعم المخابرات الأميركية كان لها أهدافها الخاصة من وراء اغتياله وبالتعاون معها. ورغم عدم نجاح العملية بالنسبة للشيخ فضل الله فقد صرح مسؤولو البيت الأبيض أن الادارة الأميركية غير مستعدة للتخلي عن سياسة (الارهاب المضاد). ففي ٢٥ آذار (مارس) ١٩٨٥ صرح روبرت ماكفارلين مستشار ريغان لشؤون الأمن القومي في خطاب له : إننا لن نتورع عن القيام بأعمال العنف لمنع أو اتقاء أو الردّ على أعمال الارهاب حيث تقتضي الظروف استعمال القوة. ونظراً لموقف هذا العدد من مسؤولي الادارة الأميركية في تأييد القيام بالارهاب المضاد المسبق الصنع فمن غير المحتمل أن تبدل الولايات المتحدة هذا الطريق أو أن تلغي عمليات التدريب لبعض عناصر المخابرات الأميركية ومعهم بعض عناصر مخابرات من الدول العربية..؟

من هو المسؤول

من المعروف أن خطة تشكيل وتدريب الفرق الارهابية التابعة للمخابرات الأميركية أقرّت بعد سنوات من المناقشات الحكومية الأميركية التي جرت في واشنطون. والدليل على ذلك (البيانات) العنيفة التي أصدرها الرئيس ريغان بالذات والتي أمر بها بضرورة مواجهة

الارهاب المعادي لأميركا وأصدقاءها بـ(إرهاب مماثل). وبعد ذلك تمّ وضع برنامج تنفيذ خطة الرئيس ريغان السرية من قبل لجنة شكّلها باشرافه ووضع شخصياً شروطها وأهدافها. ولعلم القارئ أنه يوجد دائماً حول أي رئيس من رؤساء الولايات المتحدة حلقة من الأصدقاء سواء من داخل البيت الأبيض أي من المسؤولين المقربين للرئيس أو من الاعلاميين « المرتزقة ». ومهمة هؤلاء هي التخفيف من ردّ فعل الأحداث التي « يتسرّع باقرارها رئيس الولايات المتحدة » أو أن يوافق فيها على عمل له نتيجة سلبية. لأنه من المعروف أن عدة جهات ومنظمات اعتبرت بيانات وأوامر ريغان بموافقته على الارهاب المصدّر « تحدياً » لها فقررت نقل المعركة إلى داخل الولايات المتحدة وفي واشنطون بالذات. أما بالنسبة لجريمة تفجير السيارة المفخخة أمام منزل الشيخ فضل الله فقد سارع هؤلاء المطبّلون إلى تبرير تلك الجريمة بأنها (دفاع عن النفس) وليس اغتيالاً لأبرياء لا ذنب لهم. وأكّد هؤلاء المطبلون أن الرئيس ريغان قد مارس حقوقه الدستورية. وأكد المسؤولون في الكونغرس والبيت الأبيض فيما بعد أن جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية وروبرت ماكفارلين مستشار ريغان كانا العقلين المفكرين اللذين رسما الخطة الارهابية السرية لاغتيال الشيخ فضل الله وإن وزارة الخارجية الأميركية والبيت الأبيض هما اللذان مررا الخطة وأمرا بوضعها موضع التنفيذ ولدى فشلها سارعا للتنصل منها ووافقا على الغاء خطط الارهاب المسبق الصنع. وهكذا ثبت للجميع أن الرئيس ريغان وإدارته بالذات هم المسؤولون أولاً وأخيراً عن عملية محاولة اغتيال الشيخ فضل الله ولكنها غسلت يديها منها بعد فشلها المخزي كعادتها.. مثل النعامة التي تغرس رأسها في الرمل وهي تعتقد أن الصياد لم يعد يراها.

سوريا تطالب الأمم المتحدة بعقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب

○ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ الثامن من آذار (مارس) ١٩٨٧ وبأغلبية ١٥٣ صوتاً ضد صوتين هما بطبيعة الحال الولايات المتحدة واسرائيل قراراً طالبت فيه الأمين العام للأمم المتحدة أن يلتمس آراء الدول الأعضاء بشأن الارهاب الدولي بكل جوانبه وبشأن طرق ووسائل مكافحته بما في ذلك « عقد مؤتمر دولي » تحت اشراف الأمم المتحدة لتحديد الارهاب والتمييز بينه وبين نضال الشعوب في سبيل التحرير الوطني وقد أقرت نصوص القرار المتضمن صيانة الحق غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت النظم الاستعمارية والعنصرية والاحتلال الأجنبي وغير ذلك من أشكال السيطرة الأجنبية وأقرت شرعية كفاحها ولا سيما كفاح حركات التحرير الوطني. ودان القرار جميع أعمال وأساليب وممارسات الارهاب وحث جميع الدول وأجهزة الأمم المتحدة على الاسهام في القضاء التدريجي على الأسباب الكامنة وراء الارهاب الدولي وأن تولي اهتماماً خاصاً لجميع الحالات بما فيها الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على انتهاكات عديدة وصارخة لحقوق الانسان والحريات الأساسية وأيضاً الحالات التي تنطوي على سيطرة أجنبية واحتلال أجنبي التي يمكن أن تولد الارهاب الدولي وتعرض السلم والأمن الدوليين

للخطر كما تمّ التأكيد في القرار المذكور على عدم المساس بأية طريقة بحق تقرير المصير والحرية والاستقلال للشعوب المحرومة. وهذا التأكيد مستمد من ميثاق الأمم المتحدة لصالح الشعوب الرازحة تحت النظم الاستعمارية والعنصرية والاحتلال أو أي شكل استعماري آخر. وذكر في هذا القرار أيضاً عدم المس بحق هذه الشعوب في الكفاح لتحقيق هذه الغاية والسعي من أجل الدعم لهذا الحق والحصول عليه وفقاً لمبادئ الميثاق. ومن جهة ثانية فإن المراقبين السياسيين في الأمم المتحدة أكدوا أن سياسة الجمهورية العربية السورية بقيادة السيد الرئيس حافظ الأسد قد سجلت نجاحاً عالمياً باقرار الأمم المتحدة للمبادرة العربية السورية لتحديد معنى الارهاب والتمييز بينه وبين « نضال الشعوب » من أجل قضاياها العادلة وتحرير أراضيها وإن هذا النجاح الدولي لا يعكس قوة المبادئ التي تدافع عنها سورية فحسب بل يعكس أيضاً ذلك السقوط الزريع للمحاولات المستميتة التي قامت بها الولايات المتحدة واسرائيل وأجهزة الحرب النفسية التابعة لهما للخلط بين الارهاب وحركات التحرر ومن الجدير بالذكر للقراء أن الرئيس حافظ الأسد كان قد طرح في خطاب له أمام المؤتمر الحادي والعشرين للاتحاد العام لنقابات العمال في سوريا فكرة عقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب والتمييز بين الارهاب كفعل مدان ومرفوض وبين النضال المشروع للشعوب من أجل الحرية والاستقلال. وأخيراً يعتبر نجاح هذا القرار من على منبر الأمم المتحدة أي

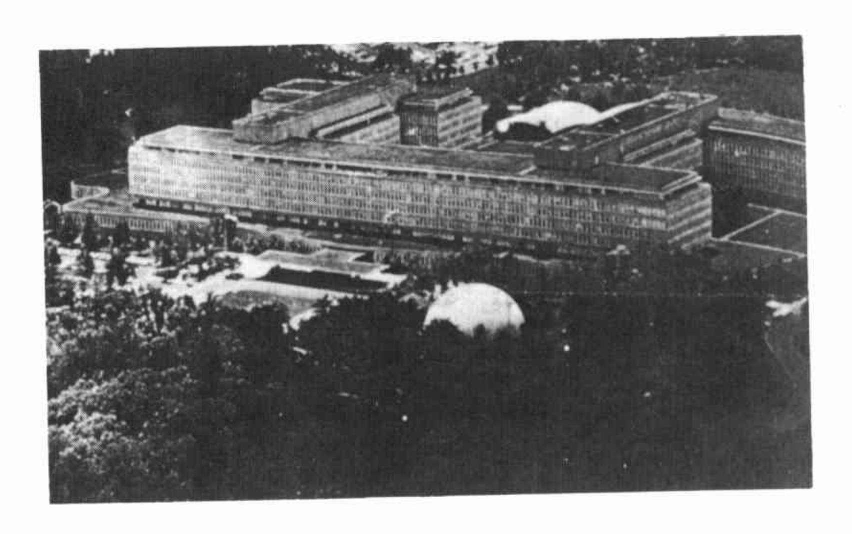


الرئيس حافظ الأسد طالب بمؤتمر دولي لتعريف الارهاب

النجاح على الصعيد الدولي تجسيداً لرغبة المجتمع الدولي ولا سيما قوى التحرر العالمية في تبني طلب سوريا الذي هو بالأصل طلب الرئيس حافظ الأسد لتعريف الارهاب.

مِن أعمَال المخَابرَات الأميركيّة

إرهَابٌ مُستمِرٌّ
مؤامراتٌ دائمَة



- جوَاسيس الحربِ النفسيّة ● مَدرسَة الجواسيس
- فضائح الإرهاب في الشرق الأوسط
- رجال الـ (C.I.A) في البلاد العربيّة
- العَميل "فرناندو لوغرو" في الخدمة ليلاً نهارًا



جواسيس المخابرات الاميركية للحرب النفسية

○ حصلنا من مصادر موثوقة في أوروبا الشرقية على معلومات مهمة عن قيام الحكومة الأميركية بتأسيس وكالة تجسسية أميركية جديدة هي (وكالة العلاقات الدولية — .I.C.A) تعمل إلى جانب (المخابرات الأميركية .C.I.A) في ادارة العمليات الموجهة إلى الخارج « خارج الولايات المتحدة » وبالذات فيما يتعلق بالحرب النفسية والدعائية في المناطق التي تواجه فيها الولايات المتحدة « تحديات سياسية وفكرية ». وتشمل قائمة التحديات مناطق عديدة من العالم، من ضمنها منطقة الشرق الأوسط التي يعتبرها التقرير رقم «٨٨» الذي أعدته المخابرات الأميركية وأصدرته وزارة الخارجية الأميركية واحدة من أكثر المناطق عرضة للتقلب والخطر.

وعلى الرغم من أن هذه الوكالة أسست في عام ١٩٧٨ لتكون الجهاز الأساسي في مجال التعليمات الدعائية الموجهة إلى الخارج، إلا أنها لم تمارس عملها بصورة فعالة إلا ابتداء من منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٨١ عندما تولى رئاستها أحد أصدقاء الرئيس الأميركي « رونالد ريغان » المقربين وهو « غارس ويك » المعروف بتطرفه اليميني حتى داخل البيت الأبيض نفسه وقد بدأ هذا الرئيس الجديد للوكالة عهده

بتصريح أعلن فيه بدون تردد : « إننا في حرب ذات طابع عالمي ولا يهم إن كانت هذه الحرب معلنة أم غير معلنة ».

وقد تأكد للخبراء أن المخابرات الأميركية وابنتها وكالة العلاقات الدولية وضعتا مؤخراً خطة للعمل المشترك بينهما، تمتد حتى عام ١٩٩٠. وتشمل هذه الخطة الشاملة التي تتعلق بمناطق واسعة من العالم بنوداً مثل تأسيس محطات اذاعة وتلفزيون جديدة والسيطرة على المحطات الأخرى المتعاونة وتوجيهها وفق خطة متطلبات الدعاية الأميركية، ودعم وتوجيه الصحف التي تخدم أو التي يمكن أن تخدم السياسة الأميركية وبخاصة في مناطق الأزمات مع السعي للتأثير على الجماهير ودفعها لتبني « المواقف الأميركية » سواء بصورة واعية أو غير واعية. ومن ناحية أخرى تؤكد الخطة على ضرورة نشر الدعايات المضادة ازاء الدعايات الموجهة ضد الولايات المتحدة وحلفائها. ومن ضمن الدعايات الكاذبة والأساطير التي اختلقتها وكالة العلاقات الدولية ودفعت أجهزة الاعلام التابعة لها إلى نشرها :

١ ــ نشرت خرافة « فرقة الاغتيال الليبية » التي ادعت الوكالة أن العقيد معمر القذافي قد شكلها وأرسلها لاغتيال الرئيس الأميركي ريغان .
٢ ــ نشرت الوكالة أن المخابرات السوفياتية لها علاقة بمحاولات اغتيال الرئيس ريغان أيضاً.
٣ ــ ادعت الوكالة أن المخابرات السوفياتية لها علاقة بمحاولة اغتيال « البابا » التي قام بها التركي محمد علي آقجا.
٤ ــ نشر العديد من أكاذيب عمليات الارهاب الدولي الموجهة ضد منظمة التحرير الفلسطينية.
٥ ــ الاشتراك مع المخابرات البريطانية في نشر الأكاذيب ضد سوريا واتهامها بحادث تسليم المدعو « نزار الهنداوي » لحقيبة مملوءة

بالمتفجرات إلى خطيبته المسافرة على متن طائرة « العال » الاسرائيلية.

وفي الوقت ذاته تستهدف دعاية هذه الوكالة الموجهة نحو الخارج « التأثير على الرأي العام الأميركي بالذات » فهي مثلاً لا تكف عن الحديث عن وجود مؤامرة سوفياتية للاطاحة بالنظام الأميركي القائم. والهدف هو اخافة المواطن الأميركي العادي من « الخطر السوفياتي القادم » بنفس الطريقة التي تتحدث فيها عن الخطر الذي يهدد منطقة الخليج.

وتقول المصادر التي كشفت الخطة ان انشاء « وكالة العلاقات الدولية » كان الهدف منه نقل المعركة بين حلفيّ « الناتو » و« وارسو » إلى مستوى جديد. فالولايات المتحدة و« الناتو » لم يعودا يكتفيان بالتدخل في افريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية فحسب وإنما يريدان التدخل في الشؤون الداخلية لدول حلف وارسو أيضاً، كما حدث مع بولندا. وقد جاء هذا التطور بعد مؤتمر قمة دول الناتو الذي أقر خطة سرية بعنوان « دراسة حول اتجاهات طويلة الأمد في تطور علاقات الشرق بالغرب » لمواجهة ما يسميه حلف الناتو « تصدير الثورة من قبل السوفيات ».واعتماداً على الخطة الأساسية للناتو قامت وكالة العلاقات الدولية بوضع التقرير الخاص رقم ٨٨ الذي ذكرنا أن وزارة الخارجية الأميركية تبنته وأصدرته. ويتضمن هذا التقرير مبالغات يصعب تصديقها مثل أن الولايات المتحدة الأميركية توشك على الانهيار بسبب التسلل السوفياتي الى وسائل الاعلام الأميركية. ومن أجل مواجهة هذا الخطر « المزعوم » قامت وكالة العلاقات الدولية الأميركية تحت اشراف رئيسها الجديد صديق ريغان بوضع ما يسمى (Project-truth) أي « مشروع الحقيقة » وقد أعلن ويك رئيس الوكالة أن الوكالة ستحاول عن طريق « الحقائق » أن تظهر للعالم كيف أن السوفيات يعملون عن

طريق المعلومات المزوّرة على تحطيم حلف «الناتو» كما أكد عزم وكالته على مواجهة الدعاية السوفياتية التي « تملأ العالم كله » ولكن مصادر حلف وارسو ترد بالقول :

إن ما يفعله « ويك » رئيس وكالة العلاقات الدولية « يشبه » ما قام به السيناتور عام ١٩٤٧ عندما ادعى أن وزارة الخارجية الأميركية يديرها عملاء « سوفيات ». ويقول الخبراء ان استراتيجية « الناتو » الجديدة في خوض الحرب السايكولوجية والدعائية لا تستهدف التحضير للعمليات العسكرية فحسب وإنما أيضاً توفير الدعم الكامل لعمليات الثورة المضادة سواء في البلدان الاشتراكية أو في البلدان النامية. وتتولى هذه الاستراتيجية القيادات الرئيسية داخل « الناتو » وعلى مستوى رئاسة أركان منطقة شمال الأطلسي والسكرتارية العامة التابعة للناتو. فإلى جانب الخطة ذات الأمد الطويل انتقلت هذه القيادات أيضاً إلى قيادة الدعاية السياسية القومية. وأكثر هذه القيادات نشاطاً هي « إدارة الاعلام » في السكرتارية العامة، حيث تقوم بتنسيق العمل المشترك بين المخابرات واجهزة الاعلام في مجال الدعاية المضادة.

ومن الملاحظ أيضاً في الفترة الأخيرة كثرة عدد « المؤتمرات العلمية » التي عقدها حلف « الناتو ». فقد انعقد مثلاً لأول مرة منذ تأسيس « الناتو » مؤتمر لمندوبي « الناتو» حول قضايا السياسة الاعلامية، حيث طالب هذا المؤتمر بالتأكيد على الجانب الثقافي والاخلاقي في استراتيجية تسليح أوروبا الغربية بالصواريخ الأميركية حاملة الرؤوس الذرية الجديدة. انعقدت حلقة دراسية تابعة « للناتو » لدراسة موضوع « الخطر الجدي الذي يواجه مصادر الطاقة والمواد الخام التي يمتلكها الغرب وكيف يمكن اقناع مواطني دول الناتو بذلك ». وكانت المنطقة العربية في مقدمة المناطق التي جرى التركيز عليها. وفي هذا الاتجاه أيضاً جرت في الشهور الأخيرة عدة لقاءات واجتماعات بين المخابرات

الأميركية والمخابرات الألمانية الغربية بهدف توحيد اتجاه الدعاية الخارجية وتطوير مستوى التعاون فيما بينهما.

وتوضح التشكيلة التنظيمية لوكالة العلاقات الدولية الأميركية خطورة هذه الوكالة وأهميتها في وضع السياسة الرسمية الأميركية. فهي ترتبط مباشرة بالرئيس الاميركي، ومجلس الامن القومي من جهة وبرئاسة أركان عمليات الحرب النفسية في وزارة الدفاع الأميركية من جهة أخرى، هذا بالاضافة إلى ارتباط الوكالة كما أسلفنا بوزارة الخارجية الأميركية. كما أنها توجه ستة مراكز قيادية هي :

١ ــ دائرة الشؤون العامة في السفارات الأميركية.
٢ ــ المراكز الثقافية الأميركية في الخارج.
٣ ــ اذاعة صوت أميركا.
٤ ــ دور النشر ووكالات الأنباء.
٥ ــ استديوهات صناعة الأفلام السينمائية.
٦ ــ مراكز المعارض الأميركية في الخارج.

وتتركز منطلقات الخطة العامة لوكالة العلاقات الدولية في عدة نقاط أساسية هي :

○ محاولة تفجير الوضع الداخلي لبلدان حلف « وارسو » عن طريق تكثيف الهجوم الاعلامي والايديولوجي عليها والعمل على اثارة الخلافات فيما بينها والتأثير على معنويات قواتها المسلحة.

○ اقناع الجماهير الغربية بضرورة دخول « الناتو » في سباق للتسلح الذري مع السوفيات.

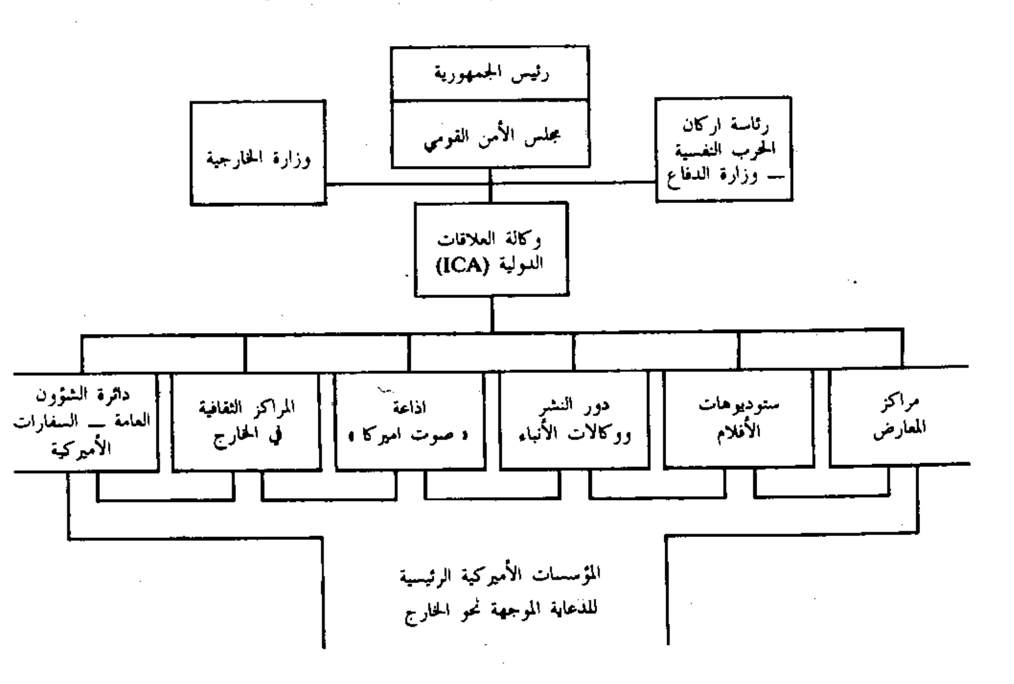
○ ضرب حركات التحرر الثورية في بلدان العالم الثالث بحجة حماية مصالح بلدان « الناتو » الاقتصادية ومواجهة « الارهاب الدولي ».

○ التحضير السايكولوجي والفكري للجماهير على أساس أن الحرب العالمية الذرية أكثر من محتملة.

وعلى الرغم من أن الميزانية المخصصة لوكالة العلاقات الدولية تعتبر سرية « مثل ميزانية المخابرات » إلا أن الخبراء يقدرونها بمئات الملايين من الدولارات وذلك استناداً إلى المبالغ الخيالية التي تنفقها الولايات المتحدة الأميركية على الدعاية، حيث يقدر هؤلاء الخبراء المختصين بالميزانيات ما أنفقته الولايات المتحدة الأميركية على الدعاية لها والدعاية المضادة ما بين عام ١٩٤٧ و١٩٨١ بثلاثة بلايين (مليارات) مارك الماني، أي أن « الحرب الباردة » كما يسمونها كانت أكثر كلفة من الحرب العالمية الثانية بثلاث مرات ومن الحرب العالمية الأولى بـ٣٦ مرة.

التشكيلة التنظيمية لوكالة العلاقات الدولية الأميركية

(ICA - International Communication Agency)



وفي مواجهة هذا التصعيد الجديد للتوتر في العلاقات بين الشرق والغرب تقوم البلدان الاشتراكية باتخاذ سلسلة من الاجراءات السياسية والعسكرية والاقتصادية المضادة والفورية والتشديد في اعلامها على الدور التخريبي الذي تمارسه المخابرات الأميركية ومؤسسات حلف « الناتو ». وقد اعتبر الحزب الاشتراكي الالماني الموحد في المانيا الشرقية هذا التصعيد الجديد للحرب الايديولوجية بين المعسكرين في دراسة نشرت في مجلة الحزب الشهرية تحضيراً شاملاً للحرب من قبَل حلف « الناتو ». وأوضح الحزب أن مهمة مواجهة هذه الموجة الجديدة لا تقع فقط على عاتق المختصين المحترفين أو تنحصر ضمن مجالات معينة وانما هي مهمة المجتمع كله. و« الكفاح للسيطرة على عقول الناس هو المجال الرئيسي الذي يتركز حوله الكفاح من أجل مستقبل البشرية وحمايتها من سيطرة المخابرات الأميركية والوكالة الدولية عليها ».



مدرسة الجواسيس

مستشار سابق في البيت الأبيض يؤسس مدرسة للجواسيس

○ المحامي وعميل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي (اف. بي. آي.) والمستشار السابق في البيت الأبيض أيام حكم الرئيس الاميركي السابق ريتشارد نيكسون اشترك اشتراكاً مباشراً في عملية « ووترغيت » المدعو « ليدي كوردون » هذا الرجل الذي كان واحداً من العناصر التي حكم عليها في هذه الفضيحة التي أطاحت بالرئيس نيكسون نفسه من رئاسة الولايات المتحدة في حينه وقد أُطلق سراحه بعد أن قضى في السجن خمس سنوات بقوة القانون. وبعد اطلاق سراحه احتار فيما يعمل فلا البيت الأبيض يستقبله ولا مكتب التحقيقات الفيدرالي يعيده للعمالة ولا المخابرات الأميركية تقبل به بعد أن افتضح أمر عمالته وقضى في السجن خمس سنوات طوال. وأخيراً هداه تفكيره الى تأسيس مدرسة للجواسيس أمثاله فحصل على موافقة وزارة الداخلية الأميركية على ترخيص إداري بتأسيس هذه المدرسة باسم « الأكاديمية الأمنية » وأعقب ذلك ظهور اعلان في صحيفة ميامي هيرالد يقول هذا الاعلان الجريء: « هل تريد أن تصبح جاسوساً مثالياً ؟ هل تريد أن

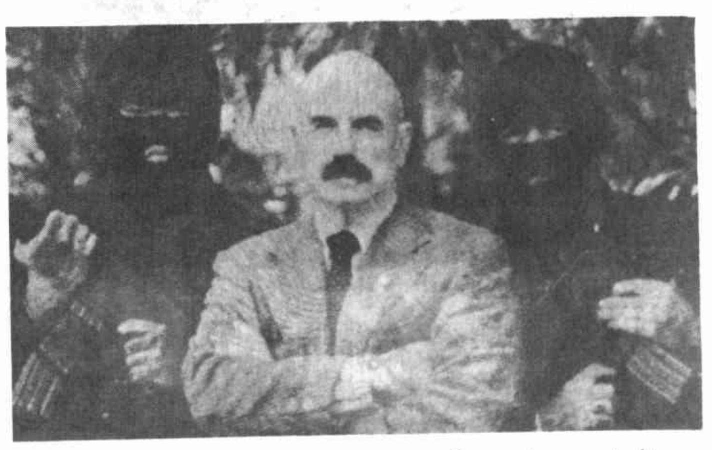
تصبح من رجال الكوماندوس ضد الارهاب ؟ هل تريد أن تصبح من الرجال الشجعان الذين يحررون الرهائن ؟ إذاً تعالَ إلينا فنحن نعلمك كل هذا ».

○ تبلغ تكاليف الدراسة في معهد « ليدي » للحصول على شهادة اتباع دورة كوماندوس وجاسوسية مبلغ (٢٧٠٠ دولار) وتستمر الدراسة فيه اسبوعين فقط لأن الدراسة مكثفة وليس للمعهد « مقر ثابت » بل إنه معهد متجول يتنقل في الولايات المتحدة من أقصاها إلى أقصاها.. والدراسة في هذا المعهد صعبة ومعقدة إذ أن المرشح للعمل التجسسي عليه أن يجيد فن استخدام تكنولوجيا التفتيش عن العدو وتكتيك العمليات ضد الارهاب وخطف الطائرات وحركات السرعة للدفاع عن النفس بفن الكاراتيه، والاطلاع على أسرار التجسس الالكتروني..

○ يتعلم المنتسبون للمعهد اثنتي عشرة ساعة يومياً ويقوم بالتدريس أساتذة بارعين في اختصاصاتهم أي خبراء في تدريس المواد المذكورة أعلاه.. وقد أطلق « ليدي » على الهيئة التدريسية في المعهد اسم « القوة العاصفة ». ويؤكد « ليدي » أنه بمبلغ مليون دولار فقط قادر على إطلاق سراح « أي رهائن » من أيدي المنظمات التي تحتجزهم مهما كانت قوتها ولكن يظهر أنه لم يتنازل أن يجرب هذه الميّزة في لبنان. ولا يحب « ليدي » العودة للسجن ولهذا السبب فهو يحترم القوانين واكثر من هذا فهو مقتنع بأن نشاطه هذا « يخدم وطنه » فيقول : إننا ندرب هؤلاء الرجال كي يقفوا سداً في وجه أي نوع من أنواع الارهاب وبنفس الوقت نعد شباباً للاشتراك في خدمة المخابرات الأميركية فنختار الدارسين في المعهد بعناية فائقة.. وخريج المعهد يمكن أن يوكل إليه أصعب المهام في أي منظمة من منظمات بلادنا.

○ يقبل « ليدي » في كل دورة من دورات المعهد خمسين شاباً بعد دفع مبلغ ٢٧٠٠ دولار واملاء الاستمارة الخاصة. وهؤلاء الشبان يتوزعون بعد تخرجهم من المعهد ما بين المخابرات الأميركية ومخابرات الجيش والقوى الدفاعية ومكتب الأمن القومي لأن كل وكالة من هذه الوكالات تمارس الجاسوسية والجاسوسية المضادة وهم جميعاً بحاجة دائمة لخدمات هؤلاء الخريجين « الجواسيس ». وقد ظهر في الفترة الأخيرة تغيير في الولايات المتحدة وهو نظرة الشعب الأميركي نحو الجاسوسية.. ففي الماضي اعتبر هذا الشعب الجاسوسية « عملاً مخجلاً » أما اليوم فإن مهنة التجسس أصبحت موضة دارجة وقد ذكرنا في الأجزاء السابقة أن المخابرات الأميركية كانت تبذل الكثير من الجهد حتى بنشر الاعلانات لكسب الخريجين للعمل لصالحها. أما الآن فقد اختلف الوضع إذ يتقدم لكل مكان شاغر في المخابرات المركزية الأميركية عشرة خريجين دفعة واحدة.

○ إن إمكانية الاستفادة من خريجي مدرسة « ليدي » للتجسس كبيرة جداً إذ لكل مؤسسة صناعية في الولايات المتحدة جواسيس لها وجواسيس عليها.. وهدف هؤلاء حماية المؤسسة من التجسس التكنيكي



الجاسوس ليدي كوردون مؤسس مدرسة الجواسيس.

والصناعي والتجسس على ما تفعله المؤسسة الصناعية المنافسة والعمل بحدود الامكانية على تعطيل النشاط التجاري والصناعي للمصانع والمنظمات المنافسة أو بالأحرى المصانع والمنظمات الموجدة في الولايات المتحدة. وهكذا يمتد نشاط خريجي معهد ليدي للجاسوسية ليصل إلى تغطية العمليات التجارية السرية (وسوف نتعرض في الأجزاء المقبلة من هذه الموسوعة الجاسوسية لموضوع التجسس الصناعي) كما أن نشاط هؤلاء الخريجين امتد لتأمين البعض منهم الحماية اللازمة للشخصيات الهامة.

وآخر الأخبار عن مؤسسة « ليدي » لتخريج الجواسيس أن المخابرات الأميركية أخذت تغدق عليه الأموال لتضمن استمرار معهده وبالتالي استمرار تزويدها ببعض الجواسيس.



بعض المسؤولين الأميركيين نفخوا في المخابرات الأميركية فطارت

فضائح الإرهاب الأميركي في الشرق الأوسط

○ هل تستأجر حكومة الولايات المتحدة القتلة رغم ضخامة مخابراتها؟

○ تقول المخابرات الأميركية أن الارهاب لا يقاوم إلا عن طريق أساليبه نفسه.

○ هذه القصة ضمن هذا الفصل من فصول هذا الكتاب نقدمها على لسان جاسوس بريطاني عميل للمخابرات الأميركية ولكل من يطلبه. يرويها بنفسه في كتاب أصدره قبل سنوات باسم « الاختصاصي » حيث يقول في مقدمته :

إن كل حدث ورد وصفه في هذا الكتاب هو صحيح مائة بالمائة، مع تغيير في الأسماء فقط وذلك محافظة على أرواح أصحابها وفي جملتهم المؤلف « جيل ريغرز ». وإن ما سنقدمه لقرائنا الاعزاء هو وصف عمليتين تتعلقان بعالمنا العربي وخاصة تخطيط المخابرات الأميركية لالحاق الضرر بسوريا وخطف أحد ضباط مخابراتها وفشلها في ذلك.

البداية : المخابرات الأميركية تدفع والعملاء يقتلون

○ عندما رفعت سماعة الهاتف في سيارتي التي كنت أقودها على شاطئ بحيرة جنيف في سويسرا سمعت الميجر « توم أودال » من مخابرات القوات البحرية الأميركية يقول: نحتاجك في بيروت للقيام بمهمة تتعلق بالضيوف الزرق. هل بامكانك الحضور بسرعة ؟ والضيوف الزرق مصطلح أميركي « يعني السوريين ». أما الاسرائيليين فهم « الصفر » والدروز « الحمر » والكتائب « الخضر » هذه هي التسميات الرمزية التي كانت تستعملها المخابرات الأميركية. لم أدرك بالضبط ما كان يريد الميجر « توم » مني، ولكن تعاوني معه قبلاً كمرتزق في بيروت جعلني أقدّر أن القضية تتعلق بالوضع الحرج لقوات البحرية الأميركية. بالطبع لم نبحث عبر الهاتف الناحية المالية لأن الميجر وسواه من مسؤولي المخابرات الأميركية يعرفون قيمة « تعرفتي » التي هي كأساس وهو مبلغ (٧٥ ألف دولار) بالاضافة للمصاريف حيث يدفع المبلغ من قبل شركة أميركية خاصة أو سويسرية لبنك أحدده لهم خارج أميركا، ويوضع الى جانبه التبرير القائل بأنه لقاء استشارات أوعمليات مسح واستكشاف. وبالطبع لم يتصل بي « توم » إلا بعد أن يكون قد ضمن على الأقل وضع موازنة للعملية لا تقل عن « ٢٠٠ ألف دولار »

وهو مبلغ يقل عن كلفة اطلاق قنبلة واحدة من بارجة « نيوجرسي » على جبال الشوف. وعلى كل حال، العمل مع المخابرات الأميركية ممتع لأنهم كرماء عندما يريدون انجاز عمل مهم بالنسبة لهم، ومعرفتي بـ« توم أودال » تعود لحرب فيتنام حين كنا نقوم بمهمات خاصة معاً، هو من قبل قوات البحرية الأميركية، وأنا من قبل الحلفاء وكلانا ملحق بالقوات الأميركية الخاصة. وفي بيروت كان « توم » يقوم بمهمة الاتصال بين القوات الخاصة والمخابرات الأميركية. وفور تسلمه منصبه هذا اتصل بي مستفسراً عن الاستعداد للعمل معه في بيروت عند الاقتضاء. وبعد الموافقة أخذ رقم حسابي في سويسرا.

بعد اسبوع من المخابرة الهاتفية ووضع مخابرات البحرية الأميركية مبلغ ٧٥ ألف دولار في رصيد حسابي في سويسرا توجهت الى المطار متجهاً إلى مدينة لارنكا في قبرص كما فعلت ثلاث مرات من قبل بناء على طلب المخابرات الأميركية. كان بانتظاري خارج قاعة المطار الكابتن «بيل لندين» وهو أيضاً من ضباط القوات الأميركية الخاصة وكنت قد تعاونت معه في فيتنام أيضاً. رحب بي ثم انتقلنا إلى ساحة جانبية من مطار لارنكا مخصصة للجيش الأميركي حيث ركبنا طوافة نقلتنا الى الشاطئ الأخضر المخصص للقوات الأميركية في بيروت ومن هناك ركبنا سيارة لبنانية مدنية تعمَّد الكابتن « بيل » السرعة أحياناً والابطاء حيناً آخر للتأكد من عدم الملاحقة حتى وصلنا إلى بناء آمن في بيروت للتاجر اللبناني ابراهيم حسين زنتوت. وابراهيم هذا له باع طويل في حقل التعاون مع المخابرات الاجنبية وتجارة ونقل الأسلحة والمتفجرات وحتى المخدرات وكان مع جماعته قد قام بمسح دقيق للمنطقة المحددة لعمليتنا المرتقبة.

بعد تناول الطعام والمقبلات اللبنانية المشهورة وصل « توم » وآخرون من القوات الخاصة لبحث الخطة التي أوكل إليّ وضعها وقيادة تنفيذها.

ولم يكن من الصعب على الآخرين القبول بقيادتي للعملية لأنهم كانوا من الجنود الذين دربتهم على المهمات الخاصة في أحد المعسكرات في الولايات المتحدة سابقاً.

أما الخطة التي طلب إليّ وضعها فلم تكن سوى الوصول لمركز قيادة عمليات الحزب التقدمي الاشتراكي لاختطاف الضابط السوري الذي يتولى « التنسيق » بين الجيش العربي السوري وهذا الحزب. وقد علمت أن هذا الضابط السوري هو من ضباط المخابرات السورية وله باع طويل في عالم حرب المدن وخبير في مكافحة الارهاب. ويعتقد رجال المخابرات الأميركية بأن الضابط السوري الذي هو برتبة (ميجر — رائد) قد أرسل إلى بيروت للاشتراك مع قوات الحزب الاشتراكي بالحاق أضرار بالغة بقوات البحرية الأميركية التي كانت متواجدة في حينه قبالة الساحل اللبناني.

لذلك كان القرار باختطاف هذا الضابط السوري لانتزاع ما عنده من معلومات. وكان من جملة اختصاصاتي التخريبية « الاغارة » على المواقع المسلحة وهي العملية الأحب الى نفسي وعندي في هذا المجال تاريخ معروف ابتداء من فيتنام ومروراً بموزمبيق وايرلندا الشمالية وايران وغيرها، ونظراً لأهمية وحساسية العملية المرتقبة حصر الموضوع بين الميجر « توم » وواشنطون مباشرة « دون علم القيادة العسكرية للقوات الأميركية في لبنان » وعلى كل حال لا واشنطون ولا القوات البحرية في لبنان لديهم فكرة واضحة عن أسباب التواجد العسكري في المياه والأراضي اللبنانية. ومجمل نشاطهم كان يتوخى الوساطة بين الأطراف المعينة مع بقائهم مخلصين لاسرائيل وقائمين بتعهداتهم ليهود أميركا. وهذا الموضوع، أي الصراع العربي الاسرائيلي كان يشغل حيزاً كبيراً من الحديث بين مضيفي ابراهيم حسين وبيني وغالباً ما كنّا ندين معاً

« السياسة الأميركية الواضحة بانحيازها لاسرائيل » بالرغم من أن كلينا يعمل لأميركا ويقبض منها.

بعد أن شرح « توم أودال » موضوع الغارة وقدم المعلومات اللازمة التي جمعوها عن المبنى المستهدف والعدد التقريبي للذين يشغلون طوابقه الأربعة وجدت أن المهمة هذه المرة صعبة وخطيرة خاصة لأن الميجر « توم » « يصرّ » على تسليمه الميجر أي الرائد السوري « حياً ». وحيال اصراره على القيام بهذه المهمة وعدته بأني سأبذل جهدي ولكني استغليت صعوبة هذه العملية فطلبت منه « مضاعفة » الأجر المعتاد من ٧٥ ألف دولار الى ١٥٠ ألف دولار، وهكذا كان.

المرتزق البريطاني يتذكر

○ بعد أن انفض الاجتماع الذي تمّ فيه الاتفاق على كافة التفاصيل عادت لي الذكرى عن مهمة أخرى كنت قد قمت بها لمصلحة المخابرات الأميركية في منطقة الشوف ولم تستغرق تلك المهمة أكثر من البقاء يوماً واحداً في لبنان توجهت فيه بصحبة أميركي متخصص باستعمال أجهزة أشعة الليزر الى مبنى متهدم وفارغ من السكان يقع قريباً من المبنى « المستهدف ».

من هذا المبنى القديم، وجهنا أشعة الليزر « على الهدف » بعد أن تلقينا المعلومات للقيام بذلك، وفي الوقت المحدد لنا وإذا بالقذائف تتساقط من الطائرات الاسرائيلية بعد ثوان لتحوّل المبنى الذي كان بالأصل « مربض لمدفعية الحزب التقدمي الاشتراكي » إلى ركام. وسلاح الليزر هذا هو كناية عن جاذب للقنابل إلى هدف معيّن توجه له بالكمبيوتر. وعمليتنا هذه تمت بعد أن تمّ تحديد الموقع لنا من قبل لبنانيين وتوجيه الليزر من قبل مرتزق بريطاني هو أنا (أي كاتب القصة الأصلية التي ترجمناها) ومن ثم نسف المبنى من قبل الطائرات الاسرائيلية والتمويل أميركي في جميع هذه المراحل. وفي السابق قمت بعمليتين في بيروت وانتحلت في الأولى صفة سائق سيارة اسعاف للصليب الأحمر، وفي الثاني صفة صحافي، ولكن هذه المرة توجهت الى المنطقة

المحددة بمفردي كما فعل كل واحد من أفراد فريقي وقد لبسنا لباساً عادياً لا يلفت النظر، وحمل كل واحد حقيبة يد فيها عدة العمل من أسلحة ومتفجرات وأجهزة توقيت وذخيرة اضافية للأسلحة. ومع حلول الظلام كنا نحن الخمسة قد وصلنا إلى البناء المتهدم الذي حدده لنا « ابراهيم حسين » بمحاذاة مبنى الحزب الاشتراكي المفترض وجود الميجر السوري به. أمضينا ليلة الوصول وطوال اليوم التالي قابعين بين الأنقاض نتبادل مراقبة الحركة في البناء المقصود ونحضر أسلحتنا المكونة من مدي « بالعربي خناجر » ورشاشات خفيفة ومسدسات وجميع الأسلحة مزوّدة بكاتم للصوت. جهزنا أنفسنا للدخول الى مبنى الحزب الاشتراكي من الأعلى وذلك باستعمال حبل نايلون أسود في رأسه مرساة مربعة ومصنوعة من نوع معيّن من الألمنيوم، وبعد غياب شمس اليوم التالي تأكد لدينا أن الميجر المقصود قد دخل الى البناية التي يخف الخروج منها والدخول اليها كلما تقدم الليل وحسب تقديراتنا ومشاهداتنا أن كبار أعضاء الحزب سيكونون في الطوابق العليا.

خلا الشارع من المارة والأنوار خافتة بطبيعتها نظراً لكثرة الأعطال الكهربائية الناتجة عن القصف المتبادل، حتى القمر كان غائباً تلك الليلة. رمينا المرساة في الوقت المناسب فعلقت منذ الرمية الأولى بحافة ركن حديدي فوق سطح البناء (كما نشاهد في الأفلام السينمائية) وصعدنا الواحد بعد الآخر الى سطح البناء، وبعد أن تبعني الجميع نزلنا الدرج وفق خطة موضوعة سابقاً وسرنا بصمت أخف من الهمس فوجدنا غرفتين في الطابق العلوي بابهما موصدان. وبعد تحر سريع استنتجنا من « رائحة النوم » ومن صوت الشخير بأن من فيهما نائمين. نزلنا بحذر شديد للدور الثالث ولدينا معلومات لبنانية تؤكد بأنه الطابق الأساسي في البناية. وبمجرد وصولنا إليه اقتنعنا بصحة المعلومات خاصة بعد سماع أصوات وانبعاث رائحة السجائر. اخبرنا المرافق الذي يفهم اللغة العربية بأنه

تمكن من تمييز ثلاثة أصوات مختلفة في الغرفة ليس فيهم صوت سوري. وباعتبار أن وجود الثلاثة في الغرفة الأولى يشكل خطراً علينا لدى اقتحام الغرفة الثانية فقد طلبت من « بيل بكلين » أن يتدبر أمر من فيها على أن نتوجه نحو الغرفة الثانية الموصدة. قرع « بكلين » قرعاً خفيفاً على الباب المفتوح جزئياً، وعندما خرج أحدهم لفتحه كلياً بادره بطلقة من مسدسه الكاتم للصوت في صدره أردته قتيلا ثم أطلق باتجاه الآخرين الذين صحوا من نومهم فأودى بحياتهم وأقفل باب الغرفة على من أطلق عليهم النار ثم انضم إلينا لاقتحام الغرفة الثانية. وحيث اننا لا نعرف عدد من فيها فقد انتظرنا قليلاً لعله يخرج أحدهم فيكون بذلك قد فتح لنا الباب من جهة ووضع نفسه تحت تصرفنا من جهة أخرى، وفعلاً لم يمض وقت قصير حتى خرج اثنان من الغرفة تدبرنا أمرهما بالمدي (الخناجر) وعندما خرج الثالث وبيده رشاش كلاشنكوف أطلقنا عليه النار فسقط حالاً واقتحمنا الغرفة مع توزيع مسبق للأدوار وبالأخص دور « بكلين » الذي أولكنا إليه أمر الميجر السوري وحمايته تمهيداً لخطفه. أطلقنا النار جماعياً على ستة أشخاص بقوافي الغرفة واحتجزنا السابع الذي اعتقدنا أنه الميجر السوري.

وبعد تقييم للموقف وتفكير سريع وعلى ضوء ما سمعنا من أصوات في الطابق الثاني « تحتنا » فقد وجدنا أنه من المستحيل الانسحاب مع المخطوف عبر الحبل المنصوب في الهواء. جمعنا ما على الطاولة من خرائط ومستندات ثم أرسلت اثنين عبر الدرج لزرع المتفجرات على السطح ثم نزلنا الدرج للطابق الثاني فسمعنا صوت اثنين يتحدثان ويدخّنان السجائر. وخلال ثوان كان الاثنان في عداد الأموات. خرجنا من مبنى الحزب الاشتراكي مسرعين الى حيث كنا قابعين بين الأنقاض في البناء المقابل وانتظرنا التوقيت الذي أعطي للمتفجرات المزروعة على السطح ومع دويّ الانفجار عمّت الفوضى وبدأ اطلاق الرصاص عشوائياً

وسمعنا عبارات « تدلّ » على أنهم اعتقدوا أن انفجار السطح قنبلة اطلقت من معسكر الكتائب في بيروت الشرقية. وكان همّ المتواجدين من اللبنانيين الوصول إلى الملجأ مما سهل علينا عملية الانسحاب مع هذه الفوضى. أما لو عرفوا بأن المسألة مسألة تفجير لا قصف، فقد كان من المقدر لانسحابنا أن يكون محفوفاً بالكثير من المخاطر. اذاً تمَّ انسحابنا واحداً واحداً مع فواصل زمنية قصيرة وبعد أن التقينا في المكان المقرر سابقاً والذي يبعد حوالي ٥٠٠ مترٍ عن مركز الحزب الاشتراكي ومن هناك قمنا بتفجير المكان الذي استعملناه مخبأ لنا بعد أن زرعنا فيه مواد شديدة الانفجار مما أحدث انهياراً كاملاً للمبنى بواسطة جهاز إرسال معنا. بعدئذٍ مسحنا اللون الأسود من على وجوهنا وتوجهنا إلى صيدلية في بيروت لها مستودع وغرفة نوم ملحقة بها كانت المخابرات الأميركية قد استأجرتها سابقاً وجعلتها واجهة لعملياتها وملجأ لعملائها ومنهم نحن. وبعد الراحة والاستحمام بالمياه الساخنة والراحة والطعام أخذت بسيارة لبنانية خاصة للشاطئ الأخضر ومنه إلى قبرص بطائرة مروحية فأوروبا، وبعد حوالي شهر من هذه العملية استدعيت مرة أخرى الى لبنان للقيام بعملية جديدة استهدفت هذه المرة مراكز مرابض مدفعية الحزب الاشتراكي في الجبال كان من نتيجتها تدمير سبعة مرابض سبق أن ألحقت اضراراً كبيرة بقوات البحرية الأميركية في بيروت قبل هروبها.[1]

---

(١) لم يتعرض المرتزق البريطاني « جيل ريفرز » في قصته هذه عن رد فعل مخابرات البحرية الأميركية في العملية السابقة عندما سلمهم شخصاً من جماعة الحزب الاشتراكي على أنه هو الميجر السوري المطلوب لهم والذي قبض لذلك ١٥٠ ألف دولار. بينما الميجر السوري يتابع عمله الوطني حتى الآن.

الاعتراف ان اسرائيل هي رأس الأفعى دائماً

○ نظراً لكثرة ترددي إلى لبنان واطلاعي على عدة جوانب من مشكلته لم أفاجأ عندما أخبرني صديق لي في لندن وهو من العريقين في عالم المخابرات، بأن معظم الأذى الذي ألحقه اللبنانيون بقوات البحرية الأميركية وقتلهم المارينز بالجملة يعود لرغبة اسرائيل بالذات باخراج الأميركيين من لبنان « ليخلو لها الجوّ » لتنفيذ الجزء اللاحق من سياستها وهذا ما جرى بعد ذلك أي ما فعلته اسرائيل لاحقاً في لبنان.

بعض أعمال المرتزق البريطاني « جيل ريفرز » لمختلف المخابرات

○ ومن البديهي أن ما أقوم به من نشاطات لصالح مختلف المخابرات كمرتزق يزيد من أعدائي الراغبين بإرسالي الى العالم الآخر وأولهم مخابرات الحزب التقدمي الاشتراكي اللبناني. لكنه من غير الطبيعي أن تجري محاولتان خلال بضعة أسابيع وبسبب مهمة واحدة كنت أقوم بها، هذه المهمة كانت تتعلق بصفقة طائرات الميراج الفرنسية للحكومة المصرية عام ١٩٧٥ حيث غادر الرئيس أنور السادات باريس الى القاهرة معلناً أنه حقق نجاحاً بيناً خلال زيارته لباريس في حينه التي أسفرت عن التوصل لاتفاق مع الحكومة الفرنسية لبيع مصر طائرات ميراج وأسلحة أخرى متطورة. وقال السادات في مؤتمر صحفي بأنه لن يبحث التفاصيل لأنها سرّ من الأسرار العسكرية وكل ما بامكانه قوله هو أن الصفقة قيمتها ٢٣٢٠ مليون من الدولارات سيتم دفعها « من » دول الخليج اسهاماً منها بالمجهود الحربي لمساعدة مصر « قبل كامب ديفيد ».

وقد تجنب الرئيسان « السادات وديستان » الخوض في تفاصيل هذه

الصفقة التي قصد منها تعويض ما خسرته مصر من أسلحة ومعدات في حرب ١٩٧٣ التي رفض الاتحاد السوفياتي تعويضها عنها، ومن جهة أخرى كما علمت من وراء الكواليس أن فرنسا قصدت من وراء هذه الصفقة أن تعود للعب دور حيوي في الشرق الأوسط. وقد دعيت لمقابلة تاجر خليجي في فندق « هيلتون لندن » وقد تمت المقابلة بواسطة صديقي البريطاني المهندس « روبرت همسورت » الذي علمت أنَّ له أعمالاً مع هذا التاجر ومع بلده الخليجي .وبعد الترحيب العربي المميز دخل هذا التاجر في الموضوع مباشرة بسؤاله عما اذا كنت مستعداً لنقل مستندات ومعدات تتعلق بالتدريب على استعمال وقيادة طائرات الميراج من باريس إلى القاهرة. والحقيقة أني فوجئت بهذا الطلب وقدرت أن هذا التاجر الخليجي ما هو إلا ضابط كبير من ضباط المخابرات العربية الخليجية وأعترف أني أعجبت بهذا المستوى الجيد للمخابرات العربية



الرئيس فاليري ديستان وافق على تزويد مصر بأسلحة متطورة « بأموال خليجية ».



الرئيس أنور السادات سمح لفرنسا بالعودة إلى الشرق الأوسط.

الخليجية. وطريقة عملها. وبعد هذا التحليل ببضعة ثوان تمكنت من الاحاطة بالموضوع من مختلف جوانبه ولابعاد الشبهة ما أمكن طلب هذا التاجر من صديقي المهندس « همسورت » الاستعانة بشخص حيادي « للقيام بهذه المهمة السرية » وكنت أنا. ومن جهة ثانية وبصفتي طياراً قديماً في سلاح الجو الملكي البريطاني ومدرباً على الطيران الحربي والمدني فقد كان علي أن أحيط بكافة تفاصيل التدريب التي سأحصل عليها من طياري الاختبار في شركة « داسو » التي تنتج طائرات الميراج. وبعد الحصول على التعليمات المتعلقة بالتدريبات نقلت ما يجب نقله الى القاهرة لأني سوف أتولى شرح كل ذلك لطياري الميراج المصريين لزيادة خبرتهم.

مواجهة المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » في فرنسا

○ مهمتي الجديدة هذه تختلف عما اعتدت عليه من مغامرات واقتحامات واغارات ولكنها بنفس الوقت محاطة بأخطار متعددة الجوانب لأنها تدخل ضمن لعبة دولية متشابكة. وقد كان عليّ بنفس الوقت أن أفكر بالمخابرات السوفياتية التي يهمها موضوع استعمال الميراج كطائرة « بديل » لطائرات الميغ التي كانت تزوّد بها مصر. أما الولايات المتحدة فهي أيضاً تنظر للميراج كمنافسة قوية لما تنتجه من طائرات، هذا فضلاً عن معارضتها لكل صفقة أسلحة متطورة للدول العربية وخاصة المواجهة لاسرائيل، وهنا كان عليَّ أن أنتظر تعاون المخابرات الأميركية مع المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » ومع يهود فرنسا وبعض الفرنسيين المتعاطفين مع اسرائيل. هذا فيما يتعلق بالقوى غير الفرنسية. وعند تحليل الوضع الفرنسي وجدت أن شركة

« داسو » المنتجة لطائرات الميراج تتمتع بقوة سياسية عظيمة تتحالف مع الديغوليين وسائر المعسكر اليميني، ولكن ذلك لا يؤدي بالضرورة لتزويد العرب بأسلحة « تهدد أمن اسرائيل » خاصة وأنَّ لاسرائيل أنصاراً في كافة القطاعات الفرنسية وعلى مختلف المستويات. ومنذ حرب السويس عام ١٩٥٦ ومعركة الجزائر حتى حصول الجزائر على استقلالها نتيجة تضحية وإصرار مجاهديها وهم من الأهل، نشأت بين المخابرات الاسرائيلية العسكرية « الموساد » والأجهزة الفرنسية علاقات وثيقة بمعزل في بعض نواحيها عن السياسة الفرنسية المتعلقة بمناطق الشرق الأوسط. ونظراً لطبيعة عملي أعرف تماماً مدى تغلغل المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » في صفوف المخابرات الفرنسية « أس. د. آي. سي. » وحتى الأمن العام الفرنسي. وهكذا بدا لي الوضع عشية قبولي هذه المهمة، لذلك منذ البداية كانت عيناي تحاولان النظر في اتجاهات أربعة بنفس الوقت من حولي.

○ بعد هذه الاستنتاجات الاستخبارية وقبل أن أعطي جواباً قاطعاً للتاجر الخليجي « الضابط » توجهت الى القاهرة لدراسة الموضوع على الطبيعة وقد أحطت كافة تحركاتي واتصالاتي بسرية تامة. وكان المسؤول عن مهمتي في القاهرة الكولونيل « العقيد خالد المسوتي » الذي فهمت فيما بعد أنه من الضباط المقربين من الرئيس السادات ويثق به ثقة مطلقة ويسند إليه مهمات خاصة حتى بعد أن تقاعد من الجيش « المخابرات ».وبعد أن تحريت عنه بنفسي وبوسائلي الخاصة علمت بأنه كان ضابطاً في المخابرات المصرية وهو شديد المراس يميل للتعذيب (هذه الصفة وهي التعذيب يجب أن تختفي من أعمال المخابرات، ويحل محلها التحقيق العادل وبالطرق النفسية الحديثة ووجود الأدلة الصادقة بحق أي متهم سواء أمام المخابرات أو المباحث الجنائية أو قوى الأمن ونكران المتهم لكونه سيىء الخلق أو صاحب سوابق يسمح لهذه

السلطات باستعمال التهديد ثم بعض الضرب العادي « وليس التعذيب » كما تستعمل المخابرات الاسرائيلية الكهرباء والوسائل الوحشية لدرجة تسليط الموجات الكهربائية على الأعضاء التناسلية للمجاهدين الفلسطينيين)[1].ونستمر في عرض قصة المرتزق البريطاني في تعامله مع المخابرات المصرية التي يرويها بنفسه فيتابع قوله : كان العقيد المصري « خالد » يستطيب نصب الفخاخ وتخطيط المؤامرات، وبعد تقاعده « تكرم » عليه صديقه القديم في الجيش « أنور السادات » فأمر وزارة الاقتصاد بمنحه رخصة لشركة استيراد سيارات مما جعله يصبح بعد بضعة سنين في مصاف أصحاب الملايين.

○ تمّ الاتفاق بيني وبين العقيد خالد على أن أشحن المعدات من فرنسا إلى لندن قسم الترانزيت ثم أنقلها للقاهرة من هناك على اعتبار أنها أدوات مكتبية، ومن مصر عدت الى لندن للاتفاق النهائي مع التاجر الذي وضع في حسابي المبلغ المعروف وهو ٧٥ ألف دولار. وبعد اسبوعين ذهبت الى فرنسا وتوجهت الى « ايستر » وهو مركز تدريب واختبار لطائرات وطياري الميراج.ويقع هذا المركز قرب بحيرة إلى الشرق من مرسيليا، لقيت في المركز ترحيباً حاراً وأفرد لي سكن مريح وأعطيت مدرباً متمرساً يدعى « ألن ديسار » يتحلى بشجاعة فائقة. سارت الأمور التدريبية في الجو وعلى الأرض سيراً حسناً، ولكن شيئاً فشيئاً نما عندي إحساس داخلي تزايد مع الأيام وهو أن وراء الأكمة ما وراءها. وفي جملة ما اكتشفته كان احساس بعض المسؤولين في مركز التدريب والاختبار بعدم الرضى عن بيع أسلحة متطورة لمصر، كما وأنه بدأ

---

(١) هذه الاضافة عن التعذيب وضعتها ضمن قصة العميل البريطاني جيل ريفرز للتنويه عن كرهي للتعذيب في جميع أنحاء العالم ودعوتي لاحترام الموقوفين حتى بعد أن تثبت ادانتهم لأن القضاء وحده هو صاحب الكلمة والحكم.

الهمس حول امكانية قيام اتحاد عمال الطيران باضراب احتجاجاً على الصفقة، ولكن كل ذلك كان لا يزال وقفاً على الاحساس والتخمين والاشاعة، إلى أن أخبرني بعض أصدقائي ورفاقي القدامى من المرتزقة في مرسيليا بأنني في خطر فعلي « بسبب مساعدتي لمصر ».ومما زاد في دهشتي واضطرابي معرفة عدد كبير من الناس حولي بتحركاتي ورحلتي الى القاهرة مع أنني كنت أعتقد بأنها في غاية السرية، لم أعلق على ملاحظات الرفاق القدامى الذين اجتمعت بهم في مرسيليا حتى تدخل « بويسون » الصديق الذي أثق به ليتنحى بي جانباً ويخبرني بأن المخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » يحصون عليّ أنفاسي حتى أنهم يعلمون أني في هذه الحانة بالذات أي مكان الحديث مع « بويسون ». ثم نصحني بأن أكون في غاية الحرص لأنهم ينوون لي شراً. وبعد عودتي لمركز التدريب اتصل بي أحد أصدقائي السويسريين الذي تربطني بهم علاقات مالية تجارية قائلا : إن أحد اليهود السويسريين المتنفذين والذين لهم علاقة بالمخابرات الاسرائيلية كعميل كان يبحث عن مصدر تحويل المبلغ الذي تلقيته مؤخراً، لم أهتم بمعرفة المصدر من قبل المخابرات الاسرائيلية لأن البنوك السويسرية لا تتساهل في هذا الموضوع ولكن ما أقلقني كان مقدار الجدية التي أعطتها « الموساد » لهذه المهمة.

○ فكرت ملياً في موضوع الاهتمام الاسرائيلي لأصل الى نتيجة تقول بأن في الصفقة أموراً لا أعرفها ولا بدّ لي من الاطلاع عليها قبل أن أستمر في متابعة المهمة، اتصلت بصديقي « روبرت همسورت » وطلبت منه تدبير لقاء مع التاجر « الضابط » الخليجي الذي قال له عندما لقيته بأنني سأنسحب اذا لم يطلعني على كافة التفاصيل حتى أتمكن من تقدير الأخطار وأتحسب لها. وبعد ثلاثة اجتماعات في يوم واحد مع التاجر الضابط وقيامي بمناورات متنوعة كشف لي الأوراق قائلاً : إن اسرائيل

تخشى هذه الصفقة بشكل خاص لأنه خلافاً لما أذيع بشأن تسليم الطائرات بعد عدة شهور لمصر، فقد علم أن دول خليجية ستشتري لمصر طائرات الميراج الموجودة في ليبيا بأسعار عالية. لذلك لن يمضي وقت طويل حتى تكون الطائرات في المطارات الحربية المصرية. لهذا فإن الجهود الاسرائيلية منصبّة على عرقلة التدريب حتى لا تستعمل مصر هذه الطائرات إذا ما فشلت الجهود التي يبذلها كسينجر « وزير الخارجية الأميركية » في حينه للتوصل لتسوية ولو مؤقتة في المنطقة، لذلك أصبحت أنا المرتزق البريطاني عنصراً حساساً في هذا الموضوع العالمي المتشابك.

○ عدت من لندن باتفاق مالي جديد يتناسب مع الخطورة التي اكتشفتها ذهنياً وبعد اسبوع واحد اكتشفتها عملياً، كنت أقوم برحلة ضمن مناورات عملية تتعلق بخطط حلف شمالي الأطلسي في طائرة ميراج ٢٠٠٠ كمساعد للمدرب الطيار « ديسار » حيث كان علينا أن نطلق الصواريخ على أهداف معينة قريبة من « سردينيا » والعملية كانت لاختبار صواريخ « ماترا ٥٢٠ » التي تطلق من أسفل الجناح لتدمير الدبابات. سارت الأمور سيراً طبيعياً حسناً وبقي معنا صاروخ واحد. ضغطنا زر الاطلاق فأعطت الآلة اشارة انجاز الاطلاق. ولكن الصاروخ بقي معلقاً بأسفل الجناح ويمكن أن ينفجر في أية لحظة. حاولنا مراراً وتكراراً بكل الوسائل الممكنة دون جدوى. اتصلنا لاسلكياً بالمركز فنصحونا بمغادرة الطائرة ولكننا لم نفعل وبقينا على اتصال معهم نعطيهم المعلومات علّ الكمبيوتر يتوصل لجواب، وعندما عجز الكمبيوتر عن التوصل لحل قررنا توجيه الطائرة للسقوط فوق البحر بعد أن نغادرها. وفي هذه الأثناء بدأت الطائرة بالاهتزاز العنيف دون أن تشير الآلات الالكترونية أمامنا إلى أيّ خلل مما جعلنا نتأكد بأن الطائرة تعرضت قبل الاقلاع (لعملية تخريب) قصد منها القضاء على حياتي أنا بالذات،

وفجأة سمعنا صوت انفجار في الجناح أدى الى انفصاله عن الطائرة التي أخذت تدور حول نفسها افقياً. وبعد لحيظات انطلق منها الطيار المدرب « ديسار » بالكرسي القاذف وتبعته أنا الذي لم أقفز في حياتي من أية طائرة إلى فوق بالرغم من إجادتي ذلك وتدربي عليه، هبطت في البحر ونفخت الزورق المطاطي وصَفَت الماء حولي. وحضرت النجدة بعد ساعتين استعرضت خلالهما هذه المهمة ووحشية المخابرات الاسرائيلية التي كان يمكن لها بسبب رغبتها في القضاء عليّ أن توقع كارثة مريعة بمركز التدريب لو عدنا الى القاعدة والصاروخ « الحي » لا يزال معلقاً بأسفل الجناح.

تبادل اطلاق النار مع المخابرات الاسرائيلية في القاهرة :

○ عدت إلى القاهرة فأخبرني العقيد خالد أنه تلقى معلومات بأن التحقيق الذي أجرته السلطات الفرنسية أكّد على أن « الموساد » كانوا وراء إسقاط طائرة الميراج ٢٠٠٠ التي كانت تقلني مع زميلي الطيار « ديسار ». لم أفاجأ بهذا الخبر الذي كنت موقناً منه بل متأكداً لكن الذي فاجأني في مصر كانت البلبلة التي لاحظتها بشأن مهمتي والتي لم تكتمل لعدة أسباب: منها السمسرات المفضوحة ودور « عصمت السادات » شقيق الرئيس السادات فيها. ثم كان الخلاف الذي نشب بين ليبيا ومصر مما حرم مصر من وصول طائرات الميراج في الوقت اللازم وحرمني أنا أيضاً من القيام بالتدريب الذي كنت أتطلع إليه بشغف خاصة بعد أن قدّمني قائد سلاح الجوّ المصري حسني مبارك (الذي أصبح رئيساً لمصر فيما بعد) لمجموعة من الطيارين المصريين تبين لي من خلال جلسات قليلة معهم على أنهم على جانب وافر من الذكاء والحماس

والوطنية (هذا الكلام لكاتب القصة قبل كامب ديفيد ـــ المؤلف) وكنت أود أن أرافقهم في الميراج تلك الطائرة المدهشة ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. وكل ما قمت به في القاهرة في الفترة القصيرة التي قضيتها كان تلبية الدعوات للولائم وارتياد الملاهي المشهورة.وكنت خلال اقامتي هذه قد تأكدت حسب خبرتي من وجود شخصين يتتبعان خطواتي ويلاحقاني للاجهاز عليّ وعندما رأيت الظرف مؤآتيا أطلقت النار عليهما بعد أن كانا قد نصبا لي كميناً في زقاق مظلم وقد تحسبت للأمر وأتيتهما من الخلف فتمكنت من قتل أحدهما واعتقال الآخر كما يحدث في الأفلام السينمائية وقد سلمته للمخابرات المصرية التي اكتشفت بأنه يهودي فرنسي مثل زميله الذي قتل وأنهما عميلين للمخابرات الاسرائيلية « فرع باريس » وقد رافقاني من باريس الى لندن ثم الى القاهرة.. وبعد أن تأكدت من عدم جدوى بقائي في مصر أرسلت برقية للتاجر الخليجي لينهي خدماتي لدى المصريين ويخرجني من مصر بالتي هي أحسن.

حضر التاجر الى القاهرة على عجل حسب طلبي ليفاجأ بأن مهمتي قد تعثرت لعدة أسباب أبرزها وأهمها طمع « حاشية الرئيس السادات » التي كانت تتوقع الحصول على عمولة دسمة على طائرات الميراج. ولما لم يصلوا الى مبتغاهم عملوا جهدهم لعرقلة مهمتي التي شاءت المتناقضات أن يكونوا متعاونين مع المخابرات الاسرائيلية من حيث لا يدرون :

ـــ المخابرات الاسرائيلية تآمرت على حياتي في فرنسا ومصر.

ـــ المصريون الذين يعتبرون مسؤولين عن التصدي لاسرائيل « في حينه » تآمروا على اسكاتي وعدم قيامي بمهمتي المخابراتية التي موّلها التاجر الخليجي بأموال من بلاده وبذلك بالهائي بالولائم والنساء.. نعم أعترف بأنهم وضعوا في طريقي أجمل النساء المحترفات ولست

أدري هل كنّ من عناصر المخابرات أم من المتبرعات لتقديم الخدمات الاجتماعية ؟

لكن خبرتي مع النساء وبُعْد نظري ساعداني على كسب واحدة منهن لجهتي حيث كانت لي العون الأكبر على خروجي من مصر سالماً بعد أن وَجَدْتُ فيها مع الأسف من ساعد « الموساد » على محاولة التخلص مني حيث دفع التاجر الخليجي مبلغاً كبيراً اضافياً لتسهيل سفري التسللي حيث اعتبر نفسه مسؤولاً عني وعن سلامتي الشخصية.



رجال الـ (C.I.A) في البلاد العربيّة

○ **هؤلاء هم رجال المخابرات الأميركية المعتمدين في سفارات أميركا لدى الدول العربية وهم عملاء بكل معنى الكلمة للعمالة تحميهم الحصانة الدبلوماسية. وقد اطلعنا على أسمائهم وأوضاعهم من تقرير أعده أحد خبراء المخابرات المعروفين في أوروبا الذين لاحقوا باهتمام هذه المسألة. وقد عرف هذا الخبير الكثير عن دور المخابرات الأميركية ونعتذر عن ذكر اسمه بناء على طلبه مع العلم بأنه استقى معلوماته من خلال علاقات لا نستثني منها المعارف الشخصية. كذلك جمعها من خلال وثائق ممهورة بختم « بالغ السرية » « سري جداً » وهي تتضمّن معلومات عن عملاء المخابرات الأميركية في الجزائر، السودان، الأردن، تونس، مصر، الكويت، المملكة العربية السعودية.**

○ **الجزائر** : إنَّ اهتمام المخابرات الأميركية بالجزائر ملحوظ والرجالات الذين يعملون هناك يحتلون مواقع في غاية الأهمية ويبدو أن المخابرات الأميركية تفيد بصورة جدية من القنوات التي توفرها العلاقات الاقتصادية والتجارية « نفط، غاز طبيعي » مع تلك البلاد.

أبرز العاملين في السفارة الأميركية بالجزائر « تورمان ديسكوتو » موظف كبير ورئيس فرع المخابرات فيها. كان قبل ذلك رئيس فرع المخابرات في كينغستون بجامايكا في أميركا الوسطى. خدم ديسكوتو

تحت ستار « محلل سياسي » في الجيش الأميركي بين ١٩٦٢ — ١٩٦٥ وهناك شغل أول منصب ديبلوماسي بوصفه ملحقاً سياسياً في غويا في القنصلية الأميركية العامة في الأكوادور. نقل عام ١٩٦٧ إلى « بوينس آيرس » عاصمة الأرجنتين ثم أعيد إلى الجيش الأميركي كمحلل سياسي يحمل اسم « ضابط تنسيق البرامج » وذلك في عام ١٩٧٠. عام ١٩٧٣ أعيد إلى غويا مجدداً بوصفه ملحقاً سياسياً. مرّ سريعاً في هيئة الأركان التابعة للمخابرات عام ١٩٧٥ ليصبح بعدها رئيس فرع المخابرات الأميركية في « كينغستون » حيث لعب دوراً رئيسياً في اثارة الاضطرابات ضد حكومة « مايكل مانلي » التي عرفت بعلاقات سيئة مع واشنطون. غادر جامايكا عام ١٩٧٨ (وحل محله للعالم دين ألمي الابن) ومنذ عام ١٩٨٠ و « ديسكوتو » يعمل للمخابرات الأميركية في السفارة الأميركية بالجزائر.

وهناك ضابط مخابرات آخر يعمل في الجزائر اسمه « كلود باتريك كونللي » مواليد ٢٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣، خدم في القنصلية العامة الأميركية في كلكوتا بالهند من عام ١٩٧٢ الى ١٩٧٥ بوصفه ضابطاً مهتماً بالشؤون الاقتصادية ــ التجارية ثم نقل الى السفارة الأميركية في كولومبو بسيري لانكا. ليس معروفاً بالضبط الوقت الذي أمضاه في كولومبو، لكنه نقل للعمل في الجزائر منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠.

○ **السودان:** يبدو أن عمل المخابرات الأميركية في السودان لا يحتل أولوية كبرى. ويبدو أيضاً أن هذا ناتج عن كون التركيز على السودان يحصل من خلال مؤسسات أخرى كالجيش أكثر مما يحصل عبر المخابرات بصورة مباشرة. في كافة الأحوال فإن أبرز رجال المخابرات الأميركية في السودان هو « روبرت ايرفين ماكال » الذي نقل الى السفارة الأميركية في الخرطوم بدءاً من تشرين الأول (اكتوبر)

١٩٧٩. كان ماكال فيها منذ عام ١٩٧٧ في أديس ابابا عاصمة أثيوبيا. أما عمله في الخرطوم فهو رئيس فرع المخابرات الأميركية في السفارة.

○ **تونس**: لا يبدو أن هناك شيئاً خاصاً بالنسبة للتواجد العملياتي للمخابرات الأميركية في تونس ذلك لأن حلول « الجنرال زين العابدين ابن علي » مكان الرئيس « حبيب بورقيبة » الذي كان رئيساً لتونس خلال ثلاثين عاماً ويُتَوَقع بأنه سيكون « رئيساً لها مدى الحياة مثل الجنرال فرانكو والجنرال تيتو ».وبوجود الجنرال « زين العابدين » على رأس الحكم في تونس نعرض بأنه اكتسب الصفات القوية التي مهدت له الوصول للرئاسة وهي :

١ ــ بأنه من الجيش لأنه لمع بسرعة نتيجة انضباطه ويقال أن والد زوجته الجنرال « الكافي » هو أول من حمل رتبة (جنرال) في الجيش التونسي وهو الذي لعب دوراً هاماً في دفع وتلميع صهره الرئيس الحالي لتونس.

٢ــ أجهزة الأمن « المخابرات التونسية ».
في المخابرات التونسية عرف أن بداية نجاحه كانت في اكتساب « فن الأمن » قبل الممارسة.فقد اتبع ثلاث دورات تخصص في المخابرات كان آخرها دورة تأهيل لرئيس مخابرات اتبعها في الولايات المتحدة الأميركية. وكان لا بدّ خلال هذه الدراسات الأمنية من اقامة شبكة علاقات قوية وخاصة مع الجميع لدرجة أنه نجح في ذلك وسمي في تونس (رجل أميركا رقم ١).

٣ــ من السلك الديبلوماسي : فقد عرف بن علي « أسرار » السلك الديبلوماسي وأسرار علاقاته عندما شغل منصب السفير الأول في بودابست والملحق العسكري التونسي في الرباط في عام ١٩٧٤.

٤ــ الهندسة الألكترونية : درس بن علي الهندسة الالكترونية منذ البداية

في المراحل الجامعية وقد اكتسب القدرة على التنظيم والمتابعة والعمل لفترات طويلة.

وأيضاً حين أصبح الجنرال « زين العابدين بن علي » وزيراً للداخلية وضعت بين يديه ملفات وأسرار الشعب التونسي. ثم وبضوء أخضر من الرئيس بورقيبة خرق اللائحة التنفيذية وعيّن عضواً في اللجنة المركزية للحزب الحاكم ثم عضواً في الديوان السياسي حتى استتب الأمر له وقام بانقلابه الأبيض داخل السلطة والحزب بعد أن أقنع رجال الجيش والمخابرات بأنه ما زال معهم ومنهم واليهم. وهكذا نجد أن السفارة الأميركية في تونس تعيش شهر عسل متواصل بعد أن أصبح الرئيس بن علي ــ الحبيب بن علي. وهي ليست بحاجة لاملاء كوادرها بالعملاء فقد اكتفت بضابط مخابرات واحد هو « وليام بايكر كارلتون » خدم بين ١٩٧٣ و١٩٧٥ في الرباط في المغرب وكان يستتر في البداية بصفة موظف في القسم السياسي ثم كملحق سياسي. ولم نجد شيئاً بخصوصه في أرشيف وزارة الخارجية الأميركية للسنوات ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ عندما ظهر في السفارة الأميركية في طهران. نقل ابتداءً من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩ إلى السفارة الأميركية في تونس ليعمل بالظاهر رئيس القسم الاقتصادي فيها.

○ **مصر**: تركيز المخابرات الأميركية كان وما زال واضحاً على مصر والانفاق كان كبيراً دائماً على المخابرات في مصر. ولا فارق كبير بين العمل في ظل نظام « صديق » كنظام أنور السادات وما بعده أو في ظل نظام « معاد » كنظام الرئيس جمال عبد الناصر. وبدأ فرع المخابرات الأميركية في القاهرة برئاسة « مورانا تيربوف » (تظهر نهاية الاسم كالأسماء السوفياتية) ولكنه أميركي ابن أميركي مولود في ٤ شباط (فبراير) ١٩٢١ حيث استلم رئاسة فرع المخابرات عام ١٩٧٩

كانون الأول. سابقاً كان ضابطاً في جهاز مخابرات الجيش الأميركي ١٩٥٢ حتى تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٠، ثم عمل مساعداً للتدريب في « الشركة التعاونية الدولية »، ثم سفيراً في نيودلهي بالهند من تشرين الثاني ١٩٦٠ لغاية آب (أغسطس) ١٩٦١ ثم عمل سكرتيراً أول في سفارة بلاده في أندونيسيا من آب ١٩٦١ لغاية ١٩٦٤. أصبح لاحقاً سكرتيراً أول أيضاً في السفارة الأميركية بالخرطوم عاصمة السودان، حيث ترأس هناك فرع المخابرات من أيار (مايو) ١٩٧٢ إلى شباط (فبراير) ١٩٧٥. انتقل إلى قيادة المخابرات الأميركية من شباط ١٩٧٥ إلى آذار (مارس) ١٩٧٦ ثم أصبح سكرتيراً أول ورئيس فرع مخابرات السفارة الأميركية في نيروبي — كينيا من آذار ١٩٧٦ الى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ حين نقل الى القاهرة.

وحسب آخر لائحة امكن الاطلاع عليها بأسماء الديبلوماسيين الأميركيين في القاهرة فإن مساعد مورانا في جهاز المخابرات بالقاهرة هو « تشارلز أنغهارت » المولود في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ حيث خدم في البداية كمستشار في القنصلية الأميركية في كراتشي من ١٩٧١ إلى ١٩٧٢ ثم عاد الى مقر المخابرات الأميركية. التحق عام ١٩٧٥ بـ« مؤسسة السياسة الخارجية » وعاد فظهر في آب ١٩٧٩ بصفته السكرتير الأول للشؤون السياسية في السفارة الأميركية بالقاهرة حيث يخدم تحت أمرة مورانا. كذلك يعمل بالقاهرة « ماتي ليو هوارو » المولد في المانيا بتاريخ ١١ أيار (مايو) ١٩٤٥ ثم حاز على الجنسية الأميركية عام ١٩٦٢.

المعلومات عن ماتي تقول أنه أمضى سنتين في الجيش بين ١٩٧٠ و١٩٧٢، ثم انتقل لسنتين إلى أحد الأجهزة العسكرية كمحلل للمعلومات وهو منصب يخدم في العادة المخابرات الأميركية تحت ستار

من أجل تمويه تدريب الضباط العاملين. انتقل « ليو هوارو » عام ١٩٧٣ إلى « مؤسسة السياسة الخارجية » ليتدرب على تعلم اللغة العربية ولينتقل بعد ذلك إلى سفارة بيروت في عام ١٩٧٥ ثم انتقل إلى السفارة الأميركية في دولة الكويت كمستشار سياسي لغاية آب (أغسطس) ١٩٨٠ حيث نقل إلى القاهرة كسكرتير ثاني للشؤون السياسية.

أيضاً بين الأسماء الهامة في سفارة القاهرة « جون جيوفري اوكونيل » وهو مولود في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ضابط عامل في السفارة الأميركية بالقاهرة منذ آذار (أغسطس) ١٩٧٧ وكان محللاً في مخابرات الجيش الأميركي عاميّ ١٩٧١ ــ ١٩٧٢. أنجز دراسته اللغوية « باللغة العربية » في واشنطون وعمل في بيروت كملحق « لمؤسسة الخدمات الخارجية » من أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ إلى نيسان (ابريل) ١٩٧٥ وفي بيروت عمل كمستشار تجاري ــ اقتصادي بين نيسان ١٩٧٥ حتى آذار ١٩٧٧ ليصبح بعدها سكرتيراً ثالثاً للشؤون الاقتصادية في سفارة القاهرة. وهناك أيضاً « وولتر كروتزر » مولود في ٦ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٢ ضابط عامل في القاهرة، ومستشار في مكتب الأمن في سفارة الفيليبين من تشرين أول ١٩٦٥ الى تموز ١٩٦٨ ثم في فيتنام من آب ١٩٦٨ إلى كانون ثاني ١٩٦٩. وهناك كذلك « رونالد دويل » وهو ضابط عامل في قنصلية الاسكندرية. عمل سابقاً في دولة زائير وفي سوريا، و« هانس مانز » مواليد ٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٢ ضابط عامل أيضاً في قنصلية الاسكندرية كان بين ١٩٦٦ و١٩٧٥ مستشاراً في سفارة فيتنام.

○ **الكويت**: لا نذيع سراً إذا قلنا أن دولة الكويت هي ساحة فسيحة لعمل المخابرات الأميركية في منطقة الخليج والمركز الثاني لعمل المخابرات الأميركية هو دولة البحرين حيث يوجد فيها مجال عمل

مماثل أو مكمل رغم أن سياسة الكويت هي سياسة واضحة وسليمة.وقد أتاحت هذه الدولة منذ الستينات الفرصة لآلاف العمال العرب الذين عاد معظمهم إلى بلدانهم وهم يلهجون بالثناء على الكويت وشعبها الكريم (المؤلف).

رئيس فرع المخابرات الأميركية في سفارة الكويت هو « جيمس فرنالد » أحد كبار خبراء المخابرات الأميركية لشؤون الشرق الأوسط، وأحد أبرز قادة المخابرات الأميركية ورجالها العاملين على نطاق دولي. ولد فرنالد في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٣١ في نيوجرسي، وخدم في بيروت (لبنان) وتعز (اليمن) وعمان (الأردن) وكذلك في فترة لاحقة في السعودية وأبو ظبي كل هذا قبل أن يجري تعيينه عام ١٩٧٨ في الكويت.وتقول اللائحة الخاصة بأسماء الديبلوماسيين الأميركيين أن فرنالد يشغل في الكويت منصب السكرتير الأول للسفارة، ولكن المعروف عنه أنه لا يحب البقاء (ولا يبقى) في منصبه أكثر من سنتين، لذلك يمكن اعتباره منقولاً من الكويت في هذه الأيام ومن الممكن حين صدور لائحة دبلوماسيين جديدة التأكد من تجديد سنين عمله في الكويت.

○ **السعودية:** عرف بأن رئيس فرع المخابرات في المملكة العربية السعودية هو « جاكسون سيفلر » الذي تسلم منصبه من شهر ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٨ كسكرتير أول ومستشاري واقتصادي وقد ورد اسمه على اللائحة الدبلوماسية السرية الموضوعة في كانون الثاني (١٩٨٢). ومساعد « سيفلر » في فرع المخابرات بالسعودية هو « تشارلز واترمان » المولود في ١٦ شباط (فبراير) ١٩٣٨ وهو من ماساشوستس. تخرج من جامعة « جون هوبكنز » مدرسة الدراسات الدولية العليا عام ١٩٦٣ وانتقل للعمل كمساعد في « لجنة البحث »

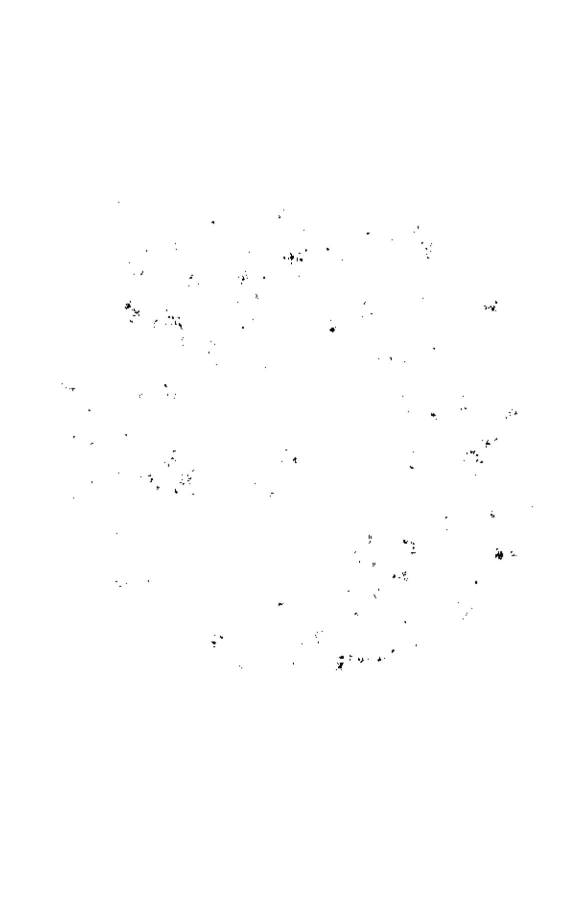
الخاصة وهي تغطية غير دبلوماسية لعمله الفعلي، وقد أمضى فيها سنة كاملة، ليبدأ بعد ذلك اعماله الفعلية في عام ١٩٦٤ كضابط مخابرات تحت ستار دبلوماسي.سبق له أن خدم في القاهرة وبيروت وعمان ثم عاد الى بيروت قبل أن ينتقل الى جدة في تموز (يوليو) ١٩٧٩.

○ **الأردن:** بلغت المخابرات الأميركية ذروة عملها ونشاطها في الأردن ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٢ هذه الفترة التي يصح وصفها بالتأسيسية والتي سمحت بتوفير عمل مستقر وناضج للمخابرات الأميركية في عمان/الأردن. وبعد ذلك عيّن توماس ألبن توتين (مواليد ٣١ آذار ــ مارس ١٩٣٥) سبق أن عمل مرتين محللاً في مخابرات الجيش الأميركي من عام ١٩٦١ إلى ١٩٦٢ كذلك عمل ملحقاً ومستشاراً سياسياً في السفارة الأميركية بلاغوس من ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ بعد ذلك نقل إلى ليبيا ليكون مستشاراً سياسياً في « مكتب ليبيا » في بنغازي بين نيسان ١٩٦٦ وأيار ١٩٦٨ ليعود بعد ذلك إلى مقر قيادة المخابرات الأميركية من أيار ١٩٦٨ إلى نيسان ١٩٧٠. وقد أصبح بعد ذلك السكرتير الثاني في سفارة أكرا والمستشار السياسي هناك بين ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ ثم عاد إلى قيادة المخابرات من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٦ ليصبح بعدها السكرتير الأول ورئيس المخابرات في سفارة نيودلهي من آب (أغسطس) ١٩٧٦ إلى تموز ١٩٧٩. وفضلا عن توتين هناك اسمان آخران مهمان في عمان :

١ ــ رالف هيوغز ــ مساعد رئيس فرع المخابرات هناك منذ حزيران ١٩٧٨. كان ضابط البرامج في الطيران من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٣ وبعد ذلك عمل في السفارة الأميركية في بيروت من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٥ وفي السنة المذكورة انتقل إلى قيادة المخابرات الأميركية ومن هناك نقل للاردن.

٢ ــ دونالد تشارلز ماكلفرنغ ــ الضابط الأعلى للاتصالات في السفارة بعمان منذ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ سبق أن عمل في مونتيفيديو بين ١٩٧٥ و١٩٧٧ وفي أثينا بين ١٩٧٧ و١٩٧٩ ثم انتقل الى عمّان.





جواسيس المخابرات الأميركية في ألمانيا الغربية واليونان

○ تاريخ المخابرات الأميركية ملطخ بالجرائم التي ارتكبتها داخل المانيا الغربية فهي لا تبسط هيمنتها ونفوذها على أجهزة مخابرات المانيا الغربية فحسب وانما تقوم بالكثير من العمليات الموجهة ضد الحركات السياسية الالمانية نفسها، والأمر الجديد الذي ظهر إلى العلن وأخذ يثير غضب الكثيرين من الالمان هو الدور الذي تلعبه المخابرات الأميركية الآن في برلين الغربية.

○ سيطرت المخابرات الأميركية بعد دعاوي الارهاب التي لفقتها بصورة تكاد تكون كاملة على أجهزة الشرطة والمخابرات، فهي بحكم كونها مسيطرة على القوة العسكرية في المانيا الغربية. وبرلين الغربية تلاحق من مدة المواطنين العرب وتعتقلهم وتوقف حتى الدبلوماسيين العرب والأفارقة وتحقق معهم ومن ثم تعيدهم الى الطرف الشرقي من مدينة برلين، منتهكة بذلك القوانين والأعراف الخاصة بهذه المدينة. وقد علمنا أن هذه الأجهزة الارهابية أوقفت خلال العام الماضي ١٩٨٧ عشرات الدبلوماسيين والصحافيين ومئات المواطنين العرب وحققت معهم أو لاحقتهم بالسيارات ورصدت كل تحركاتهم. دبلوماسيون عرب

وأفارقة أشهرت في وجوههم المسدسات وأرغموا على رفع أيديهم الى الأعلى على الطريقة الأميركية السينمائية أو كالأسرى. مدنيون مسلحون في سيارات مدنية هاجموا مواطنين عرب وقيدوهم وبعد أن سرقوا أوراقهم الخاصة أولاً وأموالهم ثانياً لاذوا بالفرار. ومهما تكون هوية القائمين بهذه الأعمال فإن المخابرات الأميركية وراءهم وتنظمهم سواء بصورة رسمية أو غير رسمية فهي في المانيا الغربية وبرلين الغربية بالذات تعتبر نفسها في بيتها بسبب الامتيازات الاستثنائية التي تمكنها من تنظيم مؤامراتها ضد الجميع :

البلدان الاشتراكية والحركات التقدمية الالمانية والمؤسسات العربية هي التي تواجه المخططات الأميركية. على أي حال فإن الامتيازات التي تمتلكها المخابرات الأميركية ليست مجرد امتيازات قائمة على التعاون الوثيق مع مخابرات المانيا الغربية وانما مرتبطة باتفاقيات باريس التي تسمى بـ« اتفاقيات القوات » مع الولايات المتحدة والتي تمت المصادقة عليها في عام ١٩٥٥ وأدت إلى الحدّ من سيادة المانيا الغربية. فاتفاقيات باريس تنص على : « ان الحقوق المتعلقة بحماية أمن القوات العسكرية في المانيا الغربية يمكن أن تمارس من قبل قوات الدول الثلاث (الولايات المتحدة الأميركية بريطانيا وفرنسا) ». ولكن هذه الحقوق الأمنية من قبل الولايات المتحدة لم تعرَّف أبداً، بل على العكس جرى استخدامها دائماً بصورة مضادة للمصالح الوطنية للشعب الالماني. من جهة أخرى عمدت السياسة الحكومية لالمانيا الغربية دائماً إلى تحويل المانيا الغربية الى اكبر شريك « للامبريالية » الأميركية في أوروبا الغربية وداخل حلف « الناتو » عبر الاتفاقيات الثنائية التي حولت المانيا الغربية إلى « تابع » للسياسة الأميركية. ولم تجد الولايات المتحدة الأميركية شروطاً وحقوقاً داخل البلدان الأوروبية التابعة لحلف « الناتو » أفضل من الحقوق المنحدرة من فترة احتلال المانيا، والتي استثمرتها

وأبقت عليها على شكل قيادات عسكرية أو مراكز تجسسية قيادية، متوزعة على مختلف مناطق المانيا الغربية. وباسم المصالح الأمنية جرى تمويه هذه المراكز التي تتقنع تحت أسماء مختلفة، في حين أنها تمارس التجسس والتخريب والارهاب ضد القوى التقدمية. والأكثر من ذلك أن المانيا الغربية نفسها مرغمة على حماية سرية هذه المراكز الجاسوسية الأميركية. وليس صدفة أن الذين يتصدون لكشف أسرار نشاط المخابرات الأميركية في المانيا الغربية يتعرضون للملاحقة القانونية. أما عن ذلك في الصحف فيعتبر من المحرمات التي لا يمكن التطرق لها أو حتى محاولة كشفها. ومن هنا تأتي أهمية كشف هذه المراكز الجاسوسية الارهابية والتي أسهمت بصورة فعّالة ولا تزال في التآمر. ليس ضد البلدان الاشتراكية المجاورة فحسب وإنما تتآمر أيضاً ضد سوريا وليبيا والثورة الفلسطينية. ولعلم القارئ فإن المخابرات الأميركية تمتلك ٧٥ مركزاً تجسسياً في المانيا الغربية وحدها من بين (٢٠٠ مركز) خارج الولايات المتحدة الأميركية. والاكثر من ذلك أن المركز الرئيسي للمخابرات الأميركية لكل القارة الأوروبية يقع في مدينة فرانكفورت (ماين) في المبنى الذي كانت تحتله شركة «اي. غي. فاربين. اندستري» الكيماوية الألمانية الغربية سابقاً، باسم مموّه لاحدى المؤسسات التابعة للجيش الأميركي. وهذا المركز يتسلّم المعلومات الجاسوسية من ٢٥ بلداً أوروبياً.

أما رئيس المخابرات الأميركية لفرع المانيا الغربية فيعمل داخل المكاتب الخارجية الملحقة بالسفارة الأميركية في بون. وهذا يفسر العدد الكبير من الدبلوماسيين الذين يعملون في السفارة الأميركية حيث يزيد عددهم على الألف شخص. وواضح أن معظم هؤلاء هم في الحقيقة جواسيس يعملون لحساب المخابرات الأميركية ولا علاقة لهم بالعمل الدبلوماسي. وهذه أسماء آخر ثلاثة كانوا رؤساء لفرع المخابرات

الأميركية في المانيا الغربية وهم :

١ — (وليم جي. غريغير) من عام ١٩٧٦ إلى ١٩٧٧ وهو من مواليد آذار (مارس) ١٩٢٢ وكان ينتحل صفة (ملحق) ويقيم في بون، شارع فريتز — ايرلر — رقم ٢١ ورقم تلفونه (٢٢٥١٥٦). عمل لمدة ١٩ عاماً في الجيش الأميركي، أمضى ١٥ عاماً منها في وزارة الدفاع. ثم عمل لمدة ١٥ عاماً في المخابرات الأميركية أمضى معظمها في فيينا وبرلين الغربية.

٢ — (واري ي. فرانك) من عام ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ وهو من مواليد ٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٥ ينتحل صفة (ملحق) وكانت إقامته في شارع مارتن لوتركنغ، رقم ٣/٣ ورقم تلفونه (٣٧٥٥٨٥). وعمل قبل ذلك كمسؤول عن فرع مخابرات مدينة هامبورغ ثم عمل في مركز بون.

٣ — (توماس بولغار) من عام ١٩٨٠ — ؟ وهو من مواليد ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٤ ويحمل أيضاً صفة (ملحق) في السفارة الأميركية ويقيم في نفس المسكن الذي كان يسكنه (وليم غريغير) في شارع فريتز — ايرلر رقم ٢١ ورقم تلفونه (٢١٠٧١٥) وهذا الجاسوس الأميركي معروف بتآمره المستمر ضد المانيا الديموقراطية والبلدان الاشتراكية والعديد من البلدان التقدمية في العالم الثالث.

مراكز المخابرات الأميركية في المدن الالمانية

ومن أجل ضمان تدفق المعلومات وممارسة التخريب والارهاب تمتلك المخابرات الأميركية في المانيا الغربية مجموعة مما يطلق عليه اسم قواعد الـ (السي. آي. إيه) ولكل قاعدة مسؤول خاص عنها واليك هذه القواعد مع عناوينها.

ــ قاعدة مدينة هامبورغ السرية، وتقع في شارع اليستر روفر، رقم البيت (٢٧) رقم التلفون (٣٦٥١٢٤).
ــ قاعدة مدينة بريمن، وتقع في ساحة الرئيس كنيدي، رقم البيت (١). تلفون (٢٨٦٧١٣).
ــ قاعدة مدينة دوسلدرون، وتقع في شارع سيسليان إليه، رقم البيت (٥). تلفون (٣٥٧٢٣٤).
ــ قاعدة مدينة فرانكفورت (ماين) وتقع في شارع سيسمايار، رقم البيت (٢١). تلفون (٢٢٤٨١٥).
ــ قاعدة شتوتغارتو، في شارع أورباان، رقم البيت (٧).
ــ قاعدة مدينة ميونيخ في شارع كونيفين، رقم البيت (٥).

○ وهناك أسباب سياسية وعسكرية عديدة تمكن المخابرات

الأميركية من اداء دور خاص في منطقة بايرن. فهذه المحافظة تمتلك حدوداً مع أربع دول، اشتراكية ومحايدة هي المانيا الديموقراطية، تشيكوسلوفاكيا، النمسا، وسويسرا. كما أن بايرن التي تقع في قلب أوروبا تمتلك تاريخياً وروحاً عسكرية رجعية وتعتبر منطلقاً للسياسات العدوانية. في بايرن ايضاً تقع معظم المراكز الأميركية المختصة بخوض « الحروب السرية » والدعاية الايديولوجية والسياسية المعادية والمضادة. وتعتبر ميونيخ مركزاً تقليدياً لمنظمات اللاجئين الرجعية والانتقاميين من كل الأصناف، بالاضافة إلى أنه يقع على مقربة من ميونيخ المركز الرئيسي للمخابرات الالمانية الغربية (B.N.D.) والتي تنسق جميع أعمالها مع المخابرات الأميركية ومع حملة التخريب التي قادتها المخابرات الأميركية ضد بولندا. وظهر مؤخراً اسم رئيس قاعدة ميونيخ للمخابرات الأميركية والمذكور عنوانها بالتفصيل أعلاه، هذه القاعدة تتخفى تحت اسم وهمي مضلل هو (مكتب التنسيق والاستشارة) أما رئيس هذه القاعدة الجاسوسية فهو « وليم ب. لونام »، المولود في ٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦، والذي عمل قبل ذلك ١٤ عاماً في خدمة البنتاغون، ثم انتقل الى الخدمة في المخابرات الأميركية من منتصف الستينات حيث عمل في روما وميلانو. ثم انتقل بعد ذلك الى المانيا الغربية مع جاسوس آخر هو هانس ناثان توخ الذي يحمل صفة دبلوماسية ويتقن ويتحدث بطلاقة اللغات الالمانية والروسية والانكليزية والبلغارية. ومن أجل تبادل المعلومات السرية بين مراكز المخابرات في أوروبا والمانيا الغربية هناك مركز خاص للاتصالات، يعمل ليلاً نهاراً بدون انقطاع ويقع في قاعدة راين ــ ماين الجوية الأميركية. وليس نادراً أن يتخفى ضباط المخابرات الأميركية وموظفوها العاملون في المانيا الغربية وراء وظائف عسكرية مثل مكتب وزارة الدفاع الأميركية لشؤون الأمن الدولية. لكن حرية الحركة والعمل أمام المخابرات المركزية الأميركية لا تقتصر على المراكز والقواعد فقط، ذلك أن هذه المخابرات تستطيع أن تتحرك في أي مكان

وأي زمان، ليس في المانيا الغربية فقط وانما في كل أوروبا الغربية، فهي تمتلك مراكز خاصة بها ومحتليات داخل كل رئاسات الأركان التابعة لحلف « الناتو ». وبذلك تحصل على كل المعلومات التي تريدها وتستخدمها لأغراضها الخاصة.

بعض مراكز المخابرات الأميركية ضد الوطن العربي

○ وهكذا علمنا كيف تحصل المخابرات الأميركية على المعلومات التي تتدفق إلى مركزها الأوروبي الرئيسي الواقع في فرانكفورت من أجهزة المخابرات الأخرى الواقعة في قواعد حلف « الناتو » وأهم هذه الأجهزة التي تتعامل معها هي :

١ ــ مركز الخدمة الجاسوسية التابع للمكتب العسكري الدولي داخل اللجنة العسكرية لحلف الناتو في بروكسل ــ إيفير.
٢ ــ قاعدة الخدمة التابعة لحلف « الناتو » والمسؤولة عن كل الأنظمة الجاسوسية والالكترونية الطائرة في أوروبا من طراز « أواكس » ابتداء من القاعدة الجوية الواقعة في تيغيرين على مقربة من غايلينكيرشين الواقعة على حدود المانيا الغربية مع هولندا.
٣ ــ المركز العام لكل قطاعات القوات المسلحة في أوروبا الغربية (USEUCOM) والواقع في شتوتغارت ــ فايهنكين والذي يقوده جنرال اميركي ذو أربعة نجوم، وهو في الوقت ذاته القائد العام لقوات الحلفاء في أوروبا.
٤ ــ المركز العام للجيش الأميركي في أوروبا (USAREUR) والواقع في هايدلبرغ.

على أي حال فإن مجال (USEUCOM) رقم ٣ الذي يمتلك أجهزة تجسسية ذات مستوى علمي وتكنيكي رفيع، يشمل ٣٣٧ ألف ضابط وجندي أميركي ويمتد من الكاب الشمالي في النروج وحتى البلدان الساحلية في افريقيا والشرق الأوسط، وعلى الأخص بلدان البحر الأبيض المتوسط.

○ من المانيا الغربية أيضاً تنطلق الجاسوسية الأميركية الخاصة بأوروبا والشرق الأوسط. ومن أهم هذه المراكز التجسسية العسكرية ضد بلدان حلف « وارسو » والبلدان العربية هي :

— ثلاث مجموعات للاستكشاف البعيد، توجد في هايدلبرغ وفرانكفورت (ماين) وشتوتغارت.

(Intelligence, Military Police and Special Weapons – School-Europe).

مدرسة المخابرات، مدرسة لتخريج الشرطة العسكرية ومدرسة لتخريج خبراء بالأسلحة الخاصة. وتقع هذه المدارس في معسكر هاوكينس في أوبيراميرغا وفي منطقة باير ن والتي تتولى تدريب الجواسيس واختصاصيي التحري البعيد للمهمات الخاصة بالاضافة الى تدريب الشرطة العسكرية واختصاصيّ الأسلحة الكيمائية وتكنيك متفجرات التخريب والارهاب.

— (10. Special Forces Group) وهي المجموعة العاشرة للقوات المسلحة الخاصة والواقعة في بادتولز في باير ن العليا، وهي وحدة خاصة، تقوم بالتجسس والتخريب والتفجيرات والاغتيالات ومركزها الرئيسي في فورت براغ في ولاية كارولينا الشمالية في الولايات المتحدة الأميركية أصلاً.

○ بتاريخ ٣٠ أيار (مايو) ١٩٨٢ كشف الخبراء أن البنتاغون الرئيس الاداري للمخابرات الأميركية كان قد أوعز الى هذه الوحدات

الخاصة بالقيام بسلسلة من التفجيرات وأعمال التخريب المحلية وتدريب عصابات الثورة المضادة ومنظمات الارهاب الرجعية والارهاب المضاد وهو من أعمال هذه المخابرات وتصدير كل ذلك إلى بعض الأقطار العربية التقدمية. وهناك لدينا الكثير من الأدلة على أن هذه الوحدات كانت تقف وراء العديد من المنظمات الرجعية العاملة ضد سوريا بسبب موقفها المتميز ضد مؤآمرات الأمبريالية والصهيونية وضد ليبيا وفي لبنان. والأكثر من ذلك أن الأدلة تتوفر يوماً بعد يوم ومنها التأكد على أن نسف ملهى « لابيل » الذي اتخذته الولايات المتحدة أي « ريغان » ومخابراته ذريعة للهجوم العسكري الغادر على الجماهيرية هذا الهجوم الذي جاء متخطياً جميع الأعراف الدولية والقانونية لكنها المخابرات الأميركية على طريقة (خالف تعرف).

على أية حال فإن هناك « حرباً سرية » يومية مستمرة، تقودها المخابرات الأميركية ليس ضد البلدان الاشتراكية وحدها وإنما أيضاً ضد الأقطار العربية التقدمية، وتوجهها من مراكزها وقواعدها التي ذكرناها والموجودة في المانيا الغربية. وللعلم أنه إذا كانت الطائرات المعادية الأميركية التابعة لحلف « الناتو » قد هاجمت ليبيا من قواعد بريطانية فإن خطة الهجوم والاعداد له وضعت في شتوتغارت بالتعاون مع المخابرات الأميركية نفسها والمركز العام للقوات المسلحة في أوروبا الغربية (USEUCOM)، حيث قامت مجموعات المركز بدراسة الموقف العسكري وتحديد الأهداف ثم أخذت الضوء الأخضر من كبيرهم « ريغان ». وهذا يعني على الأقل أن ينتبه العرب وأولهم الجماهيرية التي سبق أن كتبت للاعلام الليبي فيها عدة مقالات بعنوان « على الجماهيرية اليقظة » حيث حدث ما توقعته ككاتب متواضع. والآن أكرر الطلب بالانتباه الى الدور التخريبي والارهابي الذي تقوم به مخابرات الولايات المتحدة من أراضي المانيا الغربية المفتوحة أمامها للتآمر ضد جميع القوى التقدمية في افريقيا والشرق الأوسط وخاصة بلادنا العربية.

المخابرات الأميركية في اليونان

○ فرع المخابرات المركزية الأميركية في اليونان هو واحد من أهم الفروع في أوروبا الغربية كلها نظراً للابعاد المتعددة الأوروبية والشرقية والشرق أوسطية التي تتمتع بها اليونان. وهذه عيّنة من آخر رؤساء هذه الفروع وهم :

— ستامي ب. هولس. مولود في ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٢٠ سبق أن عمل مستشاراً سياسياً في مخابرات الجيش الأميركي بين ١٩٤٧ و ١٩٥٠. ترك هذا المنصب ليعود إليه في عام ١٩٥٢ ويبقى فيه حتى شباط (فبراير) ١٩٥٥. حيث أصبح ملحقاً ومستشاراً سياسياً في السفارة بلاهاي في هولندا لغاية ١٩٥٨ ثم عيّن قنصلاً في قنصلية تريستا بايطاليا من حزيران ١٩٥٨ الى تموز ١٩٦٢، ثم ملحقاً ومستشاراً في السفارة الأميركية بروما لغاية تشرين الأول ١٩٦٤. ثم انتقل إلى المقر العام للمخابرات الأميركية للعمل في « مؤسسة الخدمات الخارجية » حيث درس اللغة اليونانية ليصبح بعد ذلك سكرتيراً ومستشاراً سياسياً ورئيس فرع المخابرات بنفس الوقت في السفارة الأميركية بأثينا من تموز (يوليو) ١٩٧٢ لغاية تموز ١٩٧٥. نقل في آب (أغسطس) ١٩٧٥ ليرأس فرع المخابرات الأميركية في أتاواة بكندا إلى نهاية ١٩٧٧ ليعود بنفس المرتبة إلى سفارة أثينا.

ـ ريتشارد سكيفنغتون ويلس. من مواليد ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٩، كان رئيس فرع المخابرات في السفارة الأميركية بأثينا من تموز (يوليو) ١٩٧٥ إلى كانون الأول من العام نفسه. وبين ١٩٥١ وأيار (مايو) ١٩٦٠ عمل محللاً اقتصادياً في مخابرات الجيش ثم ملحقاً ونائب قنصل ومستشاراً اقتصادياً في القنصلية الأميركية بنيقوسيا عاصمة قبرص حيث نقل الى المخابرات العامة ثم الى السفارة في غواتيمالا من أيار ١٩٦٦ الى آذار ١٩٦٧. بعد ذلك أصبح مستشاراً سياسياً في السفارة بجورجتاون في غوايانا الى ايلول ١٩٦٩.عاد الى المقر العام للمخابرات وبقي فيه حتى حزيران (يونيو) ١٩٧٢ حين أصبح ضابطاً عاماً للعلاقات الدولية في السفارة بليما (البيرو) وهو المنصب الذي بقي يشغله حتى ارتقى الى منصب سكرتير أول في هذه السفارة وظل فيها حتى تموز من العام نفسه ليعود إلى السفارة في أثينا كما شرحنا أعلاه ومن ثم لقي مصرعه واعيد الى مسقط رأسه، في صندوق سياسي يحمل ختم سري جداً.

ـ رونالد ادوارز أستس. من مواليد ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٣١. سبق أن خدم في مخابرات الجيش من عام ١٩٥٧ الى ١٩٦٢، ثم عمل اخصائياً في ميدان الاتصالات في السفارة الأميركية بنيقوسيا (قبرص) لغاية ١٩٦٤ وأمضى عام ١٩٦٥ في المقر العام للمخابرات الأميركية، ثم انتقل كملحق ومستشار تجاري ـ اقتصادي في السفارة ببراغ (تشيكوسلوفاكيا) لغاية ١٩٦٥ ثم سكرتيراً ثانياً ونائباً للقنصل حتى ١٩٦٧. نقل الى المقر العام للمخابرات الأميركية لغاية ١٩٧٠ ثم انتقل الى السفارة في بيروت كسكرتير ثان ومستشار اقتصادي وتجاري من ١٩٧٠ الى ١٩٧٤ حين انتقل الى أثينا ليبقى فيها.

ـ روبرت سل. من مواليد كانون الأول ١٩٣٥. ضابط الاتصالات في السفارة بأثينا منذ نهاية عام ١٩٧٨. كان تقنياً في شؤون الاتصالات

في مخابرات الجيش الأميركي بين ١٩٦٣ و١٩٦٥، ثم ضابط اتصالات في السفارة الأميركية ببيروت من ١٩٦٥ لغاية ١٩٦٨. انتقل الى بانكوك (تايلاند) في تشرين الأول ١٩٧١، وبعدها الى سفارة ابيدجان (ساحل العاج) كضابط اتصالات حتى شباط ١٩٧٤ تاريخ حضوره الى اليونان.

وهناك لعلم القراء والمسؤولين الأمنيين عناصر أخرى من الصفّين الثاني والثالث عملت في السنوات الأخيرة وبعضها لا يزال يعمل في السفارة الأميركية بأثينا ومنهم :

— ميلتون ألدريدج (مواليد ١٧ تموز ١٩٣٨)
— جس ل. بايكر (مواليد ٣٠ كانون الثاني ١٩٤١)
— روبرت ج. بايكر (مواليد ١٠ تشرين الثاني ١٩٣١)
— جيمس دونالد بالدوين (مواليد ٢٧ آب ١٩٢٩)
— دونالد بيكيت (مواليد ٢٢ نيسان ١٩٢٥)
— روبرت ديوبلاير (مواليد ٣ ايلول ١٩٤٠)
— بيفرلي ب. برادشو (مواليد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٠)
— رويس ل. برو (مواليد ٧ تشرين الثاني ١٩٢٤)
— هوارد س. بوسي (مواليد ٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦)
— جون م. بوش (مواليد ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٩)
— فان كليف كامبيل (مواليد ١٠ تشرين الأول ١٩٢٨)
— إيلدون ي. تشاريست (مواليد ٦ ايلول ١٩٣٢)
— روبرت أ. كلارك (مواليد ٨ تشرين الأول ١٩٣٧)
— ريتشارد س. كوك (مواليد ١٤ شباط ١٩٢٢)
— وليام اي. كريدن (مواليد ٢٦ كانون الأول ١٩٣٢)
— جاين ب. كورتس (مواليد ١٣ نيسان ١٩٤٤)
— دونالد س. دايفل (مواليد ٢ شباط ١٩٣٦)
— سام ب. ايلبون (مواليد ٩ تموز ١٩٣١)
— وليم ج. ايفانز (مواليد ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٩)



(فرناند لوغرو أخطر عميل للمخابرات الأميركية) يكشف النقاب عن أعمالها القذرة :

- المخابرات الأميركية تساهم في مقتل همارشولد الأمين العام للأمم المتحدة .

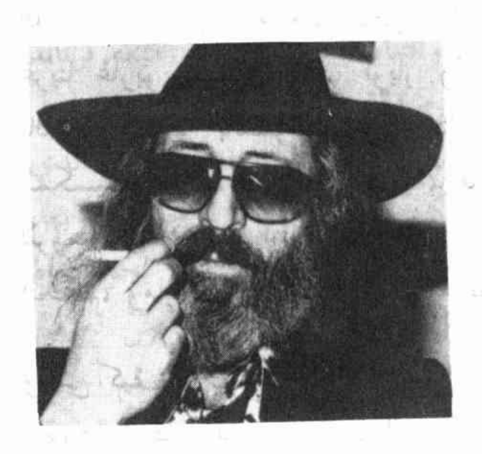
- المساهمة في إفلاس بنك "انترا"

- المخابرات الأميركية تعد كريم بلقاسم ليعمل لصالحها عندما يستلم الحكم بالجزائر .

- العميل فرناند لوغرو - يعيد تاريخ ألف ليلة وليلة على طريقته الأوروبية وعلى حساب المخابرات في العالم .



من هو العميل المصري الأصل « فرناند لوغرو »؟



○ **فرناند لوغرو**. إنسان ينتمي إلى أبناء الجاليات المختلفة في مدينة الاسكندرية في جمهورية مصر العربية مثل، داليدا، وجورج موستاكي، وكلود فرانسوا. ومن منزلة « الصفر » قفز بأعجوبة صاروخية وأصبح ملك الليل واللوحات الزيتية وصديق للمشاهير من الرؤساء والمشاهير. وأخذ يؤثر في سياسة عدد من الدول. من أبرز أصدقائه كان المستر داغ هامرشولد ــ الأمين العام السابق للأمم المتحدة، الدكتور محمود فوزي السياسي الوزير المصري السابق.

المخابرات الأميركية دائماً تبحث عن أمثاله للاستفادة من نشاطاته وعلاقاته مع المشاهير لذلك لم تتأخر عن تطبيعه وجعله من عملائها وأغدقت عليه الأموال وجعلت الكتاب الموالين لها ينشرون عنه

الكتب باللغتين الانكليزية والفرنسية حيث وضع عنه « روجيه بيرفيت » كاتب فرنسا المعاصر مؤلفاً من الأهمية بمكان تحت اسم (المغامر Adventuer) وبسبب وجوده في أوروبا تعرف على بعض الثوار الجزائريين بدءاً من كريم بلقاسم الذي التقى به عند داغ هامرشولد...

في ذلك الوقت كانت الحكومة الفرنسية تضم بين أعضائها وزيراً عرف فرناند من صديقه محمود فوزي أنه كان سفيراً سابقاً لبلاده في مصر. وكانت له في القاهرة علاقات شاذة مع أحد الشبان مما سبب « طرده » من مصر فيما بعد. وكان هذا الوزير على صداقة جيدة وحميمة مع هامرشولد الذي يبدو أنه كان يرعى هذه الطبقة من أهل السياسة والديبلوماسية. وفي عام ١٩٥٨ احتفل فرناند بمليونه الثاني من الدولارات بمتابعته مبيعاته الخارقة التي كان من بينها مبيع لوحة للممثلة غريتا غاربو رسمها الفنان فويار وكأن أعياد الميلاد أصبحت تحسب بالدولارات لا بالسنوات. وفي ذلك الوقت قرر فرناند الذهاب الى المكسيك وبلاد أميركا الجنوبية، فأعطته المخابرات الأميركية توصية للرؤساء هناك كما أعطاه داغ هامرشولد رسائل توصية لأصدقاء له في الحكم، وما كان أكثرهم، بحكم موقعه كأمين عام لهيئة الأمم المتحدة.

ولكن كيف كان فرناند يتصل بعملاء المخابرات الأميركية في البلاد التي يزورها ؟ كان يذهب حسب التعليمات إلى مكان معين في بار أو مقهى. وكان يأتي أحد الأشخاص ويجلس بجانبه ويلفظ على مسمع منه كلمة السر « كوليبري » ثم يطلب من عازف البيانو أغنية « الحياة ذات لون زهري » لأديت بياف وهي الأغنية التي كان فرناند يعشقها ويطلب من رؤسائه في المخابرات الأميركية أن تكون « كلمة السر ».وكان يضحك من ذلك لأنه كان يعرف أن السوفيات كانوا يختارون لجواسيسهم ألحاناً مشهورة يستخدمونها كـ« كلمات سر » ويبثونها عبر اذاعة موسكو مثل لحن « بحيرة البجع ». ولكن « كلمة السر » هذه لم تكن تكفي لأنها قد

تكون أتت بمحض الصدفة. وكانت مرحلة حديث فرناند الثانية مع العميل تتعلق بالفن حيث يقول الجملة الآتية : « عندي زبون يطلب لوحة لفان غوغ من فترة حياته في آرل » ومعناها الاجتماع هام جداً ومستعجل ويبدأ الطرفان بالحديث عن التجسس بعد اطمئنانهما لبعضهما.

أما عن العمليات التي قام بها فرناند فهي كثيرة ونذكر في هذا الفصل منها المثير والخطر. ففي ذات يوم تلقى فرناند من المخابرات الأميركية صورة رجل تطلب منه القبض عليه وكانت المخابرات الأميركية على ما يظهر أنها قد عجزت عن القاء القبض عليه لأنه صعب الطباع وكانوا لا يريدون قتله. وهذا الرجل المطلوب من المخابرات الأميركية كان لواطياً ولذلك اختاروا عميلهم فرناند لأنه خبير في هذه الأمور الشاذة كما كان الهدف المطلوب يحب الفن والفنون واقتناء اللوحات الفنية. فتبعه فرناند في أحد الأيام الى المتحف وبدأ معه « صدفة » حديثاً عن الفن، ثم جعل جواز سفره الكندي يسقط على الأرض « خطأ »، (وهو الجواز الذي كان يستعمله فرناند في مهماته) لكي يكسب ثقة الرجل... وبعد الحديث دعاه فرناند الى بيته للتفرج على بعض اللوحات التي بحوزته إذ أخبره أنه « تاجر لوحات ». لبّى الرجل دعوته وفي المنزل دسَّ له في كأس قرصاً منوماً من انتاج الـ سي. آي. اي. جعله ينام بسرعة ثم أخرج الرجل من المنزل في حقيبة كبيرة من قبل المخابرات. ولم يعرف العميل فرناند من كان ذلك الرجل ولماذا تطلبه المخابرات ولا ما حلَّ به فيما بعد.

○ ومع زيادة نشاطه وعمالته طلب منه رئيسه المباشر في المخابرات الأميركية قبول منصب الملحق الثقافي الأميركي في السفارة الأميركية في القاهرة كمكافأة له على اخلاصه لهذه المخابرات على مختلف الأصعدة والتآمر وكان رد فرناند : « أني فخور بكوني أحمل الجنسية الأميركية

الآن ولكني لا أخون بلدي الأصلي « مصر » كما لا أخون الولايات المتحدة ».

ويذكر فرناند عن التجارة التي يحبها ويفضلها، (بعض أعماله التجارية بعيداً عن اللوحات التي كانت تلاقي النجاح الهائل أيضاً). منها تجارة المباني والمنشآت السياحية في البرازيل وجزر الكارايب التي ضاعفت ملايينه. ومن المعروف أنه كان يحب الأوسمة والنياشين لا لشيء إلا للسخرية من القدر وهذه الأوسمة والنياشين كان يملك منها الكثير ومنها وسام عربي من المونسنيور جورج حكيم مطران الكاثوليك سابقاً (البطريرك مكسيموس حكيم) وقد منح له هذا الوسام في ١٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ وهو وسام « الصليب من الدرجة الأولى » ويقول فرناند : استطعت الحصول على وسام من « المنظمة العسكرية للحلفاء » بتاريخ ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٨ بلقب « ضابط أركان حرب » للشجاعة التي أبداها أمام العدو الألماني في الجبهة ». وكان الوسام عبارة عن ميدالية آيزنهاور. ولكن مانح الوسام نسي أن فرناند لم يكن بحياته ضابطاً كما لم يكن هناك أية جبهة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥. وكانت هذه الأوسمة تأتي نتيجة علاقات شخصية وصداقات حميمة وأحيانا بالهدايا والأموال. ويحكي فرناند أنه في أحد الأيام تملكته الرغبة في أن يتحدى القدر ويعيد قصة الديبلوماسي الفرنسي « بيرل موسميه » الذي ضبط في « سنترال بارك » في نيويورك في وضع شاذ مع أحد الشبان الأميركيين... فذهب الى هناك وكان له ما أراد، ولكن البوليس الأميركي القى القبض عليه واقتاده الى المركز حيث طلب فرناند من قائد شرطة هذا المركز أن يتصل له برقم معين ويقول لهم أنه يتحدث من قبل « كوليبري » وهي كلمة سرّ أو اسمه الحركي لدى المخابرات الأميركية وكان أن تم اطلاق سراحه بعد لحظات فخرج وهو يرمق قائد الشرطة بابتسامة سخرية.

وقد كلف فرناند بمهمة صعبة في الصين الشعبية وكانت المهمة في ذلك الوقت أن يسافر الى « يون نام » ليلتقي بالجنرال يوهان. وهذا الجنرال كان يهتم بتجارة السلاح، وبشكل خاص بتجارة الأفيون. وكانت له مع المخابرات الأميركية علاقات جد سرية وكان المطلوب من الجنرال يوهان أن يعمل على وقف تدفق الأسلحة لبضعة أشهر نحو ثوار الفيتكونغ وأن « يوجّه » تجارة الأفيون نحو الدول الشيوعية لقاء عدة ملايين من الدولارات فقام بمهمته هذه خير قيام. ولدى عودته أضاع المرافق الصيني الذي كان دليله على الطريق فوقع في قبضة إحدى الدوريات الصينية وأخذ الى سجن المخابرات الصينية بانتظار التحقيق. ولكنه استطاع الهرب بعد ليلة قضاها وبمعاونة أحد الحراس الحمر فقد كان عند الرجل دائماً الوسيلة الكفيلة بتليين الحديد والانسان صينياً كان أم غيره ليس من حديد.

ومهمة أخرى في الشرق الأقصى حيث كلف فرناند بمهمة كادت أن تودي بحياته. فقد كان عليه اكتشاف الخطوط التي تمرّ عبرها الأسلحة المهربة بين برمانيا وتايلند. وذهب الى هناك بحجة أنه راقص جاء ليدرس الرقص الفولكلوري في المنطقة الحدودية بين البلدين. وكاد أن يتسمم من جراء تناوله لنوع خاص من السلطة المعروفة في تلك المنطقة وهي سلطة غريبة تختلط فيها الخضار باللحوم والأسماك ومشتقاتها مع التوابل الحارة.

○ كان الأمين العام للأمم المتحدة (في حينه) داغ هامرشولد قد عرَّف العميل فرناند الى صديق من ليبيريا يدعى « أدولفوس تولبير » الذي كان قد حضر الى الأمم المتحدة من أجل قضايا تتعلق ببلاده حيث كان والده نائباً لرئيسها. وبناء لنصائح ادولفوس « استثمر » فرناند أموالاً في مونروفيا (عاصمة ليبيريا) في شركات هامة جعله ادولفوس مديراً عليها. وبموافقة هذا الصديق الليبيري نظم فرناند فرعاً خاصاً من تجارته للتجارة

بالسلاح الخفيف، طالما أنه بعد مهماته في هذا المجال قد أصبح مطلعاً على أسرار هذه التجارة، وكان التهريب يتّم عبر مرفأ مونروفيا. وقد قدم له توليبر بمساعدة والده طبعاً جواز سفر دبلوماسي لتسهيل أسفاره. وكان فرناند يشتري السلاح من أوروبا ويرسله الى مونروفيا ومن هناك يتجه الى اماكن مختلفة من العالم.

مقتل هامرشولد الأمين العام للأمم المتحدة

○ كان فرناند قد أصبح أسيراً لأحلام ذهبية واسعة بعدما أعلن ملك بلجيكا في حزيران (يونيو) ١٩٦٠ استقلال الكونغو ثم انضم هذا البلد في ايلول (سبتمبر) من نفس السنة الى الأمم المتحدة. وكان « موييس تشومبي » ينوي الانفصال بكاتانغا عن الكونغو. وكان « تشومبي » يحوز على اهتمام المخابرات الأميركية بسبب « رغبته » في الانفصال عن الكونغو التي كانت تتجه نحو خط اشتراكي نوعاً ما وهو ما أزعج المخابرات الأميركية لأنه يعتبر خطاً يضر بمصالح الأميركيين ومخططاتهم. وكان هامرشولد يريد الوحدة للكونغو. ومن أجل دعم لومومبا بطل الوحدة وخصم تشومبي فقد استطاع هامرشولد الحصول من مجلس الأمن الدولي على قرار بارسال قوات دولية الى البلاد. وهو ما أغاظ الأميركيين وأغاظ أيضاً فرناند المتحمس لأميركا ومخابراتها. « رغم صداقته المميزة لهامرشولد ».ثم أطاح قائد الجيش موبوتو بلومومبا وقام بسجن تشومبي كما هو معروف. وعندما قتل لومومبا في شباط (فبراير) ١٩٦١ اتهم هامرشولد تشومبي بتدبير مقتله ثم جاء اعتقال تشومبي ثم اطلاق سراحه استناداً لوعد منه بتوحيد البلاد ولكنه حْنث بوعده. فتمّ حينئذٍ تجريد الجيش الكاتنغي من السلاح من قبل قوات الأمم المتحدة.. حيث كان لفرناند دور في كل ذلك وكان يقضي

الأسابيع بين نيويورك وواشنطون والكونغو... حتى وصلت به الأمور من التدخل بالسياسة لزيارة تشومبي في سجنه الذي لم يدم طويلاً.

لقد وصلت الحال بفرناند أنه بدأ يكره هامرشولد حيث اعتبره مسؤولاً عن كل ما حصل من مشاكل في الكونغو فقام بمساعدة تشومبي باستقدام المرتزقة للحرب في كاتانغا. وعندما وجدت الأمم المتحدة أن الانفصال واقع لا محالة وأن الدولة الانفصالية تدافع جيداً عن نفسها بدأ التفكير بعمل عسكري ضدها من قبل الأمم المتحدة. وسافر هامرشولد لاقناع تشومبي بعدم الانفصال قبل أن تتم الحملة العسكرية ضده. وكان الموعد بين الرجلين في « ندولا » داخل روديسيا الشمالية. والتقى فرناند بهامرشولد في ليوبولدفيل وكان سيركب الطائرة معه لكنه أحرج لأن معه مرافقاً من ذوي الوجه الحسن. ومن المعروف أن فرناند عميل المخابرات الأميركية هذا كان يتباهى بشذوذه ويعتقد أن الراحل هامرشولد هو الذي أمر بمنع فرناند من الركوب معه في طائرة واحدة ومعه صديقه الشاذ. وحسب قول المثل الشائع « رُبّ ضارة نافعة » فقد كان منع فرناند اللوطي من ركوب طائرة هامرشولد « سبباً » في انقاذ حياته لأن الجميع يعرفون أن الطائرة قد تحطمت بعد ذلك بتدبير من المخابرات الأميركية ومات « داغ هامرشولد » بتاريخ ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦١. وذهب فرناند بنفسه لحضور جنازته في ستوكهولم وقد حضر هذه الجنازة الكثير من الرؤساء والسياسيين ومنهم « جونسون » الذي كان نائباً للرئيس الأميركي «كنيدي» الذي اغتالته نفس مخابراته[1] التي اغتالت هامرشولد وكان حضور جونسون حسب المثل القائل « يقتل القتيل ويمشي في

(١) الى محبي الاطلاع على أسرار مقتل الرئيس الأميركي جون كنيدي عليهم مراجعة الصفحات من ٢٧٧ لغاية ٣٠٠ من هذه السلسلة عن أعمال المخابرات وفي الجزء الثاني لمطالعة حوادث أغرب اغتيال في القرن العشرين.

جنازته » كما حضر جنازة هامرشولد ضحية المخابرات الأميركية كل من كريم بلقاسم السياسي الجزائري البارز وأدولفوس تولبير الليبيري. كان واضحاً كما ذكرنا أن المخابرات الأميركية هي التي اهتمت بأمر هامرشولد كما سبق لربيبتها المخابرات الاسرائيلية أن اهتمت وقتلت الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة في فلسطين.

○ تتابعت الأحداث في الكونغو فاستقل تشومبي بمساعدة مرتزقه فرناند في كاتانغا التي أصبحت تعرف فيما بعد بـ« كنشاسا » وأدرك فرناند أن استقلال كاتانغا لن يدوم طويلاً وأنه اذا كان سيستفيد من الوضع فعليه أن يعمل بسرعة ويستفيد من الوقت والفرص التي لن تتكرر فذهب الى سويسرا لدراسة تطبيق مخطط كان يراوده منذ زمن وقد أعجب تشومبي بهذا المخطط لغرض في نفسه، فمنح فرناند جوازاً دبلوماسياً يحمل رتبة « وزير مفوّض ».

في سويسرا طلب فرناند من « الييف بنك » الذي كان يعرف مديره معرفة شخصية، ومن بنك « أنترا » الذي كان يعرف أيضاً مديره اللبناني الفلسطيني الأصل « يوسف بيدس » أن « يطبعا » له عملات كاتانغية بقيمة ١٠٠ مائة مليون دولار على أن تضمن قيمة هذه الطبعة شركة اتحاد مناجم كاتانغا العليا التي كان تشومبي قد أممها، وقد عهد بطبع هذه العملات الى مطبعة « روتو ــ ساداغ » تحت حماية البوليس السويسري (المباحث).

وبعدما تمّ الطبع طلب فرناند من المصرفين أن « يبدلا » نسبة ثمانية على عشرة من الأوراق النقدية الكاتانغية بدولارات أميركية بلغت ٨٠ ثماني مليون دولار استلمها فرناند وحملها عائداً إلى « اليزابيت فيل » العاصمة بطائرة خاصة تاركاً الـ٢٠ عشرين مليون دولار للحكومة الكاتانغية لابعاد الشبهة وقام باقتسام المبلغ مع تشومبي (حاميها

حراميها) مما سبب فيما بعد خسارة فادحة للبنكين المذكورين (وهنا نذكر هذا السر لأول مرة عن مأساة افلاس بنك إنترا اللبناني في حينه وربما كان السبب غلطة الشاطر يوسف بيدس وغلطة الشاطر كما يقال بألف غلطة ؟؟)

المخابرات الأميركية تنقذ حياة عميلها فرناند

○ كلف فرناند بالاتصال برئيس شركة البترول الوطنية الايطالية « أنريكوماتي » الذي كان يؤيد الدول المنتجة للبترول ضد المصالح الأميركية لمحاولة اقناعه بالعدول عن مناهضة المصالح الأميركية العداء وابداء النصح له. فقام فرناند بعدة رحلات معه في طائرته الخاصة وتباحث معه في هذه الأمور وكان ينقل نتيجة هذه المحادثات الى المخابرات الأميركية أولاً بأول وعبر قنوات خاصة. وفي ٢٧ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٢ طلب إليه في آخر لحظة أن يمتنع عن ركوب الطائرة مع هذا الرجل... وسقطت الطائرة الخاصة في مطار لينات قرب ميلانو وقتل فيها رئيس شركة البترول الوطنية الايطالية. وأدرك فرناند أن سقوط الطائرات هو لعبة المخابرات الأميركية الجديدة للأشخاص غير المرغوب في استمرارهم أو في بقائهم في أدوارهم.

○ نعود الى صديقه تشومبي الذي انتهت مغامرته الانفصالية في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ حيث هرب الى اسبانيا... بينما كثرت وارتفعت ملايين الدولارات من وراء صفقات السلاح لكاتانغا ومن جراء صفقة العملة الكاتانغية في سويسرا. وأثناء مغامراته هذه فقد صديقتين من أهم الصديقات لديه وهما مارلين مونرو التي انتحرت أو نُحرت، وأديت بياف. فقرر العودة الى باريس والاستقرار بها، فاشترى بيتاً في جادة هنري

مارتان بمبلغ ثلاثين مليون فرنك فرنسي كان ملك لثري عربي معروف سبق أن أهداه إلى الممثلة « إيتشيكا شورو » التي اعتزلت التمثيل لأن مبلغ الثلاثين مليون فرنك فرنسي ثمن البيت من رقبة الثري العربي ما كانت تحلم بجمعهم حتى لو مثلت مئات الأفلام.وأقامت علاقات غرامية مع العشرات من الأوروبيين ولكن هنا اكتفت بالعربي الخيّر على الممثلات والراقصات بينما الآلاف بحاجة إلى القوت اليومي مع الأسف.

أقام فرناند في منزله الجديد العامر بالذكريات وروائح الجنس تملأ جنباته فجعله جنة أرضية بحديقته ومسبحه الصيفي والشتوي كما جعل قبضات الأبواب من الذهب الخالص.والشبابيك والأبواب طلاها بالذهب الأصفر الرنان حتى حنفيات الماء طليت بالذهب أيضاً وركبت أجهزة الهاتف الذهبية حتى في المرحاض (عفواً لكن هذا هو واقع القصة). ومع كل هذه الرفاهية سرعان ما ضجر من باريس وقرر التغيير فسافر الى اسبانيا واتجه الى جزيرة إيبيزا الساحرة وقد استطاع أن يشتري فيللا في مكانٍ رائعٍ يشرف على البحر حيث ضمَّها الى فيللاته وشققه الكثيرة. وقد عرج على مدينة مدريد وزار صديقه « شريكه في السرقة » تشومبي الحزين فوجده لا يزال يأمل بالعودة يوماً ما... إلى كاتانغا.

وفي سنة ١٩٦٣ وفي نفس اليوم الذي اغتيل فيه الرئيس الأميركي جون كنيدي كان فرناند في مدينة دالاس أيضاً يقوم بانجاز عملية بيع لوحات فصعقه الخبر لأن الرئيس كنيدي وزوجته جاكلين كانا يحبان كثيراً الرسم والفن. في حين أن الرئيس الأميركي السابق آيزنهاور كان يكره المتاحف. لقد وصل حب الرئيس « كنيدي » للفن أنه أصدر قانوناً لا يزال ساري المفعول يعفي من الضرائب كل الأموال التي تشترى بها اللوحات الفنية المخصصة للمتاحف. أما « لايدي بيرد » زوجة الرئيس الجديد جونسون فقد أخرجت فور دخولها البيت الأبيض مقر رؤساء أميركا لوحة للفنان « مونيه » كانت جاكلين كنيدي قد اشترتها. وهنا

الفارق في الذوق والرهافة بين السيدتين. وكان فرناند يعرض لوحاته في جميع أنحاء العالم وكان بعض الأثرياء العرب ولا نقول الأمراء احتراماً للمراكز يشترون لوحاته الخاصة.وحسب قوله أنه في عام ١٩٦٤ كلفته المخابرات الأميركية بمهمة في الخليج العربي، وحمل معه لوحة للفنان « رينوار » وهي تمثل امرأة عارية اشتراها منه ثري عربي في إحدى الامارات. والطريف في الأمر أن فرناند وجد أو شاهد عند هذا الثري العديد من الأفلام الجنسية الخلاعية التي يحتفظ بها بكل سرور ويتباهى بعرضها على ضيوفه يوم كان الفيديو لم ير النور. وعند هذا الثري تعرَّف فرناند الى أحد كبار مهربي الذهب في الشرق الأوسط الذي شكا له صعوبة تهريب الذهب الى بيروت، وكانت بيروت في حينه جوهرة مدن الشرق الأوسط والدول العربية فوعده فرناند بتسليمه الكمية التي يريدها من الذهب وأكَّد له أن مكان التسليم « بيروت ».

توجه فرناند الى جنيف في سويسرا واشترى طناً من الذهب دفع ثمنه نقداً من حسابه الذي يحوي الملايين. وبدأ هناك ما يمكن أن يسمى أهم عملية تهريب وأطرفها في التاريخ. فمن جنيف نقل فرناند بمساعدة فرقة مسلحة استأجرها خصيصاً كمية الذهب بسيارة شحن عبر بها الحدود السويسرية الايطالية من مكان معين بعيداً عن أعين الجمارك والبوليس حتى وصل الذهب إلى ميلانو فاتفق مع أحد الايطاليين ليذوّب له الذهب ويصنع منه مرساتين تزن الواحدة منهما ٥٠٠ كيلوغرام ثم طليت المرساتين بمادة الصدأ. ثم تم نقل المرساتين بشكل طبيعي الى مرفأ جنوى حيث تمّ تركيبهما على يخت كمرساتين للطوارئ ورفع اليخت العلم الليبي إبان حكم الملك إدريس الذي كان يشتري الأسلحة من العميل فرناند.لذلك كانت كل الأوراق صالحة ومضبوطة فأبحر اليخت باتجاه بيروت. بينما سافر فرناند بالطائرة الى العاصمة اللبنانية لتحضير الوصول واستقبال اليخت الليبي. وصل اليخت الى ميناء بيروت ورسا في

المنطقة الحرة منه. وفي الليل صعد فرناند إلى اليخت وبمساعدة بعض رجال الضفادع المأجورين تمّ فكّ المرساتين الذهبيتين ونقلهما الى البر حيث تمّ نقلهما بواسطة سيارة شحن الى منطقة صاحب عملية التهريب وجنى فرناند من وراء هذه العملية أرباحاً طائلة.

فرناند عميل المخابرات الأميركية وشذوذه وصبيته

○ بينما كان فرناند يقضي عطلته في التزلج على الجليد في سويسرا وكان معه اثنان من الصبية الشبان المفضلين لديه وهما جوليان ووليام ثم التقى بأحد الصبية هناك فدعاه للانضمام إليهم في مرحهم وشذوذهم فوافق واسمه جان مارك.وبعد التعرف على مرافقيه سأل أحدهم وهو ويليام عن فرناند ومن يكون ؟ فأجابه وليام بصراحة، إنه سيدي يأمرني بما يشاء... وتدور الأيام ويذهب موريس كوف دي مورفيل وكان يومها (وزيراً لخارجية فرنسا) في زيارة الى بانكوك وينزل ضيفاً على سفير فرنسا هناك. وذات يوم يلتقي كوف دي مورفيل في أحد ممرات فيلا السفير بصبي يسأله من يكون وماذا يفعل هناك. لأن وزير الخارجية كان يعرف أن السفير « عازب » فأجابه الصبي الحسن الوجه وقد تعلم الاجابة في مثل هذه المواقف بالصراحة إن السفير سيدي يأمرني بما يشاء. وقد فهم وزير الخارجية أن سفيره لوطي مع الأسف وأن الصبي يدعى جان مارك وقد أرسله فرناند إلى هناك بناء لطلب صديقه السفير الفرنسي.

○ في عام ١٩٦٤ تولى منصب رئاسة مجلس الوزراء في اليابان إيساكوساتو وكان فرناند صديقه ويعرفه جيداً.وكانت فرصة فرناند لكي يجعل هذا الرجل يشتري للمتاحف اليابانية بعض اللوحات الفنية التي كان يملكها وما هي إلا زيارة الى طوكيو حتى أقنع رئيس الوزراء بشراء

لوحات بقيمة ٢٠ عشرين مليون دولار بموجب عقد رسمي يحوّل المبلغ الى حسابه في سويسرا.

ولكن رئيس الوزراء الياباني أصرّ بالاضافة الى وجود شهادة موقعة من خبير والتي ترافق كل لوحة، أن يتضمن ملف كل لوحة « ضمان خطي من شخصية فنية عالمية » ولم يكن الأمر صعباً على فرناند وهو عميل ومحتال بنفس الوقت. ففكر فوراً في الكاتب والأديب والمفكر الفرنسي المعروف الشهير « أندريه مالرو » ووافق رئيس الوزراء الياباني على هذا الاختيار، فبالاضافة الى كون مالرو شخصية فكرية عالمية كان في ذلك الوقت « وزيراً للثقافة الفرنسية » فكان اللقاء بينه وبين فرناند في جنيف أثناء زيارة قصيرة وتم الاتفاق على السيناريو.. كالآتي :

عندما أصبحت الـ ٢٠٠ مائتي لوحة معلقة على جدران متحف الفن الغربي في طوكيو لعرضها قبل شرائها النهائي، حضر الامبراطور شخصياً لرؤيتها ثم حضر وزير الثقافة الفرنسي « شريك فرناند باللعبة » مالرو إلى طوكيو بزيارة ثقافية. وذهب في اليوم التالي إلى المتحف المذكور وأعطى تصريحاً صحفياً مسبق الصنع للصحافيين أنه : « كيف يمكن نزع هذه اللوحات الثمينة والتحف النادرة من فرنسا؟ » . وبعد اسبوع كان ثمن اللوحات قد وصل إلى حساب فرناند في سويسرا.. ونال وزير الثقافة الفرنسي في حينه أندريه مالرو حصته (ويا دار ما دخلك شر). وبعيداً عن اللوحات الفنية يطلب القراء المزيد عن مغامرات هذا العميل.

○ في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٥ — وكان تشومبي قد عاد من اسبانيا الى كاتانغا ثم أبعد عنها مرة ثانية — فعاد الى مدريد ومعه معاوناه أندريه لابيه وتياري دو بونيه اللذان بدأا بالتحضير لعودته الثالثة إلى كاتانغا.. وفرناند يراقب تحركات صديقه تشومبي « لعل وعسى »

تأتيه من وراءه « رزقة ». وفي تلك السنة ١٩٦٥ اغتيل الزعيم المغربي المناضل المهدي بن بركة بعد خطفه من باريس بمعاونة بعض رجال الأمن الفرنسيين (مراجعة صفة ٣٨٨ الى ٤٠٥ من الجزء الأول من موسوعة المخابرات والعالم هذه حيث توجد جميع المعلومات الكاملة عن قضية اغتيال المهدي بن بركة). فتأثر فرناند كثيراً لأن المرحوم المهدي بن بركة كان قد اتصل في تلك السنة بالذات بفرناند وطلب منه شراء بعض اللوحات الثمينة التي سبق أن باعها فرناند لبعض أعضاء جبهة التحرير الجزائرية والتي وقعت بين يديه. ووعده فرناند بأن يجد له من يشتريها... وفعلًا وجد له فرناند الشاري ولكن ابن بركة كان قد اختطف وتمت تصفيته. وفي حينه قرر فرناند أن يقوم بزيارة رؤساء بعض الدول في الكاريبي وأميركا الوسطى ومنهم : سوموزا في نيكاراغوا... فرنانديز في كوستاريكا... أريللو في هندوراس... دوفاليه في هايتي... وتروجيلو في جمهورية الدومينيكان. وكان في اتصالاته يقدم نفسه على أنه « تاجر لوحات » كغطاء لمهماته الأخرى المطلوبة منه من قبل المخابرات الأميركية. فالحقيقة أن الولايات المتحدة، أو مخابراتها على الأصح، كان يهمها في ذلك الوقت تقوية نفوذها في هذه البلاد لتحفظ التوازن مع النفوذ السوفياتي القوي في كوبا. ولكن فرناند كان يقدم نفسه أيضاً (عندما تسمح الظروف) كمورد سلاح. وكان هؤلاء الرؤساء يحتاجون الى الكثير من السلاح لحماية أنفسهم من الانقلابات المتوقعة ضدهم التي يخشونها. وفي هايتي بالذات حقق فرناند إحدى أهم صفقاته التجارية بسبب علاقاته هذه. لقد اشترى من أحد الصناعيين النيويوركيين مصنع نسيج كان على وشك الافلاس بمبلغ ٨٠٠ ثمانماية ألف دولار واستطاع انعاش المصنع باضافة طبع القماش في اليابان بواسطة تسهيلات من رئيس هايتي وبعد عام أعاد بيع المصنع بمبلغ ٢٠ عشرين مليون دولار...

○ **فرناند ... العميل العجيب :**

كان فرناند يحمل سبعة جوازات ديبلوماسية كسفير فوق العادة، مما كان يسهل له الكثير من الأمور... حتى أنه كان يخلط بينها أحياناً فيدخل إلى بلد ما كسفير لنيكاراغوا ويخرج سهواً كسفير لسيراليون. وفي يوم من الأيام كان فرناند مجتمعاً مع جورج بومبيدو ـــ وكان في حينه رئيس وزراء فرنسا ـــ وبآخرين. وأثناء الحديث قال فرناند، وكان يمازح رئيس الوزراء ومن معه : إنني فخور لكوني يونانياً (كان يحمل الجنسية اليونانية أيضاً) ليس فقط لعظمة اليونان القديم ولكن لأنه البلد الوحيد الذي تجرأ رئيس وزرائه ومدح « الحب اليوناني » أي الشذوذ الجنسي بين الشبان في كتاب « محاورات آثينية » في عام ١٩٦٠ وهو رئيس الوزراء بانايونتيس كانيللو بولوس. في حين أن مجلس النواب الفرنسي ـــ رغم أن فرنسا بلد الحريات ـــ أقرّ بالاجماع قانوناً يعتبر الشذوذ » أي اللواط مشكلة اجتماعية كبرى ويحرمها قانوناً. فأجاب رئيس الوزراء الفرنسي بومبيدو قائلاً : « ألفت نظرك يا عزيزي فرناند انني لم أكن في ذلك الوقت نائباً... أما الآن فهناك اثنان من وزرائي يتعاطيان نفس الشذوذ ». وكان فرناند على علاقة وطيدة مع بيكاسو وفي كل مرة كان يذهب إليه في اسبانيا ليطلب منه شهادة للوحة اسبانية (وكان بيكاسو يحب كثيراً مدرسة بلاده الفنية) كان بيكاسو يسأل فرناند أولاً : بكم اشتريتها ؟ فيجيب فرناند دائماً : ٥٠ خمسون ألف دولار... وكان هذا السعر المرتفع يؤثر في بيكاسو فلا يعود يدقق في أصل اللوحة ويعطي فرناند شهادة بصحتها وأصالتها.

ومن المستحسن أن نذكر للقراء شيئاً عن هندام فرناند ونظارته السوداء الكبيرة وقبعته السوداء أيضاً ذات الشكل المكسيكي حيث كان مرة في نيويورك في هذا الزيّ الملفت للنظر فأحب الدخول مع صديق له الى أحد النوادي. ولكن فتاة الاستقبال رفضت دخوله بحجة شكله غير

اللائق رغم أن بامكانه شراء أو بالأحرى لديه أغلى الملابس. ومع ذلك فقد طرد من النادي الراقي من أجل لباسه الفولكلوري وقد تأثر كثيراً أمام صديقه. وبعد أيام طلب من نفس الصديق أن يذهبا لنفس النادي لعل الأمور تكون قد تغيرت.وذهبا وتكرر نفس الموقف ومنع من الدخول فعز على نفسه ذلك.وقبل أن تغلق الفتاة الباب وضع رجله ممانعاً ودخل عنوة إلى النادي مع صديقه فطلب مدير النادي البوليس فاقتادوه ولكن بلطف وعدم ازعاج الادارة.وهناك قال لهم اتصلوا بهذا الرقم لتعرفوا هل يحق لي الدخول إلى هنا أم لا. وهكذا كان لأن الرقم الذي أعطاه لهم هو رقم رئيسه في المخابرات. ومع أن الاتصال بالمخابرات كان سبب دخوله النادي إلا أنه بكرمه جعل الجميع يندمون على منعه من الدخول وقدموا له الاعتذارات الشديدة.

حتى ملايين الثورة الجزائرية لم تنج من فرناند

○ من المعروف أن الزعيم الجزائري محمد خيضر كان بمثابة وزير المال للثورة الجزائرية وكان يجمع المال للثورة الجزائرية من كافة الدول العربية والاسلامية بتفويض من مجلس الثورة الجزائرية والحكومة الجزائرية المؤقتة في حينه. وبالتالي كانت الحكومة المؤقتة تشتري مختلف الأسلحة للمجاهدين الجزائريين وكانت سويسرا إحدى محطات شراء الأسلحة مما جعل فرناند يتعرف على محمد خيضر هناك ويعرض عليه خدماته في عملية شراء الأسلحة. وكانت النتيجة ضياع بعض ملايين الثورة ومع هذا فقد أقام فرناند أيضاً صداقة وطيدة مع أحد قادة الثورة المعروفين كريم بلقاسم الذي تعرّف عليه في الأمم المتحدة وقد دعاه بلقاسم الى لقاء في فندق « كونتيننتال أنتر » في فرانكفورت.فلما جاء إليه في الموعد المحدد كان أمام مفاجأة رهيبة فقد وجد الزعيم الجزائري كريم بلقاسم مخنوقاً في غرفته... ووجدت على جسمه آثار

مقاومة. وكان واضحاً أنه تعرض لهجوم من عدة أشخاص ولم يملك قدرة التغلب عليهم لأنه لم يكن يحمل في يده سلاح لصدهم، أما السبب في أن الرجل لم يكن يحمل سلاحاً في حينه فقد علم فرناند فيما بعد من أحد المقربين الى الزعيم الجزائري أنه لدى مغادرته للأراضي السويسرية باتجاه فرانكفورت أخذ موظفو الجمارك مسدسه منه حسب الأصول المتبعة لديهم ووعدوه أن يعيدوه له عند عودته من فرانكفورت، وهكذا حضر الى فرانكفورت أعزل من السلاح. وقد حزن فرناند حزناً شديداً على وفاة صديقه بلقاسم لأنه كان يأمل منه الكثير حيث كان ينتظر صعوده سياسياً فضلاً عن مساعدة بلقاسم لفرناند في بعض القضايا التي تعرّض لها ووقوفه بجانبه. لقد كلف بلقاسم فرناند الكثير من المال من ولائم وهدايا وحسابات فنادق كان يسددها عنه ويتركها مفاجأة له ليزيد من تأثيره عليه، وكان فرناند ينتظر أن يحقق المكاسب الكبرى من وراء بلقاسم خاصة وأنَّ بلقاسم كان قد أجرى اتفاقاً مسبقاً مع الأميركيين عبر توصية من المخابرات الأميركية. وينص هذا الاتفاق على أنه إذا وصل بلقاسم إلى الحكم في الجزائر. ويظهر أن بلقاسم كان يخطط من وراء زملائه أعضاء جبهة التحرير الوطني الجزائرية، والرئيس الراحل هواري بومدين للوصول إلى أن يكون رئيساً للجزائر في تلك الفترة التي أعقبت الاستقلال سوف يعطي للأميركيين حق استغلال الغاز والبترول الجزائريين لشركات أميركية كما اتفق على موافقته مستقبلاً على انشاء سلسلة من الفنادق الأميركية أيضاً بالاضافة الى شركة لانتاج الأفلام السينمائية وكذلك إنشاء ستوديو سينمائي يكون البديل في الشرق لستوديوهات هوليود، وهو شيء سبق أن وعد به يوسف بيدس لينفذه في منطقة « مونتي فردي » قرب بيروت. كما كان فرناند يخطط أيضاً في حال نجاح كريم بلقاسم أن يحصل على جواز سفر جزائري يضمه إلى مجموعة جوازاته العديدة كسفير فوق العادة للجمهورية الجزائرية.

وكانت الاتفاقات التي ذكرناها قد ضربت على الآلة الكاتبة من قبل

« دانييل » سكرتيرة فرناند التي كان بلقاسم قد أنشأ معها صداقة وكان يرتاح لها. وطبعاً هذه الصداقة كانت طعماً لبلقاسم. وجاء مقتله ليلغي « المشروع » برمته لأنه كان على وشك البدء بتنفيذه (وهذه المعلومات تذكر لأول مرة) فالمخطط قد أعد لقلب نظام حكم الرئيس بومدين، والسلاح قد أدخل الى الجزائر بمساعدة فرناند وغيره من عملاء المخابرات الأميركية ولم يبق سوى تحديد ساعة « الصفر » للتنفيذ والاطاحة بالرئيس الراحل بومدين، ولهذا السبب جرى اغتيال بلقاسم في فندقه كما تمّ بنفس الوقت « خطف » تشومبي إلى الجزائر لاغاظة وتقليم أظافر فرناند. وهكذا فَقَدَ فرناند كبار أصدقائه واحداً تلو الآخر ولكنه لم يفقدهم جميعهم فمحمود فوزي لا زال (في حينه) من رجال الحكم في مصر وجورج بومبيدو أصبح رئيساً للجمهورية في فرنسا وها هو يقضي سنته الثانية في الرئاسة. بالاضافة الى أصدقائه من رؤساء جزر الكاريبي وأميركا الوسطى وكذلك الجنرال « سفرويسنر » في الباراغواي.

وعندما نشبت في سويسرا فضيحة مخططات طائرات الميراج في شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٠ التي اتهم على أثرها المهندس السويسري الفريد فراونخت بتسليم المخابرات الاسرائيلية « الموساد » حوالي ٢٠٠ مائتي ألف صفحة من مخططات طائرة « ميراج ٣ » التي كانت قيد التجميع في سويسرا ولصالح الحكومة السويسرية[1].

وقد كلّف فرناند من قبل ضابط مخابرات عربي كبير كان يقيم في سويسرا للاطلاع على مثل هذه المؤامرات للتحري عن موضوع سرقة

(١) (إلى محبي الاطلاع على أعمال المخابرات الاسرائيلية القصة الحقيقية الكاملة لهذه الفضيحة نشرت في كتابي « ملف الثمانينات عن حرب المخابرات » الذي صدر عن دار دمشق للنشر ــ دار الجيل من الصفحة ٤٤٦ الى ٤٥٣).

تصاميم طائرات الميراج وكان لا يزال يقيم في سويسرا « ينتظر » حكم القضاء السويسري العريق في قضية لوحات فنية مزوّرة كان قد باعها إلى عدد من الأثرياء أثبتوا فيما بعد أنها لوحات مزوّرة.فأقاموا عليه الدعاوي التي جمعت لدى محكمة البداية الجزائية في جنيف بدعوى واحدة. وكانت الجلسات تؤجل الواحدة تلو الأخرى. وقد استطاع خلال وجوده في سويسرا أن يتابع نشاطاته في العمالة والاحتيال سواء في بيع اللوحات أو في ميدان الأسلحة. وقد تعرف بطرقه الخاصة على الامبراطور السابق للجيش « هيلاسيلاسي » لدى حضوره الى سويسرا وحصل على ثقته وأصبح ليس فقط وسيط استثماراته في سويسرا بل مورّد الأسلحة له... حتى أنه قام برحلة سرية الى أديس أبابا « عاصمة الحبشة » لم تعلم بها السلطات السويسرية لأنه مُنِعَ بأمرٍ قضائي من مغادرة الأراضي السويسرية بانتظار صدور الحكم عليه في قضية اللوحات المزوّرة. ولعلم القارئ فإن امبراطور الحبشة هيلاسيلاسي كان قد التقى بزوجة رئيس شاطئ العاج « بوينغي » في مؤتمر افريقي وباح لها باعجابه الشديد بما يدعى حب الملوك.وفيما بعد أصبح يرسل لها كعربون لهذا الاعجاب (إلى زوجة الرئيس العاجي) الأسود والفهود والغزلان الحبشية ثم يرسل لها أيضاً وبطائرة خاصة طعام هذه الحيوانات الخاص من الحبشة مباشرة (بينما الآلاف من الشعب في الحبشة يتضورون جوعاً).والمهم في هذه القصة هو أين كان رئيس ساحل العاج من ذلك كله.. الله أعلم. ومع كل ذلك لم يكن الامبراطور هيلاسيلاسي يحب اللوحات الفنية ولم يستطع فرناند أن يبيعه لوحة واحدة رغم أنه كسب منه آلاف الدولارات من جراء بيعه الأسلحة.

وأخيراً قرر فرناند « الهرب » من سويسرا قبل أيام من الحكم لأنه كان يخشى الحكم عليه بالسجن وقد رتب قضية هروبه مع بعض ممن يعتبرهم بلغة اللواطة (عفواً) أبنائه، على أن تظهر وكأنها قضية

« خطف » فاستطاع السفر على متن طائرة خاصة وبواسطة جواز سفر دبلوماسي كسفير لهندوراس إلى مدريد أولاً ثم إلى نيويورك ولا أحد في سويسرا يدري أن العميل فرناند قد سافر بهذه الطريقة سوى أبنائه الذين أثاروا فضيحة في الصحف عن اختفائه المفاجئ. فاهتمت الشرطة السويسرية بالأمر وسجل الأمر لديهم « عملية اختطاف » نتيجة الآثار التي سجلتها الشرطة في دارته من اقتحام وتكسير.. الخ. وهكذا أثار فرناند العميل ضجة من حوله أخفت الضجة المنتظرة من الحكم في قضية اللوحات المزوّرة الماثلة أمام القضاء السويسري في حينه.

وجاء موعد الحكم وصدر على فرناند حكم بالسجن ٨ ثمانية أشهر « مع وقف التنفيذ » وحكم آخر بالابعاد عن سويسرا لمدة عامين. وهكذا خرج فرناند من هذه القضية المعقدة الطويلة التي دامت محاكمتها خمس سنوات « بريئاً ناصع البياض » بعدما صرف في سويسرا حوالي ٢٠ عشرين مليون فرنك سويسري، لتمشيط الألغام المزروعة على طريق براءته. من نيويورك وفي فندق الخمس نجوم قرأ في الصحف الأميركية أنباء الحكم عليه فسرَّ كثيراً رغم أن الحكم يمنعه من المكوث في سويسرا لمدة سنتين لأنه لا يقيم للحدود الدولية وزناً بالنسبة لحمله العديد من جوازات السفر الدبلوماسية وأغلبها بأسماء مغايرة لاسمه ويحمل بها لقب « سفير، أو سفير فوق العادة ». وكانت القضية « الثانية » التي أقيمت عليه بتهمة « تزوير لوحات فنية عالمية وبيع المزوّر » في مدينة تكساس الأميركية أمام القضاء الفرنسي في باريس استناداً لاقامته عند المقاضاة في عاصمة النور. وكان القضاء الفرنسي قد غيّر ثلاثة قضاة في هذه القضية حتى أصبح مجموع ملف فرناند في هذه القضية ٥٠ خمسين كيلوغراماً. وكانت المحكمة قد طلبت بمذكرة رسمية عن طريق وزارة العدل الفرنسية من البوليس الدولي « الأنتربول » القاء القبض عليه واعادته الى فرنسا للمحاكمة فيها لأنه كان يعتبر أن

القضاء الأميركي في ولاية تكساس (مكان بيع اللوحات) هو الجدير فقط بمحاكمته. لأنه كان يعرف مسبقاً أن القانون هناك يخلو من مواد تحاكم التزوير في الفن أو اللوحات الفنية. وكان محاموه الذين بلغ عددهم أكثر من ٢٠ محامياً من مختلف البلاد والجنسيات يتابعون القضية باهتمام شديد. كما تتابعها الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها. وكان همهم نقض أو الغاء طلب استرداده بواسطة الأنتربول الى فرنسا. وأخيراً اختار فرناند الهرب الى البرازيل لأن له هناك كما يقال « مرقد عنزة ». ولكن الحظ لم يحالفه في البرازيل رغم ثرائه فوقع في قبضة رجال البوليس ثم أحيل إلى القضاء البرازيلي الذي قام بدراسة ملف إعادته الى فرنسا ... وهذا النوع من القضايا يستغرق الكثير من الوقت لغاية السنوات. ولكن فرناند بطرقه الخاصة حوّل سجنه الى فندق من « الدرجة الأولى » فكان يتناول أفخر المأكولات التي كانت تقدم له من أضخم المطاعم وعلى أطباق من فضة... وكان يشرب الويسكي يومياً في السجن.. وباختصار كان له كل ما يريد فالمال موجود والنفوس الضعيفة جاهزة وهي في كل مكان وزمان متوفرة ولا بد أن تلتقي مع أمثال فرناند. لكن تلك الحياة لا يمكن أن تدوم طويلاً لو كانت حياة مرفهة نوعاً ما.فهو اسمه سجين حتى ولو كان يأكل ويشرب على أطباق الذهب كل ما يريد وينام على فراش من ريش نعام. ففكر فرناند بالهرب من السجن البرازيلي وأعطى أبنائه التعليمات بالرموز فحجزوا له عدة طائرات صغيرة خاصة (لأنه وضع خطة لتغيير عدة مطارات للتمويه) وهذه الطائرات سوف تنتظره لكي يهرب بها أثناء حفلة أقامها على نفقته الخاصة في السجن واحتفالاً بعيد البرازيل القومي، انضم الى هذه البهيجة الجميع بدون استثناء... حتى حراس السطح وحاملو المفاتيح... حدث كل ذلك بتخطيط فعلي كما هي الحال في الأفلام السينمائية.

وكانت خطة فرناند كما رسمها واتفق عليها مع أبنائه أي أعوانه أن

يكون في الويسكي الذي قدم للحراس أقراص منومة. ولكن ضباط السجن الذين بدأوا شرب الويسكي لاحظوا أنه ذو طعم رديء ـــ ولسوء حظ فرناند ـــ فاكتفوا باعتباره « ويسكي مغشوش » وطلبوا تغييره... فضاعفت الخطة وتداخلت الأمور حتى أن فرناند نفسه شرب من الويسكي الأول أي الممزوج بالمنوم ونام... نومة أهل الكهف... بينما كان أعوانه خارج السجن على أتم استعداد ويضيئون مصابيح السيارة المعدة لنقله الى المطار ويطفئونها « وهي علامة وجودهم والاستعداد لتهريبه » ولكن الرجل كان في غفوة حالمة، وكل ما أعده للهرب تبخر في الهواء وخسر فرناند في هذه العملية تكاليف حجز الطائرات الخاصة التي تكلف حجز كل طائرة منها ٤٠ أربعين ألف دولار بالاضافة الى الضمان الذي دفع إلى البنك. كان ذلك في شهر شباط (فبراير) عام ١٩٧٤. وفي الثاني من شهر نيسان من نفس السنة ١٩٧٤ مات جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا ونتيجة لموته أحس فرناند بحزن شديد وقنوط حاد وهو في سجنه البرازيلي ولأسباب عديدة كان بومبيدو (ربما) يفضل أن لا يعاد صديقه فرناند الى فرنسا ونجري محاكمته ولا يستطيع أن يمد له يد المساعدة نظراً لتصلب القضاء الفرنسي. ولكن قنوط وحزن فرناند على بومبيدو تبعه فرح وسعادة وسرور لمجرد أن أعلنت الصحف البرازيلية أن فرناند سيفرج عنه ولا يعاد إلى فرنسا وأن هذا القرار سيتخذه القضاة البرازيليون في ٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٧٤.

ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. اختطاف فرناند لوغرو من البرازيل إلى فرنسا

○ في الرابع عشر من شهر شباط (فبراير) نفس العام قام البوليس الفرنسي بالاتفاق مع البوليس البرازيلي وبدون اذن السلطات القضائية المختصة في البرازيل باختطاف العميل فرناند لوغرو من سجنه مكبل

اليدين حيث نقل الى مطار ريودوجانيرو ووضع في طائرة خاصة غادرت في نفس اليوم الى باريس. ولكن فرناند الذي وصل الى البرازيل هرباً من اعتقال البوليس الفرنسي كان حانقاً جداً مما جرى معه ولم يحتمل فكرة إعادته إلى باريس بالقوة وبالخطف (ربما كان يتوقع ما سيجري معه) فأعد الخطة المعاكسة وقبل وصول الطائرة إلى باريس للهبوط في مطار أورلي ذهب الى المرحاض وهناك ابتلع انبوبة كاملة من مادة « الباربيتوريك » السامة مفضلاً الانتحار[1] على المثول أمام القضاء الفرنسي ولكنه لم يمت (عُمر الشقي بقي). حيث انتبه إليه بعد فوات الأوان أحد رجال المباحث بعد أن دخل ورائه إلى الحمام . فوجد غلاف المادة السامة مرمياً على الأرض. وهنا نؤكد أن فرناند لم يكن ذكياً بما فيه الكفاية ليترك وراءه أثراً يدل على تسميم نفسه لولا تعلقه بأمل خفي في الحياة. وهكذا جرى اتصال مباشر من الطائرة مع السلطات المختصة فنقل فرناند من الطائرة الى مستشفى أورلي رأساً حيث أجريت له عملية « غسل معدة ». بعد ثمانية أيام استفاق فرناند فوجد نفسه في السجن الخاص بالموقوفين وتحت عناية طبية وأمنية مشددة. وقد نشط محاموه العشرون الذين استنفروا وحضروا إلى باريس وأبلغوا القضاء الفرنسي بأن « موكلهم » قد اختطف بالقوة وأحضر إلى باريس وأنَّ سجنه غير قانوني. ولكن ذلك لم يؤد إلى الإفراج عنه. فقاموا بالكتابة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد (في حينه) فاليري جيسكار ديستان الذي خلف صديقه الرئيس بومبيدو وأرسلوا نسخة من المعروض نفسه إلى محكمة العدل الدولية وإلى لجنة حقوق الانسان.

(١) هنا نعيد لفت نظر المسؤولين الذين يرسلون دوريات في مهمات خاصة للمصلحة العامة وليس للاختطاف للتنبيه على العناصر بعدم إتاحة الفرصة للمطلوب بعد إلقاء القبض عليه لالحاق الأذى بنفسه ومن ذلك عدم تركه لوحده حتى ولو بحجة ذهابه إلى (W.C).

رغم أن فرناند طلب ضم أحد المحامين الجدد إلى محاميه العشرين فإن محامياً آخر ومن نوع « خاص جداً » تطوع للدفاع عنه. وجاءت نتيجة مرافعته سريعة وإيجابية أكثر من جميع المحامين وحتى أكثر من جميع الذين تدخلوا. ذلك المحامي من النوع الخاص لم يكن سوى الدكتور هنري كيسنجر اليهودي الأصل والمشرف في حينه على جميع وسائل الأمن القومي في الولايات « وزير الخارجية السابق أيضاً ». بما ذلك اشرافه على المخابرات الأميركية بالذات. لقد أرسل هنري كيسنجر برقية باسمه الشخصي ونفوذه المخابراتي إلى السفير الأميركي في باريس يقول فيها : « كيف أن مواطناً أميركياً اختطف من البرازيل إلى فرنسا من قبل رجال أمن نظاميين وضد كل القوانين الدولية ولا يزال في سجن باريس » ويجيبه السفير في اليوم التالي : « سيدي الوزير ـــ استناداً لبرقيتكم سوف نسهر على مصير السجين وقد أرسلنا عضواً من السفارة قام بزيارته واطمئن على رعايته الصحية كما تقدمت باحتجاج شديد الى وزارة الخارجية الفرنسية واحتجاج آخر إلى وزارة العدل والقضاء العالي الذي يدرس قضية فرناند وذلك عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية أيضاً ».

○ أما في واشنطون فإن هنري كيسنجر وباعتباره وزير الخارجية الأميركية فقد استدعى السفير الفرنسي وتباحث معه في القضية طالباً نقل رغبته إلى الحكومة الفرنسية باصلاح هذا الخطأ أي يطلب منه بصراحة إطلاق سراح فرناند. وهكذا... وبضربة ساحر وبعد أن عجز الكثير من المسؤولين في دول العالم ومعهم ٢١ واحد وعشرين محامياً عن اطلاق سراحه، قبل القاضي المكلف بقضية فرناند أن يخلي سبيله بكفالة مالية قدرها ٥٠ خمسون ألف فرنك فرنسي. ودفعت الكفالة فوراً وصدر الأمر باخلاء سبيله واطلاق سراحه كما يقال. فطلب برجاء خاص من مدير السجن الصحي الذي كان يرعاه كثيراً (كما شهد مندوب السفارة

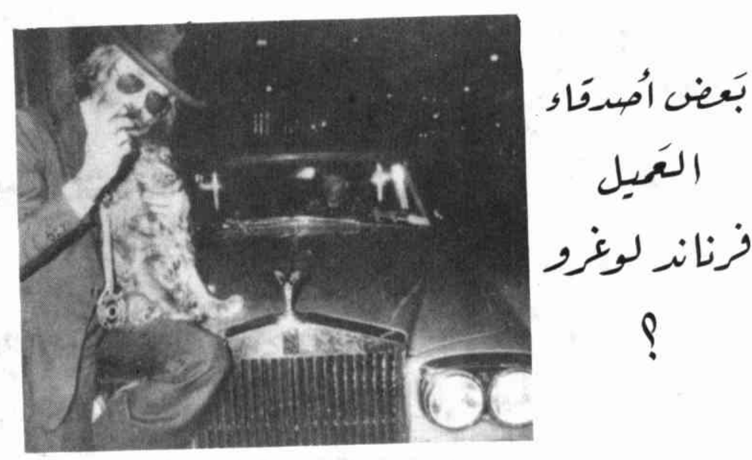
الأميركية) أن يقيم حفلة خاصة لزملائه الموقوفين بهذه المناسبة وكان سخياً كعادته حتى أن معاون مدير السجن حمل له بنفسه حقائبه لدى مغادرته لسجن « السانتية » في باريس، وكأي زعيم سياسي أو انقلابي كان ينتظره العشرات من أبنائه ومؤيديه بالاضافة الى رجال الصحافة خارج السجن. ويعلم أدولفو تولبير رئيس جمهورية ليبيريا بخروج صديقه من السجن فيبعث إليه في باريس كبير الرؤساء الروحيين في غرب افريقيا « سالينوا أواد راغا » ليساعده بصلواته وطقوسه على استرداد معنوياته وصحته ونجاحه. وقد ذكر له أن رجل الدين هذا يرافق كل رؤساء افريقيا في رحلاتهم عندما يركبون الطائرات ليمنع سقوطها وان عليه أن يكرمه خاصة وأن رجل الدين الوقور هذا يتمتع « حسب الادعاء » بمعرفة مواعيد سقوط الطائرات وأسباب سقوطها .. ويصل الرئيس الروحي إلى فندق الانتركونتيننتال في باريس بنفس الوقت مع الجنرال بوكاسا رئيس جمهورية افريقيا الوسطى (في حينه) الذي كان فرناند قد تعرف عليه في سويسرا بواسطة وزير سياحته أنجي باتاسي. وقام رجل الدين سالينوا باجراء طقوسه في جناح فرناند بحضور الرئيس بوكاسا ويظهر أن فرناند كان يعتقد بهذه الشعوذات فاحتفى بسالينوا كثيراً وقبل عودته إلى ليبيريا حمّله فرناند هديتين تليقان بمقامه ومقام فرناند نفسه :

١ ــ شيك بمبلغ نصف مليون فرنك سويسري باسم رجل الدين سالينوا أواد راغا اكراماً له.
٢ ــ عقد موقع سلفاً من فرناند عبارة عن صفقة يستثمر بموجبها فرناند بمبلغ مليون دولار في مناجم الماس في ليبيريا حيث كانت ليبيريا تنتج في السنة حوالي ٨٠٠ ثمانمائة قيراط من الألماس.

وكان فرناند يريد أن يصل بهذا الانتاج إلى الضعف لمعادلة انتاج سيراليون أولاً وثانياً لكي يشكر صديقه الليبيري رئيس الجمهورية.

بَعض أُصدقاء
العَميل
فرناند لوغرو
؟

عَميل
المخابرات الاميركية
C.I.A
؟



فرناند العميل متعدد الجنسيات
أمام سيارته الرويس.



هنري كيسنجر أنقد
فرناند من السجن



الامبراطور العاشق...



داغ هامرشولد ضحية
المخابرات الأميركية.



يوسف بيدس ضحية
تشومبي وفرناند.



محمود فوزي... أيضاً؟



المهدي بن بركه.
حزن فرناند عليه كثيراً.



تشومبي.. الشريك؟

ترك العميل فرناند العمل في المخابرات الأميركية

○ مهما كانت المغريات التي تقدمها المخابرات المركزية الأميركية لعملائها فإنه بالنهاية يصحو هؤلاء العملاء ويعودون إلى ضمائرهم خصوصاً بعد أن يكتشفوا بأنفسهم الضرر الذي تلحقه هذه المخابرات بالأبرياء، سواء من الشعب الأميركي المغلوب على أمره أم من الذين « يعارضون » سياسة الولايات المتحدة في مختلف بلاد الله الواسعة. أما العميل فرناند فقد ترك العمل بالمخابرات الأميركية نتيجة الحادثة الآتية :

○ كان الجنرال الفرنسي ستيلان موروا (النائب في مجلس النواب الفرنسي فيما بعد) والذي وصل إلى مرتبة (نائب ورئيس المجلس) قد ارتكب خطأً جسيماً اضطره للاستقالة من منصبه. كان هذا الجنرال (النائب) مهتماً كثيراً بموضوع الدفاع عن أوروبا ضد الغزو السوفياتي المحتمل. وقد أصدر كتابين حول هذا الموضوع وقد ضمّن الكتابين ملاحظات حاول التأثير بها في قضية شراء طائرات عسكرية من أميركا لعدة دول أوروبية غربية، وذلك بتأثير أو دفع من المخابرات الأميركية ولكنه وقع في الخطأ حيث صرح بذلك علانية وليس كما يفعله الكثيرون « سراً ». وقد أثارت قضيته ضجة كبرى في فرنسا مما اضطره للاستقالة. أما في الطرف الآخر أي في أميركا فقد كشفت لجنة تحقيق من مجلس الشيوخ الأميركي أن الجنرال (النائب) المذكور كان يتقاضى أتعاباً من المخابرات الأميركية. وبعد استقالته جرت محاولة لاغتيال ابنه أما الجنرال نفسه فقد قُتل في حادثة سيارة في ظروف غامضة جداً « حادثة مدبرة » طبعاً. وكان فرناند يعرف الجنرال بحكم العمالة مثله للمخابرات الأميركية... وكان قد التقى به عدة مرات. فكان اغتيال الجنرال وذهابه إلى العالم الآخر مبرراً أو سبباً لاقدام فرناند على وداع المخابرات الأميركية لكي

ينقذ نفسه أو كما يقال باللغة العامية (ينفذ بجلده). فاعتزل نوعاً ما هذه الحياة الصاخبة الخطرة واستكان وأراد الراحة لنفسه وقد تجاوز الخمسين من العمر وقد عاشها كأسطورة من أساطير هذا العالم المعاصر التي اقتربت من أن تكون كألف ليلة وليلة أوروبية حديثة وتصلح لمن يهمه الأمر كمسلسل تلفزيوني أو فيلم سينمائي. ومع كل ما ذكر عن فرناند فإنه لم يقل كل شيء وهو حتماً لم يقل كل شيء لأنه احتفظ بدون شك بالكثير الكثير في صدره من الأسرار... لا يبوح بها لأنه عند تسجيل هذه المعلومات منه شخصياً، كان إذا أسرع بالاعلان عن معلومات يقول : « عفواً هذه المعلومات ليست للنشر ». وقد قال كلاماً كثيراً عن مسؤولين لا يزالون في الحكم في مختلف أقطار العالم. أو لا يزالون على قيد الحياة. ولكنه طلب أن يبقى الأمر سراً لا يدري به أحد وكان يقول في حينه : « هؤلاء من أصدقائي ولا أريد أن أجرّح بهم ». لقد كانت أسلحة فرناند في كل هذه الحياة المليئة بالمغامرات والمفاجآت الكثيرة ومنها : المال، الذكاء، وحسن التصرف، والثقافة الواسعة. وبالطبع مساعدة المخابرات الأميركية له معنوياً ومادياً مقابل خدماته لها، كما أن علاقاته السياسية بالاضافة الى الكثير من الخصال التي كان يتحلى بها وأهمها السماح والكرم الحاتمي في موضعه. وبعد كل هذا ما هو مصير فرناند ؟

العام ١٩٨٤ كان فرناند يعيش متنقلاً بين أميركا وباريس والبرازيل. لم يكن أحد يعرف له عنواناً ثابتاً، ينزل غالباً في الفنادق الراقية ولكنه كان يدخلها من الأبواب الخلفية ويعطي لمن يقابله رقم هاتف مغلوطاً ومن يشاء أن يقابله عليه أن يلاحقه بطرقه الخاصة. في نفس العام طلق زوجته « أم أولاده » الاثنين رغم شذوذه الجنسي وتزوج من أميرة إيرانية من مخلفات الشاه ولم يعط أو يبح باسمها لأحد. أصبح ابنه الأكبر يعمل في ميدان العقول والثاني أصبح محامياً. وكان كعادته إذا خرج من

باريس لا يركب إلّا سيارته الرولس رويس الشهيرة أو سيارة اللينكولن الرئاسية الأميركية التي سبق أن اشتراها من أملاك الرئيس السابق ريتشارد نيكسون... وكان كلبه الأسود لا يفارقه وكان يرتدي قبعته السوداء الكبيرة ونظاراته السوداء القاتمة التي يخفي ورائها عينين سوداويتين خجولتين ــ رغم كل شيء ــ تطويان ألف سرّ وسرّ. كان يقول لمن يقابله : « أنا سعيد وليس عندي أي وقت للضجر ».

وفي منتصف شهر كانون الثاني (ديسمبر) ١٩٨٤ كان قد عاد من جولاته إلى باريس ليحضر ولادة كتاب له وعنه. ولكي يحتفل بهذه المناسبة أقام حفلة كوكتيل ضخمة في فندق كونتيننتال الشهير في باريس حضرها الكثير من المسؤولين والكتاب المرتزقة (عفواً) لأن هذا هو الواقع مع فرناند وكان كتابه المحتفى به قد أعده له ثلاثة من هؤلاء الكتاب المرتزقة. ولكن هذه الحفلة كانت بمثابة الشؤم له لأنه صدر في اليوم التالي للاحتفال الخبر الآتي في الاذاعات والصحف الفرنسية « فرناند لوغرو يدخل السجن » وذلك أن فرناند ركب سيارته الرولس رويس عقب انتهاء الحفلة وهو مخمور وأصر على أن يقودها بنفسه وهو على هذه الحال فتعرض لحادث مريع وجاء البوليس الفرنسي... والبوليس الفرنسي لا يرحم في مثل هذه الأمور. ويا ليت الدول الأخرى يكون بوليسها مثل البوليس الفرنسي ! وعاد فرناند الى السجن لمدة أربعة أشهر. لم يتمكن أحد من مساعدته، ولم ينفعه ماله وغناه في تخليص نفسه من مخالفة قانون السير الفرنسي وعدم قيادة السيارة أثناء السكر « أي بعد تناول الكحول ».

نهاية المغامر العميل فرناند لوغرو

○ عقب خروج فرناند من السجن الفرنسي في أول شهر تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٧٥ أثر حادثة السيارة اختفى عن الأنظار نهائياً. ولم يعد يظهر للمغامر فرناند أي أثر لكل من يسأل عنه. من يعرفه أو كان يعرفه في باريس ولم يعد يسمع باسمه كان يقول : أوه. لقد رحل فرناند عنا وأخذ أسراره معه. فعلاً رحل فرناند الذي كان القفل والمفتاح لأسرار كثيرة إلّا سره هو فلم يكن مفتاحه مع أحد. والنهاية أي نهاية الحياة للجميع مهما كانوا أقوياء مهما كانوا أغنياء فهي محتومة حسب سنة الحياة وسنة الكون. فقد خرج فرناند من السجن كئيباً حزيناً وتوارى عن الأنظار في دارته بباريس ولكن للحق فإن عائلته لم تتركه. زوجته الأميرة الايرانية وولداه كانا يحيطان به حيث أصيب بمرض العصر وهو مرض القلب. وأخيراً أصيب بنوبة قلبية حادة مات على أثرها وتمّ تشييعه بشكل لائق وسار خلف نعشه أصدقاء الأمس يحيطون بأرملته وأولاده بشكل مؤثر. وهكذا انتهى عميل من عملاء المخابرات الأميركية نهاية طبيعية أي بالموت الطبيعي وليس اغتيالاً كنهاية أغلب عملائها وذلك لأن فرناند كان عميلاً من نوع خاص جداً.

أميركا تكشف القناع عن وجهها..؟!

جميع أعمال المخابرات الأميركيّة

تحت عنوان

الغاية تُبرِّر الوسيلة

- أميركا أقامت الدنيا لأجل الطائرة الكوريّة ولم تحرك ساكناً لأجل الطائرة الليبية التي أسقطتها إسرائيل.

- المخابرات الأميركيّة قتلت ٩٠٠ إنسان في غويانا «كتجربة» وقتلت ٢٦٩ إنساناً ركّاب الطائرة الكوريّة أيضاً «كتجربة».

من تجاوزات المخابرات الأميركية
واستهتارها بأرواح المسافرين بالطائرات

الملفُّ الكامِل
عَن
إسقَاط الطائرة الكوريّة

إعلان الحرب
بين : المخابرات السوفياتيّة (K.G.B)
و : المخابرات الأميركيّة (C.I.A)
على الطائرة الكوريّة جامبو (747)

• • •



الملف الكامل عن اسقاط الطائرة الكورية فوق اليابان

في ٣١ آب (أغسطس) ١٩٨٣ أطلقت الطائرات الاعتراضية في سلاح الجو السوفياتي قذائفها الصاروخية على طائرة جامبو (٧٤٧) تابعة لشركة الخطوط الجوية الكورية داخل المجال الجوي السوفياتي فأسقطتها من على ارتفاع ٣٥ ألف قدم في مياه بحر اليابان وتسببت في مقتل جميع ركابها وطاقمها الذين بلغ عددهم (٢٦٩ إنساناً)، كان من بينهم المستر لاري لورنس ماكدونالد عضو الكونغرس الأميركي و٢٧ يابانياً واكثر من ٥٠ راكباً أميركياً و٨٠ راكباً كورياً وبقية الركاب من تايوان وهونغ كونغ والفليبين وكندا وتايلاند واوستراليا. ولم يكن هذا الحادث هو الأول من نوعه في تاريخ الطيران المدني. فقبل عشر سنوات من إسقاط الطائرة الكورية اعترضت مقاتلات من الفانتوم من سلاح الجو الاسرائيلي طائرة ركاب مدنية تابعة للخطوط الجوية الليبية داخل المجال الجوي المصري، فاستدرجتها إلى المجال الجوي فوق الأرض المحتلة بعد أن أوهم الطيارون الاسرائيليون كابتن الطائرة الليبية بأنهم « مصريون ». وبعد أن تمت الخدعة أسقطت الطائرة الليبية بأوامر أرضية من رئيس الأركان الاسرائيلي في حينه دافيد اليعازر وهو في حمام منزله. فلقي ركابها وطاقمها مصرعهم (ما عدا مساعد الطيار وهو ليبي عولج

في اسرائيل)[1]. ورغم أن عملية إسقاط الطائرة الليبية دفعت الى عالم النسيان لكن فاجعة الطائرة الكورية تؤرق ضمائر الباحثين وصحافيين كثيرين في الغرب والشرق لأن إسقاطها بهذا الشكل المفجع يختلف عن سقوط الطائرات بالكوارث الجوية والميكانيكية. ففي هذا العصر عصر الثمانينات الذي بات فيه سقوط الطائرات وموت المئات من ركابها من أحداث كل يوم. أما سقوط الطائرة الكورية « كال ٠٠٧ » فقد تحول الى مسلسل طويل من الاتهامات والاتهامات المضادة وعمليات التمويه ونشر عنه خلال أكثر من سنة عشرات البحوث والمقالات والكتب. والحقيقة أنه لا يكاد يعادل اسقاط تلك الطائرة المنكوبة فيما كتب ويكتب عنه. ومن البحوث هذا البحث المتواضع المملوء بالحقائق والأرقام سوى جريمة اغتيال الرئيس الأميركي جون كنيدي وإنه فيما كتب ويكتب يوجد إصرار مشكور على البحث عن الحقيقة ولا بد من وجود عمليات طلاء وتمويه لطمس الحقيقة. وقد نشر الصحافي الأميركي المعروف « سيمون هرش » كتاباً قيماً عن حادثة إسقاط الطائرة الكورية ونشرته له « دار راندوم هاوس الأميركية للنشر ». هذا الصحافي صاحب أحدث تحقيق في تلك الحملة وهو الذي اشتهر بنزاهته وعدم تورعه عن مهاجمة المخابرات، الأميركية بل ومهاجمة « هنري كيسنجر » ذاته في كتابه « ثمن السلطة ». أما عنوان كتابه الذي نشره عن إسقاط الطائرة الكورية فهو « الهدف قد دمّر » وهو يقول في مجلة أطلانطيك الأميركية بعددها الصادر بتاريخ ٩ /٩ /١٩٨٦ أنه قضى عامين « منقباً » وباحثاً في مسألة تلك الطائرة فتبين له أنها « لم تكن في طلعة لجمع المعلومات لصالح المخابرات الأميركية أو لمخابرات كوريا

---

(١) للاطلاع على التفاصيل الكاملة لاسقاط الطائرة الليبية المدنية في ١٩٧٣/٢/٢١ يرجى مراجعة الصفحات من ٤٦٤ الى ٤٦٨ من الكتاب الأول من هذه السلسلة من كتب المخابرات والعالم ويمكن طلبه من المؤلف رأساً. بيروت ص ب (٥١٤٠).

الجنوبية ». وهذا كلام معقول ومريح (مما لو قال ان أجهزة التسمع الأميركية فطنت لفورها لما التقطته من اتصالات السوفيات الداخلية أثر دخول أو اقتحام الطائرة لمجالهم الجوي) إن مسؤولي الدفاع الجوي السوفياتي لم يفطنوا إلى أن الهدف الذي طاردوه كان طائرة « مدنية». ويؤكد الكاتب أن الحكومة الأميركية تعلم ذلك لكنها « تمسكت بالادعاء » بأن الروس أسقطوا الطائرة المدنية « عمداً » وهم يعلمون أنها طائرة ركاب، لأن الحكومة الأميركية اختارت أن تتجاهل ما قد توفر لديها من معلومات. ويؤكد الكاتب الباحث أن فاجعة الطائرة سببه سلسلة من « الأخطار البشرية ». ونحن نبحث في هذا الفصل الأمور الآتية : هل ضلت الطائرة طريقها ودخلت المجال الجوي السوفياتي ذاهبة الى مصيرها المقدّر نتيجة لتلك السلسلة من الأخطاء من جانب الطيارين ومحطات المراقبة الجوية؟

إسقاط الطائرة من جهة النظر الأميركية

بتاريخ ٣١ آب يوم إسقاط الطائرة لم يكن الرئيس الأميركي ريغان في واشنطون بل كان في إجازة قصيرة للاستجمام في مزرعته بين تلال سانتا بربارا بولاية كاليفورنيا. وحين وصلته الأنباء بالأجهزة اللاسلكية التي أعطتها له المخابرات الأميركية قرر قطع إجازته والعودة فوراً إلى واشنطون ليرأس اجتماعاً طارئاً لمجلس الأمن القومي. وبعد دقائق من اذاعة النبأ أطلق السيناتور توماس هارتنت الطلقة الأولى فوصف « القيام بهجوم مسلح على طائرة ركاب مدنية غير مسلحة » بأنه عمل اجرامي يشبه « شن هجوم على سيارة باص مدرسية محمّلة بالأطفال » وفي أعقاب تلك الطلقة الأولى « شنت » وزارة الخارجية الأميركية حملة دبلوماسية بالغة الحدة على الاتحاد السوفياتي. ثم وجه الرئيس ريغان إلى العالم بياناً ألقاه من فوق منصة أعدت له على عجل في مطار كاليفورنيا وصف فيه إسقاط الطائرة الكورية بأنه « عمل بربري كشف عن الدوافع المحركة للسياسة السوفياتية » ثم ركب الطائرة الرئاسية طائرة « سلاح الجو الأميركي رقم واحد » عائداً إلى واشنطون.

○ وقد بدا واضحاً عقب إسقاط الطائرة الكورية أن الحكومة الأميركية قد قررت لأسباب دعائية محضة اتخاذ الحادث، الذي لم يكن الأول من نوعه في تاريخ التناحر بين الشرق والغرب، ذريعة لشن حملة

على السوفيات لم يسبق لها مثيل، منذ الحملة على اليابانيين أثر الهجوم الجوي من قبل سلاح الجو الياباني على ميناء « بيرل هاربر » في ١٩٤١/١٢/٧ وأيضاً استهل الحملة في حينه الرئيس الأميركي روزفلت بخطبة قال فيها : « إن هذا اليوم سيظل التاريخ يذكره في سجل العار ». هذه الخطبة التي يؤكد فيها بعض الأميركيين وباصرار ان الرئيس روزفلت أعدها توقعاً لذلك الهجوم قبل وقوعه بأيام.

○ وفي الحملة ذات النبرة الأخلاقية العالية التي شنتها إدارة الرئيس ريغان إثر إسقاط الطائرة الكورية تكررت الكلمات التي من نوعية « سجل العار » بشكل مكثف، ووصف إسقاط الطائرة بأنه « جريمة في حق الانسانية ». والواقع أنه بدا وقتها كما لو كان الأميركيون قد وضعوا السوفيات في ركن ضيّق وانهالوا على رؤوسهم بألفاظ المبادئ الانسانية التي تستعمل عند اللزوم. وفي اجتماع مجلس الأمن وصف المندوب الأميركي تشارلس ليتشنستين الحكومة السوفياتية بأنها جانحة غير متمدنة لأنها لم تعترف بالمسؤولية وتتخذ من الخطوات ما يكفل عدم ارتكاب مثل ذلك العمل الاجرامي ثانية أبداً. ولعدة أسابيع أقامت الولايات المتحدة الدنيا وأقعدتها، وظلت الحملة تصعد تصعيداً بالغ الحدة حتى بدا كما لو كان القادة الأميركيون قد أخذوا يعبّئون الرأي العام في بلدهم وفي العالم ويعدونه للقبول بعمل صارم يتخذ ضد السوفيات.لكن شيئاً لم يحصل والحملة ما لبثت أن خفتت بعد الأسابيع المشتعلة الأولى وأخذت درجة حرارتها تنخفض حيث صدرت اشارات غير مألوفة من الرئيس الأميركي الذي يحرص على عدم التراجع عما كان بدأه، إذا فهم من هذه الاشارات أن المسألة لم تكن بذلك القدر من الاشتعال. وتأكد ذلك عندما وقّع الأميركيون في موسكو بالذات وليس في أي مكان آخر « اتفاقية قمح » كان الروس قد انتظروها طول ثلاث سنوات من التمنع الأميركي سعياً لابرامها. ثم غيّرت الحكومة الأميركية موقفها فجأة من

موضوع خط الأنابيب السوفياتي فعدلت عن الحظر الذي كانت قد فرضته على الشركات الأميركية فمنعتها من توريد بعض احتياجات السوفيات لبناء ذلك الخط الاستراتيجي البالغ الأهمية بالنسبة للسوفيات. ثم أعلن جورج شولتز وزير الخارجية الأميركي وهو الذي سبق له أن رفع صوته قبل وقت قصير قائلاً بأن أي شيء لن ينسينا الجريمة البشعة، سيجتمع في مدريد « كما كان متفقاً قبل إسقاط الطائرة الكورية » مع الرفيق غروميكو الذي كان وزيراً للخارجية السوفياتية في حينه. وبشكل عام بدا في تلك الأوقات كما لو كان السوفيات قد توصلوا إلى « شيء ما » أسكتوا به الحملة الضارية التي شنت عليهم وأقنعوا الأميركيين باعطائهم فوق ذلك ما ظلوا يطلبونه خلال سنوات سابقة : القمح، خط الأنابيب. ولم يقل السوفيات بطبيعة الحال شيئاً عما مكنهم من « تغيير » الموقف الأميركي بتلك السرعة فقد لزموا الصمت حتى في أعنف لحظات الحملة التي شنت عليهم. وفي وسط الضجيج الاعلامي الكبير في أعقاب إسقاط الطائرة وأثناء دويّ صواريخ التصريحات الأميركية الغاضبة لم يكن الكثيرون قد انتبهوا الى الكلام الخطير الذي قالته السيدة كاترين ماكدونالد « أرملة » المستر لورنس ماكدونالد عضو الكونغرس الأميركي ورئيس جمعية « جون بيرتش » العنصرية المتطرفة من أن زوجها « قتل عمداً » وأنه « اغتيل » وأنّ طائرته « الطائرة الكورية » قد أدخلت عنوة الى المجال الجوي السوفياتي ليسقطها السوفيات ويقتلونه بالذات.

○ الصحيفة الوحيدة التي تنبهت إلى خطورة ما قالته مسز ماكدونالد أمام عدسات التلفزيون والصحافيين في مطار اطلانطا كانت صحيفة (أنجيليس هيرالدأكزاميز) فنشرته على صدر صفحتها الأولى وعلقت بأنه من الغريب حقاً أن يقال ذلك الكلام عن « اغتيال ماكدونالد » على لسان أرملته ولا يرد له ذكر في الحملة الرسمية الأميركية رغم أنه كلام

يتلاءم والزخم العام للحملة بالنظر إلى أن ماكدونالد كان من ألدّ أعداء الشيوعية في المؤسسة الأميركية الحاكمة. ومن الأسئلة الجريئة التي طرحتها هذه الصحيفة ولم تتلق إجابة عليها الا من مسز ماكدونالد ولا من أي مسؤول أميركي، سؤال محيّر فعلاً وهو : من الذي قصدته مسز ماكدونالد عندما قالت أن زوجها لاري « قتل عمداً » ؟ هل قصدت الروس ؟ ومع ذلك فبطبيعة الحال لم يكن هناك ما يمنع الأميركيين من الادعاء بذلك بل ولقد بدا فعلاً أن المسؤولين الأميركيين « وإن لم يقولوا ذلك صراحة » قالوه تلميحاً. ففي كلمته أمام مجلس الأمن قال المندوب الأميركي إن على العالم تسمية جريمة السوفيات بأنها جريمة مع سبق الاصرار والترصد ». فكأنما أراد أن يفسر ما قالته أرملة ماكدونالد عن القتل العمد ولكن مع التعميم والابهام إذ يمكن أن يؤخذ ما قاله عن « القتل العمد » بوصفه منسحباً على كل من كانوا في الطائرة ومنهم المستر ماكدونالد. لكن القول أن السوفيات أسقطوا الطائرة ليقتلوا ماكدونالد لأنه من أعدائهم فهذا لا يمكن ابتلاعه بسهولة. فإن كان السوفيات يريدون حقاً « اغتيال » الرجل بسبب معاداته لهم كالمئات غيره من ساسة الولايات المتحدة والمشرعين الأميركيين فلم يكونوا بحاجة لاسقاط طائرة ركاب مدنية باكملها وجلب كل هذه الضجة لهم ولديهم الـ كي. جي. بي. التي يمكنها القيام بالتصفية بطرق اكفأ وأقل اثارة. ومع ذلك ظلت علامات استفهام عديدة وكبيرة تتراقص في الجو وتستفسر عن فاجعة تلك الطائرة. ومما شجع المستائلين على الالحاح في التساؤل عندما علم أن المستر كارول هابارد أحد زملاء ماكدونالد كان سيسافر معه على نفس الطائرة من نيويورك لكنه اعتذر في اللحظة الأخيرة لأنه دعي لالقاء كلمة في اجتماع عام عقد في ولاية « كنتكي ». وعندما كثرت مثل تلك التساؤلات ظهرت فكرة « التجسس » المثيرة.

هل كانت الطائرة في عملية تجسس
أم أنها انحرفت ببراءة عن مسار الرحلة ؟

إن حادث إسقاط الطائرة الكورية لم يكن الأول من نوعه إذ أن السوفيات اعترضوا منذ عام ١٩٥٠ ما لا يقل عن ٨٧ طائرةً أميركيةً. أو لها علاقة بأميركا دخلت مجالهم الجوي للقيام بأعمال تجسس. فأسقطوا أو أرغموا على الهبوط منها ٢٧ طائرةً وأفلتت ٦٠ منها. وإن اكثر من ١٥٠ من العسكريين الأميركيين قتلوا في تلك المجابهات. ويضاف إلى ذلك أن نفس قائد الطائرة الكورية كان أصلاً طياراً عسكرياً يحمل رتبة عقيد في سلاح الجو الكوري وأنه كان يتفاخر في أحاديثه الخاصة بقيامه، أثناء قيادته للطائرات المدنية الكورية في رحلاتها إلى الشرق الأوسط والشرق الأقصى، بـ« مهمات خاصة وسرية للمخابرات الأميركية » وأنه أتاح لبعض أصدقائه المقربين فرصة مشاهدة أجهزة التجسس المستخدمة في تصوير المنشآت العسكرية السوفياتية بما في ذلك التجسس عليها الكترونيا من الجو. وعلم فيما بعد أن الخطوط الجوية الكورية « متعاقدة » منذ السبعينات مع المخابرات الأميركية على القيام لحسابها بعمليات تجسس ». كما قيل في هذا المجالى أن الأميركيين أطلقوا من المنطقة اليابانية التي دخلت منها الطائرة المجال الجوي السوفياتي قمراً برمج لتغطية المنطقة التي توغلت فيها الطائرة

الكورية من المجال الجوي السوفياتي وتسجيل مواقع منظومات الدفاع الجوي التي ستنشط للعمل « إثر اقتحام الطائرة الكورية للأجواء السوفياتية ». ومما رجح كون الطائرة الكورية قد دخلت المجال الجوي السوفياتي للتجسس أن السوفيات أنفسهم أصدروا بياناً مريباً غامضاً بعد يومين من اسقاط الطائرة قالوا فيه ان طائرة غير معروفة الهوية قد أسقطت إثر اقتحامها مجالهم الجوي وبعد ذلك قالت وكالة « تاس » ان الولايات المتحدة خططت عمداً الانحرافات التي أقحمت الطائرة في المجال الجوي السوفياتي وتساءلت « تاس » قائلة : لو أن رحلة الطائرة كانت رحلة طيران عادية لطائرة مدنية وضلت الطريق، لِمَ لم يُتَّخذ أي اجراء من جانب السلطات الأميركية لتصحيح مسارها وإنهاء ذلك الاعتداء السافر على المجال الجوي السوفياتي. أما الأميركيون فقد قالوا ما قالوه عن الطائرة المنكوبة وادعوا أنها عندما بارحت مطار كنيدي كانت بحاجة الى اصلاح « أعطال في أجهزة اللاسلكي والملاحة » وأن الاصلاح كان سيجري لها عند هبوطها في مطار أنكوراج بألاسكا. ولم يقل أحد فيما بعد إن كان الاصلاح قد أجري عليها أم لا. ونحن نقول من على الأرض أنه من الغريب فعلاً أن تتمكن الطائرة من الوصول سالمة الى أنكوراج وفيها تلك الأعطال. ثم تضل الطريق وتدخل اجواء الاتحاد السوفياتي بعد إصلاحها « إن كانت قد أصلحت ».

وبعد ذلك جاءت المعلومات من نفس مطار أنكوراج أن الطائرة الكورية وكان اسمها (كال ٠٠٧) قد هبطت في مطار أنكوراج ولم يجرِ عليها أي إصلاح،وقد هبطت بعد دقائق من هبوطها طائرة جامبو ٧٤٧ كورية أخرى وتحمل الاسم (كال ٠١٥) ووقفت بجوارها وهي قادمة من لوس أنجلوس ووجهتها هي الأخرى سيوول وتسير على نفس مسار الطائرة الأولى على الخط « آر ٢٠ » أو الخط ٢٠ الأحمر كما يسميه الطيارون. وهذا الخط على امتداد نقاط مراقبة جوية تبعد كل

منها عن الأخرى حوالي ٢٨٠ ميلاً بحرياً. وكان على متن الطائرة الثانية (كال ٠١٥) ستة من أعضاء الوفد الرسمي الأميركي الذاهب إلى سيوول للاشتراك في الاحتفال بمرور ٣٠ عاماً على توقيع معاهدة الدفاع المشترك بين البلدين وهو الوفد الذي كان لورنس ماكدونالد من أعضائه. ومن أعضاء الكونغرس الستة المشتركين في الوفد والمسافرين على الطائرة (كال ٠١٥)، كان السيناتور جيسي هيلمز وهو الذي اختار ماكدونالد للمشاركة في الوفد ! ومع ذلك لم يحاول هيلمز أو أي من زملائه الآخرين المسافرين على الطائرة الثانية « السؤال » عن ماكدونالد وهو بجانبهم أو دعوته للانتقال الى طائرتهم للسفر معهم على الطائرة (كال ٠١٥) خاصة عندما علموا أن الطائرة (كال ٠٠٧) ستتأخر لأسباب غير معروفة في مطار أنكوراج بعد أن كان « محدداً » لها الاقلاع قبل الطائرة (كال ٠١٥) بعشرين دقيقة. وعندما سأل الصحافيون أعضاء الوفد الأميركي إلى احتفالات سيوول الذي كان ماكدونالد أحد الممثلين الرئيسيين لليمين الأميركي المتطرف عن عدم التقائهم بماكدونالد اطلاقاً في مطار أنكوراج أجاب السيناتور ستيف سيمز قائلاً باللهجة الأميركية : أوه ـــ هذا ؟ الكل يعرف أن « لاري » كان يخلد الى النوم كلما ركب الطائرة. ولذلك لم نستغرب عندما لم نلتق به في أنكوراج ثم أضاف قائلاً : « ولو كنا التقينا به.. من يدري ؟ ربما كنا أقنعناه بالانتقال الى طائرتنا لنكمل الرحلة معاً » وسكت لحظة ثم قال : « أو كان هو قد أقنعنا بالانتقال الى طائرته وكنا معه الآن ؟ » أي في عداد الأموات لأن الحديث بعد سقوط الطائرة.

الرحلة الغامضة

غادرت الطائرة (كال ٠٠٧) مطار أنكوراج بعد اقلاع الطائرة الأخرى بعشرين دقيقة « متأخرة » عن الموعد الذي كان محدداً لاقلاعها بأربعين دقيقة وأيضاً لم يعرف سبب هذا التأخير. كل ما عرف أن قائد الطائرة تزود في ذلك المطار بـ٩٨٠٠ رطلٍ من الوقود زيادة عن حاجة الطائرة طبقاً لخط رحلتها. ولم يعرف بعد ذلك سبب تزود الطائرة بتلك الكمية الاضافية الضخمة من وقود عال الاشتعال. ولم يعرف ثالثه الوقت الذي خرجت فيه الطائرة عن المسار المرسوم لرحلتها وهو الخط الجوي « آر ٢٠ » والذي التزمته الطائرة الثانية (كال ٠١٥) « بدقة » فوصلت الى سيوول في الموعد المحدد لها. والمعتقد أن انحراف الطائرة (كال ٠٠٧) نحو الأجواء السوفياتية بدأ إثر اقلاعها مباشرة تقريباً وعلى بعد عشرة أميال من مطار انكوراج.

ومن المفروض، بل من المقطوع به أن رادارات نقاط المراقبة العسكرية الأميركية اكتشفت لفورها خروج تلك الطائرة المدنية عن خط الرحلة المرسوم لها منذ اللحظة التي انحرفت فيها هذه الطائرة عن ذلك الخط « وكان من المفروض أن يبلغ ذلك فوراً لسلطات الطيران المدني استناداً للاتفاق الذي عقد بين سلطات المراقبة العسكرية والطيران المدني ووزارة الدفاع الأميركية سنة ١٩٨٢ الذي ينص على أن تقوم الرادارات

التابعة لنقاط المراقبة العسكرية « بالتحقق من التزام الطائرات المدنية بدقة لخطوط الرحلات المرسومة لها » وتبلغ هذه النقاط سلطات الطيران المدني بأي انحراف لتقوم مراقبة الحركة الجوية. بالاتصال بالطائرة وتصحيح مسارها.

وقد بيّنت التحقيقات فيما بعد أن نقطة المراقبة العسكرية في كينغ سالمون قد أبلغت مطار أنكوراج بخروج الطائرة (كال ٠٠٧) عن مسارها، لكن تلك المعلومات لم تبلغ من مطار أنكوراج إلى مراقبة الحركة الجوية .كما عرف أيضاً أن نقطة المراقبة العسكرية في « كيب نيو نيهام » لم تُعن باخطار مراقبة الحركة الجوية بالانحراف الكبير الذي سجلته راداراتها في مسار الطائرة. (ولم تعرف أسباب ذلك التقصير حتى الآن) وأيضاً وبالمثل لم يعرف السبب في التزام قائد الطائرة الصمت وعدم إبلاغه نقاط المراقبة بأن طائرته ستتأخر في الوصول إلى مناطقها مخالفةً التعليمات الملزمة للطيار بالابلاغ عن أي تأخير يتجاوز (٣) ثلاث دقائق عن الموعد المحدد لوصوله إلى منطقة أية نقطة من تلك النقاط. وقد ثبت بعد الحادث أن الطائرة (كال ٠٠٧) « مرَّت » وهي تقترب من المجال الجوي السوفياتي بالقرب من طائرة استطلاع عسكرية أميركية « آر — سي — ١٣٥ » أي طائرة تجسس حقيقية على الاتحاد السوفياتي. وقد أعلن المسؤولون الأميركيون وعلى رأسهم الرئيس ريغان بعدم وجود أدنى علاقة بين الطائرتين وأنَّ المسافة بينهما لم تقلّ في أي وقت عن ٧٥ ميلاً بحرياً، وأنَّ ذلك التجاوز كان مصادفة ولعدة لحظات في المرة الأولى وأنَّ الطائرة العسكرية قد عبرت مسار الطائرة الكورية مرة ثانية وكان ذلك على بعد ٣٠٠ ميلٍ بحري.

أما السوفيات فقد أذاعوا تفصيلات مغايرة وحكوا حكاية أخرى وطبقاً لروايتهم، التقت الطائرة الكورية بالطائرة العسكرية على ارتفاع ٢٦ ألف قدم، وطارت الطائرتان جنباً إلى جنب، بنفس السرعة، ولمدة عشر دقائق

بطريقة جعلت صورتيهما على شاشات الرادار السوفياتية الضخمة تتداخلان، ثم انفصلتا وطارت إحداهما شمالاً باتجاه ألاسكا، بينما غيّرت الأخرى مسارها تغييراً طفيفاً وطارت باتجاه مناطق عسكرية استراتيجية فوق مناطق « بتروبافلوفسك » بشبه جزيرة كاماشتكا، وأن الطائرة العسكرية التي تبين فيما بعد أنها هي التي طارت شمالاً إلى ألاسكا قامت قبل انطلاقها في ذلك الاتجاه « بمناورة » لتضليل الرادارات السوفياتية حتى تتيح للطائرة الثانية (كال ٠٠٧) دخول المجال الجوي السوفياتي خلسة.

والفصل في صدق رواية الأميركيين أو رواية السوفيات بطبيعة الحال هي المعلومات التي سجلتها الرادارات الأرضية الأميركية وأجهزة طائرة الاستطلاع العسكرية الأميركية « آر ــ سي ــ ١٣٥» ذاتها (لكن تلك المعلومات ظلت بعد الحادثة طيّ الكتمان).

ولما كانت السلطات الأميركية لم تنف وجود الطائرة العسكرية في الجو بالقرب من الطائرة الكورية بل ولم تنف هذه السلطات دخولها المجال الجوي السوفياتي وأنه من المؤكد أن قائد الطائرة العسكرية وأجهزتها الالكترونية « اكتشفا » أن الطائرة الكورية كانت قد انحرفت عن مسارها في نقطة « التقارب » بما لا يقل عن ٢٠٠ ميل، لأنه من المعروف عسكرياً أن ذلك النوع من الطائرات العسكرية أشبه بمعمل عسكري كامل طائر في الفضاء مقام داخل طائرة بوينغ (٧٠٧) عدلت لتمارس أعمال التجسس وسميت « آر ــ سي ــ ١٣٥ ». ويدير هذا المعمل الطائر طاقم من عناصر قيادة الجو الاستراتيجية الأميركية بمساعدة فريق كبير العدد من الفنيين والمترجمين ويعمل تحت سلطة وكالة الأمن القومي الأميركية. ومن الأنشطة التي يقوم بها هذا المعمل الطائر نقل الصور التلفزيونية لما يجري حوله في الجو أو تحته على الأرض إلى محطات استقبال أرضية.

ومن المقضي به أن الطائرة المعمل هذه سواء التقت بالطائرة الكورية وسارت بجوارها لمدة عشر دقائق كما يقول الروس وعبرت خط مسارها مرتين مرة على بعد ٧٥ ميلاً ومرة على بعد ٣٠٠ ميل كما يقول الأميركيون سجلت أو بثت لفورها إلى مطار أنكوراج مدى انحراف الطائرة الكورية عن مسار الخط « آر ٢٠ » الذي اتبعته الطائرة الشقيقة (كال ٠١٥) فوصلت إلى وجهتها سيوول سالمة. فإن الطائرة الكورية كان مقرراً لها هذا الانحراف ومكتوباً عليها هذا المصير. والذي لا شك فيه أيضاً أن تلك الطائرة العسكرية « المعمل » فطنت لفورها إلى أن المسار الذي اتخذته الطائرة الكورية عندما انحرفت كان مفضياً بها لا محال الى دخول المجال الجوي السوفياتي الذي تقول الرواية الأميركية أنه كان على بعد ٥٠ ميلاً بحرياً لا أكثر وقد ذكرنا أنها أعلمت فوراً سلطات مطار أنكوراج فلِمَ لَمْ تستخدم تلك المعلومات « من الموقع الأرضي » لتصحيح مسار الطائرة »؟



الرئيس ريغان يتحدث عن إسقاط الطائرة الكورية

من المعروف أن الرئيس ريغان كان قد قطع إجازته قبل انتهائها بثلاثة أيام كاملة عندما علم بحادث اسقاط الطائرة الكورية وعاد من مزرعته في سانتا بربارا على ساحل كاليفورنيا إلى واشنطون العاصمة وبعد وصوله بدأ سلسلة اجتماعات مكثفة مع مجلس الأمن القومي تلتها دعوة قيادات الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديموقراطي إلى لقاء سري وموسع،طرح الرئيس ريغان خلاله تفاصيل اسقاط الطائرة الكورية من وجهة النظر الأميركية يوم الاثنين ٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣. ولم يكن اختيار ذلك اليوم لمخاطبة الأميركيين « صدفة » إذ أنه في بداية شهر ايلول من كل عام يصادف « عيد العمل » وهو عيد أميركي يوازي عيد العمال العالمي في أول أيار. وقد شهدت الولايات المتحدة في ذلك اليوم تظاهرات صاخبة والقاء خطب نارية نظمها وألقاها القادة النقابيون في الولايات المتحدة الأميركية وأعلنوا خلالها أمام مئات الألوف من المشاركين في هذه التظاهرات والمسيرات أن « العمال الأميركيين » هم الذين دفعوا الثمن الأعلى لسياسة ريغان الاقتصادية والاجتماعية. وأكدوا فيها أنهم سوف يجعلون الرئيس يدفع الثمن في الانتخابات القادمة.

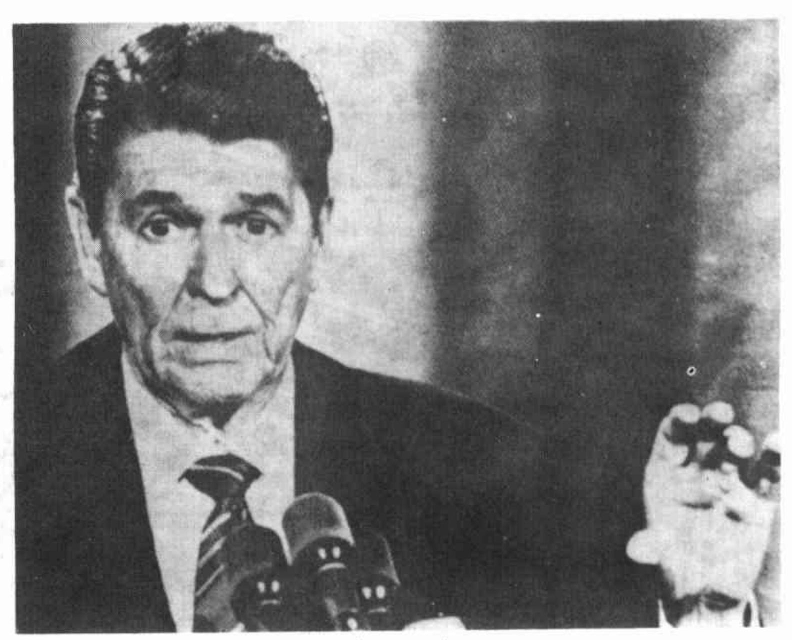
في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم وقف الرئيس ريغان في البيت

الأبيض مستغلاً « حادثة اسقاط الطائرة الكورية » ليرد على خصومه السياسيين رؤساء النقابات عبر الحديث التلفزيوني المباشر الى الشعب الأميركي عن الرحلة (٠٠٧) للطائرة الكورية الجنوبية المدنية.

بدأ الرئيس كلمته بمشهد عاطفي مؤثر « الرئيس ريغان لا يزال يجيد تمثيل هذه الأدوار لأن التمثيل والفن السينمائي لا يزالان يجريان في دمه » حيث بكى واستبكى الحاضرين عندما أشار الى الرسائل التي تلقّاها من أهالي الضحايا. ثم أكد أن طائرة التجسس من نوع «R-C-135» كانت في مهمة روتينية عندما « التقت » صدفةً وفي ممر جوي واحد بالطائرة الكورية المفقودة وقال إن طائرة التجسس كانت قد هبطت قبل ساعة على الأقل من اسقاط الطائرات المقاتلة السوفياتية للطائرة المدنية الكورية. ثم قام الرئيس وأيضاً على طريقة تمثيله السابق في هوليوود وضغط على زر أمامه وإذا بعبارات خشنة باللغة الروسية تنطلق من آلة تسجيل قربه ولم يكن مهماً أن الكلمات الروسية لم تكن مترجمة فقد كان صوت الطيار السوفياتي الخشن وهو يخاطب القاعدة الأرضية مع ما رافق الصوت من مؤثرات صوتية « يكفي » لاقناع الحاضرين والمشاهدين على شاشات التلفزيون بأن ما حدث كان مجزرة والوصف أيضاً للرئيس ريغان. وتابع الرئيس وأيضاً في لغة سينمائية نادرة قائلاً : لم يكن هناك أي احتمال في أن الطيار السوفياتي لم يكتشف أن الطائرة كانت « مدنية » لأنه إذا وضعنا الأجهزة الالكترونية « جانباً » فقد كانت السماء صافية والقمر بدراً » !

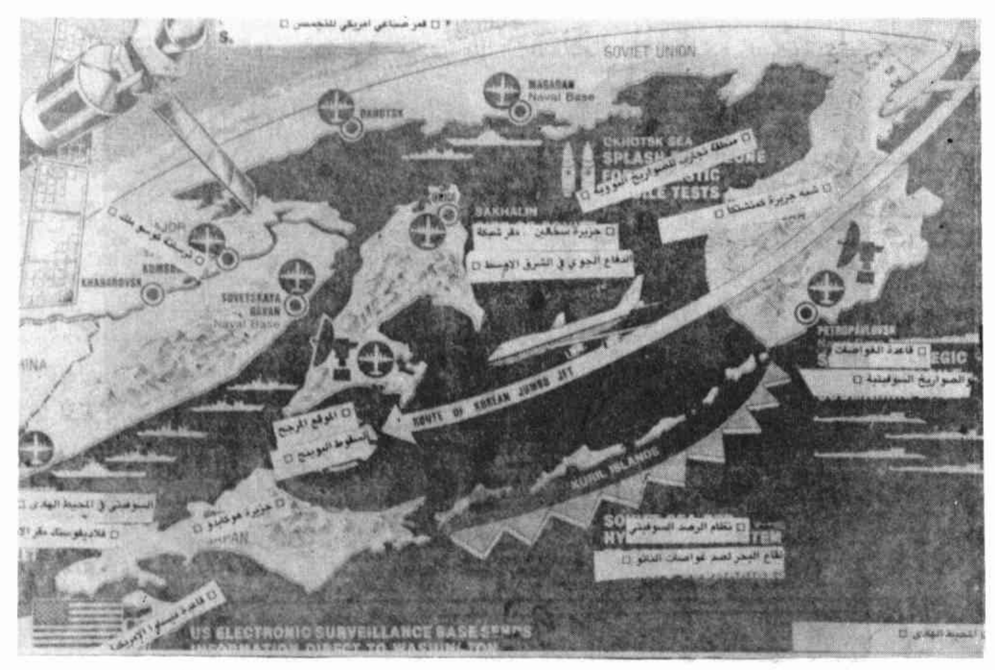
وبعد هذه المقدمة الدرامية انتقل الرئيس ريغان ليؤكد أن الاتحاد السوفياتي ليس ضد الولايات المتحدة وحدها، بل هو ضد العالم كله. ويذكر في لمحة من الخطاب بأن زائير انضمت إلى الولايات المتحدة الأميركية في استنكار المجزرة . وفي هذه المرحلة اشتد الهياج لدى الحاضرين وكانت التوقعات لدى الجميع قد شارفت ذروتها بحيث بات

خبر إعلان الحرب على الاتحاد السوفياتي « مسألة لا تحتمل التأجيل » ولكن الرئيس ريغان وكعادته يفاجئ الجميع بأنه لا يطلب من السوفيات « عملياً » أكثر من أن يدفعوا تعويضات مالية لأهالي الضحايا فقط. ويكشف الرئيس للأميركيين أن الولايات المتحدة قد قررت رفع دعوى لارغام السوفيات على دفع التعويضات المالية لعائلات خمسين أميركياً قضوا بالحادثة منهم كما ذكرنا عضو مجلس الكونغرس « لاري لورنس ماكدونالد». وأشاد الرئيس بشجاعة كندا التي قررت « منع » طائرات إيرفلوت السوفياتية من الهبوط في مطاراتها لمدة ستين يوماً كاملة ثم أخبر الأميركيين بأن الولايات المتحدة « بلاده » لا تستطيع أن تقوم بخطوة مماثلة لأنها ومنذ عام ١٩٨١ منعت هذه الطائرات من الهبوط في المطارات الأميركية رداً على دخول القوات السوفياتية أفغانستان.



الرئيس ريغان ــ يَبكي ويُبكي ــ على الطائرة الكورية (الممثل يبقى ممثلاً لو كان ريغان).

ثم ينتقل الرئيس إلى « بيت القصيد » من الخطاب الرئاسي ويطلب من الكونغرس الأميركي « ببسالة » الموافقة على الموازنة العسكرية للولايات المتحدة التي سيعود الكونغرس إلى مناقشتها « في حينه » وتتضمن هذه الموازنة تمويل صواريخ « أم ــ أكس » والقاذفة النووية « ب ــ ١ » وتحديث أسلحة البر والجو والبحر في مواجهة (العدوان السوفياتي) عبر بناء القوة الرادعة الأميركية. ورغم أن هذه الكلمة الرئاسية كانت هجومية في مفرداتها إلا أنها كانت وفي موقع واحد دفاعية إذ أن الرئيس اكد أنه لا يمكن الربط بين تواجد طائرة التجسس الأميركية «R-C-135» وبين إسقاط طائرة الركاب الكورية المدنية.



صورة خارطة تفصيلية لعملية اختراق الطائرة الكورية للأجواء السوفياتية.

أدق المعلومات عن طائرة التجسس الدخيلة

○ **ما هي إذن قصة طائرة التجسس «R-C-135» ؟**

عندما خرج جيمس رايت رئيس الأغلبية في مجلس النواب الأميركي من الاجتماع السري الذي دعا إليه البيت الأبيض قيادات الكونغرس يوم الأحد ٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣، أبلغ الصحافيين أن البيت الأبيض يملك تسجيلات بصوت الطيار السوفياتي الذي قام باسقاط الطائرة وهو يخاطب قاعدته الأرضية. وقال النائب رايت : إن الطيار السوفياتي وصف الطائرة التي اخترقت المجال الجوي السوفياتي مرتين على الأقل بأنها طائرة من نوع «R-C-135» أي أن الطيار السوفياتي « خلط » بين الطائرة المدنية الكورية وطائرة التجسس العسكرية الأميركية. ولما بلغ هذا الحديث إلى البيت الأبيض « رئاسة الجمهورية » قامت قيامتهم ووصفوا الحديث بأنه (ترجمة غير صحيحة لما قيل في ذلك الاجتماع) واتصل جيمس بيكر كبير موظفي البيت الأبيض بالنائب رايت يطلب منه توضيحاً. وفعلاً أوضح النائب رايت فيما بعد أن ما قاله المسؤولون خلال الاجتماع هو أن السوفيات وصفوا الطائرة « الدخيلة » بأنها :

— إما طائرة تجسس من نوع «R-C-135».
— أو هدف يحتاج إلى التعريف عن نفسه.

ويبقى سؤال يطرح نفسه بعد هذه المعلومات ؟ لماذا بقيت قضية طائرة التجسس الأميركية مكتومة من يوم الخميس وحتى يوم الأحد ٨٣/٤/٤ بينما لم « يغفل » الأميركيون ذكر أيّ من التفاصيل الكبيرة والصغيرة حول حادث الطائرة الكورية.ويأتي جواب السؤال بأن الرواية الأميركية تقول أن التسجيلات التي حصل عليها الأميركيون « للحوار » بين الطيار السوفياتي الذي تولى إسقاط الطائرة الكورية وبين قاعدته تشير إلى أن الطائرة الدخيلة هي من نوع «R-C-135» عسكرية وليست مدنية ولأن رحلات التجسس التي يقوم بها هذا النوع من الطائرات لا بد أن تدخل السجلات الرسمية الأميركية مع كافة التفاصيل المتعلقة بكل رحلة، بسبب خوف الادارة من أن يقوم أحدهم « بتسريب » الخبر إلى الصحافة في يوم ما.وربما يكون هذا اليوم قبل الانتخابات، فقد اضطرت الادارة للكشف ولو متأخرة عن « وجود » طائرة التجسس الأميركية في وقت واحد وفي خط طيران واحد مع طائرة الركاب الكورية الجنوبية حيث ذكرت الرواية الرسمية الأميركية أن هذه الطائرة كانت تقوم يوم الخميس « يوم الحادث » برحلة تجسس روتينية خارج الأجواء السوفياتية عندما التقت ولعدة دقائق فقط، وفوق المياه الدولية المحاذية للاتحاد السوفياتي بطائرة الركاب الكورية من نوع بوينغ ٧٤٧ في رحلتها رقم (٠٠٧).ومن المحتمل أن الردار السوفياتي قد التقط وجود الطائرتين ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ لأن الطائرة التي اخترقت الأجواء السوفياتية مئات الأميال هي طائرة الركاب وليست طائرة التجسس. لأن الفرق شاسع بين الطائرتين فالطائرة «R-C-135» هي نسخة عن طائرة بوينغ ٧٠٧ ويبلغ طولها ١٥٢ قدماً، وارتفاعها ٤٢ قدماً، وامتداد أجنحتها ١٤٥ قدماً، بينما طائرة الركاب الكورية كانت من نوع بوينغ ٧٤٧ ويبلغ طولها ٢٣١ قدماً وارتفاعها ٦٣ قدماً وامتداد أجنحتها ١٩٥ قدماً.

وقد أوضح لاري سبيكس الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض أنه لم

يكن السوفيات بحاجة إلى وقت قصير ليكتشفوا أنهم يتعاملون مع طائرتين مختلفتين ويعترف بأن السوفيات في إحدى الفترات كانوا يتحدثون عن الطائرة الدخيلة على اعتبار أنها طائرة تجسس أميركية. وإضافة إلى ذلك أكدت الرواية الرسمية الأميركية وعلى لسان الرئيس ريغان بالذات أن طائرة التجسس الأميركية كانت قد هبطت في قاعدتها في ألاسكا قبل ساعة على الأقل من اسقاط الطائرة المدنية الكورية، فيما قال مسؤولون آخرون إن طائرة التجسس الأميركية كانت على بعد « مسافة ألف ميل » من طائرة الركاب عند إسقاطها. والجديد الذي أعلن في هذه الرواية هو أن السوفيات « كما يعترف الأميركيون » كانوا عاجزين عن « التمييز » بين الطائرتين على شاشات الرادار، وبالتالي فإن « الرؤيا البصرية » كانت هي العامل الوحيد في معرفة نوع الطائرة بعد فشل الطيار المدني في الاستجابة لتعليمات الطيار السوفياتي بالهبوط « حسب الرواية السوفياتية ».أما الرئيس ريغان فقد اعتمد على دليل واحد في أن الطيار السوفياتي عرف واكتشف أنها طائرة مدنية وهذا الدليل هو أن « الليلة كانت صافية وكان القمر بدراً ».

غلطة أخرى ارتكبها الرئيس ريغان عندما اشار إلى أن الطائرة الكورية الجنوبية أسقطت « بصواريخ » أطلقتها المقاتلة السوفياتية بينما أكدت الرواية الرسمية الأميركية أن « صاروخاً واحداً موجهاً بالطاقة الحرارية » هو الذي أسقط الطائرة. ولدى سؤال البيت الأبيض عما إذا كان الرئيس قد أخطأ عندما استعمل كلمة « صواريخ » بالجمع وليس بالمفرد قال : « إن العبارة في خطبة الرئيس جاءت بالجمع وليس بالمفرد ». وبعد ذلك عم الحزن والأسف والألم والاستنكار عواصم الغرب ووسائل اعلامه الكبيرة جداً ووصفت حادثة اسقاط الطائرة بأنه لم يسبق لها مثيل بل لم تسبقها في حجمها حادثة سابقة. وقد توجه باتريس دوهاميل الصحافي المعروف ليسأل إحدى المستفظعين لحادثة الطائرة الكورية وهي السيدة

« سيمون فايل » رئيس البرلمان الأوروبي :

○ سيدة سيمون سبق أن أسقطت طائرة مدنية في الشرق الأوسط وعلى يد إحدى دول الشرق الأوسط فهل استنكرتم ذلك بمثل هذه « الشدّة »؟

وجاء الجواب الايجابي ومن رؤوس الشفاه ليظهر أن الموت ليس واحداً وان الضحايا ليسوا سيان أكانوا أميركيين أم يابانيين وكوريين يسقطهم سلاح سوفياتي أو كانوا عرباً تسقط طائرتهم اسرائيل عام ١٩٧٢.

اذن لنطلب الرحمة أيضاً لضحايا الطائرة الليبية التي أسقطتها اسرائيل بدون حق ولنطلب الرحمة أيضاً لضحايا الطائرة الكورية التي أسقطتها الطائرات السوفياتية « بحق » لأن للموت « رهبة عظيمة » خصوصاً عندما يصبح الموت حدثاً يومياً كما هي الحال الآن في الضفة الغربية وقطاع غزة ونحن في أيام الانتفاضة الكبيرة (أواخر عام ١٩٨٧ وأوائل عام ١٩٨٨) وكا هي الحال في لبنان. فالموت ذو شأن دائماً.أما الموت سياسياً فقد كان يكفي أن ينتشر نبأ اسقاط الطائرة الكورية حتى « يجد » فيه الرئيس ريغان مبرراً كافياً لسياسته الدولية ويتساءل كيف يمكن الوثوق بمصداقية دولة ترتكب مجزرة « حسب قوله » أو التفاوض معها. غير أنه لا يوازي غرابة هذه المأساة في وقوعها إلا موقف المتباكين عليها والواقعين تحت وزرها.فما إن هدأت التصريحات الفورية حتى ظهر أن الجانبين الذين ارتكبوها والذين بدا أنهم يستغلوها « يريدان نزع فتيلها » بل إن التصريحات الفورية نفسها لم تكن « فورية » لأن نبأ الحادث نفسه جاء متأخراً يومين. فالكوريون أعلنوا في البداية ــ مستشهدين بالمخابرات الأميركية ــ أن الطائرة ربما تكون قد حطت في جزيرة سخالين السوفياتية، قبل أن يعود اليابانيون فيعلنوا بعد صمت طويل نبأ اسقاطها بعد العثور على حطامها. وليس أغرب من مصادر السلطات المدنية الكورية إلا صمت اليابانيين أيضاً. فهؤلاء فسروا صمتهم

« تسريباً » بأنه يعود لعدم الرغبة في إظهار مقدرة أجهزة التنصت والتجسس الألكترونية التي يملكها السوفيات. وكائناً ما كان الأمر فإن طرفيّ القضية :السوفيات من جهة الأميركيون واليابانيون والكوريون من جهة ثانية « أضاعوا » الكثير من الوقت لتفسير الحادث وهو أمر يثير الشبهة. فالسوفيات بدوا مرتبكين بحيث أن وكالة أنبائهم « تاس » لم تعمد إلى تفسير الحادث إلا بعد ثلاثة أيام من وقوعه، في حين أن اليابانيين لم يتذكروا أنه سبق لطيار كوري جنوبي أن ارتكب حادثاً مماثلاً في عام ١٩٧٨ وأن المقاتلات السوفياتية أجبرته على الهبوط في مطار مورمان وأن السوفيات حذروا السلطات الكورية من « إعادة الكرة » والفرق أن الطيار الكوري في تلك الحادثة كان يلعب الورق وهو يقود الجامبو ٧٤٧ وترك « الطيار الآلي » يتولى القيادة في حين أن طياري البوينغ الأخيرة تصرفوا وكأنهم نيام إذ ماذا نقول في طيارين يبتعدون ٥٠٠ كلم عن خط سيرهم الجوي الطبيعي ولا ينتبهون لذلك ».

أما الأميركيون فلم يشيروا إلى خبر اختفاء الطائرة الكورية إلّا بعد أربعة أيام حيث ذكر الأميرال إغان معاون رئيس المخابرات الأميركية في حديث إلى صحيفة « الواشنطن بوست » أنه يعتقد أن مردّ خطأ الطيار يعود إلى خطأ في برمجة الكمبيوتر الالكتروني في الطائرة.الأمر الذي جعل الطيارين الكوريين « لا يحفلون » بتحذيرات الطيارين السوفيات الجدية لاعتقادهم أنهم يحلقون فوق المياه الدولية في حين أن السوفيات اكتشفوا إثر حادث ١٩٧٨ أن نظام دفاعهم كان يشكو من عورات فأعادوا بناءه بشكل كامل واتخذوا عقوبات بحق المسؤولين عن ذلك الخلل مما جعل « هؤلاء » أي الذين نالوا العقوبات السابقة يردون هذه المرة بقساوة لأنهم متأكدون أولاً من جودة أجهزتهم وثانياً تعلموا الدرس. وكذلك فقد لزم الأميركيـون أربعة أيام لكي يعلنوا أنه كان ثمة

طائرة تجسس من طراز « أر ــ سي ــ ١٣٥ » قريبة للبوينغ الكورية تحلق في المنطقة وتراقب مدى تقيّد السوفيات بمعاهدة الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية والنووية، وإن وجود مثل هذه الطائرة قد يكون وراء التباس الطيار السوفياتي والقيادة التي أصدرت له الأوامر من القاعدة. كما لزم الاوروبيون وقتاً مماثلاً كي يكتشفوا ان الطيارين المدنيين الكوريين الجنوبيين هم في « الأساس » طيارون عسكريون سابقون وأنهم بطبيعة الحال من مخابرات بلادهم التي لا تزال تعيش في عقلية مرحلة « الحرب الباردة ».

والواقع أن ردود الفعل الغربية الأولى كانت ردود فعل حرب باردة، بحيث أن الطائرة المنكوبة سميت بـ« طائرة خطوط الحرب الباردة » وأخذت الصحف تبحث عن إجراءات شديدة ضد موسكو وكان ذلك يبشر بموقف دولي متوتر جداً إذا لم يكن حادث الطائرة سببه المباشر، انما كان الحجة التي تذرع بها الداعون إليه. والواقع أنه مما لفت الأنظار، ولو مع بعض التأخير واقتران حوادث الطائرات والطيارين الكوريين الجنوبيين بمراحل الانفراج الاعظم بين الدولتين. ففي حادث عام ١٩٧٨ كما في حادث عام ١٩٨٣ بدا الطيارون الكوريون وكأنهم لم يسمعوا تحذيرات مطارديهم السوفيات، لكن الغريب هو أن واشنطون وموسكو كانتا في كلا حقبتيّ الحادثتين على استعداد لاستئناف المفاوضات حول الحد من الأسلحة النووية وبعد « فترة توتر ». ففي شهر نيسان (أبريل) ١٩٧٨ تاريخ الحادثة الأولى كان وزير الخارجية الأميركي « في حينه » سايروس فانس سيتوجه إلى موسكو لمقابلة غروميكو الذي كان وزيراً لخارجية الاتحاد السوفياتي واجراء محادثات معه. وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣ كان غروميكو أيضاً يستعد للقاء زميله الأميركي في محادثات مماثلة، ومثل هذه القرائن تكفي السوفيات الذين يجدون في كل اتهام أميركي « استفزازاً » ويجدون في تصرفات طفحة سيوول المعادية لهم « مبرراً للرد بحزم ».

يبقى أن الحرب الباردة هي الحدّ الذي لا يمكن أن تتجاوزه الصراعات بين العملاقين. ومشكلة الأميركيين هي أنهم استخدموا مختلف الأسلحة التي تتيحها الحرب الباردة سابقاً ولهذا فإن الرئيس ريغان لم يجد في جعبته ما يعاقب به الاتحاد السوفياتي « إلّا » تعليق المفاوضات حول الاتفاق القنصلي وعدم تجديد الاتفاقات الثنائية في ميدان النقل والثقافة والعلم، أما منع الطائرات السوفياتية فهو قرار سبق أن اتخذ بسبب أزمة أفغانستان كما أنَّ حظر التكنولوجيا الأميركية على السوفيات فهو قرار سبق أن اتخذه بسبب أزمة بولندا ثم عاد عنه بسبب عدم جدواه. أما تصدير القمح الأميركي فهو الذي أوقفه لأسباب انتخابية رغم أن العقود الموقعة بين البلدين « تشترط » عدم لجوء الأميركيين إلى تدابير الحظر مما دعا بائعي القمح الأميركيين الذين وجدوا أنفسهم في مركز ضعف أمام زبائنهم من السوفيات إلى الاحتجاج فأُعيد تصدير القمح فيما بعد. إزاء ذلك كله وكما ذكرنا في الصفحات السابقة من هذا الموضوع « غيّر » الرئيس ريغان لهجته أو لنقل أنه أبقى لهجته على حدّتها وغيّر « مضمونها » فقد كان كلام الرئيس الأميركي مزيجاً من كلام الاستنكار والارتباك وهذا المزيج يترجم المأزق الذي وجد نفسه فيه وهو يحاول الحفاظ على مكاسب الحوار مع موسكو « من جهة » وإرضاء الرأي العام الأميركي من جهة أخرى. والغريب في الأمر هو أن حادثة الطائرة أعطت عكس النتائج التي لاحت في الأفق في اليوم الأول لشيوع النبأ، فالقول أن السوفيات « لا يترددون » أمام استخدام القوة التي يملكونها لم يعد يبرر — مثلاً — في رأي هوارد بيكر رئيس الأغلبية الجمهورية في مجلس الكونغرس الأميركي، سياسة التشدد الريغانية بل يبرر الدعوة الى الحوار. فالحادث يشير الى الفكرة الرهيبة التي ترتاد ذهن المواطن الأميركي عندما يتخيّل بأن في قدرة الاتحاد السوفياتي « تدمير » الولايات المتحدة بالسلاح النووي دون تردد، كما يقول شيخ جمهوري هو وليام بروكسماير، ولهذا فإن الناطق باسم وزارة الخارجية الأميركية

« وجد » أن الحادث قد يلقي ظلالاً على الحوار الأميركي السوفياتي لكنه لا يضعه موضع إعادة النظر. في حين اتضح أن إدارة المخابرات المركزية الأميركية « بدت » وكأنها تسعى الى خفض حدة الاستنكارات التي أثارتها ردود الفعل الأولى على الحادث. وبالاجمال فإن حادث الطائرة البوينغ الكورية بضحاياه الـ٢٦٩ لم يترك الأثر ذاته الذي تركه حادث طائرة التجسس « يو. اس. ٢٠ » التي أسقطها السوفيات عام ١٩٦٠ والذي أفشل « في حينه » قمة خروشوف ــ آيزنهاور التي عقدت في باريس. فالانعكاسات الدبلوماسية للحادث الجديد محدودة فلقاء شولتز ــ غروميكو في مدريد لم يلغي ولكن جدول أعماله تقلّص ومفاوضات جنيف لن تلغى ولهذا فإن أحد أبرز الانعكاسات لهذا الحادث هو « إرجاء » زيارة غروميكو لباريس ٤ أيام لأن باريس لا تريد أن تكون أول عاصمة يزورها غروميكو بعد حادث الطائرة لكن الرئيس ميتران أصرّ على ضرورة الحوار مع السوفيات مع انّه لم يستطيع ترك وزير خارجيته يستقبل غروميكو عند سلم الطائرة الروسية « الايرفلوت » أمام عدسات التلفزيون ومصوّري الصحافة في الوقت الذي تدعو فيه أصوات كثيرة في الغرب إلى مقاطعة شركة الخطوط الجوية السوفياتية. وهكذا كان من أبرز آثار اسقاط الطائرة الكورية هو ارجاء زيارة غروميكو إلى باريس مدة ٤ أيام حيث أنها لم تترك أثراً حقيقياً ملموساً.

ما هي علاقة الطائرة المفقودة بالمخابرات الأميركية ؟

وإذا عدنا إلى ادعاء السوفيات المثبت بالأرقام والوثائق بأن الطائرة كانت في مهمة تجسسية فقد أعلنت الادارة الأميركية عقب اسقاط الطائرة : « إن الولايات المتحدة لا تستخدم الطائرة التجارية في نشاط المخابرات » ولكن نقدم للقارئ هذه المعلومات حسب القول المصري الشائع (من فمك أدينك) : فقد نشرت صحيفة « نيويورك

تايمز » تعليقاً على نكران المخابرات الأميركية لاستخدام الطائرات التجارية للتجسس جاء فيه : إن الولايات المتحدة استخدمت في الخمسينات الطائرات التجارية للتجسس جاء فيه : إن الولايات المتحدة استخدمت في الخمسينات وبعدها خطوط الطيران التجارية عندما زودت الـ« سي. آي. إيه. » عدداً من هذه الطائرات بمعدات للتجسس على النشاطات العسكرية في ألمانيا الشرقية خلال مغادرة هذه الطائرات لمطار برلين الغربية وعودتها إليه. وأيضاً نسبت الصحف الفرنسية إلى أعضاء سابقين في جهاز المخابرات الفرنسية قولهم « إن طائرات الركاب الفرنسية قامت بعدة مئات من رحلات التجسس لمصلحة المخابرات الأميركية أثناء رحلاتها من وإلى « موسكو ». وقد اعترف الطيار السابق « جون ميبرخت » في خطوط « لوفتهانزا » التابعة لألمانيا الغربية في مجلة المانيا بأن ٣٢ طائرة مدنية اسقطت بسبب مخالفتها لقوانين الطيران أو بسبب اختراقها للمجال الجوي، وإن احدى هذه الطائرات اسقطتها قوات حلف شمال الأطلسي نفسها. كما أنه بات من المعروف ووفق اعترافات المسؤولين السابقين في الـ« سي. آي. إيه. » أن مخابراتهم استخدمت كلا من طائرات « بان أميركان » و« إيراميركا » و« إيرآسيا » و« المواصلات الجوية المدنية » بالاضافة الى « خطوط أميركا الوسطى للطيران » في مهمات ثابتة للتجسس.

اذن فإن المخابرات الأميركية أو أي مخابرات أخرى لديها سوابق في استخدام الطائرات التجارية « في التجسس » فلننظر ما هو اثبات « تجسس » الطائرة الكورية موضوع البحث بعد أن اصبحت بعض المصادفات حقائق ملم بها :

١ ــ ذكرنا أن طائرة أميركا للتجسس من نوع « آر ــ سي ــ ١٣٥ » كانت تطير قرب طائرة الركاب قبل اسقاطها بدقائق.
٢ ــ إن طائرة أخرى من النوع نفسه، كانت في المنطقة أيضاً. كما ان

طائرتين اميركيتين للتجسس كذلك كانتا معا في مجال انطلاقها، وإن وصول الطائرة الكورية فوق جزيرة « سخالين » اكثر المناطق السوفياتية « سرية » ترافق أيضاً مع « وصول » القمر الصناعي الأميركي « فيري — دي » في اللحظات نفسها وهو قمر خاص للتجسس، إلى مدار فوق المنطقة نفسها أي منطقة سخالين الهامة عسكرياً. كما أن المدمرة الأميركية « بادجر » كانت تنتظر في المكان الذي كان يفترض فيه أن تمر الطائرة الكورية « فور خروجها » من المجال الجوي السوفياتي « لم يكن احتمال اسقاطها قائماً » وذلك لاستقبال الأفلام التي ستلقيها الطائرة بالوسائل المزوّدة بها من المخابرات الأميركية.

٣ — بقاء الطائرة المنكودة الحظ وهي مطفأة الأنوار لفترة طويلة وهي داخل المجال الجوي السوفياتي المحرّم.

هذه الحقائق ما كانت لتجتمع صدفة في منطقة واحدة من العالم وهذه المنطقة ذكرنا أنها « تعتبر » من أكثر المناطق استراتيجية في الاتحاد السوفياتي.

اذن وصلنا الى أن الطائرة الكورية كانت مكلفة « بمهمة تجسسية فوق الأراضي السوفياتية » **فما هي هذه المهمة؟**

الجواب : يقول خبراء المخابرات والأعمال الجاسوسية أن الأقمار الصناعية قادرة على التقاط اكثر التفاصيل دقة سواء في الليل أو النهار للأهداف التي تسعى هذه الأقمار إلى تصويرها، وبالتالي ليست هناك أية حاجة لارسال طائرة لتصوير المنشآت السرية السوفياتية مثلاً خلال الليل. وهذا الأمر كان قد اكده الزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف بعد اسقاط الروس لطائرة التجسس الأميركية (يو — ٢) عام ١٩٦٠ عندها اعتبر خرق هذه الطائرة للأجواء السوفياتية «استفزازاً لا مبرر له مع وجود الأقمار الصناعية التي تتمتع بكفاءة كبيرة ».

واذا لم يكن تصوير المنشآت السرية هو المهمة الموكولة للطائرة ٥٥٦ فما هي المهمة اذن ؟ لنأخذ الاجابة من عدد الشهادات الآتية :

أولاً : في حديث أدلى به اثنان من المتخصصين العاملين سابقاً على طائرات التجسس الأميركية « أر. سي. ١٣٥ » هما ادوار أسكلتون وتوم برنارد ومصدره صحيفة « دنفر بوست » جاء ما يلي : إن طائرة التجسس « أر. سي. ١٣٥ » قادرة على البقاء في الجو بين ١٨ و٢٠ ساعة، وهي تُكلف بتغطية مدار محدد وبقرار مباشر يصدر عن « وكالة الأمن القومي » الأميركية وهي وحدها التي تملك سلطة إصدار الأوامر الميدانية لجميع العاملين في هذه الطائرات. ومن خلال تجربتنا فإن وكالة الأمن القومي كانت في بعض المناسبات، تقوم بتعديل المدارات الجوية لهذه الطائرات بحيث « تخترق عمداً » المجال الجوي للبلد المحدد « فتدفعه » بذلك إلى إعلان حالة الطوارئ في دفاعاته الجوية، وهو ما يسمح لوكالة الأمن القومي « برصد » هذه النشاطات وتحليلها ومعرفة آلية عملها ونقاط القوة والضعف فيها وبناء استراتيجية المجابهة الأميركية على هذا الأساس. كما أن طائرة التجسس هذه تملك نظاماً كاملاً ومتطوراً للاتصالات، وهو متصل مع أعقد شبكة للاتصالات في العالم. وهذا النظام يسمح بأن ينقل معلومات المخابرات الى أعلى المستويات في الادارة الأميركية « بما في ذلك رئيس الولايات المتحدة نفسه » ومن أي منطقة بالعالم بحيث أن رسالة للرئيس ترسلها إحدى هذه الطائرات لا تستدعي اكثر من ١٠ دقائق لتكون بين يديه ».

ويضيف الخبيران : « ان هناك ميزة أخرى لهذه الطائرات، وهي أنها مزوّدة أيضاً بمعدات قادرة على « تعمية » أجهزة الرادار وراديوهات الارسال بما فيها الأنظمة الالكترونية المزودة بها الطائرات الأخرى ».

الهدف تعطيل الرادارات السوفياتية

ومن المعروف لدى خبراء المخابرات أن طائرات « أر. سي. ١٣٥ » تتضمن أيضاً نظاماً داخلياً للانذار، قادراً على التقاط جميع نشاطات الرادارات والنشاطات الجوية في البلد المحدد ضد اية تحركات معادية يمكن أن تستهدف طائرة « أر. سي. ١٣٥ » نفسها.

وأكد الخبيران أنه كان باستطاعة طائرة « أر. سي. ١٣٥ » التي تقوم بأعمال الدوريات على مدى ٢٤ ساعة، والتي كانت قريبة من الطائرة الكورية، تنبيه هذه الطائرة إلى أنها خرجت عن مدارها، وكان فعلاً باستطاعتها الاتصال بها ولكنها لم تفعل.

شهادة أخرى عن نفس الموضوع نشرتها صحيفة « نيوز داي » تقول : « مع أن شهادات البيانات الأميركية أكدت أن طائرات « أر. سي. ١٣٥ » كانت مهمتها مراقبة مدى تقيّد الاتحاد السوفياتي باتفاقات نزع السلاح المعقودة بين السوفيات مع أميركا، فإن مهمة رحلات الاستطلاع لهذه الطائرات التي يطلق عليها اسم التدليل «FERREST» هي جمع المعلومات عن الرادارات السوفياتية: قوتها، موجات عملها، بحيث يمكن للقاذفات الأميركية تعميتها أو التشويش عليها أو خداعها واحداث موجات ذبذبة اصطناعية فيها. وإن مثل هذه العملية قادرة على تزويد القاذفات بدرع الكتروني في حال اتخاذ قرار بالهجوم على الاتحاد السوفياتي ». وهناك مجلة متخصصة لفضح نشاط المخابرات الأميركية تسمى « العمليات السرية » قالت : انه في عصر تكنولوجية « المنسرقة »[1] أو « المنسلة » مع اشارات الرادارات شبه المعدومة، فإن مثل هذه التجارب هي عادية على الأغلب وتهدف إلى تحسين الدفاعات

---

(١) اسم واحد لطائرة حديثة لا يطالها الرادار ولا الأجهزة الحديثة لرصد الطائرات.

الرادارية. بينما هناك شهادة رابعة نشرتها صحيفة « نيويورك تايمز » تقول : إن المراقبين السوفيات على الأرض عانوا من صعوبات في توجيه المقاتلات السوفياتية كي تعترض الطائرة 007 بعد اختراقها المجال الجوي السوفياتي، أي أنه كانت هناك صعوبة بالاتصال بين الرادارات السوفياتية الأرضية وبين الرادارات داخل الطائرات السوفياتية المقاتلة التي كانت تحاول اعتراض الطائرة 007. وشهادة أخيرة هي أن الرادارات اليابانية لم تلتقط بدورها خروج الطائرة الكورية عن خط سيرها وطيرانها وتوغلها في المنطقة المعروفة دولياً بأنها « منطقة الموت بدون انذار » اذن هل الصدفة وحدها هي سبب سقوط الطائرة الكورية أم طائرات التجسس الأميركية قامت بتجربة ناجحة في تعطيل الرادارت السوفياتية وحتى اليابانية « تمهيداً » للتسلي بالقاذفات ؟ الحقائق تتكشف يوماً بعد يوم وقطرة أثر قطرة وسواء كانت العلاقة بين الطائرة « أر. سي. ١٣٥ » والطائرة الكورية قائمة وهي علاقة فعلية وظرفية أو استنتاجية، فإنه من الثابت أن برنامجاً للتسلل أميركي الجنسية لن يبخل بحياة الركاب المدنيين من أجل نجاحه. ولنكن صريحين أكثر فإن أرواح المدنيين ولو بالمئات هي دائماً « ضحية » أهداف المخابرات الأميركية ومنهم ضحايا الطائرة المدنية الكورية البوينغ ٧٤٧.

وقد أعدت مجلة الملحق الدفاعي البريطانية تقريراً عن ردود الفعل عن اسقاط الطائرة الكورية في كل من واشنطون ولندن ليس فقط لأهمية المعلومات أو الاطروحات الجديدة فيه، ولكن نظراً لاهتمام وزارة الدفاع البريطانية به. ويؤكد التقرير أن الطائرة المدنية الكورية التي اسقطت داخل المجال الجوي السوفياتي كانت « فعلاً » بمهمة تجسسية بتوكيل من واشنطون ولحسابها.وقد علم أن معلومات التقرير نابعة من الاطلاع على معلومات فنية غير منشورة سابقاً يستفاد منها وجود « دليل جديد » على أن طائرة الركاب المدنية الكورية قد « حوّلت » مسارها عمداً

ودخلت المجال الجوي السوفياتي بهدف « استفزاز » الدفاعات السوفياتية التي عليها في هذه الحالة فتح الرادارات الجوية وكشف اسلوب عملها ثم الاتصال بالقيادة المحلية السوفياتية في الشرق الأقصى والقيادة المركزية في موسكو. وهو أمر هام جداً للمخابرات الأميركية التي تحاول دائماً كشف اسلوب العمل الدفاعي الجوي والشيفرة السرية السوفياتية واسلوب الاتصالات القيادية. المهم في الأمر أن السوفيات لم يقوموا بشيء من ذلك كله بل أرسلوا طائرتين مقاتلتين خلف الطائرة الكورية لارغامها على الهبوط وحين رفضت تم اسقاطها بالصواريخ في البحر، وبدون أن يتمّ اجراء اتصال قيادي مع موسكو نظراً لضيق الوقت، حسب التفسير الروسي ولافشال المخطط الأميركي. لأنه كان من المفترض لو جرت اتصالات وتحركت الدفاعات السوفياتية أن تلتقطها عدة أساليب فنية اميركية متطورة ومستعدة لهذه العملية بالذات وهي :

١ ــ كاميرات وأجهزة الطائرة الكورية نفسها.
٢ ــ القمر الاصطناعي الأميركي للتجسس « فيريل »
٣ ــ المكوك الفضائي « تشالنجر » الذي كان قد أطلق إلى الفضاء في تلك الفترة.

والأهم من ذلك أن المخابرات الأميركية كانت « تفترض » أن الاتحاد السوفياتي إذا اكتشف أن الطائرة « مدنية » فلن يتعرض لها، وكان أمل « المخابرات الأميركية » أن تكون موسكو قد نسيت حادثتين مشابهتين وقعتا قبل ٢٠ عاماً، وأن تنشط دفاعاتها لتكشفها. ولكن الأمرين لم يتحققا إذا أسقطت المقاتلات السوفياتية الطائرة المكلفة بالاستفزاز وراح ضحيتها ٢٦٩ راكباً « قتلوا في سبيل عملية تجسسية أميركية ». وقد رفضت واشنطون جميع التفسيرات المشابهة وأصرت على أن الطائرة « ضلت » طريقها وان وجود القمر الصناعي والمكوك الفضائي في تلك المنطقة آنذاك، كان « صدفة » وحين اعترفت

واشنطون في ذلك الحين ضمناً بوجود طائرة تجسس من طراز « أر. سي. ١٣٥ » قرب الطائرة الكورية البوينغ ٧٤٧ نسبت الأمر « للصدفة » وهو الأمر الذي ينفيه التقرير البريطاني الذي يؤكد أن الطائرتين دخلتا « معاً » المجال الجوي السوفياتي. وحين شعرت طائرة التجسس بالطائرات السوفياتية انسحبت الى خارج المجال الجوي « تاركة المهمة للطائرة المدنية » وبقيت الأجهزة التجسسية للطائرة التجسسية نفسها « ترصد » تطورات الحدث الذي لم يسر حسب التخطيط والتوقعات الأميركية. وهذه القصة أوردتها المصادر السوفياتية الرسمية آنذاك، وأكدتها.

وحين نشر هذا التقرير أعلن متحدث رسمي باسم البيت الأبيض بأن « هذه القصة فارغة المحتوى ». أما المتحدث باسم البنتاغون « وزارة الدفاع الأميركية » الكولونيل كوك فقد صرح بأن وزارة الدفاع الأميركية لن تعلق بشيء قبل الاطلاع على التقرير الكامل وأعاد التفكير بالنفي السابق للوزارة نفسها والادارة الأميركية. أما المتحدث باسم وزارة الدفاع البريطانية فقد أعلن من طرفه بأن وزارته « لا علاقة لها أبداً بالأمر » ولذلك لا يوجد لديهم ما يقولونه حول موضوع الطائرة الكورية.

ونحن نقول كمتابعين للموضوع وتعقيباً على التقرير البريطاني بأنه لا أحد ينكر حقيقة أن مأساة مروعة قد وقعت في أعالي الفضاء عندما قامت طائرات مقاتلات سوفياتية بملاحقة طائرة الركاب المدنية الكورية (كال ٠٠٧) وأسقطتها بصاروخ وهي تطير بسرعة ٢٦٥٠ كيلومتراً في الساعة، بعد أن خرجت عن خط الطيران الدولي (رونالد ٢٠) وتوغلت مسافة مئات الكيلومترات داخل الأراضي السوفياتية، محلقة فوق أهداف عسكرية بالغة الأهمية وسرية جداً عند جزيرة سخالين وأودى إسقاطها بحياة ركابها وطاقمها الـ(٢٦٩) شخصاً الذين لا ذنب لهم. وإسقاط

هذه الطائرة مأساة حتى في نظر الرجل الذي تحمل مسؤولية اسقاط الطائرة وهو المارشال نيكولاي أوغاركوف، نائب وزير الدفاع السوفياتي. اذن لماذا حدثت هذه المأساة ؟ السوفيات من جهتهم ألقوا بالمسؤولية على عاتق « المخابرات الأميركية » التي استخدمت الطائرة الكورية المدنية « كطعم » للقيام بمهمة تجسسية ضد الأهداف العسكرية السوفياتية وبصورة خاصة ضد قواعد الصواريخ العابرة للقارات السرية وهم يقولون أن الطائرة الكورية كانت « توجّه » من قبل طائرة التجسس الأميركية (أر. سي. ١٣٥) التي كانت تحلق في الفضاء الدولي بالقرب منها. ونحن نسأل لصالح القارئ : هل يمكن للطائرات المدنية أن تقوم بالتجسس ؟ ولماذا تلجأ المخابرات الأميركية والدولية الى الطائرات المدنية لتصوير القواعد العسكرية الاستراتيجية وهي التي تمتلك مركبات فضاء وأقمار تجسسية مكرسة لتصوير قواعد الخصم ؟ وهل يدافع السوفيات عن فعلتهم عن طريق إلقاء اللوم على المخابرات الأميركية. أم أن هناك « حرباً » غير مرئية بين المخابرات الدولية « أداتها الطائرات المدنية »؟

معلومات أكيدة عن استخدام الطائرات المدنية للتجسس

هناك أسباب كثيرة تدفع المخابرات الدولية بشكل عام لاستخدام الطائرات المدنية في شركات الطيران الدولية. ذلك أن الكثير من هذه الشركات لا تعتمد على مواردها الخاصة فقط بها، وانما على موارد سرية أخرى، لقاء « بعض الخدمات » التي تقدمها هذه الشركات للمخابرات دون مشقة كبيرة. وتقوم المخابرات بتدريب عملائها الذين يعملون في مختلف الفروع السرية، وهي تفعل الشيء ذاته مع العملاء الذين تعدّهم ليكونوا طيارين أو عاملين على متن الطائرات المدنية. وبعد ذلك يرتدي هؤلاء العملاء قبعتين في الوقت ذاته : أولا قبعة المخابرات غير المرئية ويقال عنها تشبيهاً « طاقية الاخفاء » وفوقها قبعة العمل داخل طائرة مدنية.

والمهمات التي توكلها المخابرات الدولية الى هؤلاء الجواسيس المدربين كثيرة ومتعددة وأهمها بالطبع « تصوير مناطق البلدان الأخرى التي يحلّقون فوقها » وربما استطاع القارئ أن يكوّن تصوراً كاملاً عن الدور التجسسي الذي يمكن أن تقوم به الطائرات المدنية فيما لو قرأ

كتاب فيليب بيرنيه (SDECE) أو (الخدمة ٧)[1] الذي صدر في باريس ١٩٨٧ ويروي قصته العقيد « لي روي فنفيل » الذي سبق أن عمل في وكالة أخبار البلدان الأجنبية والتجسس المضاد. أما الآن فإنه يعمل في « الادارة العامة للأمن الخارجي » ولنترك له الكلام عن قيامه بالتجسس الجوي من الطائرات المدنية :

○ كان التعاون بيننا (أي الفرنسيين) وبين الأميركيين على أفضل ما يرام، عندما استدعاني المدير العام بورسيكو وأسند إليّ مهمة مساندته في تصوير قواعد الصواريخ السوفياتية. فقد كانوا لا يعرفون المواقع التي يخفي فيها الروس صواريخهم. وقد كنا حينذاك البلد الغربي الوحيد الذي يمتلك خطاً للطيران عبر أراضي المعسكر الشرقي. واعتماداً على المعاهدات الخاصة التي أبرمها صديقي « رول » أحد مدراء شركة طيران ايرفرانس « وهو عميل في الخدمة السرية ــ ٧ ». وقد نجحنا في إقامة خط منتظم للطيران بين باريس ــ موسكو. كما أفلحنا بعد مفاوضات مضنية من فرض خط الطيران الذي كنا نريده، حيث أسند إلينا « الأميركيون » مهمة تصوير المناطق السوفياتية التي تحلق فوقها طائراتنا بكاميرات خاصة بالتجسس الجوي. ولم يكن علينا سوى تسخير طائراتنا المدنية لهذه المهمات التجسسية، لا أكثر ولا أقل.

[ملاحظة : الروس لا يعرفون المزاح مع المواطنين الغربيين الذين قد يُشَكُّ في حقيقة العمل الذي يقومون به].

ويضيف العقيد فنفيل : وهكذا بدأت عملية التجسس بالطائرات المدنية « ما كنت أريده كان شديد الخطورة. فقد كان ينبغي على الطيار

---

(١) كتاب (الخدمة SDECE-V تأليف فيليب بيرنيه يباع في المكتبة العامة لمحطة القطار الرئيسية في باريس. لمن يهتم بمثل هذه المواضيع الشيقة.

في بعض المواقع التي يحددها الأميركيون الخروج عن خط الطيران الدولي. فالروس لا يترددون في فعل أي شيء ضد أية طائرة غربيّة « تضل » طريقها فوق الأراضي السوفياتية. فقد يطلقون صواريخهم عليها حتى بدون انذار مسبق أي بدون تحذير. وليس جميع الطيارين مستعدين لتعريض حياة ركابهم الذين يعتبرون حسب العرف الدولي « أمانة في رقبتهم » إلى الخطر حتى « بسبب اعتبار التجسس عملاً وطنياً » لأن عملهم يسمى بـ« الشغل الوسخ » وقد استثمر العمل عدة شهور. فقد كان الخطر يتزايد مع كل تحليق جديد. وقد درست المخابرات باهتمام وعناية،واحدة من العمليات التي قامت بها هذه الطائرات المدنية، حيث ادعى كابتن الطائرة المدنية الفرنسية أن بوصلة التوجيه قد أصيبت بعطب، وخرج عن الخط المقرر لطائرته مسافة (٥٠) خمسين كيلومتراً فوق الأراضي السوفياتية وعند ذلك حلقت طائرات الميغ السوفياتية فوراً واطبقت على الطائرة وأرغمتها على العودة الى خط سيرها الأصلي ثم اضطروها إلى الهبوط واجراء تحقيق مع الكابتن الذي ادعى كما ذكرنا أن بوصلته قد أعطبت وقد أفرج عنه وعن الطائرة في حينه « الركاب كان عمرهم طويل ». وقد تسبب هذا الحادث بأزمة دبلوماسية حيث قامت موسكو بتوجيه مذكرة شديدة اللهجة الى الخارجية الفرنسية تندد فيها بالعملية، وتطلب معاقبة الطيار لأن الخبراء السوفيات ليسوا أقل شأناً من خبراء الطيران الغربيين وهم يعرفون بل ويؤكدون بأنه لا يمكن لطائرة بوينغ ٧٤٧ (نفس الطائرة الكورية) المسيرة بأجهزة الكترونية أن تضل طريقها. وطلبت موسكو في مذكرتها معاقبة الطيار الفرنسي وأكدت أن طائرات الميغ سوف تقوم باسقاط الطائرة اذا كررت خروجها عن خط سيرها الطبيعي، ولم تمتلك الحكومة الفرنسية في حينه سوى الصمت ازاء هذه الفضيحة، فقد كانت العملية فعلاً خاضعة للمخابرات العسكرية السرية الفرنسية ثم تجيّر للمخابرات الأميركية حسب الاتفاق. ويقول العقيد فنفيل الفرنسي الذي يعترف في كتابه : ان الحكومة الفرنسية

أوعزت بسحب رخصة الطيار المخالف كتغطية للعملية ومع ذلك وافق طيارون آخرون على مواصلة العمل ذاته « معرضين بذلك حياة الركاب للخطر »، فقد كان من الممكن بالنسبة للروس أن يطلقوا صواريخهم على إحدى هذه الطائرات لوقف أية محاولة للخروج عن الخط الدولي.

من أعمال التجسس بواسطة الطائرات المدنية

اعترف العقيد فنفيل بأنهم استطاعوا بفضل الكاميرات الخاصة التي زودتهم بها المخابرات الأميركية وركبت على طائراتهم تصوير الأراضي السوفياتية مئات المرات. وقد تمكنوا من اكتشاف خمس قواعد لصواريخ من طراز جديد تماماً، كانت مغطاة بالزهور، تم تسجيلها ضمن خارطة حلف الأطلسي كأهداف عسكرية. وبالاضافة الى ذلك كان الطيارون الجواسيس يعودون في كل مرة ومعهم (مرشحات) وتسمى فلترات، تساعد الخبراء الغربيين على تحليل الطقس الذي يشير بدوره الى التجارب النووية التي يقوم بها الاتحاد السوفياتي، مهما بعدت. وبهذه الطريقة استطاعت المخابرات الأميركية والغربية الحصول على الكثير من المعلومات التي كانت « تنقصهم » عن التجارب التي يقوم بها السوفيات. لأن هذه الفلترات كانت ترسل مباشرة بعد عودة الطائرات الفرنسية من موسكو إلى مختبر خاص في المانيا الغربية، على متن طائرة عسكرية خاصة تابعة للمخابرات الأميركية ومخصصة لهذا الغرض.

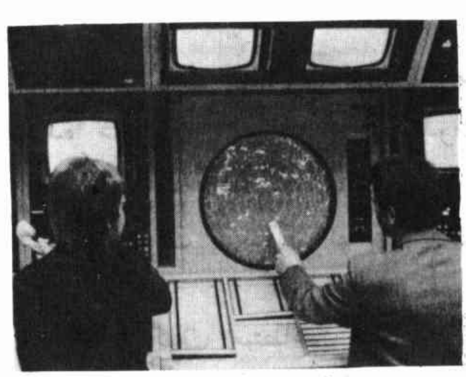
الى هنا ينتهي اعتراف العقيد فنفيل عن تجسس الطائرات المدنية الفرنسية. ونحن نقول ونذكر بأنه من الممكن أن تظهر بعض الاعتراضات التي تقول :

ما جدوى التجسس الذي تقوم به الطائرات المدنية مع وجود أقمار

تجسس اصطناعية ؟ هذا السؤال صحيح الى درجة معينة فقط، ولكن للخبراء وجهة نظر أخرى. فقد أوضح الجنرال المختص بيير ماري كالوا في مقابلة أجراها معه (راديو أوروبا ١) قائلاً : تقوم الأقمار الصناعية بعملها بدقة متناهية وهي تلتقط الصور من ارتفاع ٣٠٠ كيلومتر، وبالطبع هذا العلو ينخفض إلى ١٠ كيلومترات بالمقياس الى الطائرات المدنية وهنا تكمن فاعلية استخدام الطائرات المدنية. ومهما كانت النتيجة من تجسس الطائرات المدنية فإنه من المؤلم أن يلقى ٢٦٩ شخصاً حتفهم بطريقة مروعة للغاية، دون أية جريرة لهم. ولكنه الشغل الوسخ للمخابرات الأميركية كالعادة ونحن نعرف أن ضمير من أوعز بالعملية القذرة لم يتحرك حتى حين علم أن ركاب الطائرة الآمنين المطمئنين « سابقاً » إلى أنهم سيصلون إلى أهلهم كانوا حتى اللحظة الأخيرة يشاهدون واحداً من فيلمين « الجامبو ٧٤٧ في شاشتين لعرض الأفلام السينمائية على الركاب وهم في مقاعدهم » وكانت الطائرة المنكوبة تعرض على الشاشة الأولى فيلم « الفهد الأحمر » من تمثيل بيتر سيلرز. وعلى الشاشة الثانية فيلم



ملابس ضحايا الطائرة الكورية



الطائرة المنكوبة على الرادار السوفياتي

« البطل المحلي » وهو من انتاج أميركي لم يتم عرضه حتى الآن في أغلب دول العالم.

وعلى الأرض كانت القاعدة السوفياتية التي رصدت اختراق الطائرة الكورية للمجال الجوي السوفياتي وأخذت الأوامر النهائية باسقاطها لتوفير « سوء النية من اطفاء الأنوار وتكرار حادثة اختراق المجال الجوي السوفياتي » فأعطت الأوامر للطائرات المقاتلة للتنفيذ وبعد أن أصبحت الطائرة الكورية المدنية في مرمى صواريخ المقاتلة السوفياتية جو — جو طلب قائدها الاذن من القاعدة السوفياتية على الأرض فأعطي الأمر : أطلق النار. وبعد عشرة ثوان اجاب قائد المقاتلة السوفياتية : أطلقت النار. أبيد الهدف سيدي. وفي هذه اللحظات الحزينة بقي الفيلم الأميركي في الجامبو الكورية « ناقصاً » بدون نهاية لأن تحليق الجامبو انتهى الى الأبدية بعد رحلة استمرت ١٤ ساعة و٢١ دقيقة. وبعد هذه الآراء والأبحاث المستفيضة عن قضية الطائرة الكورية استخلصنا هذه الأسئلة ونطرحها بروح رياضية. أي ليس طرح هذه الأسئلة لصالح السوفيات ولا لصالح الأميركيين بل لمعلومات القارئ فقط :

أولاً : كيف فقدت الطائرة الكورية طريقها إلى سيوول وتوغلت كل هذا التوغل في الأجواء السوفياتية فوق منطقة عسكرية بالغة الخطورة؟

ثانياً : كيف استمرت في تحليقها داخل الأجواء السوفياتية الفسيحة لمدة ساعتين تقريباً دون أن تدرك أنها أخطأت وجهتها ودون أن يعلمها أحد من الأرض — خصوصاً أجهزة المراقبة الأميركية واليابانية — أنها ضلت طريقها وأنها في وضع جوي يهدد بكارثة ؟

ثالثاً : كيف استطاعت هذه الطائرة الذهاب بعيداً إلى هذا الحد دون أن تواجهها منذ البداية الأجهزة الجوية السوفياتية وترغمها على العودة

إلى خطها النظامي أو انزالها فوراً في أحد المطارات كما سبق أن فعلوا ؟ وكيف يفسر هذا البطء السوفياتي في ادراك الطائرة ثم اسقاطها؟

رابعاً : لماذا حرصت الدوائر الأميركية والسوفياتية واليابانية على عدم جلاء غوامض هذه الحادثة مع أنه من المفترض أن تكون مصالح واشنطون وموسكو متضاربة في هذا المجال؟

خامساً : هل صحيح أن الطائرة الكورية فجرت بواسطة قنبلة مزروعة فيها مسبقاً قبل أن تسقطها المقاتلات السوفياتية وذلك خشية ارغامها على الهبوط في الأراضي السوفياتية وفضح مهمتها؟

نقل قضية الطائرة الكورية إلى مجلس الأمن الدولي

نقلت الولايات المتحدة قضية الطائرة الكورية إلى مجلس الأمن الدولي فشهدت المجموعة الدولية عدة جلسات حادة عن الموضوع في مجلس الأمن تبادل خلالها «العملاقان» تهم الكذب والخداع والاستغلال والاستفزاز والتحريض والتجسس. وكلاهما وصف الآخر بأنه مجرد من الانسانية. وكانت أبرز التهم الأميركية ضد السوفيات هي أنهم أسقطوا طائرة مدنية مع العلم المسبق أن الطائرة هي طائرة مدنية، وأنهم كذبوا على العالم لمدة خمسة أيام من خلال اخفاء الحادثة وتجاهلها حيث أصدرت الحكومة السوفياتية بياناً اعترفت فيه بالتعرض للطائرة واتهمت أميركا بالتجسس والتحريض. وقد اتضح من مناقشات مجلس الأمن عدة نقاط بارزة تظهر «منهجين» في التفكير، المنهج الغربي، والمنهج الشرقي الشيوعي. فالغربيون يميزون تمييزاً قاطعاً بين حالتي الحرب والسلم. وهم يقبلون حتمية تعرض آلاف وملايين الأبرياء للقتل في حالة الحرب. فاسقاط القنابل فوق المدن مبرر باسم الدفاع عن النفس وحماية أمن الدولة. وهو باختصار، عمل وطني. انما في حالة السلم فقتل واحد أو اثنين يتعرض للسخط والسخرية والادانة.

البسكيولوجية السوفياتية مختلفة فهي تتخوف من أيّ عامل أجنبي، ومعقدة من أي دخيل على أراضيها سائحاً كان أو جاسوساً ؟ ولا تفصل السكيولوجية السوفياتية بين حالة الحرب وحالة السلم فهما لديها حالة واحدة اما في حرب ساخنة أو في حرب باردة كذلك ؟ فعند السوفيات « عقدة التفوق الأميركي في مجال التكنولوجيا ». وعليه فإن كل ما يهدد حماية سرية المعدات والاستعدادات العسكرية السوفياتية يهدد الأمن السوفياتي الشامل.

وقد عرض أمام مجلس الأمن شريط التسجيل الذي قدمته أجهزة الرصد والتجسس الأميركية. وبعد أن شاهده أعضاء مجلس الأمن واستمعوا إليه، قالت رئيسة البعثة الأميركية في حينه بالأمم المتحدة « جين كيركباتريك » أن هذا الشريط ببساطة تامة يؤكد أن السوفيات قرروا اسقاط طائرة مدنية، قاتلين ٢٦٩ شخصاً على متنها. ثم اتبع عرض الشريط مواجهة كلامية داخل مجلس الأمن وخارجه. فقد أخذ الأميركيون يلقون خطباً بليغة تضمنت وصف الحادثة بأنها عمل بربري ضد الانسانية « كما قال ريغان نفسه للشعب الأميركي » أما مندوبة أميركا فقد قالت : « الحقيقة هي أن العنف والأكاذيب هما اداتان عاديتان للسياسة السوفياتية ». ورد السوفيات بايراد قصة مخالفة تماماً للقصة التي رواها الأميركيون وقدموا من الحجج البليغة ما يناقض كل ما قاله الفريق الآخر، بل انهم أثبتوا أن الطائرة الكورية تآمرت على الأجواء السوفياتية حين لم تتجاوب مع طلبات تحديد هويتها ووجهتها حسب الأعراف الدولية المتبعة. ومن الأسئلة التي طرحت في مجلس الأمن ما يتعلق بطائرة التجسس الأميركية أي طائرة الاستطلاع « أر. سي. ١٣٥ » ورحلاتها الاستفزازية والتجسسية بنفس الوقت لتقييم نوعية « التنبّه السوفياتي » والقدرة على مواجهة الأحداث الطارئة. وتعدد رحلات هذه الطائرة إلى منطقة ـــ كمشاتكا ـــ يثبت أن هذه المنطقة حساسة جداً

لأنها منطقة تقييم التكنولوجيا السوفياتية بالنسبة للصواريخ والرادارات الحديثة.

وما يقوله الأميركيون ويكررروه أن هذه الطائرة لا تنحرف عن مسارها ولا تتيه في الأجواء السوفياتية، وأنها تعمل الكترونياً للحؤول دون ذلك. فالانحراف في هذه الحالة يعني الاسقاط. وهذه الطائرة هي طائرة تجسس. وسقوط طائرة تجسس أميركية في أيادي السوفيات هو آخر ما يسمح به الأميركيون. وعليه فان الأميركيين نفوا نفياً قاطعاً ما جاء على لسان السفير السوفياتي الى الأمم المتحدة، في مجلس الأمن عندما قال : أعلم مجلس الأمن المحترم أنه خلاف ما جاء حتى الآن على لسان ممثلي الولايات المتحدة، قامت طائرات أميركية بانتهاكات متعمدة لحدود الاتحاد السوفياتي. وقد تمت هذه الانتهاكات الأميركية على افتراض انها استغلت من العقاب وبشكل أصبح يوماً بعد يوم اكثر انتظاماً. وقد وقعت هذه الانتهاكات على الأجواء السوفياتية بتاريخ ٢٢ شباط (فبراير) و١٣ آذار (مارس) و٤ و٧ أيار (مايو) من عام ١٩٨٢ وبعد ذلك وحتى تاريخ « اعتراض الطائرة الكورية » وقع على الأجواء السوفياتية ١٢ انتهاكاً مماثلاً بما فيها انتهاك وقع بتاريخ ٤ نيسان (ابريل) ١٩٨٣ من جانب طائرات أميركية جاءت من حاملتي الطائرات « ميداوي » و« أنتربرايز ». وفي جميع هذه الحالات قدم الاتحاد السوفياتي « احتجاجات رسمية » ومع ذلك لم تتخذ الولايات المتحدة أي اجراء بل على العكس، تزايد نشاط طائرات الاستطلاع الأميركية على مقربة من الحدود الجوية السوفياتية. وفي ٣١ آب (أغسطس) ١٩٨٣ وعشية انتهاك الطائرة التابعة لكوريا الجنوبية للمجال الجوي « موضوع هذا البحث ». تم تسجيل ٧ طلعات لطائرات استطلاع أميركية من طراز « أر. سي. ١٣٥ » في المنطقة ذاتها ومنذ الساعة ١٧,٤٥ إلى الساعة ٢٠,٤٩ « بتوقيت موسكو ». تم أيضاً رصد طائرة استطلاع أميركية تقوم

بمناورات على مقربة من نقطة دخول الطائرة الكورية الى المجال الجوي السوفياتي وعلى ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وفي نفس الوقت ظهرت ثلاث سفن حربية للولايات المتحدة قريبة جداً من المياه الاقليمية السوفياتية. فبماذا يفسر السادة أعضاء المجلس كل هذه التجاوزات والانتهاكات الاستفزازية (إلى هنا انتهى رد السفير السوفياتي لدى الأمم المتحدة الى مجلس الأمن).

أما الأميركيون فقد اعترفوا بقيام طائرة الاستطاع بمهمتها بجوار الحدود السوفياتية خلاف فترة انحراف الطائرة الكورية، لكنهم ينفون قطعاً ما يقوله السوفيات بأن طائرات الاستطلاع خرقت « مراراً » الأجواء السوفياتية، هذا الاختلاف يضيف أيضاً حصته على غموض مسألة الطائرة الكورية خاصة وأنه خلال ملاحقة الطائرة السوفياتية التي أسقطت الطائرة الكورية لها، جاء على لسان الطيار السوفياتي — كما نقل الشريط المسجل — « إنني أرى الاثنين » فهل عنى الطيار الطائرتين أم عنى بالاثنين — الرادار والعين المجردة ؟ فإلى ماذا ستؤدي الأجوبة على التفاصيل اذا ما توفرت ؟ هل ستضعف موقف السوفيات، أم أنها ستضعف الحجة الأميركية؟ وبالنسبة للسوفيات فإن الحادثة أدت الى تجريدهم من المصداقية في نظر الغربيين على الأقل بعدما تأخروا عن الاعتراف بأن طائراتهم اسقطت الطائرة الكورية لمدة خمسة أيام، اعترفوا بعدها بالاسقاط لكنهم رفضوا اللوم والمسؤولية، كما أدت الحادثة إلى تخوّف المجتمع الدولي من الآلة العسكرية السوفياتية التي تنفذ الأمر بدون تردد، حتى وإن كان الثمن خسارة ٢٦٩ شخصاً على متن طائرة مدنية. ولكن بالنسبة لهم فإنهم كانوا يستردون معنوياتهم في حادثة مشابهة لطائرة كورية أخرى وقعت في عام ١٩٧٨ وانتهت بهبوط تلك الطائرة على الجليد وكانت تلك الحادثة قد اعتبرت إهانة للقدرة السوفياتية العسكرية. فتوغلت طائرة دخيلة في الأجواء

إهانة للقدرة السوفياتية العسكرية. فتوغل طائرة دخيلة في الأجواء السوفياتية أدى الى التساؤل حول قدرة السوفيات على حماية سيادتهم على أجوائهم فحادثة عام ١٩٧٨ كانت « الاهانة » وحادثة ١٩٨٣ كانت « ردع للاهانة » حسب المنطق السوفياتي.

السنون تمضي والدعاوي انهالت على موسكو والشركة الكورية

بعد مضي اكثر من سنتين على اسقاط المقاتلات السوفياتية للطائرة الكورية فوق بحر اليابان وقيل الكثير يومها كما أسلفنا خاصة ما ذكره الغرب أن حادثة الاعتداء كما اسموها ليست سوى مظهر من مظاهر السياسة السوفياتية ومع كل ذلك ورغم مضي هذا الوقت فإن الاهتمام بتلك القضية لم يهمد حتى الآن (أي حين تحرير هذا الفصل من الكتاب فهناك العديد من التحقيقات والمقالات والكتب المثيرة للجدل ثم هناك الدعاوي القانونية التي ما زالت تضع القضية في أولويات اهتمام الرأي العام الذي يطالب بايجاد الأجوبة الصحيحة والقاطعة حول حقيقة ما حصل بالفعل).

والجواب الحقيقي الثابت والأكيد حول الكارثة، هو أن الطائرة أصيبت فوق جزيرة ساخالين السوفياتية بصاروخ جو ــ جو، وهوت في بحر اليابان مودية بحياة جميع الركاب، وكل ما يتعدى نطاق هذه الحقيقة الثابتة هو مجرد فرضيات ابتداء من السؤال الآتي : **لماذا كانت الطائرة تحلق في عمق المجال الجوي السوفياتي ؟**

الجواب : موسكو ادعت منذ البداية أن الطائرة كانت في مهمة

تجسس وقد شرحنا وجهة نظرها سابقاً وبالتفصيل، لكن خبراء الطيران الغربيين ومعهم خبراء من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية واليابان ومنظمة الطيران العالمية في مونتريال في كندا توصلّوا في تحقيقاتهم إلى القول بأن الطائرة « انحرفت » عن خطها الأساسي خلال رحلتها الليلية من انكوراج الى سيوول بسبب خطأ من الطيار. لكن منظمة الطيران الدولية أياتا اعترفت صراحة بأن هذا التفسير للحادث هو مجرد احتمال، بسبب عدم توفر البراهين القاطعة. ويزيد ضياع « الصندوق الأسود » في الطائرة من الغموض الكامل حول الحادث. مما دفع ببعض المحققين « استندوا » إلى معلومات طفيفة أو أجزاء معلومات تمّ جمعها في السنتين الأخيرتين ليؤكدوا أن الطائرة ذهبت ضحية مؤآمرة كبرى تقف الولايات المتحدة وراءها. أحد المصادر الذي يثبت أن الطائرة ذهبت ضحية أعمال المخابرات الأميركية هو الدعاوي التي رفعتها أكثر من مائتي عائلة من ذوي الضحايا أمام المحكمة الفيدرالية في واشنطون. ويقول المدّعون في جملة ما يدّعون به ضد وزارة الدفاع الأميركية بأن المخابرات الأميركية كانت على علم مسبق بأن الطائرة انحرفت بشكل خطير عن خط سيرها، ولكنها « أي المخابرات الأميركية » لم تتدخل لمنع وقوع الكارثة. وبعض المشككين في تقرير « إياتا » يذهبون الى حد القبول بادعاء موسكو بأن الطائرة كانت « جزءاً » من مؤآمرة أوسع تهدف إلى « تجربة » أنظمة الدفاع الجوي السوفياتية في المناطق الشرقية من أراضيه. ولكن بعض المحللين الآخرين ادعوا أن شرود الطائرة كان حقيقياً وغير متعمد، ولكن المسؤولين في المخابرات الأميركية تركوها تكمل سيرها دون أن يتدخلوا، وذلك لكي يختبروا مدى الرد السوفياتي. وحتى اكثر المحللين تشاؤماً اعتمدوا على مجرد وقائع ظرفية، مما يزيد من عدد الأسئلة دون إيجاد الجواب الشافي لها حتى الآن.

وقد صدر تقرير « أياتا » الذي نشر بعد شهرين من وقوع الكارثة

احتمالين لخطأ الطيار، كل منهما يقود الطائرة إلى المرور فوق جزيرة ساخالين :

الأول : هو أن ملاحيّ الطائرة الكورية « أهملوا » واجباتهم وتركوا الطيار الأوتوماتيكي في رأسية مغناطيسية دائمة من ٢٤٦ درجة، عوضاً عن تغييره الى طريقة ملاحة جامدة مبرمجة مسبقاً.

الثاني : هو أن أحد الطيارين أخطأ في تلقيم المعلومات لكومبيوتر الطائرة قبل بدء الرحلة، مما أدى الى انحرافها بعشر درجات طول حافظت عليها طوال مدة الرحلة حتى وصولها إلى المكان الخطر الذي أسقطت فيه.

شكوك كثيرة تدور حول دقة هذين التفسيرين وليس ما يبددها بشكل قاطع سوى المزيد من البحث والانتظار.

قميص عثمان تحت ستار « سيناريو خطأ الطيار »

○ شهد عالم الطيران في الماضي اخطاء مماثلة دعاها الخبراء « أخطاء ملاحية فادحة » ونذكر أحد هذه الأخطاء بالتفصيل بعد أن مرّ ذكره في هذا الفصل عرضاً. وهو أن أحد طياري نفس شركة الخطوط الجوية الكورية الجنوبية ارتكب خطأ مماثلاً سنة ١٩٧٨ عندما انحرف بطائرته الجمبو مسافة ألف ميل عن خط سيرها الأساسي وذلك أيضاً فوق المنطقة الشمالية من أراضي الاتحاد السوفياتي يومها اعترضت مقاتلات سوفياتية الطائرة الكورية وأجبرتها على الهبوط فوق بحيرة متجمدة. ومر الحادث بسلام ولكن هذا الخطأ لا ينطبق بالضرورة على حالة الطائرة التي أسقطتها أيضاً الطائرات السوفياتية فوق جزيرة سخالين بدليل أن ما من أحد استطاع تقديم التفسير الكافي حول كيفية وقوع الحادث.

ومكتب الملاحة الجوية التابع لوكالة الطيران العالمية اعترض في تقريره الرسمي حول الموضوع على مبدأ « خطأ الطيار » وهو قميص عثمان الذي تستر به الغربيون ووجد من الصعب تأكيده والأخذ به. واعتراض المكتب يستند إلى سببين، فهو يشك في أن الطاقم بقي طوال خمس ساعات من الطيران « دون معرفة » مكان تحليق الطائرة الحقيقي، كما ويستبعد عدم ادراكه خطأ تحديد المسار طوال هذه المدة أيضاً. ويبقى خط سير الطائرة الفعلي أحد أبرز الأسرار التي ما تزال تكتنف الحادث. فبعد وقوع الكارثة بقليل قدم المسؤولون السوفيات لوكالة الطيران الدولية « رسيّم رادار » عن خط مسار الطائرة المنكوبة في ساعاتها الأخيرة. ويظهر الرسيّم انحرافاً حاداً للطائرة فوق جزيرة سخالين مما يدعم مزاعم موسكو بأن الطائرة كانت تقوم بمهمة تجسس. وبدورهم قام المسؤولون اليابانيون بتقديم بعض المعلومات حول الرحلة من ضمنها مقتطفات من حديث طاقم الطائرة مع ابراج المراقبة الجوية في اليابان، ولا تشير أي من هذه المعلومات إلى اهتمام غير عادي لطاقم الرحلة (٠٠٧) ولكن القيادة العسكرية الأميركية « المخابرات » التي تحتفظ بمراقبة دقيقة للنشاطات السوفياتية في المنطقة، رفضت الادلاء بمعلوماتها الخاصة عن الرحلة، متذرعة بضرورة حماية مصادر معلوماتها العسكرية السرية. ومهما يكن من أمر فإن المعلومات المتوافرة كلها تشير إلى عدم تنبيه الطاقم بتاتاً إلى خطأ مسار الطائرة. مسؤولو الطيران في اليابان قالوا أنه لم يتمّ الربط بسرعة كافية بين صورة الرادار التي تُظهر الطائرة الكورية المنكوبة نفسها فوق جزر سخالين. « جون كيبيل » الموظف المختص في وزارة الخارجية الأميركية وأحد الذين قاموا بتحقيقات شخصية حول الموضوع، يقول : إن المراقبين الجويين في مطار أنكوراج تشاوروا بين بعضهم البغض حول ضرورة تنبيه طاقم الطائرة إلى خطأ المسار، ولكنهم لم يقوموا بهذا التنبيه لسبب ما زال مجهولاً حتى الآن. « وفي انتظار جلاء بعض الغموض الذي يلف هذه الكارثة الجوية »

تبقى قضية الدعاوي الموحدة في دعوى واحدة التي أقامها ذوو الضحايا أمام المحاكم الأميركية « ضد » حكومة ومخابرات الولايات المتحدة بالاضافة الى شركة الطيران الكورية، تتفاعل في صفوف الرأي العام.

التهمة الموجهة هي اخفاق الادارة والشركة في ابقاء الطائرة خارج المجال الجوي السوفياتي. والدعوى مستمرة وقد طلب محامو الدفاع « رد الاتهام » عن الحكومة الأميركية ومخابراتها والشركة الكورية على أساس ان المسؤول المباشر والرئيسي عن اسقاط الطائرة هو الاتحاد السوفياتي. وليس المدعى عليهم كما وان القاضي « أوبري روبنسون » الذي يرأس المحكمة التي تنظر في القضية « رفض » طلب محامي الاتهام « دونالد مادول » السماح له بالتدقيق في ملفات المخابرات الأميركية بحجة أن هذا العمل من شأنه الاضرار بسلامة الدولة. ولكن هذا الرفض لم يمنع المحكمة من إصدار أمر إلى المسؤولين الأميركيين لتقديم العديد من الوثائق والسجلات المتعلقة بمراقبة عمليات الملاحة الجوية في ألاسكا عشية ويوم اسقاط الطائرة. ويبقى السر الذي يحيط بالقضية وبما جرى حقيقة على متن الطائرة « مدفوناً » في الصندوق الأسود المدفون بدوره في مكان ما من أعماق بحر اليابان. ويصرّ أولئك الذين يقولون بنظرية « الخطأ الملاحي » على أنه لا يوجد أدنى دليل على أن الطائرة كانت تقوم بعمل ما غير نقل الركاب الى سيوول. وفي المقابل يقول بعض النقاد ان الخلافات حول الموضوع طويلة وعميقة وإن الوقائع الحقيقية ما زالت مخبأة لأسباب عديدة منها « ضرورة » اخفاء عنصر الاهمال في القيادة أو المراقبة الجوية، أو من أجل التستير على عملية تجسس فعلية. ويمكننا اختصار الجدل القائم حول الكارثة[1]

(١) لمن يود الاستزادة من المعلومات عن قضية الطائرة الكورية المنكودة الحظ عليه الاطلاع على كتاب (الصندوق الأسود ــ Kal-007) تأليف الكسندر داليه الاستاذ في جامعة ستانفورد.

بما يلي: « إذا كان هناك من عملية تجسس، فسيُكشف النقاب عنها آجلاً أم عاجلاً. وفي حال افتراض عدم وجود عملية تجسس أو علاقة للمخابرات الأميركية بالقضية فإن الأجوبة المقنعة والحقيقية ستظل جاثمة في قعر بحر اليابان ».



بعض أهالي ركاب الطائرة الكورية والمأساة واضحة.



أيضاً بعض عائلات الضحايا يبكونهم.

إسقاط الطائرة الكورية من وجهة النظر السوفياتية

○ والآن وبعد هذه الصفحات العديدة عن عملية إسقاط الطائرة الكورية وقد طرحنا فيها الكثير عن التحقيقات والاستقصاءآت من وجهة النظر الأميركية والغربية لذلك يجب علينا الانتقال إلى معرفة « وجهة النظر السوفياتية » في هذه القضية لنكون مع القراء على بينة من الحقائق وليس ادعاءآت الدول الغربية وعلى رأسها أميركا. فقد وصف الجنرال السوفياتي « سيميون رومانوف » رئيس الأركان العامة لقوات الدفاع الجوي السوفياتية ان انتهاك الطائرة الكورية الجنوبية لحرمة الأجواء السوفياتية هو عمل مقصود به استفزاز الاتحاد السوفياتي. ونقل عن الجنرال رومانوف قوله في حديث لصحيفة « البرافدا » السوفياتية : إن هذا الحادث قد أعدت تفاصيله كلها وراء المحيط وهناك من راهنوا على حياة العديد من البشر الذين فارقوا الحياة « أي الركاب » ليس بذنب السوفيات بل انما الذنب يقع على قادة الحرب الباردة التي ينفذها البيت الأبيض. وأشار الجنرال رومانوف الى أن الطائرة الكورية « تسللت » ليلاً إلى المجال الجوي السوفياتي وانحرفت مئات الكيلومترات عن خط التحليق المقرر لها وحاولت المقاتلات السوفياتية لفت انتباه قائد الطائرة باطلاق نار تحذيرية « أي طلقات لا تؤذي بل

تحدث ألوانا وومضات » حتى لو اصطدمت هذه الطلقات بجسم الطائرة لأن الطائرة كانت تحلق بأنوار مطفأة وكان هيكلها يشبه طائرة الاستطلاع الأميركية المارّ ذكرها « آر. سي. ١٣٥ ». وأضاف أنه لا يسعنا إلا إبداء « الحيرة » حول ما اذا كانت الطائرة تقوم برحلة عادية بين نيويورك وسيوول كما يحاولون في الغرب تصوير الأمر.

ولكن سؤالنا لماذا لم تلتزم الطائرة بأبسط قواعد التحليق الدولية؟ وكشف الجنرال رومانوف أن الطائرات الأميركية العسكرية انتهكت حدود الاتحاد السوفياتي (في عام ١٩٨٣) أي في حينه تسع مرات بمنطقة جزر كوريل بالشرق الأقصى. كما انتهكت الطائرات الأميركية أيضاً حرمة الأجواء السوفياتية في جزيرة أرمانوف في مضيق بيرينغ. وقال الجنرال رومانوف في حديثه : إن هذه الانتهاكات لم تأت مصادفة وإنما هي استفزاز مقصود سيعرقل تحسين العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ويثير الريبة وعدم الثقة ببعضهما البعض.

وأكد المارشال نيكولاي أوغاروف رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية بعد ذلك إن الحقائق والاستنتاجات التي توصلت إليها اللجنة الحكومية السوفياتية الخاصة رفيعة المستوى التي شكلت حول اختراق طائرة البوينغ ٧٤٧ الكورية الجنوبية للمجال الجوي السوفياتي قد أثبتت بشكل لا يدحض ان الطائرة كانت في عملية تجسسية مقصودة ومخطط لها بامعان. ونقل عن المارشال أوغاروف قوله في مؤتمر صحفي عقد في المركز الصحفي لوزارة الخارجية السوفياتية في موسكو : إن الطائرة الكورية الجنوبية كان يجري توجيهها من مراكز معينة في أراضي الولايات المتحدة الأميركية واليابان وقد وقع اختيار المخابرات الأميركية على الطائرة المدنية « عمداً » دون اعتبار أو حساب لوقوع ضحايا بشرية « وربما حسبت المخابرات الأميركية لوقوع ضحايا » . وذكر بأن الطائرة منذ المرحلة الأولى للتحليق من مطار

« أنكوراج » المرحلي الواقع في ألاسكا لم تتجه وفق الخط الدولي المحدد لها بل توجهت نحو كامتشاتكا على الرغم من أن هذا الخط مجهز بوسائل راديوتكنيكية أميركية ويابانية لارشاد الطائرة المحلقة عليه. وتساءل أوغاروف : لماذا لم تعمل الهيئات الأميركية على دق جرس الانذار فور انعدام التقارير والاشارات المتعارف عليها من قبل الطائرة المحلقة على هذا الخط حول مرورها عبر نقطة المراقبة المعروفة لدى قائد الطائرة الكورية. وقال انه في لحظة اكتشاف الطائرة من قبل الوسائل الرادارية السوفياتية في نقطة تقع على نحو ٨٠٠ كلم شمال شرق بتروبا فلوفسك كامتشاتسكي كان انحرافها قد بلغ ٥٠٠ كلم داخل الأراضي السوفياتية. وقال رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية وبودي أن ألفت الانتباه على الأخص إلى أن الطائرة الكورية الجنوبية دخلت منطقة استكشاف الوسائل الرادارية السوفياتية بالذات في المكان الذي تقوم فيه طائرات الاستطلاع الأميركية من طراز « أر. سي. ١٣٥ » بطلعات دورية دائمة. وأضاف ان وسائل الرادار السوفياتية اكتشفت أن هناك طائرتين من نوع « أر. سي. ١٣٥ » حيث أقتربتا إلى حد دمج العلامتين على شاشة الرادار لدينا وسارتا معاً لفترة حوالي عشر دقائق بعدها اتجهت إحداهما إلى ألاسكا، أما الثانية فاتجهت نحو بتروبافلوفسك كامتشاتسكي ومن الطبيعي أن مراكز دفاعنا توصلت إلى استنتاج مفاده ان طائرة استطلاع تقترب من المجال الجوي للاتحاد السوفياتي. وأكد أوغاروف أن الطائرة الكورية الجنوبية كانت تتجه مباشرة نحو أهم القواعد النووية الاستراتيجية في منطقة جزيرة سخالين وان الطائرة لم ترد على الاشارات التحذيرية للطائرات الاعتراضية السوفياتية وأنها أخذت تقوم بمناورات في الاتجاه والارتفاع والسرعة والترنح « مما يدل » بوضوع على أنها كانت تريد التخلص من طائرات الدفاع الجوي السوفياتية المواكبة لها والتي يقودها طيارين محترفين. وقال أنه في الساعة ٢ حسب التوقيت المحلي للاتحاد السوفياتي غيّرت

الطائرة المخالفة اتجاهها « بشدّة » لتفادي مواقع الوحدات الصاروخية المضادة للطائرات وحلقت فوق أهداف عسكرية هامة في القسم الجنوبي من الجزيرة. وعندئذ لم يتبق شك في ان طائرة استطلاعية تحلق في الجو. وعند بلوغ الطائرة المخالفة القسم الجنوبي الغربي من الجزيرة جرت محاولة أخيرة لانزالها في مطار سوفياتي. واكد المارشال أوغاروف أن الطائرة التي لم تنصع للطلقات التحذيرية وحاولت الهرب بأن سارت في الاتجاه العام نحو فلاديفستوك فقد صدر الأمر في الساعة ٦,٢٤ إلى الطائرة الاعتراضية « بايقاف » تحليقها باستخدام القوة ونفذ هذا الأمر. وذلك أن القوات المسلحة السوفياتية التي تحمي العمل السلمي للشعب السوفياتي قد نفذت واجباتها بشرف في تاريخ الدولة السوفياتية كله وستنفذ مهمتها القتالة في المستقبل أيضاً إذا ما تطلب الأمر ذلك. وبعد ذلك حَمّلت الحكومة السوفياتية قادة الولايات المتحدة الأميركية كامل المسؤولية عن الفاجعة التي حلت بالطائرة الكورية الجنوبية وأعربت عن أسفها لمصرع كامل طاقم وركابها الأبرياء. ونقلت وكالة تاس بيان الحكومة السوفياتية الذي صدر في حينه بشأن الطائرة الكورية ان ركاب الطائرة ذهبوا ضحية للجريمة الجديدة التي استخدمتها الخدمات الخاصة الأميركية في أمورها القذرة تنفيذاً لأوامر المخابرات الأميركية. وأشار البيان إلى أنه لا جدوى من محاولات الولايات المتحدة بتغطية سياستها هذه بالثرثرات حول الأركان الانسانية وروح الانسانية وقيّم الحياة البشرية وقال أنه لا يمكن للشخصيات السياسية في بلاد « سلبت » بأشرس شكل أرواح الملايين من البشر في الهند الصينية ثم قامت نفس الولايات بقيادة ريغان ومن قبله من رؤساء الولايات بمساعدة المعتدي الاسرائيلي على قتل الفلسطينيين وشاركت بقتل اللبنانيين وآلاف الوطنيين التشيليين والسلفادوريين لا يحق لهذه الدولة أن تتكلم عن الانسانية والأخلاق. وكرر بيان الحكومة السوفياتية أن الطائرة الكورية دخلت المجال الجوي السوفياتي فوق كامتشاتكا في المكان الذي تقع فيه أهم قاعدة للقوات

النووية الاستراتيجية للاتحاد السوفياتي وبنفس الوقت وهو ما اعترف به الجانب الأميركي كانت تحلق في هذه المنطقة قرب الحدود السوفياتية وعلى نفس الارتفاع طائرة استطلاع أخرى شبيهة بها تابعة للقوات الجوية الأميركية من طراز « آر — سي — ١٣٥ ».وأضاف البيان أنه ارتفعت حالاً في الجو طائرات اعتراضية مؤلفة من خمسة طائرات (سو — ١٥) وخمس طائرات (ميغ ٢٣) فانشق قسم من هذه الطائرات لمراقبة أعمال الطائرة الأميركية « آر — سي — ١٣٥ » واتخاذ الاجراء اللازم بحقها.ودخلت بقية الطائرات إلى منطقة تحليق الطائرة الكورية المنتهكة للحدود وأعطتها الارشادات بأنها اخترقت المجال الجوي للاتحاد السوفياتي ولكن الاشارات أهملت من قبل طاقم الطائرة. وذكر البيان السوفياتي أنه عند المدخل الى جزيرة سخالين عادت المقاتلات السوفياتية واعترضت الطائرة المنتهكة للمجال الجوي وجرت أيضاً محاولة جديدة لاقامة اتصال معها وذلك عن طريق الاشارة المعروفة للنداء العام على الذبذبة الدولية للحوادث وهي المعتمدة دولياً بـ« ١٣١,٥ ميغاهيرتس ».وقال البيان انه خلافاً للمزاعم الزائفة من الرئيس الأميركي ريغان فإن المقاتلات السوفياتية للدفاع الجوي مزوّدة بوسائل الاتصال التي تسجل فيها هذه الذبذبات وعلى ذلك فإن هذه الاشارات يجب أن تكون الطائرة الكورية قد تلقتها ولكنها لم ترد عليها.وترد أيضاً كما أفيد سابقاً على الاشارات الأخرى واعمال المقاتلات السوفياتية الروتينية. وأوضح البيان ان الخدمات السوفياتية للمراقبة قد سجلت إشارات الراديو القصيرة المرموزة بالشيفرة التي كانت تبث دورياً وهي التي تستخدم عادة عند بث المعلومات الاستطلاعية. وإن قيادة قوات الدفاع الجوي في المنطقة توصلت بعد اجراء التحليل بدقة لأعمال الطائرة المنتهكة للحدود وسير تحليقها المار أيضاً بمنطقة سخالين فوق القواعد العسكرية الى الاستنتاج بشكل نهائي أنها طائرة استطلاعية تنفذ مهام خاصة تحلق في المجال الجوي السوفياتي والذي يدفع الى هذا

أيضاً أن تلك الطائرة قطعت طريقها عبر مناطق هامة واستراتيجية من الاتحاد السوفياتي. وأعاد البيان التأكيد بأن المقاتلات السوفياتية أطلق طلقات تحذيرية كاشفة عن خط حركة الطائرة المنتهكة للحدود وهذا التدبير هو ما تنص عليه القواعد الدولية. وبما أن الطائرة المنتهكة للحدود لم تخضع أيضاً لطلب التوجه الى مطار سوفياتي وحاولت التهرب من كل الفرص التي أتاحتها لها قيادة الدفاع الجوي السوفياتي بالأرض والجو، فإن (الطائرة السوخوي ١٥ ـــ المعترضة) نفذت أمر المقر القيادي في الدفاع الجوي بقطع الطريق على استمرار التحليق المخالف لحرمة الأجواء السوفياتية والأعراف الدولية وإن هذا العمل الشرعي ينسجم تماماً مع القانون حول الحدود الرسمية للاتحاد السوفياتي الذي سبق نشره. خاصة وإن الطيارين السوفيات لم يعرفوا أنها طائرة مدنية لأنها حلقت بدون أضواء وفي وقت متأخر من الليل وفي ظروف الرؤية الرديئة ولم ترد على جميع الاشارات الموجهة لها. وكرر البيان أن مزاعم الرئيس الأميركي بأن الطيارين السوفيات كانوا يعرفون أن هذه الطائرة مدنية « لا تنسجم » مطلقاً مع الواقع. وأضاف البيان إن عشرات الخطوط الجوية الدولية « تمر » فوق الاتحاد السوفياتي وتحلق عليها الطائرات على مدى عشرات الأعوام ولم يحدث لها أي شيء لأنها « تراعي » القواعد والخطوط المرسومة لها بدقة. وأوضح البيان أن الرئيس الأميركي ريغان يضع نفسه في موضع الانسان الجاهل باعلانه في كلمته يوم الخامس من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٣ بأن الاتحاد السوفياتي يعلن كيفياً حدوده الجوية لأن القضية ليست في الجهل لدى هذه أو تلك من الشخصيات الرسمية الأميركية وانما هي عمل مقصود ومخطط سلفاً في منطقة هامة استراتيجياً بالنسبة للاتحاد السوفياتي لأنه ليس من الممكن أن مدبّريه لم يدركوا ما الذي يمكن أن ينتهي إليه الأمر. إلاّ أنهم أقدموا على تحقيق العملية الاستطلاعية الكبرى باستخدامهم كما يتضح « طائرة مدنية » ووضعوا عن قصد ركابها عرضة لخطر الموت (وهذا

ما حصل) ولهم أسبقيات في ذلك. لأن ما قامت به مخابرات الولايات المتحدة ليس غلطة تكتيكية لأنه أقيم الحساب على أنه سوف يتاح دون عائق تحقيق العملية الاستطلاعية المذكورة « ولكن » اذا قُطعت فإن هذا كله سيتحول الى عملية استفزاز سياسي واسع النطاق موجه ضد الاتحاد السوفياتي. وأكّد البيان أن الغرض من محاولة التشهير بالاتحاد السوفياتي ونظامه الاجتماعي هو اثارة شعور البغضاء تجاه المواطنين السوفيات وصرف الأنظار عن مبادراته السلمية ورغبة الولايات المتحدة وقادتها التهرب من حل المشاكل الدولية الكبرى المتعلقة بمصائر الشعوب والابتعاد عن ايقاف سباق التسلح واقصاء خطر الحرب النووية الذي يزداد على العالم بشكل كبير.

آخر العنقود « الوقائع تفضح المستفزين »

○ نقدم في آخر هذا الفصل عن إسقاط الطائرة الكورية الأقوال الحقيقية للطيارين السوفيات ـــ قادة الطائرات الاعتراضية « السوخوي والميغ ٢٣ ـــ وهم شهود عيان للانتهاك الفظ المخطط لحدود الدولة السوفاتية والتي تؤكد مسؤولية طاقم الطائرة المخالفة ومن ورائهم[1]:

منذ أن أصبحت الطائرة المخالفة فوق سخالين أنجزت قيادة الدفاع المضاد للجو في المنطقة تحليلها لتصرفاتها وقد اتضح نهائياً أنها طائرة تجسس تؤدي مهمة خاصة فوق الأراضي السوفياتية المحظور دولياً

(١) في طوكيو أعلن المدير العام لشركة الطيران الكورية الجنوبية « شوشونغ كو »: ان الشركة مسؤولة مئة بالمئة عن حادث الطائرة الكورية الجنوبية المدنية البوينغ ٧٤٧ وهذا الاعتراف صدر عن مدير الشركة أمام ٦٠ شخصاً من أهالي ٢٨ من ركاب الطائرة من اليابانيين ونفى أن تكون الشركة تعرف شيئاً مسبقاً عن انحراف سير الطائرة.

المرور فوقها لأي سبب. كما أن جميع الخبراء السوفيات في الدفاع الجوي السوفياتي يعرفون أن معدات المتن الرادارية في البوينغ ٧٤٧ الكورية المخالفة هي معدات « مكررة ثلاث مرات » تحسباً لحالات الطوارئ وهذه المعدات تتيح التعرف على ملامح شبه الجزيرة مع تحديد موقع الطائرة بدقة. وهذا برهان لا يضاهى. والبرهان الحقيقي الآخر الذي لا يدحض هو الذي قدمه الرفيق النقيب الطيار « فاسيلي كازمين » قائد الطائرة الاعتراضية الذي كان يتولى « قيادة مجموعة الطيارين » في تلك الليلة وقد دعي للتحليق للتعرف على الطائرة المخالفة واقتيادها الى أقرب مطار سوفياتي.

• صعد النقيب كازمين مع سرب من المقاتلات السوفياتية (شرحنا عدده سابقاً) خلال دقيقة زمنية فقط.

• ماذا رأى قائد الطائرة الاعتراضية النقيب كازمين حين رصدت رادارات طائرته الطائرة المخالفة ؟

• كانت نقطة الهدف بلغة الطيران الحربي مضيئة على شاشة الرادار وتشير بدقة إلى مكان الطائرة المخالفة والمسافة بينها وبين الطائرة الاعتراضية تتقلص بسرعة.

• تلا ذلك تأكيد من مركز القيادة والتعرف على الطائرة وارغامها على الهبوط.

• حاول النقيب كازمين إقامة اتصال مع الطيار المخالف (أي كابتن الطائرة الكورية الجنوبية) بواسطة اشارة الاستدعاء المعروفة وعلى ذبذبة الطوارئ الدولية والتي سجلتها المقاتلات السوفياتية التابعة للدفاع المضاد للجو.

• كانت طائرة كازمين تحلق بأنوار متن ملاحية « مضاءة » ومع

كشاف. وكان الطيار كازمين وهو الخبير بهذه الأمور يجعل أضواء طائرته تتوامض بلا انقطاع ليلفت انتباه طاقم الطائرة الكورية.

• مرّ النقيب الطيار كازمين بطائرته بجانب الطائرة الكورية وحلق أمامها بنفس اتجاهها مواصلاً إرسال الاشارات المقررة دولياً.

• قام أيضاً الطيار كازمين بالعودة للتحليق أمام الطائرة الكورية وهو يُورجح طائرته وجناحيها يميناً ويساراً مشيراً بابهام يده لطاقم الطائرة بالهبوط.

كل ذلك والطائرة المخالفة تواصل طيرانها المخالف داخل الأجواء السوفياتية وكأن شيئاً لم يحدث ويتابع النقيب كازمين قائلاً : كانت الرؤيا سيئة في الليل والهدف كان يحلق وأضواء الملاحة مطفأة كما كانت أنوار الوقاية من التصادم مطفأة أيضاً. أي أن الطائرة المخالفة كانت تتلصلص تحت جنح الظلام. اقتربت منها لمسافة بضع عشرات من الأمتار ومع ذلك فإن علامات هوية الطائرة لم تكن ترى على مستوياتها وجسمها. كما لم تكن نوافذ الصالون العلوي باعتبارها طائرة درجة أولى مضاءة أيضاً. كان شبح الطائرة يذكرني بطائرة التجسس الأميركية (آر ـــ سي ـــ ١٣٥) والاقتراب منها أكثر كان يشكل خطراً لأنه في ظلام دامس كهذا يمكن الاصطدام بها. وواصلت الطائرة المخالفة رحلتها في مجالنا الجوي دون التفات الى ما نرسله لها من اشارات. وحاول المركز المحلي على الأرض التحكم بحركة الطائرة داخل الأراضي السوفياتية وإقامة اتصال معها على ذبذبة الطوارئ المنصوص عليها في معاهدة (إيكاو) الدولية. بيد أن طاقمها « رفض » الرد على نداءات الأجهزة الأرضية السوفياتية كما رفض الرد على اشارات الطائرة الاعتراضية.

اللحظات الأخيرة للطائرة الكورية

○ لم يكن لدى الضباط السوفيات في مركز قيادة وحدة الدفاع المضاد للجو أيّ شك في أن الطائرة المخالفة تجري مكالمات لاسلكية مع مراكز السيطرة الأرضية المسؤولة عن الطائرة والرحلة والعائدة للولايات المتحدة واليابان بذبذبات متفق عليها سلفاً. اما ان الطائرة كانت تمر فوق مناطق تضم منشآت استراتيجية سوفياتية فذلك دليل ساطع على أن هذه الرحلة قد أعدت سلفاً وأن الطائرة كانت آنذاك متجهة داخل المجال الجوي السوفياتي للقيام بأغراض تجسسية مشينة.

ومن أصول الممارسة الدولية أن كل دولة تضع بنفسها قواعد وسبل الدفاع عن سيادتها وحرمة حدودها. ويحدد قانون الاتحاد السوفياتي الخاص بحدود الدولة السوفياتية /المادة ٢٦/ التدابير الواجب اتخاذها تجاه من ينتهك حدود الدولة السوفياتية براً وبحراً وجواً في الحالات التي يتعذر فيها وقف الانتهاكات بوسائل أخرى عندئذ يستخدم السلاح والمعدات الحربية المناسبة لوقف الاعتداء. وهذا ما كان يعرفه جيداً كل من كان في تلك الليلة يحرس المجال الجوي للبلاد السوفياتية ويتضح مما ذكر آنفاً ان قيادة منطقة الدفاع للجو استرشاداً منها بالاعتبارات الانسانية المحض حاولت الصبر وقتاً طويلاً وباصرار لتشخيص هوية الطائرة وارغامها على الهبوط في أقرب مطار سوفياتي. وقد وضح ذلك توضيحاً تاماً في المؤتمر الصحفي الذي عقده مارشال الاتحاد السوفياتي نيقولاي أوغاركوف رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة السوفياتية (ذكرنا عنه في الصفحات السابقة) فقد أجاب بوضوح على اسئلة الصحافيين الحاضرين بأن رحلة الطائرة المخالفة كانت تنسق وتدار بدقة من قبل الأجهزة ذات العلاقة « وراء المحيط » وكانت رحلة استفزازية مخططة حلقت خلالها الطائرة المخالفة فوق قاعدة للقوات الاستراتيجية السوفياتية. واكد المارشال أوغاركوف أن جميع مراكز قيادة الدفاع

المضاد للجو كانت على ثقة تامة من أنها طائرة تجسس تؤدي مهمة خاصة فوق الأراضي السوفياتية. وفي نفس جزيرة سخالين تكلم في



عملية إسقاط الطائرة الكورية كما تخيّلها رسام النيوزويك



صورة منقولة عن التلفزيون للطيار الروسي الذي أسقط الطائرة الكورية.

المطار العسكري قائد الطائرة الاعتراضية الذي كان آخر من اعترض الطائرة المخالفة وهو النقيب الطيار (P-S) الذي صرح بأنه عندما أعلن رؤسائه في القاعدة حالة التأهب القتالي كان قد أصبح معروفاً في مركز القيادة ان هناك طائرة تجسس مخالفة تنتهك حدود الدولة وتتصرف بشكل استفزازي داخل المجال الجوي السوفياتي كان الطيـار (P-S) يرتدي خوذة الانصات وقد تلقى الأمر التالي عبر اللاسلكي وهو يطير ضمن التشكيلة المؤلفة من عشر طائرات مقاتلة سوفياتية اعتراضية بقيادة زميله الرفيق النقيب فاسيلي كازمين : الهدف « أي الطائرة الكورية » يقع إلى يسارك وعلى بعد ١٣٠ كلم افتح الأضواء الملاحية والكشاف. تقدم إلى أمام الطائرة ودلّها على اتجاه مطار الهبوط. وأيضاً قال الطيار (P-S) إنه شاهد الطائرة المخالفة « شبحاً » ولا يوجد عليها أية إنارة. لم يكن هناك عليها أي ضوء. كانت الطائرة معتمة تماماً. وحتى على الجانب المعتم من السماء لم تكن هناك أية معالم إنارة في جسم الطائرة وتابع الطيار السوفياتي قوله : كانت أمامي مهمة واضحة المعالم وقد بذلت جهدي لأدائها بأفضل وجه. إنها المهمة القتالية التي اعتبرها مغزى حياتي كلها لخدمة بلادي.

○ كان هذا بعد أن عبرت الطائرة سمـاء كامتشاتكا وقد بذلت المحاولات لوقفها واعادتها للنزول في المطار العسكري. لكنها واصلت طيرانها ! إذاً لا بد أنها طائرة معادية. أجل لقد فكرت بذلك، لأني طاردتها وقد عبرت حدودنا فظهرت لديّ ثقة كبيرة بأنها طائرة معادية سطت على أراضينا وراحت تحلق وهي معتدية فوق بيتي، فوق نقطتنا العسكرية بالضبط. كان الناس ينعمون بنوم هادئ تاركين مهمة حمايتهم لنا ولبقية القوات المسلحة السوفياتية. بينما كانت الطائرة المخالفة تطير فوقنا لتنفيذ مهمة تجسسية. أول شيء قمت به وحسب الأوامر الصادرة لي هو أنني اقتربت منها وأضأت أنوار المتن المتوامضة. ثم أرجحت

جناحي الطائرة وكـان مرئياً أيضاً أن أنواري تتأرجح هي الأخرى وهذا يعني حسب مجموعة الرموز الدولية إنها « أي الطائرة الكورية مخالفة » لذلك كان عليهم أن يردوا عليّ بشكل ما إما بالاعتراف بمخالفتهم والانصياع لي أو اعلامي بأنهم موشكون على كارثة. وعندها كان عليّ مساعدتهم فيما لو كانوا مصابين بعطل ما، فاذا كان الطيار مخالفاً فقد كان بامكانه الهبوط في مطارنا الذي سنرشده إليه ولاستطلعنا الأمر فوراً على الأرض والركاب في أمان. لقد كانت الطائرة ضخمة وبالتالي فمن الطبيعي أن يكون طاقمها كبيراً أيضاً. وكان عليهم أن يروا وميض أضواء متن طائرتين. ثانياً إنني قمت باطلاق أربع رشقات من القذائف الكاشفة المضيئة أمام مقدمة الطائرة المخالفة بالضبط. وهي اطلاقات تُرى ليلاً من مسافة كيلومترات عديدة بينما كنت قريباً جداً من الطائرة. بينما واصلت الطائرة المخالفة رحلتها على نفس الخط. بعدئذٍ أخذت تناور بسرعتها وارتفاعها محاولة الافلات منا « أي من رتل الطائرات الاعتراضية » عند ذلك أبلغت القيادة بأن « الهدف » يناور ولا ينصاع للاشارات وأوامر الهبوط فتلقيت الأمر القاطع بانهاء التحليق المخالف ونفذته بدقة فانقطعت رحلة الطائرة المخالفة فوق الأراضي السوفياتية الى الأبد.

المُخَابَرَات الأميركيّة تُتَابِع التجسُّس على الجمهوريّة الاسلامية الإيرانيّة وتُحاوِل إغراق إيرانَ بالدولارات المزيّفة!

○ منذ نجاح الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ او سقوط الشاه محمد رضا والمخابرات الأميركية غير مصدقة ما جرى حتى الآن وكأنها في حلم. لكنها لم تسلم للأمر الواقع بل ثابرت على « محاولاتها » إيجاد جسور لها من العملاء داخل إيران الثورة.ولكن المخابرات الايرانية كانت لها بالمرصاد. وهذه القصة القصيرة نموذج لطريقة عمل المخابرات الأميركية في استغلال أي أميركي تسمح له ظروف عمله بالتواجد في إيران حتى بعد الثورة الاسلامية :

المهندس الاميركي جان باتيس ـ مدير التصميمات لشركة الاتصالات (كاسموس) اعتقل في طهران من قبل المخابرات الايرانية بسبب تعامله مع المخابرات الأميركية الثابت عليه. وها هو يجيب على عديد من الأسئلة نقدمها بعد الترجمة من اللغة الايرانية الى اللغة العربية حول نشاطاته ودوره التجسسي :

سؤال : يرجى من السيد باتيس أن يعرّف عن نفسه، ويتحدث عن الفترة التي قضاها في إيران، وماذا كان يعمل فيها، ولماذا ألقي القبض عليه ؟

جواب : اسمي « جان باتيس » أميركي من مواليد ١٩٣٦ ـ

كارولينا، اشتغلت في إيران منذ عام ١٩٦٩ حتى ١٩٧٩ حيث سافرت إثر استلام الثورة الاسلامية للحكم بعد هروب الشاه إلى مصر. بعد ذلك رجعت مرة ثانية في أعوام ١٩٨٤ ــ ١٩٨٥ ــ ١٩٨٦ للعمل في إيران. وفي الأيام الأولى عملت مع نظام (المايكروويف) في مجال التخطيط وتنفيذ التصميم المعدّ له. وخلال فترة العمل تجولت في جميع المناطق الحدودية وهي : كردستان، آذربيجان، كيلان، مازندران، خراسان، وسيستان بلوجستان. وفيما يتعلق بمسؤولياتي عن الأعمال الجاسوسية قمت بزيارة المدن والقرى والعديد من القواعد العسكرية، وكنت اتنقل بين الجبال والسهول وأختار المناطق الخاصة لاقامة محطات المايكروويف. وفي السنين الماضية لـ١٩٧٠ عملت في شركة الخدمات النفطية في محافظة خوزستان بوظيفة « مسؤول التخطيط » لتجديد أجهزة الاتصال للمناطق البعيدة حيث آبار النفط. وكانت عودتي إلى إيران خلال السنوات ٨٤ ــ ٨٥ ــ ١٩٨٦ من أجل العمل وفق تصميم خاص للشركة الحالية (كاسموس) في منطقة أسدآباد همدان، وهناك كنا مشغولين بنصب مُرسلة صغيرة لتمشية الخدمات المؤقتة ولتغيير المرسلة الأصلية لسد الاحتياطات الجديدة. وقد دخلت ايران آخر مرة باستعمال جواز سفر إيطالي مزوّر باسم (جيوفاني باتيس).

[وهنا أعترف بغباء الموظف في المخابرات الأميركية الذي قدم لي جواز السفر المزوّر لأنه السبب في وقوعي بين أيديكم لأن من المفروض بأي مخابرات تودّ إرسال عميل لأي بلد أن تعطيه جواز سفر صادر من دوائر الأمن على مسؤوليتها وباسم ولقب مغايرين لاسمه ولقبه كلياً مع بعض التغيير في شكل العميل ــ فيجب إعطائه الجواز بصورة يظهر فيها شاربه بشكل جيد إذا كان « معروفاً » بدون شارب، أو إعطائه الجواز بدون شارب إذا كان « معروفاً » بالشارب وهكذا، أما العميل المهندس في قصتنا من إيران هذه فاسمه الحقيقي « جان باتيس » والأسم الجديد الذي أعيد به

إلى ايران هو (الايطالي جيوفاني باتيس). أي بدون تغيير اللقب مما دعا إلى إلقاء القبض عليه في فندق شيراتون طهران بعد عرض اسمه على « فيش » أي أرشيف المخابرات الايرانية وبعد ذلك اعترف بالنشاطات الجاسوسية].

سؤال: متى كان تاريخ إلقاء المخابرات الايرانية القبض عليك من فندق شيراتون طهران؟

جواب : بتاريخ ٩ حزيران (يونيو) ١٩٨٦ وما زلت معتقلاً.

سؤال : ما هو نوع المعلومات التي كنت مكلفاً بجمعها للمخابرات الأميركية ؟

جواب : يمكن درج المعلومات التي كنت مكلفاً بجمعها لهذه المنظمة ضمن المعلومات العسكرية المخابراتية السرية، وعن انتاج النفط الايراني، الأوضاع الداخلية، التضخم، مشاكل المواد الغذائية، وفي المجال العسكري كانت الـ(C.I.A.) قد طلبت مني تزويدها بالمعلومات حول طريقة تأمين قطع الغيار للتجهيزات الخاصة بالاتصالات اللاسلكية الأميركية الصنع، لذلك استطعت أن أقدم لأعضاء في المخابرات الأميركية « قائمتين » بذلك الطلب في سنة ١٩٨٤ وسنة ١٩٨٦ بعد حصولي على المعلومات أثناء وجودي للعمل في طهران. كما أرسلت المعلومات التي جمعتها من خلال مشاهدة برنامج تلفزيوني عام ١٩٨٥ حول أحد المصانع الخاصة بانتاج الأسلحة والتجهيزات العسكرية الايرانية[1] وأخبرتهم عن محطة أسدآباد والكثير من المعلومات.

(١) نقل المعلومات العسكرية عن التلفزيون المحلي لأي بلد هو خطأ مخابرات ودوائر الاعلام في ذلك البلد، وهنا قصدت السلطات الايرانية أن تعلن عن امتلاكها لمعمل للأسلحة والتجهيزات للتباهي أو رفع المعنويات فحصلت على العكس بوجود هذا العميل الذي شاهد البرنامج ونقله كمادة تجسس إلى مخابراته.

وأخبرتهم « أي للمخابرات الأميركية » عن قدرات عدد من المحطات الخاصة بالمايكروويف بين طهران وبندر عباس وبين أصفهان والأهواز وبين أصفهان وطهران أيضاً. وكذلك كتبت للمخابرات الأميركية عن محطات على الحدود التركية كانت في مرحلة الاعداد والنصب وعن محطات أخرى جديدة.

وفي مجال انتاج النفط فقد طلبت مني الـ (C.I.A.) تقريراً عن مقادير وكميات النفط المصدرة من جزيرة (خارك) وكنت بدوري أستطيع أن أستطلع وأخمّن الكميات المصدرة. وكان من المتفق عليه خلال عودتي إلى أميركا عام ١٩٨٦ أن أنقل لهم معلومات عن الخسائر الملحقة بمحطات الضخ في آبار النفط، والاجراءات المتخذة هناك وأيضاً طلبوا مني معلومات عن نسبة تضخم الريال الايراني، وفرق التصريف لسعره في السوق السوداء وسعره القانوني. وأعترف بأنه سبق أن كتبت تقريراً إليهم بهذا الشأن أيضاً.

سؤال : ما هو سبب تورطك بالتجسس وأنت مهندس ومورده المادي من عملك واختصاصك جيد جداً ؟

جواب : سبب تورطي معهم هو دخولهم في حياتي عن طريق المظاهر الخادعة، فعندما تقدمت للحصول على موافقتهم للعمل في إيران (اصطادوني) حيث شعرت بأنني لن أحصل على العمل إذا لم أوافقهم على طلبهم التعاون معهم وهكذا بدأت العمل لصالحهم.

سؤال آخر بنفس المعنى : هل هناك سبباً آخر لتورطك بالتجسس ؟

جواب : نعم هناك السبب الأهم لتورطي بالتجسس وهو المال. فقد كانوا يدفعون لي مبلغ خمسة آلاف دولار لقاء كل بحث أو تقرير أو جواب لأسئلتهم وكانت هذه الآلاف من الدولارات سبب الترف الذي كنت أعيشه وسبب نزولي في فنادق الشيراتون وتنقلي بأفخم وسائط

النقل وحتى مصادقة النساء، كل ذلك كنت أصرف عليه من هذه الدولارات الحرام.

سؤال : هل أنت نادم على قيام بالتجسس ضد الجمهورية الاسلامية ؟

جواب : نعم أنا نادم على ذلك كثيراً. وأطلب الرحمة منكم.

وهكذا انتهى استجواب المهندس جان باتيس وأعيد الى السجن انتظاراً لتقديمه للمحاكمة.

المخابرات الأميركية لا تزال تقوم بتزوير الدولار

○ قامت المخابرات الأميركية بتزوير كميات ضخمة من الدولار الأميركي أثناء الحرب الفيتنامية وذلك من أجل « تدمير » الاقتصاد الفيتنامي. وقام المكتب المالي في هذه المخابرات بعملية التوزيع حسبما ذكرنا في الصفحة ٢٤٨ من الجزء الأول من كتبنا المسلسلة هذه والثابت أن المخابرات الأميركية تمتهن الأذى وإلحاق الضرر بالدول التي تقع ضمن دائرة عدائها وحقدها وذلك بأي شكل من أشكال الضرر والأذى. ومن هذا الحقد عملية « تزوير الدولار » رغم أنه العملة الأميركية الرسمية ومغطى بمليارات مماثلة من الذهب لقيمته لدى البنك المركزي الأميركي في واشنطون. وغالباً ما تكون عملية التزوير لتغطية مصاريف باهظة لعملية أو مؤآمرة تنفذها المخابرات الأميركية ومنها الصرف على عميل باهظ التكاليف حيث تزوده بكميات هائلة من الدولارات المزيفة كمكافأة له على عمالته وتجسسه أو صرفه على شبكة تجسس. وقد صرح أحد المختصين في الصحافة الأميركية بعد اطلاعه على كتابي الجزء الأول بأن معلوماتي عن عملية تزوير الدولار صحيحة ولكن التزوير كان يتم بمعرفة وموافقة الحكومة الأميركية أولاً وليس المخابرات لأن المخابرات الأميركية رغم استقلاليتها وتحديها للحكومة الأميركية وحتى

الرئيس، لكنها لا تقوم بعملية التزوير إلا بعد موافقة البنتاغون « وزارة الدفاع الأميركي » المستمدة من موافقة الحكومة الأميركية ككل.

ومن أخبار التزوير الجديدة التي هي « استمرار » المخابرات الأميركية لعملية التزوير الروتينية عند الحاجة قيام الحرس الثوري الايراني في طهران بمصادرة سيارة بيك آب تحمل لوحة دبلوماسية ايرانية وهي تحاول الدخول الى السفارة الأميركية في طهران قبل الاستيلاء على هذه السفارة من قبل الطلبة المسلمين السائرين على نهج الامام الخميني. ولدى تفتيش هذه السيارة اتضح أنها محملة بصناديق كرتونية تحوي « ملايين الدولارات الأميركية المزورة » تزويراً متقناً أي بنسبة ٨٠٪ وقد عرضت هذه السيارة على التلفزيون الايراني في حينه. وهكذا تأكد استمرار المخابرات الأميركية بالقيام بتزوير الدولار٠وما مصادرة هذه الكمية الهائلة من الدولارات المزورة الموجهة الى السفارة الأميركية في طهران إلّا دليل واضح على أن فرع المخابرات الأميركية في السفارة كان ينوي توزيع هذه الدولارات في طهران خاصة على عملائه المخدوعين من ضعاف النفوس ليقوموا بطرحها في السوق السوداء في إيران وهنا تكسب المخابرات الأميركية ما يلي :

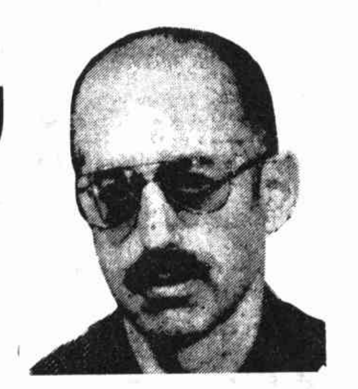
١ ـــ عدم دفع أتعاب العملاء الايرانيين وغيرهم بالعملة الصحيحة وهذا يعني أن خيانتهم لوطنهم وتعاملهم مع المخابرات الأميركية في طهران كان بدون أتعاب حقيقية، أي أن أجرة تعاملهم كان دولارات مزورة، والأجر والثواب على الله.

٢ ـــ اغراق السوق السوداء المزدهرة في حينه في ايران بملايين الدولارات المزورة، مما يضعف بالتالي سوق المال ويشغل جميع سلطات الأمن التي سيكون شغلها الشاغل « البحث » عن مصدر توزيع الدولارات المزورة ... الخ.

٣ ـــ التخلص من العملاء المحليين في إيران بعد أن تستنفذ طاقتهم

التجسسية فتعطيهم التعويضات السخية عن أعمالهم بالدولارات المزورة ثم تقوم بطرقها الخاصة بالاعلام عنهم للسلطات الايرانية فيقبض عليهم بتهمة « ترويج » الدولارات المزورة. ويضطر هؤلاء العملاء تحت الضغط والتعذيب غالباً حتى بالكهرباء للاعتراف عن مصادر من مخيلته ــ مثل أن يقول اشتريتها من سائح... الخ. وهنا يكون العميل قد ربح « عدم افتضاح أمر عمالته وتجسسه » لصالح المخابرات الأميركية التي تكون قد ضربت حسب المثل العامي « عصفورين بحجر واحد ».

اعترافات جان پاتیس جاسوس سازمان «سیا» در ایران



جان باتيس ــ الجاسوس الجديد للمخابرات الأميركية في طهران.



الدولار المزيف لا يفرق عن الأصلي في مطبعة المخابرات الأميركية

مَعلوماتٌ جَديدة وَمُفصَّلة

عَن

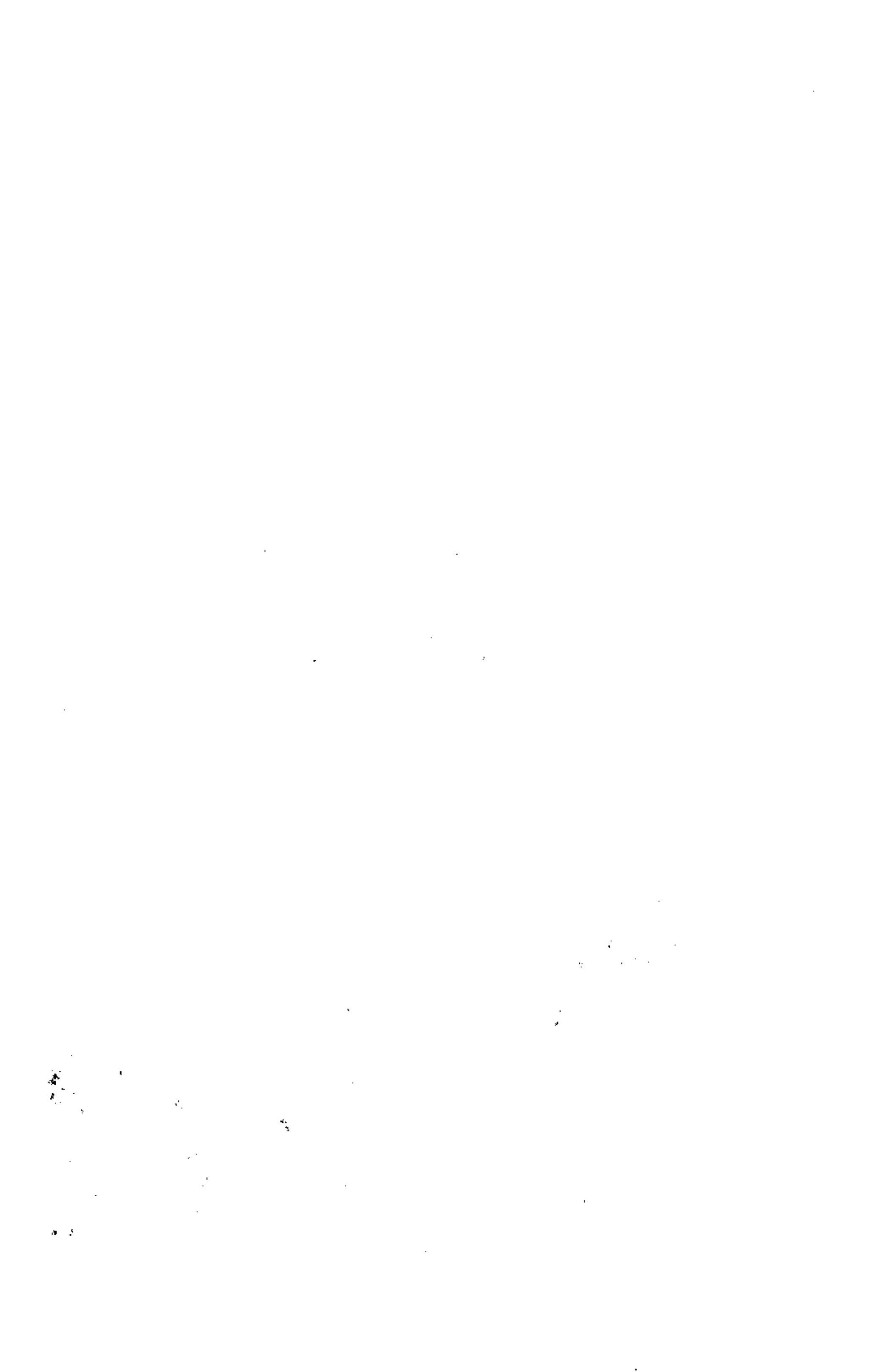
عَمليّة اغتَيال ثلاثة مِن قَادة المقاومَةِ الفلسطينيّة

في بَيروت









مَعلوماتٌ تُنشَر لأوّل مَرّة

كيف تمت عملية المخابرات الاسرائيلية الغادرة باغتيال ثلاثة من قادة المقاومة

○ فندق (سندس) في بيروت هو من فنادق الدرجة الأولى حيث كانت العاصمة اللبنانية في عام ١٩٧٣ تعيش عصرها الذهبي وحياتها البوهيمية ولياليها الحمراء. وأغلب السكان يؤثرون الصعود الى الجبال لقضاء فصل الصيف الذي يبدأ في نيسان من كل عام ولغاية ايلول ويتفرقون في مصايف عاليه وبحمدون. وكانت مئات السيارات تبدأ في الصعود يومياً باتجاه المصايف من الساعة الخامسة مساءً وينعكس الأمر صباحاً حيث تعود السيارات الى بيروت بأصحابها ولكن كانوا يعودون إلى أعمالهم وليس الى منازلهم التي يغيبون عنها طيلة أشهر الصيف فتبقى بيروت الساهرة مرتعاً خصباً للسياح الأجانب والعملاء.. نعم كانت بيروت تبقى للعملاء ليلاً وهم يتآمرون فيها ما يحلو لهم التآمر.

فقد وصل إلى فندق (سندس) يوم ٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ سائح انكليزي يحمل حقيبة سفر متوسطة وقدَّم جواز سفره إلى موظف

الاستعلامات في الفندق حيث قام بتسجيل المطلوب للسلطات اللبنانية :

الاسم : ديتر ألتور.
العمل : تجارة.
قادماً من مطار بيروت الدولي ... الخ.

وبعد بعض الاستراحة صرح لموظف الاستقبال أنه « هاوي » صيد السمك ليلاً وأن هواية صيد السمك ليلاً متأصلة فيه وهي هواية غريبة ولكنه يحبها. وصيده ليلاً « لغرض في نفسه » هو عكس الصيادين اللبنانيين الحقيقيين الذين يتوجهون في ساعات الصباح الأولى ليعودوا معهم مختلف الأسماك يبيعونها الى مطاعم بيروت التي تقدمها مقلية أو مشوية في وجبات شهية نتمنى أن تعود بيروت الى عهدها القديم هذا. أخذ ديتر يخرج مساء كل يوم من الفندق بحجة التوجه لاشباع هوايته في صيد السمك في الليل ويسير على الشاطئ وسط الظلام وهو يحمل أدوات الصيد حتى يصل الى منطقة ساحلية تسمى « مغارة الحمام » يمارس فيها هوايته المحببة ويعود في ساعة متأخرة من الليل الى الفندق وكان يبدو ظاهرياً كالرجل العائد من الصيد حقاً.

○ في السادس من نيسان (ابريل) وصل الى نفس الفندق ثلاثة سياح آخرين قادمين من أوروبا عن طريق مطار بيروت هم أيضاً وهم :

أولاً : وصل الانكليزي « آندرو تيسلاو » واتضح من تصريحاته بعد قدومه وأحاديثه ولباسه أنه مواطن انكليزي جنتلمان ومن المدرسة الفكرية القديمة.

ثانياً : بعد ساعتين وصل البلجيكي « شارل بوسار » قادماً من روما وهو في الأربعين من عمره.

ثالثاً : انكليزي آخر وصل الى نفس الفندق في ساعات المساء ويحمل اسم « جورج ألوار » وهو في الحادية والثلاثين من عمره.

وقد أمضى السائح الأخير في غرفته عدة ساعات دون أن يكلم أحداً أو يطلب شيئاً من العاملين في الفندق.ولكنه نزل فجأة الى صالة الفندق في منتصف الليل تقريباً وسأل موظف الاستعلامات كيف بامكانه أن يصل الى شاطئ البحر.وقد أرشده الموظف إلى الطريق المؤدية للشاطئ حسب طلبه.

○ الشخص الأخير الذي ينتمي إلى مجموعة « السياح الجواسيس » لم ينزل في فندق (سندس) مع زملائه الجواسيس بل توجه من المطار رأساً الى فندق (أطلانتيك) الكائن على شاطئ البياضة واسمه « أندرو ميسي » وكان انكليزياً أيضاً.أخذ من حين وصوله يوزع الأموال على موظفي الفندق ويبدي اهتماماً كبيراً بحالة الطقس. وفي كل يوم كان يهتم ثلاث مرات بالسؤال عن حالة الطقس بتفاصيلها الكاملة.

هؤلاء الجواسيس المحترفين لم يلتقوا أبداً مع بعضهم على الأقل أمام موظفي الفنادق التي نزلوا بها.وقد تصرفوا وهم مدربين على هذا المسلك أي كأن أحدهم لا يعرف الآخر مطلقاً.ونادراً ما كانوا يتواجدون داخل الفندق في ساعات النهار حيث أنهم كانوا يقومون بجولات طويلة « سيراً على الأقدام » داخل بيروت وهي جولات استطلاعية تمهيداً لقيامهم بعملية مرتقبة في حينه لأنهم قد « مرّوا » مرات عديدة أثناء تجوالهم من شارع الخرطوم أمام مكاتب قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية الفلسطينية.وحتى أن بعضهم اقترب من حراس المبنى وتبادل معهم الأحاديث والسجائر (وهذا خطأ كبير من الحراس) ويوجد في نفس امتداد الشارع الخرطوم ملعب رياضي كبير وحديث وكان السياح الجواسيس يبدون اهتماماً كاذباً بهذا الملعب لكنهم من خلال وجودهم في المكان كانوا يراقبون مبنى قيادة الجبهة الشعبية.كما مرَّ الجواسيس مرات عديدة في شارع فردان حيث يقع المبنى الذي يقيم فيه بعض قادة فتح ومنظمة ايلول الأسود.

○ إضافة الى هذا النشاط قام السياح الجواسيس باستئجار سيارات لبنانية خاصة من وكالة (أفيس) ووكالة (لينا كار) لتأجير السيارات للسياح. وقد طلبوا سيارات أميركية وتحدثوا لموظفي تأجير السيارات عن رغبتهم كسياح في الحصول على سيارات قوية للتنزه في الجبال والمناطق الوعرة وعبور الأراضي اللبنانية من شمالها الى جنوبها وبهذه الطريقة استأجروا :

- ثلاث سيارات بويك « سكايلرك ».
- سيارة واحدة « بلايموث ».
- سيارة واحدة « فاليانت ».
- سيارة واحدة « رينو ١٦ ».

وذلك بعد تسجيل أسمائهم من جوازات سفرهم (المزوّرة) ودفع كل منهم مائتي دولار (طبعاً من أموال المخابرات الاسرائيلية) كسلفة عن الايجار وعن كل سيارة حسب الشروط. وانطلقوا بهذه السيارات لكي يبدأوا بالتمرين على قيادتها في طرقات بيروت وخاصة الطرق الساحلية المؤدية ذهاباً وإياباً الى المكان الذي عينته لهم المخابرات الاسرائيلية مسبقاً في منطقة برج الحمام وهو بنفس الوقت « المكان الذي اختاره أحدهم وهو الجاسوس الأول ديتر ألتور لصيد السمك ليلاً ».

ابتداء المهمة القذرة

○ في الساعة السادسة من صباح يوم ٩ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ انطلقت إلى قلب البحر الأبيض المتوسط قافلة بحرية صغيرة تابعة لسلاح البحرية الاسرائيلي منها سفينة حاملة صواريخ وسفينة اعتراض من طراز « دبّور ».واندمجت هذه السفن في الحال مع حركة السفن العابرة في الخطوط البحرية الدولية.

ــ سفينة الصواريخ « مبطاح » كانت تحمل في جوفها جنود المظليين الذين ألقيت عليهم مهمة مهاجمة مبنى قيادة الجبهة الديموقراطية.

ــ السفينة الثانية « غاعش » فكانت تحمل أيضاً جنود مظلات مهمتهم مهاجمة واغتيال قادة المقاومة في منازلهم بشارع فردان. وقبل صعود المظليين الى السفينة « غاعش » تلقى كل منهم من ضابط مخابرات اسرائيلي « أربعة صور » لكل من أبو يوسف النجار ــ كمال عدوان ــ كمال ناصر ــ علي حسن سلامة ــ وهم الأربعة المقصود تصفيتهم في شارع فردان لكي يتأكد هؤلاء المعتدين من ضحاياهم وشخصية أهدافهم.كما أن صوراً كثيرة لعلي حسن سلامة وزعت على جنود الوحدات الأخرى فلربما اصطدموا به في مكان ما أثناء العملية لأنه

هدف ثمين للمخابرات الاسرائيلية باعتباره « ضابط العمليات في منظمة ايلول الاسود » حسب الترجمة عن الصحف الاسرائيلية. وكانت الأوامر الصادرة عن قيادة المخابرات الاسرائيلية الى المهاجمين واضحة ومشددة للجميع وهي :

١ ــ قتل (اغتيال) قادة المقاومة الثلاث يوسف النجار ــ كمال ناصر ــ كمال عدوان. وعنوانهم بيروت شارع فردان بدلالة المقيمين في بيروت من عملاء المخابرات الاسرائيلية بشكل سواح.
٢ ــ قتل (اغتيال) علي حسن سلامة أينما وجد وفي حالة الاصطدام به لأن عنوانه ليس مؤكداً لديهم بأنه يقيم في شارع فردان.
٣ ــ عدم ترك قتلى أو جرحى من جميع العناصر ــ عملاء ــ عناصر مخابرات مظليين في ساحة العمليات تحت أقسى الظروف.

وقد تمّ تزويد الجميع بصور اضافية للمناطق التي سيمرون بها أثناء تنفيذ العملية وخرائط دقيقة ومجسّمة لمناطق العمليات في شوارع وأحياء بيروت وأمكنة الانتظار وطرق الانسحاب ومكان التجمع بعد تنفيذ العمليات. وقد صدرت الأوامر بتنفيذ الهجوم بموجب عمليّتي إنزال بحري الأولى تتمّ في شاطئ البياضة والثانية في شاطئ مغارة الحمام.

بدأت القافلة البحرية الاسرائيلية بالاقتراب من شواطئ بيروت. وفي الساعة التاسعة والنصف مساءً ألقت السفن الاسرائيلية مراسيها في بحر بيروت الهادئ وأخذت تنتظر ساعة الصفر والجميع من السفن العدوّة يشاهدون بيروت من البحر وهي تتلألأ بأنوار النيون والزينات البهيجة. جنود المظلات كانوا يرتدون الملابس المدنية وبعضهم كان يرتدي اللباس الرياضي وعناصر المخابرات المرافقة لهم كانوا بطبيعة الحال باللباس المدني. أما الأسلحة فكانت أسلحة خفيفة بنادق سريعة الطلقات وأسلحة متوسطة بالاضافة إلى مدفعي رشاش ثقيل ومدفعي هاون ومورتر

من عيارات متوسطة. أما ضباط الحملة فكانوا يحملون مسدسات بريتا سريعة الطلقات أيضاً.

○ قائد هذه الحملة العسكرية البرمائية كان المقدم « آهود براك » كان ينظر إلى عقارب ساعته وهي تقترب من الساعة الثانية عشر ليلاً وعندها أعطى الاشارة بالبدء بالعملية. فأنزلت القوارب المطاطية المتوسطة من السفينة الى البحر ومن ثم قفز اليها الجميع. فتحركت باتجاه شواطئ بيروت حتى رست السفينة الأولى مبطاح أمام وبالقرب من شاطئ البياضة. ورست السفينة الثانية غاعش أمام وبالقرب من شاطئ مغارة الحمام. ومن المعلوم أن شواطئ بيروت يخلو منها المارة عند منتصف الليل وحتى العشاق المحبين القلائل الذين كانوا على الشاطئ أخذوا يغادرون الى منازلهم. والقوارب المطاطية الاسرائيلية تقترب وتستمر بالاقتراب من مناطق الانزال المحددة لها وعلى أضواء بطاريات العملاء من الساحل حسب الاشارات المتفق عليها. وهؤلاء العملاء كانوا قد أوقفوا سياراتهم بهدوء تام قرب منطقتي الانزال واطفأوا أنوارها وتسللوا إلى أقرب نقطة على الشاطئ وتلقوا الاشارات المتفق عليها من قوارب الانزال المطاطية وأعطوا اشاراتهم التي تدل على خلو المكان من أي عائق للعملية. وعاد كل منهم يجلس خلف مقود سيارته بانتظار رجال الحملة الاسرائيلية وكأنه سائق تاكسي ينتظر ركاباً.

قفز رجال الحملة من القوارب المطاطية الى الشاطئ وركضوا باتجاه السيارات التي كانت تنتظرهم وصعدوا اليها بسرعة البرق وجلسوا بهدوء عجيب وراء سائق عجيب قد سبقهم إلى بيروت بأيام « على عينك يا تاجر ». وقد استوعبت السيارات الأميركية (وهذا معروف للجميع وليس للدعاية) كل منها لسبعة عسكريين مع أسلحتهم وذخيرتهم. وقد جرى ترتيب مسبق لدى توزيع عدد وأسماء عسكريّ كل سيارة بأن يكون من بين ركاب كل سيارة « ضابط » لكي يحسن التصرف إذا ما تعرضت

السيارة لأي حادث أو « حاجز » .كما أن المخابرات الاسرائيلية تملك كما هو معروف عنها من الدهاء والخبث الشيء الكثير. فقد روعي أثناء التحضير للعملية وجوب وجود ضابط في كل سيارة للتصرف أولاً وأن يجيد اللغة العربية ثانياً فاذا كان الضابط لا يحسن العربية فيجب أن يكون من بين طاقم الجنود السبعة من يحسن التكلم باللغة العربية. ويجب على هذا الضابط أو الجندي الذي سيكون مرشداً للسيارة بسبب إجادته اللغة العربية أن يحمل معه عدة آلاف من الليرات اللبنانية لكي يتخلصوا من أي طارئ قديتعرضون له. توجهت السيارات بهم الى شارع فردان بقيادة السياح الذين سلكوا هذا الطريق عشرات المرات وأصبحوا يعرفون كل شبر فيه .وأثناء اجتياز السيارات لمدينة بيروت كان الجنود المدنيون ينظرون باعجاب تام كبير الى الرجال السائقين غير المعروفين لديهم والذين كانوا يقودون السيارات بهم بثقة وأمن كاملين في الشوارع المتعرجة في قلب بيروت حتى وصلوا بهم إلى شارع فردان وهناك انفصلت قوة بقيادة المقدم « لفكين » واتجهت نحو منطقة الملعب حيث هناك قيادة الجبهة الديموقراطية. وفي الساعة « ١,٠٩ » بعد منتصف الليل وصل جنود المظلات الاسرائيليون ومرافقيهم من رجال المخابرات الاسرائيلية « إلى اهدافهم المحددة ». فالمجموعة التي كلفت باغتيال قادة المقاومة وصلت بسيارتين الى شارع فردان ونزل الجنود من السيارتين واختبأوا في بيت الدرج المظلم التابع للمبنى المؤلف من سبع طبقات. أما أفراد المجموعة الثانية فقد نزلوا من سيارتهم في شارع غانا وتسللوا وسط الظلام نحو شارع الخرطوم حيث يقع مبنى الجبهة الديموقراطية.

دفاع المقاومة البطولي

○ في الوقت الذي كانت فيه سفن سلاح البحرية الاسرائيلية تنقل عناصر المخابرات والمظليين الاسرائيليين الى شواطئ بيروت لتنفيذ عملية اغتيال بعض قادة المقاومة، كانت أنظار قادة فتح وبقية المنظمات الفلسطينية تتجه نحو نتائج اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي بدأ في ٨ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ في بيروت عوضاً عن دمشق التي تبعد عن بيروت مائة وعشرة كيلومترات وهي الأكثر « أمناً » وقوة لحماية القادة الفلسطينيين. انتهت محادثات اليوم الأول في ساعة متأخرة من الليل وبعد انتهاء المحادثات دعا كل من أبو يوسف النجار وكمال ناصر وكمال عدوان « أبو أياد » نائب ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الى عشاء « سمك » في مطعم السلطان ابراهيم على شاطئ الأوزاعي، إلاّ أن أبا إياد لم يتحمس لهذه الدعوة فهو شديد الحذر والحرص على أمنه وحياته لأنه يعرف نفسه « مستهدفاً » من قبل المخابرات الاسرائيلية بشكل دائم لذلك كان يتجنب الدعوات العامة والجلوس في الأماكن المزدحمة. ولكن في النهاية وبعد ضغوط والحاح من جانب الثلاثة استجاب أبو إياد لدعوتهم وشاركهم عشاء السمك بعد أن اتخذ اجراءات أمنية احتياطية وكان العشاء الأخير معهم لأن أبا إياد صرح بعد يومين والدموع في عينيه قائلاً: لست أدري ما

الذي دفع بي وجعلني أوافق على تلبية دعوتهم. فلقد شعرت برغبة شديدة للبقاء مع رفاقي الثلاثة (كانوا قد استشهدوا كما سنعرض) وعدم الافتراق والابتعاد عنهم ولو لساعتين اثنتين.

○ في الساعة التاسعة مساءً (١٩٧٣/٤/٩) بتوقيت بيروت انتهت محادثات المجلس المركزي الفلسطيني فتفرق الأعضاء كل إلى منزله أو فندقه. أما أبو إياد فقد توجه الى كمال ناصر أثناء خروجهم وسأله : هل استطيع قضاء السهرة هذه الليلة عندك. فردّ كمال ناصر : هذه الليلة بالذات أريد أن أكتب عن عيسى نخلة ووجودك سيضطرني لترك الكتابة (عيسى نخلة شاعر معروف توفي قبل أسابيع من تاريخه). عند ذلك تخلى أبو إياد عن فكرة السهر لدى كمال ناصر بعد جوابه « عمره طويل » وقد قرر عوضاً عن ذلك « لقاء » الفدائيين الثلاثة الذين نفذوا عملية استاد ميونيخ الفدائية. وهذه العملية كانت بقيادة علي حسن سلامة وقد صوّرت فيلماً شيقاً عرض في بيروت باسم ٢٤ ساعة في ميونيخ وكانوا قد أطلق سراحهم حديثاً من السجون الألمانية في حينه فعادوا الى بيروت. وقد توجه أبو إياد الى البناء الذي يقيم فيه هؤلاء الثلاثة والذي يقع مقابل بناء قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية ولا تفصل بين البنائين سوى عشرة أمتار. وحين دخول أبو إياد البناء لاحظ أن هناك استعدادات عسكرية أمام مبنى قيادة الجبهة الشعبية فصاح بقوله : ماذا يجري هنا ؟ فأجابه الحارسان الفلسطينيان اللذان يقفان عند مدخل البناء بعد أن أديا له التحية والاحترام. « نحن نتوقع هجوماً مسلحاً ».

قال أبو إياد: « تتوقعون هجوماً مسلحاً؟ ممن؟ »

أجاب الحارسان: « من جانب الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش ». وقد تأثر أبو إياد بشدّة عندما سمع ذلك لأنه كان حريصاً على نبذ أية خلافات بين المنظمات الفدائية ثم تابع سيره صاعداً الى منزل الفدائيين

العائدين من المانيا لتهنئتهم.ومن هناك أجرى اتصالات هامة لتهدئة الوضع بين المنظمتين.

○ المقدم آهود براك قائد حملة المظليين والمخابرات الاسرائيلية أصدر الأمر الى جنوده بالتقدم لتنفيذ العملية.وفي نفس الوقت كانت تنبعث أصوات الموسيقى الغربية الصاخبة والراقصة من النادي الليلي « جولدن روم » في مبنى فندق بريستول المقابل. وأول أمر أصدره المقدم براك ببدء التنفيذ هو للملازم أول « أبيدع شور » وصديقه المقرب ضابط الصف حجاي معيين بأن يطلقا النار من مسدسات كاتمة للصوت على الحارسين الفلسطينيين الواقفين عند مدخل بناء قيادة الجبهة الديموقراطية. فتقدم الاثنان ببطء وحذر وهما يسيران على الرصيف متجهين نحو مدخل البناء وكأنهما يقومان بنزهة ليلية وكانا يخفيان تحت ملابسهما مسدسين من نوع بريتا المزوّدين بكاتم للصوت.وكانت الأوامر الصادرة لهما من المقدم براك هي أن يقتربا من البناء قدر الامكان لكي يستطيعا اطلاق النار على الحارسين من مسافة قريبة جداً لأنه بعد ذلك سيصدر الأمر العام بالهجوم.

تقدم الملازم أول أبيدع ورفيقه حجاي حتى وصلا الى مسافة خمسة أمتار من الحارسين المسلحين تسليحاً قوياً وقد توقف الاثنان فجأة. أما الجنود الآخرون الذين هم بقيادة المقدم لفكين والجنود الآخرون الذين هم بقيادة المقدم براك قائد الحملة نفسه والذين كانوا يختبئون ويقفون على مقربة من المكان وينتظرون « إشارة » البدء بالهجوم فكانوا يعيشون هذه الدقائق واللحظات على أعصابهم وقد حبسوا أنفاسهم خشية حدوث شيئاً لم يتوقعوه ولم يحبسوا حسابه كأن يحدث شيء مفاجئ قبل لحظات « قتل الحارسين ». ولدى توقف الاثنان فجأة أشعل ابيدع سيجارة لنفسه وبعدها أشعل سيجارة أخرى لزميله حجاي وذلك على مرأى من الحارسين الذين لاحظا ما يجري على مقربة منهما ولم يخطر

على بالهما شيء كما لم يحركا ساكناً. وفي هذه اللحظات كانت عقارب الساعة تشير الى الواحدة وسبع وعشرين دقيقة من صباح العاشر من نيسان ١٩٧٣. وبعد أن أشعل أبيدع وحجاي سيجارتيهما تابعا السير حتى أصبحا على مسافة « متر واحد فقط » من الحارسين.حياهما أبيدع بالانكليزية ثم أتبع التحية بالاعتذار « آي آم سوري » وبنفس الوقت أطلق عليهما النار مع حجاي بوقت واحد أيضاً من مسدسيهما المزودين بكاتم للصوت فسقطا أرضاً وقد أطلق أحدهما صرخة مدوية. وكانت المفاجئة للملازم أول أبيدع وحجاي وللقوة جميعها أن قفز فدائيان مسلحان من سيارة فيات كانت تقف على مقربة من المكان ولم يشاهد أحد من الاسرائيليين الأذكياء حسب ادعائهم وتخطيطهم لكل شيء هذين الفدائيين داخل السيارة الفيات. بادر الفدائيان باطلاق رشات من الرصاص بمبادرة شخصية منهما وباتجاه أبيدع وحجاي فور خروجهما من الفيات بعد مشاهدتهما مقتل الحارسين.فأصاباهما إصابات مباشرة وسقط الاثنان يسبحان بدمائهما « تمّ نقلهما أثناء الانسحاب ولم يعرف عنهما شيئاً بعد ذلك ».

الشهيد الأول :

○ كان الشهيد كمال ناصر لا يزال منهمكاً في الكتابة عن عيسى نخلة عندما سمع صوت اطلاق النار « صوت رصاص الفدائين وليس رصاص الغدر المكتوم ».فقفز من مقعده لجلب سلاحه ولكن باب شقته كسر فجأة ودخل حوالي ستة من الاسرائيليين شاهرين سلاحهم فحاول كمال ناصر الالتفاف من ورائهم بعملية انتحارية فأصابته على الأقل ثلاثين رصاصة من بنادق ومسدسات المهاجمين حيث أصيب في جميع أنحاء جسمه واستشهد. لم تخرج من فمه كلمة واحدة ومع ذلك وكنتيجة للحقد الأسود لدى الاسرائيليين فقد أعادوا اطلاق النار على جثته هلعين

خائفين وأطلقوا النار على أثاث الشقة بغزارة وعلى طريقة المافيا. ثم تولى اثنان من المهاجمين جمع أوراقه ودفاتره وسرقوها للاطلاع عليها فيما بعد...

الشهيد الثاني :

○ محمد يوسف النجار « أبو يوسف » كان يجلس في غرفته يستعد للنوم وكان أولاده الخمسة يقظين يطالعون في كتبهم المدرسية ويحضرون وظائفهم لغد ذلك اليوم. وفي هذه اللحظات انفجرت عبوة ناسفة دمرت باب شقته تماماً ودخل المعتدون الاسرائيليون وهم يرتدون على رؤوسهم « كلسات نسائية » وأيضاً على طريقة سارقي البنوك في الأفلام الأميركية. وعندما أصبحوا داخل الشقة وقف في وجههم نجله البالغ من العمر سبعة عشر عاماً وكان يعتقد بأنهم « لصوص » لارتداءهم الجوارب على وجوههم كأولاد عمهم الأميركان ولكنهم سألوه عن أبيه بلغة عربية ركيكة. عندها أدرك الفتى بأن المهاجمين أخطر من أن يكونوا لصوصاً متأمركين فركض مذعوراً من أمامهم باتجاه غرفة نوم والده ليحذّره ولكنه وقع أرضاً فسبقه الجناة. أما أبو يوسف فقد قفز من فراشه عندما سمع صوت انفجار باب شقته واتجه الى غرفة الضيوف وصاح بزوجته « مها » أن تحضر له مسدسه. فركضت الزوجة بصورة هستيرية نحو خزانة الملابس حيث كان المسدس بداخلها[1]. وفي هذه اللحظات وبعد سقوط ولدها على الأرض أمام غرفة النوم وهو يحاول انذار والده فيها أطلق الجناة النار

---

(١) هذا خطأ رجل مسؤول ومستهدف من قبل المخابرات الاسرائيلية ليلاً نهاراً بأن يترك سلاحه في خزانة ملابس وبعيداً عنه. نصيحة لجميع الذين يتعرضون للتهديد أن يبقوا سلاحهم بجانبهم لأنه إذا كان القتل مكتوباً فعلى الأقل أن لا يموت الانسان رخيصاً.

عشوائياً باتجاه باب غرفة النوم فمزقوه أرباً لاعتقادهم أن أبا يوسف النجار في تلك الغرفة وكسروا الباب ودخلوا غرفة النوم فلم يجدوا أبو يوسف فتوجهوا نحو غرفة الضيوف. تخلت الزوجة مها في هذه اللحظات عن التفتيش عن مسدس زوجها وسارعت للدفاع عنه. وهنا نقف باحترام واجلال لهذه الزوجة المناضلة التي ألقت بنفسها وجسمها أمام زوجها فور وصول المعتدين ومباشرتهم باطلاق النار عليه فأصيبت بعدة طلقات سقطت على أثرها أرضاً والدماء تنزف منها أمام وبين يديّ زوجها الذي سقط بدوره بجانبها مضرجاً بدمائه وهو يصيح بأعلى صوته : « جبناء ــ طول عمركم جبناء ». حتى استشهد في الحال. بعد ذلك ركض الجنود الاسرائيليون نحو مكتبته وأخرجوا منها كافة أوراقه وسرقوها أيضاً.

الشهيد الثالث :

○ كمال عدوان كان يكتب أيضاً في شقته عندما سمع أصوات الرصاص وانفجار العبوة في منزل أبي يوسف النجار. فأدخل زوجته وكانت من آل الجيوسي مع الأطفال الى غرفة داخلية وتوجه عائداً لحمل بندقيته الكلاشينكوف. وأيضاً فوجئ بكسر باب شقته بعنف حيث اقتحم أكثر من ثمانية اسرائيليين الشقة وأطلقوا عليه ناراً غزيرة. فأصيب في ظهره ووقع على الأرض وذلك على مرأى من زوجته وأطفاله الذين أخذوا يصرخون ويبكون من هول الفاجعة. ومع ذلك سرق الاسرائيليون الكثير من أوراقه الهامة وسارعوا الى الهرب وخلال خروجهم وانسحابهم فتحت جارة مسكينة باب شقتها المقابلة لشقة كمال عدوان فأطلقوا النار فوراً باتجاهها فقتلت خلف الباب وكانت امرأة ايطالية في السبعين من عمرها. واتضح أن هذه المرأة نهضت من نومها على أصوات الرصاص وحاولت فتح الباب لمعرفة ما يجري فوجدت الموت بانتظارها.

كان الملازم الأول أبيدع وزميله حجاي لا يزالان ينزفان أمام مبنى قيادة الجبهة الديموقراطية وعلى مقربة منهما سقط الجندي يفثال لابين جريحاً أيضاً. وكان على آمر القوة الثانية المقدم لفكين حسب الخطة القيام بتفجير المبنى فأجرى اتصالاً لاسلكياً عاجلاً مع العقيد « شيكد » الذي كان يراقب العمليات من مقر قيادته على متن السفينة الاسرائيلية مبطاح وطلب منه العمل على إرسال تعزيزات عاجلة لمساعدته على فك حصار الفدائيين عن قواته. فحوّل العقيد شيكد النداء الى اسرائيل حيث قامت طائرات هيليكوبتر بانزال وحدات اضافية من المظليين الاسرائيليين كانوا ينتظرون في الحدود الاسرائيلية اللبنانية بشكل احتياط. وقد تم الانزال في الملعب الرياضي وقد أجلى الاسرائيليون جرحاهم في نفس هذه الطائرات إلى المستشفيات الميدانية في شمال اسرائيل.

وكان الفدائيون قد أحكموا الطوق حول القوات الاسرائيلية المتواجدة في الشوارع القريبة من بناية الجبهة الديموقراطية وتبادلوا معهم اطلاق النار من مسافات قريبة جداً. وخلال الدقائق التي استمرت فيها المعركة بين الجانبين كان مقرراً للقوات الاسرائيلية أن تنفذ هجمات متعددة على مستودعات للذخيرة وأهداف ومكاتب أخرى. وبنفس الوقت كانت هناك وحدات تقترب من شاطئ بيروت بواسطة القوارب المطاطية بقيادة « العقيد شموئيل فرسبورغر » فأصدر العقيد شيكد باعتباره قائد العملية أمره الى هذه القوة طالباً تقديم موعد الهجوم وذلك من أجل تخفيف الهجمات والحصار عن قوات المقدم لفكين والمقدم براك أمام مبنى الجبهة الديموقراطية وفي منطقة الملعب. بالفعل تم تقديم موعد الهجوم فالتقت القوتان: القوة التي هبطت من طائرات الهيليكوبتر في الملعب والقوة البحرية الجديدة بقيادة العقيد شموئيل ونجحوا في فك الحصار عن زملائهم. ومن ثم نجح بعض ضباط الهندسة الاسرائيلية في الوصول الى مدخل بناية قيادة الجبهة وهم يحملون كمية من المواد الشديدة الانفجار

التي وضعوها داخل المبنى لتفجيره من غرفة المصعد الكهربائي ووضعوا لها الصواعق وساعات التوقيت وسارعوا الى مغادرة المبنى. وفي هذه الأثناء بدأ الجميع بالانسحاب من مظليين ومخابرات وهندسة فتولت وحدة الهاون « ٨١ » تغطية هذا الانسحاب باطلاق قذائف الهاون باتجاه تجمعات الفدائيين التي كانت تضغط على الاسرائيليين نتيجة خطة فدائية مشتركة وعفوية ولدت في حينه ولدى اكتشاف وصول الاسرائيليين الى شارعي فردان والخرطوم. وهذه الخطة تقضي بأسر جميع الاسرائيليين لولا القوات الاضافية التي تولت فك الحصار عنهم وقذائف الهاون التي أطلقوها عشوائياً في المنطقة. فأخذت السيارات اللبنانية التي كانت تنتظرهم والتي يقودها رجال المخابرات الاسرائيلية السياح سابقاً كما ذكرنا في أول هذا الفصل تقوم بنقلهم الى الشاطئ حيث كانوا يمتطون القوارب المطاطية « عائدين » إلى السفن البحرية. وقد ساعدت الطائرات المروحية باستعادة القسم الكبير من القوات الاضافية بالاضافة الى نقلها لجرحى هذه المعركة وقتلاها قبل كل شيء. وبعد نقل « آخر » دفعة من الاسرائيليين بالسيارات إلى الشاطئ ترك رجال المخابرات السيارات بحالة جيدة ومفاتيحها عليها قرب الشاطئ وصعدوا في القوارب المطاطية حيث لحقوا بزملائهم عائدين الى اسرائيل. وما إن بدأت السفن بسحب المراسي وإدارة محركاتها استعداداً للابحار سمع الجميع صوت انفجار قوي من ورائهم في بيروت حيث كانت المواد الناسفة التي وضعتها الهندسة الاسرائيلية في مبنى الجبهة الديموقراطية قد دمرت المبنى بكامله بعد انسحابهم.

خلفيات هذا الهجوم الغادر

○ أثناء قيام قوات المظليين والمخابرات الاسرائيلية بهذا الهجوم الغادر واستطاعتهم « اغتيال » قادة الفدائيين الثلاثة كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار « كان أبو إياد يجلس مع الفدائيين الثلاثة العائدين من المانيا » وقد أعلم أثناء صعوده بوجود « نية » للجبهة الشعبية بالهجوم على الجبهة الديموقراطية وقد أجرى اتصالات هامة بين الطرفين وعندما سمع الانفجار وصوت اطلاق الرصاص بغزارة تأثر كثيراً وصاح قائلاً: « لقد أفلت الأمر من يدنا. رجال حبش يهاجمون رجال حواتمة ». ثم سمع أبو إياد صوت قذائف الهاون فقال: « هذا غير معقول ولا يمكن السكوت عنه ». ورفع سماعة الهاتف لكي يتصل بأبي عمار ولكن في هذه الأثناء وصل أحد الحراس وأخذ يصرخ أمام بابي إياد والفدائيين الثلاثة: « اليهود وصلوا الى هنا.. اليهود هنا ».. فظن أبو إياد أنه المستهدف وتساءل هل يمكن للاسرائيليين أن يكونوا قد عرفوا أنه هنا مع الفدائيين الثلاثة. ومن المؤكد أن المخابرات الاسرائيلية والدولة الاسرائيلية ككل عندما علموا لاحقاً « بوجود » أبي إياد والفدائيين الثلاثة على بعد خطوات من قواتهم التي اغتالت القادة الثلاثة في تلك الليلة المشؤومة قد أصيبوا بنكسة قوية وصدمة لأن حقدهم الأسود على ابي إياد وجميع القادة الفلسطينيين وأبطال العمليات يوازي حقدهم على القادة الثلاثة الذين اغتالوهم بعملية قذرة كلفت اسرائيل خمسة قتلى بينهم ضابط وسبعة جرحى بالاضافة الى مبلغ أربعين مليون دولار هي مصاريف هذه العميلة.

حمل أبو إياد بندقية كلاشينكوف وتأبط مخازن ذخيرة تتسع لثلاثمائة وستين طلقة وحمل الفدائيون الثلاثة أيضاً السلاح مثله وصعدوا بالمصعد الكهربائي إلى الطابق الأخير وأبقوا باب المصعد مفتوحاً بغية عدم نزوله أو انزاله من قبل الاسرائيليين أي تعطيله عن العمل أولاً وثانياً لكي يضطر الاسرائيليون لصعود الدرج « إذا » علموا بأمر وجود أبي إياد ومن معه

وعند ذلك يتمكن أبو إياد من الدفاع عن نفسه لا سيما ومعه ثلاثة مقاتلين من الطراز الأول وقد توجه إليهم بقوله: « إذا أراد الاسرائيليون الحضور إلينا فإنهم كما تشاهدون سيضطرون إلى الصعود سيراً على الأقدام لأنهم سوف يصعدون الدرج ومن هنا نستطيع السيطرة عليهم وإبادتهم إن شاء الله وسوف ندافع عن أنفسنا حتى الرصاصة الأخيرة ». وبقي الأربعة في وضع استعداد حتى دوي انفجار مبنى الجبهة الديموقراطية القريب واتضح انسحاب الاسرائيليين الذين لم يكن لديهم أي خبر بوجودهم هنا.

○ قام رجال الجبهة الديموقراطية بالرد الفوري على مصادر النيران الاسرائيلية. ففي أعقاب الخلافات الدموية التي اندلعت في حينه بين الجبهتين تمّ وضع رجال الجبهة الديموقراطية في حالة تأهب قصوى ونظراً أنهم كانوا يتوقعون هجوماً من قبل رجال الجبهة الشعبية فإنهم كانوا يحملون بنادقهم الكلاشينكوف وبين أيديهم آلاف الطلقات وعشرات القنابل اليدوية. لهذا فقد سارعوا للتصدي للقوات الاسرائيلية عندما تأكدوا من هويتها وأخذوا يطلقون النار عليها من النوافذ والشرفات والأسطح ومنعوا الاسرائيليين من التحرك لتنفيذ « بقية » مهمتهم. وخلال دقائق كان زملائهم رجال الجبهة الشعبية يشتركون معهم في عملية « تطويق » للاسرائيليين على مبدأ « أنا وابن عمي على الغريب » فحدثت اشتباكات عنيفة بينهم وبين المهاجمين الاسرائيليين الذين كانوا يحاولون فك الحصار عنهم واحتلال مبنى الجبهة الشعبية. وقد وصف المقدم « لفكين » نفسه هذه الاشتباكات فيما بعد بأنها كانت جحيماً حقيقياً وأنهم كانوا قد فشلوا لولا وصول القوات الاضافية التي أنقذتهم من الأسر.

○ في الأبنية القريبة والمجاورة خرج المئات من الفلسطينيين واللبنانيين بعد سماع تبادل اطلاق النار وأخذوا يراقبون العمليات القتالية

عن بعد وهم يعتقدون أن المعركة بين منظمات مختلفة ولا يدرون أنهم إنما يشاهدون عملية « غدر اسرائيلية ».

○ كان لاستشهاد القادة الثلاثة في هذه العملية واستشهاد بعض المقربين منهم وبعض مقاتليهم وحراسهم الأثر المفجع. واعتبرت هذه



قبور الشهداء كمال ناصر، كمال عدوان، يوسف النجار في مقبرة الشهداء في بيروت.



جورجينا رزق زوجة علي حسن سلامه.

العملية « درساً وعبرةً » لكافة قادة المنظمات وحتى المسؤولين المستهدفين من المخابرات الاسرائيلية والعملاء. إذ يجب عليهم جميعاً لجهة الاحتياطات الأمنية تبديل اماكن سكنهم حتى ولو كان في ذلك تكاليف وارهاق لأن المخابرات الاسرائيلية لا تعرف الكلل ولا الملل وهي تبحث دائماً عن الطرق الكفيلة باضعاف المقاومة الفلسطينية سواء بالغارات الوحشية على المخيمات بحجة أو بدون حجة. وخير دليل على الحقد الاسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني هو بتخطي الأعراف والقوانين الدولية والحدود، الاغارة من قبل الطيران الاسرائيلي على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس رغم أن هذا المقر يتمتع بحصانة دبلوماسية وإذا لم نقل دبلوماسية فيجب على الأقل احترام « ضيافة » الحكومة التونسية.

المُخابراتُ الاسرائيلية

تشترك باختطاف
وَزير نيجيري مِن لندن
في صندوق خَشَبي

عَمليّة اختطاف مكشوفة
وَالتخطيط إسرائيلي



المخابرات الاسرائيلية تشترك باختطاف وزير نيجيري

المخابرات الاسرائيلية لا تتبدل في طريقة اشتراكها في عمل اللامعقول لقاء المال كمخابرات مرتزقة وثانياً تعمل المستحيل لقاء بقاء سمعتها كمخابرات تعمل على مبدأ « خالف تعرف ». وها هي (الموساد) أي المخابرات العسكرية الاسرائيلية تشترك في عملية اختطاف وزير نيجيري سابق من مكان اقامته كلاجئ سياسي في لندن. ففي ظهر يوم الخميس تموز (يوليو) ١٩٨٥ تمت عملية اختطاف فاشلة للوزير النيجيري السابق للمواصلات في بلده نيجيريا .وأبطال هذه العملية هم المخابرات النيجيرية بالاشتراك كمنفذ للعملية مع المخابرات العسكرية الاسرائيلية (الموساد) أي أن عملية الخطف تمت بعلم كامل من الحكومة النيجيرية التي تملك علاقات تجارية طيبة مع بريطانيا بحجم العلاقات البريطانية الأميركية أو الألمانية. ورغم انتهاك الأعراف الدبلوماسية فإن هذه القضية قد تم حصرها في أضيق نطاق للمحافظة على العلاقات التجارية بين بريطانيا ونيجيريا أولاً وثانياً لافتضاح اشتراك الموساد في هذه العملية رغم وجود بني آدميين في صناديق نيجيريا الدبلوماسية ورغم وجود المليونير السياسي الهارب الوزير السابق عمر ديكو تحت حماية الحكومة البريطانية وهو المطلوب الأول.

من هو عمر ديكو وكيف تمت العملية الفاشلة

○ عمر ديكو وزير المواصلات السابق في حكومة نيجيريا التي كان يرأسها « نسيبه » شاغاري المسجون في نيجيريا مع العديد من أمثاله خاصة الأغنياء منهم. وهؤلاء كانوا يعتبرون بريطانيا أمهم وأباهم فيها تلدهم أمهاتهم وبها يتلقون علومهم وثقافتهم ليعودوا لبلادهم جاهزين للحكم. وحين ينقلب عليهم غيرهم من متعلمي بريطانيا والولايات المتحدة ولكن في الكليات العسكرية هذه المرة يعودون إلى بريطانيا التي تتحول الى منفى لهم بعد أن كانت منفى لأموالهم التي اكتنزوها أيام الحكم وهنا تقوم بريطانيا بحمايتهم ولا تسلم أحداً منهم حتى ولو قامت حكوماتهم بطلبهم بالطرق القانونية. وذلك على مبدأ المحافظة على التقاليد البريطانية وبحجة الحصانة المعترف بها دولياً للاجئين السياسيين.

الاختطاف: يوم الاربعاء ٤ تموز (يوليو) ١٩٨٤ شوهد اسرائيليان يجلسان في باص صغير أصفر مقابل منزل عمر ديكو في منطقة بيزووتر الواقعة في وسط لندن يراقبان الوضع.وكانا يوقفان باصهما أمام منزل سفير بيرو المقابل لمنزل عمر ديكو وفي موقف مخصص للسيارات الدبلوماسية مما أثار انتباه سكان الشارع ومما أوحى بأن الاسرائيليين قد وصلا حديثاً إلى لندن كما علم فيما بعد أن خبرتهما في الاختطاف تعود لقيامهما بعمليات اختطاف سابقة في دول أميركا اللاتينية وقد تبين أيضاً الاستخفاف والغباء. وقد استخفا بالشرطة البريطانية وقدراتها. والغباء كان في الاعداد للعملية بهذه الشكل المكشوف.

ظهر اليوم التالي الخميس ٥ تموز (يوليو) وفي الساعة (١٢,٣٠) ظهراً خرج عمر ديكو من البيت وسار على الرصيف بشكل طبيعي متجهاً الى سيارته فهاجمه الاسرائيليان ومعهما شخص ثالث وعلى مرأى من المارة في الشارع.فتعارك معهم بالأيدي ثم تغلبوا عليه وحملوه الى

الباص الأصفر نفسه الذي كان يستعمل للمراقبة وانصرفوا. وتم الأمر كله أمام أعين سكرتيرة عمر ديكو الخاصة التي راقبت الأمر من نافذة المنزل فاتصلت بالشرطة المحلية التي نقلت الأمر فوراً إلى قيادة شرطة مكافحة الارهاب لدى المباحث العامة البريطانية « سكوتلانديارد » التي علمت بالأمر في تمام الساعة ١٢,٤٠ أي بعد عشر دقائق فقط من عملية الخطف. وأول عمل قام به قسم مكافحة الارهاب هو ابلاغ الموانئ الجوية والبحرية في الجزيرة البريطانية بالأمر وطلب ضرورة الانتباه. ثم طلب رئيس هذا القسم وأكّد على ضرورة مراقبة أي عملية « شحن » لنيجيريا خاصة بالصناديق الدبلوماسية التي ستغادر بريطانيا « ربما فكر في قصص مماثلة خطف بها اناس بوضعهم بعد التخدير في صناديق » ولأنه استغرب أن يقوم بالخطف وبهذه الطريقة المكشوفة « اسرائيليون ». وفعلاً سارت الأمور بعد ذلك وكأن رئيس قسم مكافحة الارهاب « أحد ضاربي الرمل » فقد هبطت طائرة شحن نيجيرية في مطار ستاندسيت في اليوم السابق للخطف أي الأربعاء وعلى غير عادة. وقد جاء في أسباب هبوطها « أنها جاءت لتحمل طلبية معدات مطبخ وزنها ٤,٥ طن رغم أن حمولة الطائرة ٤٠ طن. والمعروف أن المعاملات التجارية البريطانية النيجيرية كبيرة جداً وليس من المستغرب حضور هذه الطائرة بشكل مفاجئ لأن مئات الأطنان من البضائع والمعدات تشحن يومياً من لندن الى نيجيريا. وكان من المفروض أن تقلع هذه الطائرة يوم الخميس صباحاً ولم تفعل حيث صرح الطيار بأنه ينتظر طلبية شحن خاصة ستصل قريباً وحين اتصل قسم مكافحة الارهاب بالمطارات كانت هذه الطائرة هي المرشح الأول للاهتمام ولم يطل انتظار رجال الجمارك وقسم مكافحة الارهاب فقد وصل في الساعة الرابعة من بعد الظهر باص صغير لونه أصفر وأنزل منه صندوقين كبيرين عليهما عناوين المرسل : سفارة نيجيريا في لندن. المرسل إليه : وزارة الخارجية النيجيرية لاغوس — العاصمة ». وكان في صحبة الصندوقين الموظف في السفارة أديت

ولكنه لم يكن يحمل أوراقه الدبلوماسية ولم تكن لديه تعليمات خطية كما لم تكن الصناديق مختومة بالشمع ومع هذا تقدم ضابط الجمارك من أديت وسأله بأدب جم : هل هذه الصناديق دبلوماسية أم لا ؟ فتردد بالجواب ونظراً لعدم حمله أوراقه الدبلوماسية فقد طلب منه رجال سكوتلانديارد قسم مكافحة الارهاب أن يصحبهم إلى إحدى غرف الجمارك في المطار حيث اعتبر موقوفاً.وجرى اتصال من قبل وزارة الخارجية بسفارة نيجيريا بنفس الوقت وانتهى الاتصال لأن لاغوس أنكرت أي صلة بالأمر وكان أهم الاثباتات اعتصام أديت بالصمت وعدم الجواب.عند ذلك وصل الجميع إلى « فتوى » مفادها أن الصناديق ليست دبلوماسية ولا بد من فتحها قبل الاطالة في القصة لكي لا تتحول لقضية مثل حصار المكتب الشعبي الليبي « السفارة الليبية » الذي لو تكرر مع أية سفارة، فقد قررت السلطات البريطانية اقتحامها فوراً لأن الانكليز على ما يبدو توصلوا لدرس مفاده التصرف أولاً وبسرعة ثم التبرير والاعتذار فيما بعد.

○ فتح الصندوق الأول وهو الأكبر فوجد فيه عمر ديكو فاقد الوعي وبجواره اسرائيلي بكامل وعيه ومعه حقيبة مليئة بالحقن والمهدئات لضمان بقاء المختطف فاقد الوعي حتى انتهاء العملية، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعته الموساد في خطف آنجمان من الأرجنتين ومن الشارع أيضاً وقد قدموه للمحاكمة في اسرائيل عام ١٩٦١ بتهمة إبادة اليهود حرقاً في ألمانيا النازية[١].ويبدو أن كمية المخدّر التي حقن

(١) أدولف انحيمان جنرال ألماني كان مسؤولاً تجاه هتلر عن إعدام اليهود حرقاً في أفران الغاز حتى بلغ مجموع ما أعدمه حوالي ستة ملايين ولمن يحب الاطلاع على قصته الشيقة كاملة عليه مراجعة الصفحات من (٤١٥ الى ٤١٩) من كتاب المخابرات والعالم الأول من هذه الموسوعة.

بها ديكو كانت كبيرة لدرجة أنه بقي فاقد الوعي الى صباح ٨ تموز (يوليو) الجاري ولكن حالته الصحية وجسمه لم يكونا في خطر. وقد تم أخذ أقواله وأعيد إلى منزله تحت الحراسة المشددة لصالحه مع التمني عليه تبديل مكان سكنه خوفاً من تعرضه للخطف بطريقة أخرى.

○ وجدت المباحث البريطانية في الصندوق الثاني بعد فتحه الاسرائيلي الثاني ورجلاً آخر افريقياً وهما بكامل الوعي ويبدو أنهما أرادا مغادرة بريطانيا بهذه الأسلوب الخطير لسببين :

الأول : اطمئنانهما التام لنجاح العملية.

الثاني: الاثنان معروفان من الشرطة البريطانية: الاسرائيلي صورته موجودة لدى جميع مراكز الحدود البريطانية كمخرب وعميل وجاسوس « خطر » والثاني الافريقي اشترك في الاعداد لعملية الخطف وكان قد دخل بريطانيا بشكل غير مشروع. وكان يصعب عليهما المغادرة فيما بعد « بطريق آخر » لأن الشرطة في مراكز الحدود لديها معلومات مسبقة ستسهل عملية التعرف عليهما.

اعتقلت الشرطة الجميع فوراً بمن فيهم طاقم الطائرة والدبلوماسي أديت وكل من تواجد حول الطائرة « ما عدا رجال الأمن » حيث بلغ عدد المعتقلين ١٧ شخصاً من عدة جنسيات أطلق فيما بعد سراح معظمهم ما عدا الاسرائيلين اللذين ثبت أنهما من عناصر المخابرات الاسرائيلية « الموساد » وهما برسم الاعادة للمخابرات النيجيرية. ولهذا كانت المشاركة الاسرائيلية مثيرة جداً نتيجة اتفاق مسبق تقبض بموجبه المخابرات الاسرائيلية ملايين الدولارات.

التدخل الاسرائيلي في افريقيا ونيجيريا

○ قبل سرد قصة تدخل اسرائيل في افريقيا ونيجيريا وغرض هذا التدخل لا بد من العودة لتعريف القارئ بمن هو عمر ديكو وببعض أحوال نيجيريا التي كانت قد حصلت على الاستقلال من بريطانيا في عام ١٩٦٠ ثم شهدت بعد الاستقلال عدداً من الانقلابات الناجحة والفاشلة وانقلابات أخرى صغيرة لم تحسب في الحساب السياسي.وإن جميع هذه الانقلابات لم تخرج نيجيريا من عضوية « الكومنولث » بقيادة بريطانيا. ولدى العودة لمسلسل الانقلابات لا بد من ذكر أن الميجر محمد بوهاري الذي درس العسكرية في بريطانيا والهند « شارك » في انقلاب تموز (يوليو) ١٩٧٥ وساهم في إحضار الجنرال مرتلا محمد الى سدة الحكم لستة شهور. وبعد عودة حكم المدنيين لنيجيريا لم يتجرأ أحدهم على « تحجيم » العسكر الذين بقوا للمدنيين بالمرصاد ومن وراء حجاب.

وفي انتخابات عام ١٩٧٩ نجح شاغاري عن الحزب الوطني النيجيري وتسلم رئاسة نيجيريا وقاد عملية استخراج مركّزة للنفط وقام بتبذير الأموال بفساد فاق معدلات دول العالم الثالث الأخرى وذلك لوجود « ثمن النفط » أي كان التبذير من الأموال النفطية.وفي آب (أغسطس) ١٩٨٣ جاء موعد الانتخابات مجدداً ورشح شاغاري نفسه

طبعاً وترأس تنظيم حملة الانتخابات لشاغاري نسيبه « أي قريبه » عمر ديكو (الذي فشلت عملية اختطافه من لندن موضوع هذا الفصل من الكتاب). فقام عمر بتزييف الانتخابات ونجح شاغاري.

في الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤ تمّ انقلاب جديد في نيجيريا بقيادة الجنرال بوهاري « السابق الذكر » فترأس البلد وطالب « الفاسدين » من أعضاء الحكم السابق بأن يسلموا أنفسهم للسلطات تمهيداً لمحاكمتهم. وفعلاً سلم « ٥٠٠ منهم بين مدنيين وعسكريين » أنفسهم واعتقل الرئيس النيجيري شاغاري نفسه ولكن عمر ديكو وبعض الرؤوس الكبيرة الأخرى من زعماء أحزاب ووزراء وأصحاب السلطات التنفيذية تمكنوا من الهرب من نيجيريا وتوزعوا حسب « الانتماء الى بريطانيا او الولايات المتحدة. حتى هذا المستوى من أحداث نيجيريا فالأمر عادي بالمقاييس النيجيرية ولكن عمر ديكو لم يكتف بما يفعله أمثاله في تلك الظروف من الاستمتاع بالملايين التي هرب بها وهي أصلاً من أموال الشعب النيجيري وغيره من الهاربين يتمتعون بها فيعيشون بين الخضرة والماء والشكل الحسن. لكنه جعل من نفسه « سياسياً » ثقيل الوزن في المنفى يعمل على إسقاط العسكر بمختلف الأساليب ومنها القوة. وقد كشفت التقارير البريطانية أن عمر ديكو كان في آذار (مارس) ١٩٨٤ في نيويورك يرأس اجتماع متآمرين ضد نيجيريا. وأنه زار قبل مدة السعودية وطلب من رئيس المخابرات السعودية أن يتدخل مع الحكومة السعودية لاعطائه الدعم المالي لاسقاط العسكر في نيجيريا ولكنه أفهم أنه لا المخابرات السعودية ولا الحكومة السعودية تتدخل في مثل هذه الأمور.

وقد أعلن ابراهيم جمباري وزير خارجية نيجيريا أثناء زيارته الى لندن بأن المعارضين النيجيريين في المنفى ومنهم عمر ديكو يعملون على تكوين جيش من المرتزقة لمحاربة حكومته والاطاحة بها وإن رصيدهم المالي هو ٣٠٠ مليون دولار. أما داخل نيجيريا فقد ارتفعت

الأصوات الشعبية بعد انقلاب كانون الثاني تبحث عن « المجرم » المسؤول عن تدهور أحوال نيجيريا أغنى بلدان افريقيا واشتدت المطالبة بضرورة إعادة وإحضار من هربوا ومحاكمتهم مع غيرهم ممّن كانت محاكمتهم قد بدأت بعيداً عن العلن حيث يتم تصوير أفلام عن هذه المحاكمات لتستغل فيما بعد للاثبات بالذنب. ولأن عمر ديكو قد زوّدها كثيرا فقد أصبح المطلوب رقم واحد لدرجة أن الرئيس محمد بوهاري صرح بأنه سيحصل عليه مهما طال الوقت. عمر ديكو جانبه « صرح » قبل اسبوعين من محاولة اختطافه لاذاعة لندن بأنه سوف يستعمل « العنف » أيضاً للاطاحة بحكومة بوهاري إذا لزم الأمر.

الاتهامات المباشرة لعمر ديكو تقول أنه كان فاسداً حينما كان مديراً لبرنامج استيراد كبير للمواد الغذائية كلف الدولة في عام ١٩٨٣ (٥٠٠ مليون نيرة) أي ما يساوي ٧٥٠ مليون دولار وأنه قبض عمولات كبيرة عن هذه الصفقات لأنه سلمها لتجار معروفين من قبله لقاء مبالغ خاصة له لتصل هذه المواد للشعب بعد عدة عمليات سمسرة. كذلك ضبط الجيش بعد الانقلاب مخازن مليئة بالمواد الغذائية رغم تذمر الشعب من نقص هذه المواد واختفائها. وقد تبين أنها خزنت لرفع عملية المضاربات في الأسعار التي استفاد منها أخيراً عمر ديكو حتى بلغت الأموال التي هرّبها إلى خارج نيجيريا وهو لا يزال فيها حوالي مليار دولار. وحين سئل عن هذه الأموال قال « إنها أرباح الرجل السياسي التي تعود في النهاية للشعب لأنه يصرفها « أي السياسي » لكسب أصوات هذا الشعب ». ورغم هذه الفلسفة الفريدة فلم يسخّر عمر ديكو هذه الأموال للاطاحة بالعسكر ولكنه استثمر أموالاً أخرى لذلك الغرض من الدول المناهضة لبلده نيجيريا.

وهكذا توصلت حكومة بوهاري إلى قرار محاسبة أنصار الرئيس السابق شاغاري بعد الضغط الشعبي وعلى رأس هؤلاء الأنصار عمر ديكو

وقد شكلت الحكومة فرقاً خاصة وزعت على السفارات النيجيرية مهمتها « تصفية » أنصار شاغاري في المنفى. ولم يطلب بوهاري من الحكومة البريطانية رغم قوة العلاقات معها تسليمه عمر ديكو لأنه يعرف مسبقاً أن لندن سترفض بحجة أن عمر لاجئ سياسي أولاً ولأن المحاكمات في لاغوس لا تتم في العلن ثانياً. والسبب الحقيقي هو أن بوهاري يعرف أن بريطانيا لا تضع أوراقها على رجل واحد ولا تقوي علاقاتها على حساب علاقات أخرى وأنها في النهاية تريد علاقات قوية مع الجميع. لذلك كان القرار بالتصرف الخاص لاسترجاع عمر ديكو دون الخوف من أن تسوء العلاقات مع بريطانيا التي ستحرص في النهاية على استمرار العلاقات الطبيعية خاصة وإن قطعها فجأة يسبب خللاً قوياً في الاقتصاد البريطاني نظراً لعظم صادرات بريطانيا لنيجيريا عدا عن تشغيل المصانع البريطانية من قبل العمال النيجيريين .كذلك ضخامة حجم الاستثمارات المالية البريطانية في قطاع النفط النيجيري الذي قد تؤممه الحكومة النيجيرية في حال غضبها من أي تصرف بريطاني وتقصم ظهر الاقتصادي البريطاني.

○ لدى سماع نبأ اكتشاف العملية الفاشلة لمحاولة اختطاف عمر ديكو في لاغوس واحتجاز السلطات البريطانية للطائرة النيجيرية واعتقال طاقمها على ذمة التحقيق، قامت الحكومة النيجيرية بالايعاز إلى السلاح الجوي النيجيري باعتراض طائرة بريطانية تابعة لشركة « بريتش كاليدونيا » وانزالها من سماء لاغوس واحتجازها. أما في بريطانيا وبعد تطور الأمور إلى احتجاز الطائرة البريطانية فقد أعلنت الحكومة أنها لم تعلن أن الصناديق كانت كأنها حقائب دبلوماسية وأن لندن لا ترى دلائل كبيرة لمشاركة حكومة لاغوس في عملية اختطاف عمر ديكو وأن حكومة نيجيريا سوف تثبت حسن نيتها حين تطلق سراح طائرة « بريتش كاليدونيا » التي أنزلت من سماء لاغوس.

وفعلاً عادت الطائرتان لبلديهما وثبتت حسن نية نيجيريا التي أعلنت

منذ اللحظة الأولى أن لا علاقة لها بالأمر.ولكن الأيام التالية أبرزت بوقائع ثابتة أن حكومة لاغوس مشاركة تماماً في العملية وأن لندن تعرف هذا الأمر ولكن سياق الأحداث لا يحتاج لاثبات. وإذا كانت بريطانيا تريد « لمّ » الموضوع وتغطيته فحكومة لاغوس لا تريد بدورها قطع العلاقات مع بريطانيا وتحويل لندن لطرف معاد لخطورة ذلك على اجمالي أوضاع الحكومة النيجيرية غير المعادية في أي توجه لبريطانيا. وقد تلجأ لاغوس لبعض التصريحات المعادية لبريطانيا لكسب الرأي العام النيجيري داخلياً كما حصل فعلاً وهو نشر تصميم نيجيريا على استرجاع عمر ديكو. ولكن في النهاية اتحدت المصالح المشتركة على تسوية الأمر وهذا ما تم فعلاً منذ اللحظات الأولى . « بعكس » عملية التهويل التي اعتمدتها بريطانيا في حادثة المكتب الشعبي الليبي في ساحة سانت جيمس في لندن والتي نسيها الرأي العام على ما يبدو حتى تنتهي آثار العملية النيجيرية. وحين استدعى الجنرال حنانيه سفير نيجيريا في لندن لوزارة الخارجية وبعد حديثه لمدة نصف ساعة مع السير جيفري هاو وزير الخارجية البريطانية خرج لينفي أية علاقة لبلاده بالأمر وأجاب على سائله بالاثبات الواضح للعلمية بقوله: ربما كانوا أصدقاء طيبين لنيجيريا أولئك الذين حاولوا اختطاف عمر ديكو. فهل الاسرائيليون طيبون وأصدقاء لنيجيريا ؟ أبداً فقد كان مصدر تمويلهم ووعدهم بالملايين المخابرات النيجيرية نفسها ومن ورائها الحكومة النيجيرية.

أصابع المخابرات الاسرائيلية وراء العملية

○ نحن نعرف أن التغلغل الصهيوني في افريقيا منتشر منذ الستينات ورغم قطع ٢٨ دولة افريقية علاقاتها مع اسرائيل إثر حرب عام ١٩٦٥ وحرب ١٩٧٣ فقد استمرت عدة دول ومنها نيجيريا في علاقاتها مع

اسرائيل بشكل غير رسمي وخاصة العلاقات بين المخابرات النيجيرية والمخابرات الاسرائيلية.وقد انطبق هذا الأمر على الحكومات المتعاقبة في لاغوس حتى تاريخ العملية. أما بالأرقام فأكثر من ٤٠ شركة اسرائيلية تعمل في نيجيريا وحجم التبادل التجاري يساوي في السنة « ٢٥٠ مليون جنيه استرليني ». ولدى وقوع الانقلاب الأخير كانت عدة وفود من الضباط النيجيريين تزور اسرائيل لأسباب تتعلق بشراء الأسلحة منها وقد باعت اسرائيل لشرطة نيجيريا بمبلغ أربعة ملايين جنيه استرليني مسدسات وقنابل غاز وهراوات وسترات واقية من الرصاص تستعمل القوات الاسرائيلية منها الآن الكثير في قمع انتفاضة الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين حيث يتم التسجيل في شهر كانون الأول (ديسمبر) لعام ١٩٨٧. وقد استمرت بعد ذلك زيارة الوفود العسكرية لعقد صفقات أسلحة للجيش النيجيري خاصة بعد إخلاص اسرائيل في خدمة العسكر ضد نظام شاغاري الذي اشترى بدوره أيضاً أسلحة اسرائيلية وقد تكون تل أبيب تريد من ضمن سياستها هذه خلق رأي عام افريقي معها يساعد على دفع حكومات افريقية أخرى لاعادة العلاقات الدبلوماسية رسمياً معها مثلما فعلت ليبيريا التي زار رئيسها اسرائيل وطلب منها تزويده بالأسلحة والخبراء والتعاون في مجال المخابرات أثناء زيارته.

ويعود التدخل الاسرائيلي في غرب افريقيا لفترة سابقة دربت فيها اسرائيل المخابرات العسكرية لكل من نيجيريا وغانا اي منذ عهد الاستقلال. وبعد قطع العلاقات مع اسرائيل عقب الحرب مع الدول العربية في عام ١٩٦٧ عادت اسرائيل ودخلت إلى افريقيا عبر قناة السويس بعد حرب ١٩٧٣ فاحتفظت بعلاقات مفتوحة مع زائير وليبيريا في غرب القارة الافريقية ومع ليزوتو وسوزاي لاند وملاوي في الجنوب ومع كينيا في الشرق.ولا يكون هذا الكتاب قد صدر الى المكتبات العربية إلا وتكون كل من نيجيريا وكينيا وغيرهما من الدول الافريقية قد أعادت علاقاتها





عملية خطف الوزير عمر ديكو، وفشلها في مطار لندن.

الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني، وأيضاً قامت غانا التي تولى فيها نظام ثوري السلطة بطرد المدربين الاسرائيليين من البلد واتهمتهم بالمشاركة مع المخابرات الأميركية« السي. اي. إي » بالاعداد وتشكيل جيش من المرتزقة لغزو البلد. ورغم نفي واشنطون المشاركة قام جنود مرتزقة حضروا من توغو باختراق الحدود مع غانا وحاولوا قلب الحكومة. وبعد شهرين من ذلك ذهب الرئيس الليبيري الجنرال صاموئيل دو لزيارة اسرائيل.وتم جمعه هناك مع قائد معارضة من غانا مضاد لحكومتها كان قد تلقى تدريبات استخبارية اسرائيلية، واتفق الاثنان على تشكيل جيش مرتزقة للعمل ضد الحكم في غانا وهذه هي اسرائيل. وأيضاً في أواخر شهر أيار (مايو) ١٩٨٥ فشلت محاولة انقلاب أخرى ضد الحكومة الوطنية في غرب افريقيا وهي حكومة فولتا العليا، وصرح المشاركون بعد القاء القبض عليهم بأن الدعم للانقلاب قد أتاهم من فرنسا واسرائيل.

ضمن هذه الخلفية من شكل العلاقات الاسرائيلية الافريقية يمكن فهم مشاركة اسرائيل في عملية الاختطاف لعمر ديكو الأخيرة في لندن بأنه ليس لتأييد اسرائيل لحكومة بوهاري لأنها كانت تؤيد حكومة شاغاري السابقة ولكن لانتهاز كل الفرص لاعادة العلاقات الدبلوماسية مع دول افريقيا ولاعادة « السيطرة » الاسرائيلية التجارية والسياسية العسكرية من وراء الكواليس على دول افريقيا وذلك بمختلف السبل وأهمها عملية محاولة اختطاف ديكو التي نفذتها الموساد وكان نتيجتها الفشل كما شرحنا.. إنها اسرائيل.

الجاسوسة العاشقة

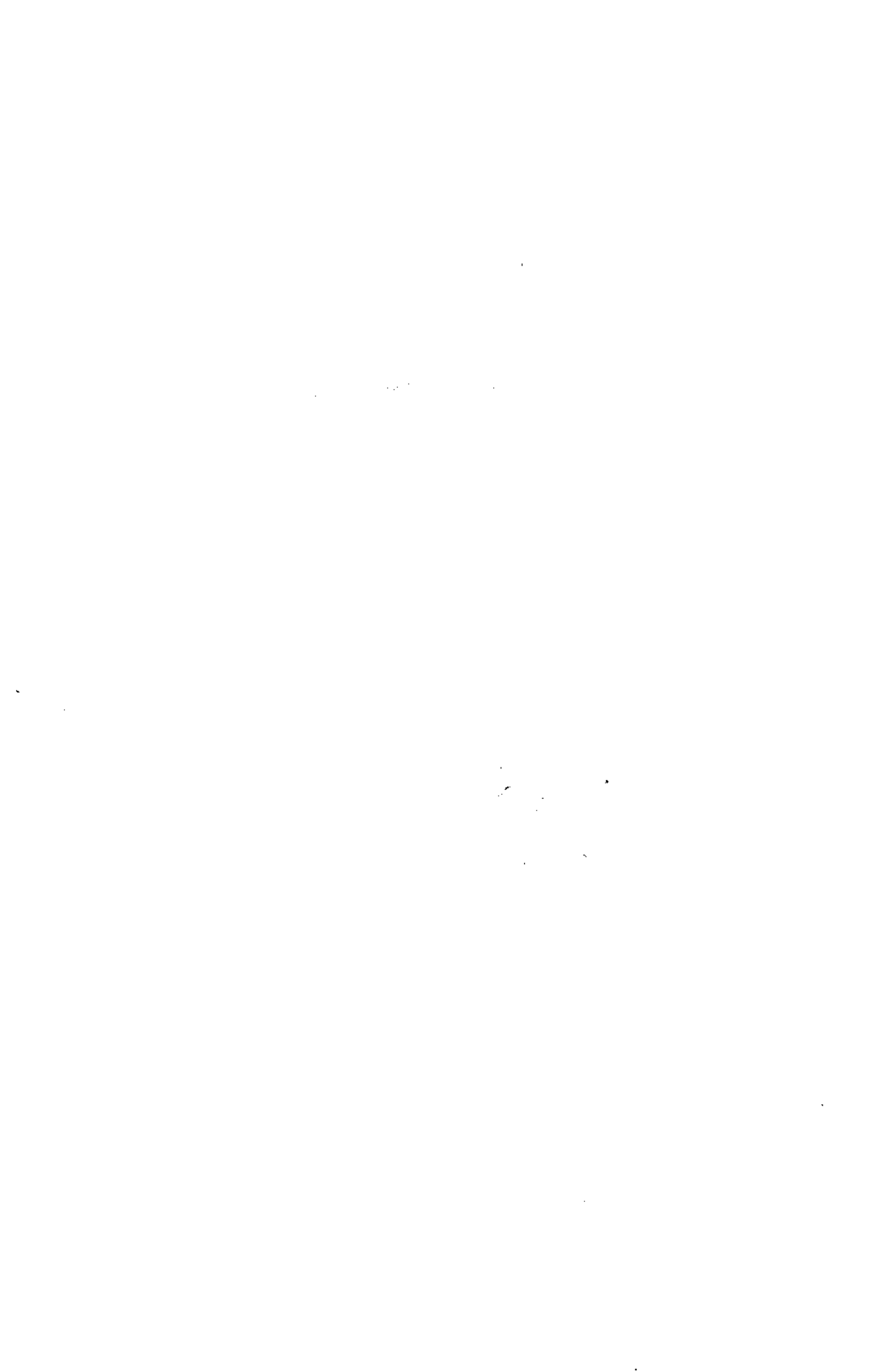
تبيعُ أسرار بلَدها لِعشيقِها

قصة

الجاسوسة جودي كوبلن وغرامها

مِن قصص الجاسوسيّة العجيبة

• • •



قصة جاسوسة دفعها حب الجنس للانخراط بالتجسس

○ جودي كويلن ـــ أميركية من مواليد ١٩٢١ كانت « أثناء » حدوث هذه القصة الشيقة معها وانتسابها للجاسوسية وعمل المخابرات فتاة جميلة جذابة ذات شعر أشقر، تحب وتعشق الفنون والموسيقى ولكنها لم تخلق لكي تكون جاسوسة وذلك على الرغم من أنها جلبت انتباه الآخرين إليها طويلاً، كما أنها لم تكن من طراز أولئك الجواسيس الذين يمكن أن يكون أحدهم مقيتاً أو مكروهاً. وبما أن الأجيال الماضية والقادمة لن تتذكر الجاسوسة ماتاهاري كما أنها لن تشعر بالكراهية تجاه دليلة التي « خانت » شمشون، فماذا سيكون حكم التاريخ على بطلة قصتنا الحقيقية هذه « جودي كوبلن » التي انغمست بالجاسوسية من أجل الحب ؟

لقد كانت جودي تتمتع بامكانية التعرف الى رجلين بوقت واحد، وقد وقع محاميها تحت تأثير سحرها وفتنتها وأصبح في أعماقه يشفق عليها. لقد كان شغفها الجنسي وافتقارها الى التجربة، وغباؤها، وطيشها، من العوامل التي دفعت بها الى ميدان التجسس.

○ قبل يومين من عيد ميلاد عام ١٩٤٨ انفجرت قنبلة في قلب مبنى

المباحث السياسية في واشنطون ثم أتبعها استلام هذه المباحث تقريراً يتضمن اعلاماً عن وقوع وثائق للمباحث السياسية لها طابع السرية للغاية، ووثائق هامة من وزارة العدل في يدي السفير السوفياتي في حينه بواشنطون. فكُلفت المخابرات الأميركية باجراء التحقيق وكانت حديثة العهد فاستدعى ادغار هوفر رئيس المخابرات في حينه معاونيه الرئيسيين إلى اجتماع فوق العادة. وفي هذا الاجتماع تمّ رسم الخطوط اللازمة للبدء في البحث عن أخطر مأساة في تاريخ الجاسوسية. كان مصدر التقرير أحد عملاء المخابرات الأميركية الذي أمكن ادخاله إلى قلب شبكات التجسس الروسية في الولايات المتحدة الأميركية، وقد تمّ الابقاء على اسمه « سرياً » بصورة مستمرة. ولم تكن مهمة هذا الرجل سوى تقديم المعلومات المختصرة وغير الكاملة، كان كل ما علمه أن هناك نوعين من التقارير تمّ وقوعها في يدي المخابرات الروسية.

١ ــ معلومات سرية عن نشاط الشيوعيين الأميركيين.
٢ ــ ملاحظات تم تسجيلها عن عملاء وديبلوماسيين يعملون بالخارج.

وكان ذلك العميل يعتقد أن تلك التقارير تمّ نقلها بواسطة امرأة كانت تعمل فيما مضى في وزارة العدل في نيويورك، وتوجد في حينه بمكتب احصاء ومراقبة الأجانب في ذات الوزارة، ولكن في مركز واشنطون.

وفي أحد أيام الشتاء ابتدأت تحريات رجال المخابرات بعمق ودقة للبحث عن النشاط الماضي والحاضر لكل امرأة عملت في وزارة العدل، إلى أن أمكن حصَر البحث مع ثلاثة من النسوة ممن كن يعملن في نسخ الوثائق السرية وتصنيفها. وكان من بينهن واحدة عملت في فرع نيويورك فعلاً، وكانت هذه تتميز بتحليلها الرائع للأحداث الراهنة اسمها جودي كوبلن. وقد عرف عنها بعد التحقيق أنها فتاة جميلة، قصيرة القامة إلى حد ما، ذات شعر أشقر تحب الفنون الى درجة العبادة، وتعشق

الموسيقى. كانت المتاحف الرائعة للفن الحديث في نيويورك من الأمكنة المفضلة التي كانت تتردد إليها كثيراً، كما كانت تنتقل الى واشنطون لزيارة متحف الفن الوطني فيها، وكانت لما تتمتع بخيال خصب ومتوثب تستطيع الامساك بدون أية صعوبة بأطراف المشاكل المتعلقة بالأعمال الغربية والأجنبية. أما في تلك الفترة التي كانت تتم فيها دراستها في الجامعة (درست في جامعة برنارد) في نيويورك، فكثيراً ما كانت تعمل على تحرير افتتاحية صحيفة الطلبة، وكانت مقالاتها تحمل طابع الآراء الراديكالية. ولما كان طابع الشباب هو المبالغة في وصف الأشياء، لذا لم يكن أحد ليعتقد بأن ما تكتبه تلك الفتاة وتقوله هو ما يمكن حمله على محمل الجدية.

لقد كانت في بدايتها مثالية ولديها الاستعداد الدائم لنجدة ومساعدة الآخرين، ذلك أنها كانت ترغب في أن تكون محببة إلى قلوب الآخرين، كما كانت تريد في الوقت نفسه إدراك النجاح. وكانت جودي تعمل بصدق واخلاص في حياتها ودراستها حتى واتتها الفرصة ووظّفت في المكتب « ٢٢٢٠ » في وزارة العدل الأميركية وفي القسم الداخلي والخارجي للأمن. يتكون المكتب من غرفة فسيحة ومريحة تتقاسمها جودي مع وكيل الدعاوي لمؤسسات الحكومة واسمه « فاتان لانفان » وكانا على وفاق تام. وكانت الرفوف حول الغرفة تملأها الاضبارات والمصنفات التي تتضمن معظم المواضيع القديمة والحديثة. أما وسط الغرفة فكان يشغله مكتب تتراكم فوقه التقارير والاضبارات المهيأة للتنفيذ أو التصنيف. ارتفع راتب جودي إلى ٤ آلاف دولار سنوياً كما استلمت في تلك السنة رسالة شخصية من الجنرال توم كلارك يهنئها فيها لكفاءتها في تحليل الأحداث ويشجعها على متابعة عملها الرائع.

○ الجنرال نفسه الذي شجعها أصبح بعد فترة رئيساً للمحكمة العليا التي حاكمت جودي فيما بعد مرتين وأصدر حكمه عليها في المرتين

بتهمة سرقة وثائق الدولة والتآمر ضد حكومة الولايات المتحدة الأميركية. فكيف تمت المحاكمة وماذا ارتكبت جودي من الجرائم ؟ وكيف ؟ لعل الاجابة على هذا السؤال تتطلب استشارة طبيب نفساني اكثر من استشارة اخصائي في علم الجرائم الجاسوسية. ولعل جودي كوبلن نفسها لم تكن راغبة في الحاق الأذى بوطنها ولكن الحب أعماها فأوقعتها قلة خبرتها في شبكة جاسوسية سوفياتية يديرها رجل ذكي اسمه : « لافوانتي بيريا » الذي كان يشغل رئيس فرع المخابرات السوفياتية.

ابتداء مراقبة جودي كوبلن نتيجة الشك بها

○ نتيجة حصر الشبهة في جودي كوبلن تم تكليف موظف خاص من رجال المخابرات للقيام بالتحريات اللازمة عنها، وكان ذلك الموظف رجلاً ذكياً وخبيراً في عمله اسمه « فكينيت دولامبين ». وقد ابتدأ مهمته بتنظيم مراقبة دقيقة لها، ذلك أنه لم يكن لدى المخابرات حتى ذلك التاريخ سوى شكوك واتهامات تفتقر الى الأدلة والوقائع. كانت الخطوط الأولى للتحقيق هي اكتشاف المنازل المتتابعة التي أقامت بها جودي ولم يكن ذلك بالأمر الصعب.

ـ تم تحديد الشقة التي كانت تقطنها في مبنى صغير في منطقة تونلور من واشنطون. ولقد صرح صاحب المنزل والجوار والذين عرفوها من صورتها التي عرضها رجل المخابرات وقالوا عنها أنها متعلمة ذات أخلاق عالية، كانت تقرأ كثيراً ويسمعونها تعمل بالضرب على الآلة الكاتبة باستمرار حتى في أيام الآحاد. وكانت عوضاً من أن تعود إلى منزلها وبرفقتها رجل تقضي معه وقتها، فقد كانت تعود إلى منزلها دائماً وذراعها مثقلة بأحمال الصحف والمجلات. ثم تركت تلك الشقة لتشغل غرفة مفروشة في جيفرسن هول الكائن في ماكلين كاردين في حي يقع على مقربة من مقرّ عملها.

وابتداء من معرفة المخابرات لأماكن سكنها ولعدة أسابيع أصبحت جودي تحت الرقابة وملاحقة رجال المخابرات في كل خطوة تخطوها وعلى الرغم من أن المراقبة كانت سرية وبشكل خفي، إلا أنها كانت قوية وفعالة بشكل لم تشعر معه جودي بأنها تحت مراقبة المخابرات ونحن نؤكد هنا في كل كتبنا عن أعمال المخابرات بأن تكون مراقبة مثل هذه الجاسوسة الخطرة دقيقة ومدروسة جداً بين العناصر التي تتولى المراقبة وبين رئيس مفرزة المراقبة أو الموظف المختص بالموضوع وأن تزرع العناصر المدربة في أماكن يمكن لها الاطلاع على سير حركة المراقب ويقال له بلغة المخابرات « الهدف » بدون أن يشعر أو تشعر المراقبة بأنها مراقبة. وبالنسبة لجودي الموضوعة تحت رقابة الموظف فكينيت وزملائه فقد مضى الشهر الأول على مراقبتها بنتيجة مخيّبة للظنون. فقد كانت الفتاة من عائلة عريقة، وكان والدها صاموئيل كوبلن صاحب مصنع لأدوات المطبخ عرف عنه شعوره الانساني ومساعدته للبؤساء والمعوَزين، كما كانت زوجته « والدة جودي » من طراز ربات البيوت السيدات الهادئات، والشيء الوحيد الذي أمكن لرجال المخابرات اكتشافه هو أنها كانت على علاقة ببعض الرجال، بعكس ما كان يعتقد بها الجوار. ولكنها كانت تتردد « هي » إلى منازل هؤلاء وتقيم معهم علاقات جنسية بحيث لم تصطحب أي إنسان إلى مكان سكناها.

○ في أحد أيام المراقبة شاهد رجال المخابرات جودي وهي تخرج من سكنها لتركب بجانب شاب يقود السيارة نوع « فورد — رقم ٣٤٨٢ـ٧ » انطلق بها الى « فندق الجنوب » في مدينة بلتيمور حيث حجز الغرفة رقم (٤١٢) باسم السيد والسيدة هـ. ب. شبيرو، وعنوانهما « الكاذب طبعاً » ١٢٢ شارع بيير نايد من هارت فورد. وفي الوقت نفسه احتل الموظف المختص بملاحقتها فيكينيت وزملاؤه الغرفة (٤١٣) المجاورة ومعهم التجهيزات اللازمة من ميكرفونات حساسة لاقطة

للصوت إلى أجهزة تصوير تعمل باشعة اكس القادرة على التقاط الصور حتى من خلف الجدران.

وفي تلك الليلة لم يدر بين الرجل وجودي أي حديث له علاقة بالسياسة أو الجاسوسية، بل تبيّن أنهما كانا يقضيان تلك الساعات الطوال في تبادل العواطف الحارة وتبادل الحب المثير. وفي اليوم التالي اكتشف فكينيت وزملاؤه بأن السيد شبيرو هو من المحامين اللامعين ومن محامي قضايا الدولة، ويعمل في نفس الجناح الذي تعمل فيه جودي. ولم يغادر الثنائي العاشق الغرفة رقم ٤١٢ إلا بعد ظهر اليوم التالي وكان يوم أحد « أي يوم عطلة الموظفين » حيث انتقلا بالسيارة إلى مدينة « فيلادلفيا » وكانت قافلة المخابرات في أثرهم، إلى أن توقفا أمام فندق « سترافورد بيللفو » وهو من الفنادق المشهورة في فيلادلفيا. ثم ذكر نفس الأسماء كما ذكرت في الليلة السابقة، وكذلك عنوان الاقامة وأعطيا الغرفة رقم (١٥٢٣) كما احتل رجال المخابرات أيضاً وللمرة الثانية الغرفة المجاورة، وكان كل ما جرى تلك الليلة هو تكرار لما حدث في الليلة السابقة، وقد ظن زملاء فكينيت أنه أتى بهم لمراقبة ومطاردة اثنين متهمين بالجاسوسية، بينما أنهم لم يشاهدوا نتيجة المراقبة إلا زوجاً من العاشقين وأن هذه المهمة قد أفسدت عليهم(أي على عناصر المخابرات) عطلة نهاية الاسبوع.

شعر فكينيت ورؤساؤه بالحرج والضيق نتيجة هذه المراقبة، فلقد كان السيد صاموئيل كوبلن (والد جودي) رجلاً شريفاً للغاية، كما أن السيد شبيرو من المحامين الأفذاذ المعروفين في القصر العدلي بمتابعة قضايا الدولة، ولم يكن في ماضي جودي أي مجال للشبهة، فهل كانت المعلومات التي وصلتهم من المعلومات الكاذبة ؟... وهل كان الاتهام مجرد ظن بفتاة بريئة، وقع لها ما يقع لكثير من الآخرين في ميدان الحرب الباردة ؟... ولكن كان القرار من رئيس فرع المخابرات المهتم

بالقضية هو « متابعة » المراقبة لأنه من الممكن أن تكون علاقاتها الجنسية هذه تغطية لعملها الجاسوسي. وفعلاً كان رئيس فرع المخابرات على حق في قراره متابعة المراقبة لأن جودي تصرفت في الأسبوع الذي تلا مشاهدتها مع المحامي شبيرو تصرفاً غير طبيعي عندما تقدمت من رئيسها (الذي كان على اطلاع بتحريات المخابرات عنها باعتبارها موظفة تعمل في دائرته) وقالت له : كنت قد وعدتني بتسليمي تقريراً سرياً للغاية عن العملاء السوفياتيين في أميركا، فهل باستطاعتي أن أرى هذا التقرير ؟... لأنني بحاجة له في عملي. أجابها رئيسها وهو « ويليام فولي » بعد فترة من التفكير بأنه لم يتمكن لعدم وجود الوقت لديه من الاطلاع وتفحص ذلك التقرير. وكان الهدف من اجابته تلك هو كسب الوقت. فسكتت على مضض وعادت الى عملها. نقل رئيسها المتعاون مع المخابرات للمصلحة العامة هذا الخبر إلى فكينيت حيث أطلعه على ما جاءت جودي تطلبه منه.

فرح فكينيت بهذه النتيجة المفاجئة حيث أعلم بها مدير المخابرات ادغار هوفر شخصياً الذي طلب الاهتمام بالقضية منذ حينه وتوجه حالاً لزيارة ويليام فولي رئيس جودي المباشر الذي أعاد عليه ما جاءت جودي تطلبه منه. وعندئذٍ وضع هوفر مشروعاً، بعد أن تأكد من أن رجاله قد عجزوا من العثور على أي أثر أو دليل يدين جودي. وقد فكر قبل قدومه لهذه الزيارة بتصنيف ذلك الاتهام مع نتائج المراقبة في مصنفات المحفوظات، رغم أن رئيس فرع المخابرات المعني بالقضية أفهمه بأن « لا دخان بلا نار » وها هي الحادثة الجديدة تثبت بأن العميل الذي أبلغ ذلك التقرير كان « صادقاً » في معلوماته، لذا فكر هوفر رئيس المخابرات باتباع اسلوب جديد يكون بمثابة الرهان الأخير، على أمل الحصول على أية نتيجة تثبت علاقة تلك المرأة مع المخابرات السوفياتية.

○ أرسل رئيس المخابرات هوفر رسالة خاصة إلى ويليام فولي

(رئيس المتهمة بالتجسس جودي) تتضمن طابع « سري للغاية » وكانت هذه الرسالة تتضمن أسماء ثلاثة من الشخصيات الهامة العاملة في إحدى المؤسسات السوفياتية والمقيمين في واشنطون. وهي تشير أي الرسالة بأن هؤلاء الثلاثة العاملين في شركة التجارة المساهمة السوفياتية الرأسمال والاسم هم من العملاء السريين المتعاونين مع المخابرات الأميركية، وأنه قد وضعهم تحت « اختبار جديد » يهدف التأكد من بقائهم على ولائهم لأميركا. وقد ألمح هوفر على تسليم تلك الرسالة الى جودي ضمن عملها قائلاً : اتركوا لها الحرية لتهتم بهذه الرسالة، فاذا كانت فعلاً على اتصال بالمخابرات الروسية فستجد نفسها مضطرة لانذار أصدقائها، لأن هذه المعلومات من الأنباء التي تصلح « طعماً لها » وستهتم بها فعلاً.

○ استدعى فولي الانسة جودي وسلمها الرسالة طالباً إليها دراستها عوضاً عن التقرير السري الذي طلبته لأنه قد حفظ في الأرشيف لعدم الحاجة له، وأن عليها احضار الدراسة مع كافة الاختبارات المتعلقة بهؤلاء الأشخاص الثلاثة (طبعاً دون أن تعلم أن هذه الرسالة الكاذبة قام بتحريرها ووضعها رئيس المخابرات بالذات للايقاع بها).

في صباح يوم الجمعة التالي تقدمت جودي من رئيسها طالبة إليه مساعدتها واعطاءها اجازة لفترة بعد الظهر، ذلك لتستمتع باجازة طويلة لنهاية الأسبوع تقضيها في نيويورك. تمّت الموافقة لها على تلك الاجازة (بعد اعلام المخابرات) وخرجت من مقر عملها إلى المحطة فاستقلت « قطار الساعة ١٣ » المسافر الى نيويورك من محطة يونيون ستيشن وصعد معها الى نفس القطار أربعة من رجال مفرزة المراقبة في المخابرات. وبعد أربع ساعات من الزمن وصل القطار الى محطة بنسلفانيا في نيويورك حيث كان بانتظارها اكثر من عشرة عناصر من المخابرات ومعهم سياراتهم المجهزة بأحدث أجهزة الاتصال.

توجهت جودي فور هبوطها من القطار الى المغاسل ودورات المياه، وغادرتها بعد أن قضت فيها زهاء خمسة وأربعين دقيقة، بعد أن أودعت متاعها في إحدى العينات الفردية والشخصية من قسم الأمانات وتوجهت إلى احدى المكتبات ثم الى احد المقاهي حيث جلست في زاوية لتتناول بعض الشطائر الخفيفة، واستقلت بعد ذلك قطار تحت الأرض المتجه الى مانهاتن ونزلت منه في موقف الشارع (١٩١). وصعدت الى الشارع وسارت على قدميها عشرات الدقائق، وكان الظلام قد بدأ ينشر جناحيه على المدينة، كما كانت المصابيح الكهربائية قد بدأت تنير الطرقات، وكانت جودي بين الحين والحين تنظر الى الوراء من فوق كتفها كما لو كانت تخشى بأن يكون هناك من يسير خلفها. وأخيراً توقفت أمام بائع للمجوهرات ونظرت طويلاً الى معروضات واجهة المحل، وكان الزجاج يمكّنها دون شك من مراقبة ما يجري خلفها، كما أن عناصر المخابرات التي تلاحقها تحسب لكل هذه الأمور حسابها فلم تدعها تشعر بشيء مريب مطلقاً. استمر وقوفها أمام محل المجوهرات مدة سبع دقائق عندما ظهر رجل ذو شعر أسود يرتدي الملابس الأنيقة وله تقاطيع تشبه تقاطيع الخدم، وما أكثرهم في نيويورك. ابتدأ ذلك الرجل بالدوران حول المبنى وهو ينظر مراراً « وراءه » ومن خلف اكتافه وفي آخر دورة تبعته جودي دون أن تتبادل معه كلمة واحدة.

استمر سيرها كذلك لمدة دقائق ثم دخلا فجأة الى مطعم صغير اسمه « دولوكس » وجلسا الى طاولة تقع في زاوية منه، وجلس رجل المخابرات على مقربة منهما، لكنه لم يتمكن من التقاط أية كلمة من حديثهما والذي كانت تغرقه الضجة وأصوات مكبرات الصوت التي كانت تردد الأغنيات من آلة وضع الأغنيات مقابل خمسين سنتاً يضعها الزبائن في فتحة الآلة.

قضيا زهاء ساعة كانت جودي خلالها تتحدث بانفعال، وتلوح بيديها

كثيراً، وكانت تبدو ورفيقها بحالة انفعال ظاهري عندما غادرا المطعم، حيث ركبا قطار تحت الأرض والمتجه الى قلب المدينة. صعد رجال المخابرات في المقطورة ذاتها وكان هدير المحركات يطغى على حديثهما وعندما كان القطار على وشك مغادرة الموقف في محطة شارع ١٢٥ « قفز » الرجل ذو الشعر الأسود مرافق جودي فجأة خارج القطار، وتمكن رجل واحد من عناصر المراقبة من القفز وراءه الى الرصيف خارج القطار وهو يستأنف سيره. استقل ذلك المجهول خلال نصف ساعة عدداً من سيارات الأجرة « التاكسي » وعربات النقل الكبيرة « الباصات ». وقطار تحت الأرض مرة ثانية حتى تمكن من تضييع أثره عن رجل المخابرات الذي كان يلاحقه والذي أصابه الذعر لفشله في مطاردته رغم أنه بذل قصارى جهده. وعندما عاد الى مكتب المخابرات كان على يقين بأن ذلك « المجهول » من المواطنين السوفيات وأنه اكتشف ملاحقته له ومن ثم تأكد أيضاً بأن جودي كانت ملاحقة وقد أيده رفاقه في رأيه هذا.

في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي كان عدد من رجال المخابرات يحتلون مراكزهم أمام وخلف السفارة السوفياتية ينتظرون حضور الرجل المجهول. وفعلاً كان ظنهم في محله فقد حضر الرجل نفسه في الساعة العاشرة تماماً[1] وقد أمكن معرفته بسهولة وبدون أي

---

(١) طبق الأصل عما جرى معنا في المخابرات العربية عندما تمكن الملحق العسكري التركي في بيروت وكان بنفس الوقت عميلاً لمخابرات حلف الأطلسي من الافلات من كمين أعددناه له وهو يحاول استلام فيلم مزوّر عن خصائص الطائرة الميغ ٢١ من طيار متقاعد باشرافنا. فقمت بنفس الوقت وعلى مسؤوليتي بالتوجه بسيارة مخابرات الى السفارة التركية وقد وصل الملحق العسكري الى أمام السفارة فألقيت القبض عليه بمعونة السائق. وكانت النتيجة استغلاله للحصانة الدبلوماسية بحضور القنصل التركي الذي اصطحبه الى خارج الحدود.

شك، وبقي رجال المخابرات في الانتظار زهاء ساعة أخرى من الزمن حيث غادر ذلك « المجهول » السفارة السوفياتية واستقل سيارة نقل كبيرة ثم انتقل الى قطار تحت الأرض حتى موقف الشارع (١١) حيث ذهب من هناك الى الشقة التي يقطنها دون أن « يشعر » بمراقبة المخابرات. عمل رجال المخابرات على استجواب حارس المبنى الذي أعطاهم فكرة مبدئية عن ذلك الرجل « المجهول » إنه المهندس الروسي بالنتان غوبيتشوف الملحق في قسم التصنيف في الأمم المتحدة.

(هذه العملية كانت الخطوة الأولى نحو النصر)

ولقد كان رئيس فرع المخابرات المختص بالعملية على حق عندما طالب بمتابعة المراقبة وكان رئيس المخابرات هوفر على حق أيضاً عندما « غيّر » طريقة المراقبة ووضع لجودي طعماً جعلها تسرع بكشف نفسها واتصالاتها مع المخابرات الروسية.

بعد هذه النتيجة تمهلت المخابرات باتخاذ أي اجراء ضد جودي واستمرت بمراقبتها ووجهت طلباً إلى فولي باعاقة الآنسة كوبلن من العمل في قسم الوثائق السرية، ولقد ضايقها هذا التغيير كثيراً فطلبت تفسيراً لذلك، وقد ألحت في طلبها مدعية بأن هذا التغيير يعني انتقادها في حسن سير عملها وكانت غاضبة جداً وعلى وشك البكاء وذرف الدموع. شرح لها رئيسها فولي بأن نقلها من مركزها كان طبيعياً جداً وحسب الأوامر الدائمة في الوزارة وأن مركزها الجديد سيكون له أهميته، وأنه بحاجة هو شخصياً لكفاءتها وتمكنها من مثل هذا العمل. كما أن راتبها سيبقى كما هو. قبلت جودي على مضض ولم تتمكن من إدراك الموقف وباشرت عملها الجديد بعيداً عن الوثائق والأسرار الهامة ولكنها بقيت تتردد كل يوم ولفترة قصيرة على مكتبها السابق ثم أصبحت بعد فترة وجيزة على علاقات طيبة مع السيدة ريالتي والتي خلفتها في عملها على اعتبار أن هذه الأخيرة حديثة العهد في عملها

وبحاجة للمساعدة والعون. وهكذا « اغتنمت » جودي الفرصة لتتمكن من الاطلاع على كافة الوثائق ذات الطابع السري للغاية التي كان رجال المخابرات يضعونها فوق مكتب السيدة ريالتي « كطعم » لجودي، كما اطلعت أيضاً على ذلك التقرير الذي طالبت به رئيسها السابق فولي منذ عدة أسابيع وكان قد أعدّ خصيصاً لتطلع عليه أيضاً، وقد كانت شهادة السيدة ريالتي فيما بعد أنها وضعت بين يدي جودي حوالي ستين تقريراً سلموا لها من قبل المخابرات بما فيهم ذلك التقرير الخاص.

كان رئيس المخابرات على علم بزيارة جودي وترددها لمكتبها السابق، ولكن لم يكن قد أصبح بين يديهم أي دليل يثبت عليها جريمة التجسس بشكل مباشر. وقد كانت المخابرات بحاجة للبراهين والأدلة التي سيقدمونها للمحكمة فيما بعد، لذا مكثوا ينتظرون بصبر على أمل لقاء آخر لها مع غوبيتشوف، بينما كانت تذهب من وقت لآخر لزيارة صديقها المحامي شبيرو. وفي يوم آخر تقدمت جودي مرة أخرى بطلب إجازة لفترة ما بعد ظهر يوم جمعة، ومنحت الاجازة بموافقة المخابرات فاستقلت قطار الساعة الرابعة عشرة المتجه الى نيويورك. وكان رجال المخابرات قد اتخذوا نفس الاجراءات التي اتخذوها في المرة السابقة، ولكن هذه المرة مع رجال المخابرات « فتاة جميلة » اسمها الآنسة سافو مانوس من منتسبي المخابرات والمدرّبة تدريباً جيداً لمثل هذه المطاردات. ابتدأت الرحلة من قطار تحت الأرض في اتجاه مانهاتن. وكان القطار مزدحماً كما كانت جودي محاطة بالمخابرات. وعندما فتحت بشكل عفوي محفظة يدها لتعيد إليها ترتيبها، لاحظ أحد رجال المخابرات وجود أوراق مطبوعة على الآلة الكاتبة في جوفها.

غادرت جودي القطار من جديد في محطة شارع (١٩١). وكانت الأخيرة بين الركاب الذين ركبوا المصعد الذي يرتفع بهم حتى مستوى الشارع العام. وكانت الآنسة مانوس وبرفقتها رجل مخابرات آخر بنفس

المصعد معها، بعد أن استمرا في ملاحقتها طوال الفترة الماضية. وقد شكت جودي في كونهما يقومان بمراقبتها فعملت على المسير أمامهما واقتيادهما الى شارع مسدود، ثم استدارت فجأة لتلاحظهما من جديد، ولكن عناصر المخابرات المدربة ادركت ذلك، فضحك كل من مانوس ورفيقها وتظاهرا بأنهما عاشقين بوضعه يده حول خصرها ولما وصلا لقربها سألتها مانوس بدلال : أوه لقد ضللنا الطريق نحن أيضاً، هل لك في إرشادنا الى اتجاه برودواي ؟..

جودي : نعم. تفضلا من هنا.

وقد شعرت جودي بالسرور وهي تشير للعاشقين الى الاتجاه المطلوب.

ترى هل عرفت جودي من هم هؤلاء الذين التقت بهم يسيرون في أثرها ؟

⊙ في مفترق شارع برودواي تابعت مانوس وزميلها سيرهما طبيعياً (وهنا دخلت مراقبة جودي ضمن مسؤولية فريق آخر من عناصر المراقبة) بينما سارت جودي بنفس شارع برودواي. ودخلت في أوله الى دكان تصليح أحذية « كندرجي » لتعمل على اصلاح إحدى فردتي حذائها. ثم تابعت سيرها خلال دقائق عديدة. وكان الجزع بادياً عليها عندما أوشكت على ترك شارع برودواي لتدخل شارعاً آخر. أخيراً ظهر أمامها « غوبيتشوف » بصورة مفاجئة ولكنه لم يطيل الوقوف معها إلّا ثوان قليلة، وكانت الظلمة الدامسة تحيط بهما بشكل كان يصعب معه رؤيتهما أو رؤيتها إذا عملت على تسليمه الوثائق التي تحملها ثم ترك كل منهما الآخر فجأة مثلما التقيا. واستقل غوبيتشوف سيارة اجرة بينما عادت جودي باتجاه محطة بنسلفانيا. كان رجال المخابرات على ثقة تامة بأن غوبيتشوف قد تسلم خلال تلك الفترة « وثائق سرية » ولكنهم كانوا يفتقرون الى الدليل لاثبات ذلك، كما أن ذلك الروسي قد تمكن من

جديد من الافلات من مراقبيه وتضييع كل أثر له رغم احتياط المخابرات الأميركية.

○ بعد فترة اتصل رجال المخابرات في نيويورك بزملائهم في واشنطون هاتفياً لاعلامهم بأن جودي هتفت إلى والدتها وأعلمتها بأنها ستعمل على قضاء اجازة نهاية الأسبوع معها، وفعلاً طلبت جودي من جديد منحها اجازة لفترة بعد الظهر، ومنحت الموافقة على تلك الاجازة أيضاً. ثم تقدمت من رئيسها الجديد طالبة إليه « بغباء » اطلاعها على بعض الوثائق السرية للغاية، عندئذ قال لها مستذكراً أن السيد فولي رئيسها السابق كان قد طلب منه أن يسألها فيما إذا كانت تذكر التحريات عن أولئك الأشخاص الثلاثة الذين يعملون في مؤسسة التجارة المساهمة الروسية، لأنه قد استلم من جديد بعض المعلومات المتعلقة بموضوعهم. وقد ذكرنا في هذه القصة الجاسوسية وفي الصفحات السابقة أن هذه الرسالة هي من وضع المخابرات وهي بصدد التحريات عن أوضاع تلك الشركة السوفياتية فعلاً وقد تبين أن الثلاثة الذين طلب من جودي البحث عن علاقتهم اصبحوا مكشوفين للمخابرات واثنين منهم أي من مدراء هذه الشركة هم « مخبرين » لدى مخابرات العم سام أي المخابرات الأميركية، كما كانت الشكوك تحوم حول الشخص الثالث واسمه « جيبي تيد لمانفيتش ». ولقد كان التقرير الذي وضعته المخابرات ينوه عن عدم الرضى والشك بهذا الرجل الذي كان يتعامل معهم كما ذكرنا في اول هذه القصة وهو الرجل الذي كان يقدم تقاريره مختصرة وناقصة المعلومات، وكان هذا التقرير بالذات الذي تم إعداده ليقع في أيدي المخابرات السوفياتية بهدف إيقاع جودي في الفخ واضافة الى محتويات التقرير السابقة، كانت هناك إيضاحات عن علاقات الشركة مع غيرها من الشركات الأميركية المختصة بانتاج توابع ومستلزمات التجارب الذرية المدنية في الولايات المتحدة الأميركية. وكان يبدو أن

الشركة تبعث إلى الخارج عدا التقارير والمعلومات المتعلقة بأسرار النماذج الذرية، ترسل أيضاً المعلومات عن أحدث الانتاج الذري وأدواته المستعملة في ذلك الانتاج.

○ إلى هنا أصبح « الفخ » جاهزاً.. لنرى مع المخابرات هل ستقع جودي ؟

كانت الرحلة الثالثة الأخيرة في رحلاتها لملاقاة غوبيتشوف عندما ادعت انها ذاهبة لقضاء نهاية الاسبوع لدى والدتها.

تحرك في اثرها العديد من رجال المخابرات مرة جديدة أيضاً، وكان الطريق هو ذات طريق المرات السابقة مع بعض التغييرات القليلة :

محطة بنسلفانيا، قطار تحت الأرض حتى محطة شارع (١٩١) صعودها للشارع العام ولقاءها غوبيتشوف، نزهة في نفس الشوارع، الدخول الى المطعم، ثم محل بياع حلوى، ثم صائغ مجوهرات، ومع كل ذلك نظرات حذرة من فوق الأكتاف بين حين وآخر، للتأكد من أن أحداً لا يلاحقهما. ثم من جديد عودة الى قطار تحت الأرض وسيارة نقل كبيرة « باص » ثم مسير بخطوات سريعة ثم الوقوف فجأة وتبادل بعض الكلمات وهنا « شعروا بل تأكدوا » من محاصرتهم من قبل رجال المخابرات لأن المنطقة الأخيرة لمراقبتهم كانت مكشوفة إذ أنَّ المخابرات أنفسهم كانوا بالاتفاق مع النائب العام ينوون وضع حد لهذه المغامرة الجاسوسية خشية حدوث مضاعفات. فحاول غوبيتشوف الفرار من جديد عائداً الى موقف الباص ولكنهم تمكنوا من القاء القبض عليه وقد أنهمكوا جميعاً بمطاردته و« نسوا » جودي التي استغلت ذلك بالهروب والعودة الى المدينة فعاد رجال المخابرات للبحث عنها والعودة الى أماكن عملها وسكنها، ولقد كادت أن تضيع آثارها ثلاث مرات خلال تلك المطاردة المجنونة إلى أن تم أخيرا اعتقالها في الساعة التاسعة

والدقيقة الخامسة والثلاثين ليلاً وهي تعبر تقاطع الشارع الثالث من الطريق العام (١٣).

— في مركز المخابرات صرح غوبيتشوف بقوله : (هذا أمر مضحك للغاية) أما جودي فقد انخرطت في البكاء. ثم جرى تفتيشهما تفتيشاً ذاتياً كل على حدة وفي غرفة خاصة. ولقد تذمرت جودي عندما اضطرتها إحدى ضابطات المخابرات[١] إلى خلع ثيابها كلها، رغم أن المخابرات كانت منذ البدء غير راغبة في المجازفة بأية مخاطرة مجهولة النتائج.

لم تكن جودي تخفي شيئاً على جسدها بأي شكل. عند ذلك عمل رجال المخابرات على تفتيش حقيبة يدها « الشنطة » التي تحوي عادة على كل ما تحتاجه المرأة للزينة، وكان هناك ورقة مطوية من الأوراق المستخدمة في حفظ الجوارب وهي مزدوجة وملتصقة بواسطة الأوراق اللاصقة القوية. بعد أن تم سحب الورقة اللاصقة وقصها بمشرط ورق فتح ذلك الغلاف فأمكن استخراج أربعة وثلاثين نسخة ورق وملخص عن وثائق حكومية سرية للغاية، ومن بينها « صورة » عن تلك الرسالة الخيالية التي وضعها رئيس المخابرات هوفر بالاضافة للتقرير المتعلق بنشاط شركة التجارة المساهمة السوفياتية. كما كان هناك رسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة عملت جودي على تحريرها قبل مغادرتها واشنطون مباشرة وكان نصها كما يلي :

---

(١) نشجع هنا نقل وانتساب الفتاة العربية الى مهنة المخابرات للحاجة الماسة إليها في العديد من المهمات التي لا يمكن للرجل أن يؤديها خاصة وانَّ القطر السوري بقيادة الرئيس حافظ الأسد قد سمح للفتاة العربية السورية بالانتساب الى الكلية العسكرية وسابقاً الى كلية الشرطة حيث تخرج حتى الآن الكثير منهن كضابطات. (مراجعة صفحة ٣٩ من الجزء الأول من هذه الكتب).

سيدي المحترم،

إنني لم أعد أتمكن واعتقد بأني لن أتمكن مستقبلاً، من الحصول على تقارير عن المخابرات السرية للغاية عن نشاط وأعمال المنظمات السرية السوفياتية والشيوعية في الولايات المتحدة الأميركية، والتي تكلمت عنها مع ميخائيل. أعلمكم بأني طلبت من « فولي » عندما بدت لي فرصة مناسبة اطلاعي على التقارير التي أعلمني ذات يوم بأنه استلم تقريراً مماثلاً عنها، وقد أخبرني بأن التقرير الآن في حوزة أحد المسؤولين في الوزارة، وأن فولي بالذات لا يأمل أن يراه مرة ثانية. كما أعلمني فولي بأن ذلك التقرير لا يحتوي أية معلومات جديدة لكني استطعت الاطلاع على هذا التقرير لمدة دقيقة، وقرأته بسرعة كبيرة، وانني أذكر بعض محتواه بشكل مختصر ذلك لأنه مؤلف من خمس عشرة صفحة، وهو يلخص أعمال المنظمات السرية السوفياتية ويأتي على ذكر ــ مارتن ــ ولو ــ وبونيتر آليتشولر ــ وسيلفرماستر ــ والآخرون كما يركز التقرير على الموظفين السوفيات في منظمة الأمم المتحدة. هذا ما أذكره عن محتوى التقرير. وأذكر أن ما تبقى من التقرير يتضمّن نشاط البولونيين واليوغوسلافيين.. ألخ كما كان يتضمّن بعض المعلومات عن الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأميركية.

في مطلع الفصل الأول لهذا العام ترددت على الجامعة الأميركية في واشنطون وبقيت حتى انتهاء المرحلة التحضيرية لشهادة الليسانس في تنظيم العلاقات العالمية ولم يبق عليّ سوى تقديم الأطروحة للحصول على شهادتي على الرغم من فتور حماسي للدراسة، وأعتقد أني سأنتهي منها في الصيف، إن ذاكرتي تخونني في بعض المشاهد والمواقف عن دور الدعاية العالمية ومراقبتها. استلمت مع الشكر جميع المخصصات وبانتظار توجيهاتكم.

(**ملاحظة**): كانت الرسالة تحمل توقيع حرف (H) مع شطب بسيط عليه وقد ظهر الحرف والشطب بأنهم توقيع المرسلة.

ولا يمكن هنا ذكر كافة الوثائق التي وجدت مع جودي ولكن المقدم ريتشارد هيرش ــ محقق كبير وأحد الخبراء الرئيسيين في قضايا الجاسوسية لخص أهمها وهي كالتالي :

١ــ وثيقة رقم (ت ــ ٢٧٩) وهي ملخص عن نشاط أعضاء السفارة السوفياتية وفيه اعلام أيضاً بعدم استلام أية معلومات، كما أن هناك « اقتراح » لادخال بعض عناصر السفارة السويسرية في نشاط الجاسوسية السوفياتية.

٢ــ رسالة صادرة عن رئاسة المخابرات وفيها « موافقة » على اجراء تحريات عن شخص يدعى ستوجان كستيك يعمل مستخدماً في القنصلية اليوغوسلافية في شيكاغو بهدف التأكد وتثبيت المعلومات الواردة عنه، والتي يمكن بواسطتها اثبات اشتراكه في أعمال الجاسوسية.

٣ــ بموجب رأي بعض دوائر الدولة فإن ذلك الشخص الذي تقدم بطلب منحة جواز سفر باسم (شارلز فرانسيس شيز). قد يكون عميلاً سوفياتياً يحمل اسم (جون شيرمان).

٤ــ إن ذلك الشخص الذي كان يشك به « المخبر » على أنه يعمل للمخابرات البلغارية أو السوفياتية، قد تمكن من إيجاد عمل له في منظمة الأمم المتحدة، وذلك حتى يتمكن من الحصول على مزيد من الحرية للعمل في الولايات المتحدة الأميركية، وإن ذلك الشخص يعمل حالياً في قسم الهجرة ودائرة الأعمال الاجتماعية في هيئة الأمم المتحدة.

٥ــ (ت ــ ٥) السكرتير الأول في السفارة البلغارية، هو العنصر الممثل

للحزب الشيوعي في السفارة، وهو يشغل منصب رئيس فرع المخابرات في السفارة أيضاً.

٦ــ الأمر الذي يؤكد بأن ستيوارت ليج هو عميل للمخابرات السوفياتية.

نتائج ارتكاب اعمال التجسس في هذه القصة

○ بالاتفاق التام بين المخابرات الأميركية ووزارة الخارجية وحسب الأصول الدبلوماسية « تم إبعاد غوبيتشوف » من الأراضي الأميركية بسبب تمتعه بالحصانة الدبلوماسية. ومن المعروف أنه يمنع اتخاذ أي اجراء مع الدبلوماسيين الحقيقيين حتى ولو اعتقلوا وهم متلبسين بجريمة التجسس. أما جودي فقد انهارت تماماً وكانت تبكي باستمرار وتصرخ حتى يغمى عليها، وقد أعلنت أنها بريئة، ولكن المحكمة أعلنت أنها « مذنبة » منذ اللحظة الأولى. وكان أكثر ما ضايقها في المحكمة وأمام الصحافة الأميركية افتضاح قصتها الغرامية مع الأستاذ شبيرو.

ولم يصدق المحلفون بأنها كانت على علاقة غرامية وحب مع كل من غوبيتشوف والمحامي شبيرو « في وقت واحد » وقد صرحت بأنها لم تخلع ثيابها اطلاقاً في غرفة الفندق التي كانت تتقاسمها مع المحامي شبيرو ولكن أحداً لم يصدقها في ذلك، لا سيما رجال المخابرات الذين كانوا يحتلون الغرفة المجاورة ومعهم آلات التصوير المجهزة بأشعة اكس، بالاضافة للاقطات الصوتية الحساسة التي سجلت لها شريطاً واضحاً جلب الى المحكمة واستمعت إليه في جلسة سرية. وقد سمعت المحكمة أدق الأصوات التي صدرت عن العاشقين بما في ذلك صوت تدفق مياه الدوش في الحمام خلال اليومين « موضوع استماع المخابرات ». كما أنها لم تعترف بشيء وأنكرت كل شيء عن علاقتها مع غوبيتشوف مدعية بأنها قد تعرفت عليه في متحف الفنون الحديثة

الذي كان يثير اهتمامها كثيراً، كما ادعت أنها تقابلت معه مرة ثانية في سنترال بارك وعندئذ اعترف لها بأنه « متزوج » وأنه يأمل في الحصول على الطلاق من زوجته الروسية ليتزوج منها. ولكن المحقق ستيد ماكلن ضغط عليها كثيراً أثناء التحقيق وأوهمها بأن لديهم تسجيلات كاملة صوتية عن علاقتها الغرامية والجنسية مع غوبيتشوف فانهارت واعترفت بعلاقتها الغرامية معه « قبل المرات التي تمت فيها مراقبتها معه » حيث كانت تقضي معه الساعات الطويلة في منزله الشخصي وقد وصفته بأنه فحل روسي بكل معنى الكلمة، بل إن علاقتها الحميمة معه كانت « السبب » في موافقتها على التجسس لصالح المخابرات السوفياتية عن طريقه ولعدم حرمانها من الساعات السعيدة التي كانت تقضيها معه.

○ أحيلت إلى المحكمة المختصة بجرائم التجسس برئاسة الجنرال توم كلارك وقاضيين بصفة مستشارين وابتدأت محاكمتها بشكل جدي تماماً، والتزم الجميع بالصمت احتراماً للمحكمة. أما هي فكانت تضحك بغباء كما لو أن أعضاء المحكمة يعملون على تسليتها، بينما جلس المحلفون في أماكنهم بمنتهى الجدّية، ولم يكونوا مصدقين لحديثها بأنها كانت تحب غوبيتشوف فقط، كما أنهم لم ينظروا إلّا إلى الأربع وثلاثين وثيقة التي تمكنت من سرقتها من بين وثائق الدولة لتسلمها للمخابرات السوفياتية. ولقد صرحت بأنها لم تعمل على تحرير أية رسالة إلا تلك الملاحظات التي كانت تأمل في إعدادها بهدف تحرير قصة عاطفية، وعندما تم اعتقال غوبيتشوف كان في جيبه مظروف يحتوي على ألف دولار من فئة المائة دولار ولقد صرح بأن هذا المبلغ هو لمصروفه الخاص بينما لم يصدقه أحد من أعضاء المحكمة في ادعائه هذا. حاول أوشيبالد بالمير (محامي الدفاع عن جودي) تقديم دفاعه أمام المحكمة بشكل مثير عندما قال موجهاً حديثه للمحلفين بينما كانت موكلته تضحك :

ـــ عندما يقع الانسان في الحب، فانه لا يهتم إن كان ذلك المحبوب أحمر أو أخضر، لأن الحب لا يخضع لقوانين الحدود، ولا يعرف له وطناً.

ولقد وجدت جودي بأن محاميها يدافع عنها بشكل يدعو للاعجاب فصفقت له زيادة في اظهار غبائها، ولكن المحلفين لم ينقطعوا عن التساؤل :

وحبها للمحامي شبيرو ؟

فقالت أمام المحكمة موجهة كلامها للمحلفين: ـــ لقد قضيت الليل معه فعلاً، ولكننا لم نمارس الجنس مطلقاً، كما أنني لم أحاول ذلك ولو مجرد محاولة.

وسألها النائب العام: ـــ هل كان ذلك خلال الليلتين؟.

أجابته جودي : نعم خلال الليلتين لم نتبادل حتى القبلات.

أجابها النائب العام متهماً : هل تنكرين وجود العلاقة الجنسية مع المحامي شبيرو رغم وجود شرائط التسجيل الفاضحة التي سجلت حتى تنهداتك الحميمة. ولقد ذهل أعضاء المحكمة من هذه المرأة التي تظهر نفسها أنها « تعجز » عن ادراك ما مرّ معها خلال ليلتين ولا تعترف بالحقيقة رغم ثباتها. وكانت حجتها الواهية التي تمسكت بها للدفاع عن نفسها إضافة لظهورها بمظهر الغباء والضحك عندما صرحت بلهجتها « البروكلينية » بأنها تعاني وتتألم من مرض يتغلب عليها هو « الجنس الحرام ». وهي عندما تقابل شخصاً ما لا تدري ما يحدث معها بعد ذلك، إلا بعد فوات الأوان. لكن تلك الحجة أيضاً لم تقنع أحداً. وانتقلت المحكمة الى بحث حالة التجسس المثبتة بالوقائع كالأربعة وثلاثين وثيقة سرية جداً والألف دولار التي صودرت من غوبيتشوف،

وكافة المقابلات السرية (عدا عن مقابلاتها الغرامية مع المحامي شبيرو التي لم تدرج في موضوع التجسس). وكانت الأدلة دامغة حيث انتهى الأمر بمحاميها إلى ترك الدعوى، فاستدعت المحامي الشيوعي « مومر أنتزا » الذي طالب المحكمة بالتأجيل للاطلاع على ملف الدعوى، وبعد التأجيل وقبول المرافعة منه تمّ الحكم عليها كما يلي :

○ ترى المحكمة أن الأعمال التجسسية التي قامت بها المدعى عليها جودي بنت صاموئيل كوبلن والمثبتة بالوقائع والأدلة وأقوال الشهود تستحق تطبيق القانون الخاص بخيانة الوطن والذي يقضي بالاعدام حتى الموت في زمن الحرب، ولكن وبما أن فصل الوقائع قد حدث أثناء « الحرب الباردة » فقد أمكن المتهمة من الاستفادة من الدفاع أولاً ومن بعض الأسباب المخففة صدر الحكم عليها بالسجن الفعلي خمس سنوات. وفي أثناء المحاكمة كانت « قصة حب جديدة » تنشأ بين جودي والمحامي بومر الذي أخذ يزورها باستمرار في سجنها،



مهنة المخابرات بين الجبارين

وبعد مدة تمكن من أن يستصدر لها أمراً قضائياً يقضي باخلاء سبيلها بسبب « مرض عضال » أصيبت به في السجن. فخرجت من السجن إلى سجن الزوجية حيث تزوجت محاميها الذي أحبته من وراء القضبان. ويجدر بنا التساؤل أخيراً ترى هل كان المحامي الشيوعي بومر أنتزا على حق عندما قال معلقاً على قصة زواجه من متهمة بالتجسس « انه رجل مجنون تماماً، وانها امرأة مجنونة أيضاً !»

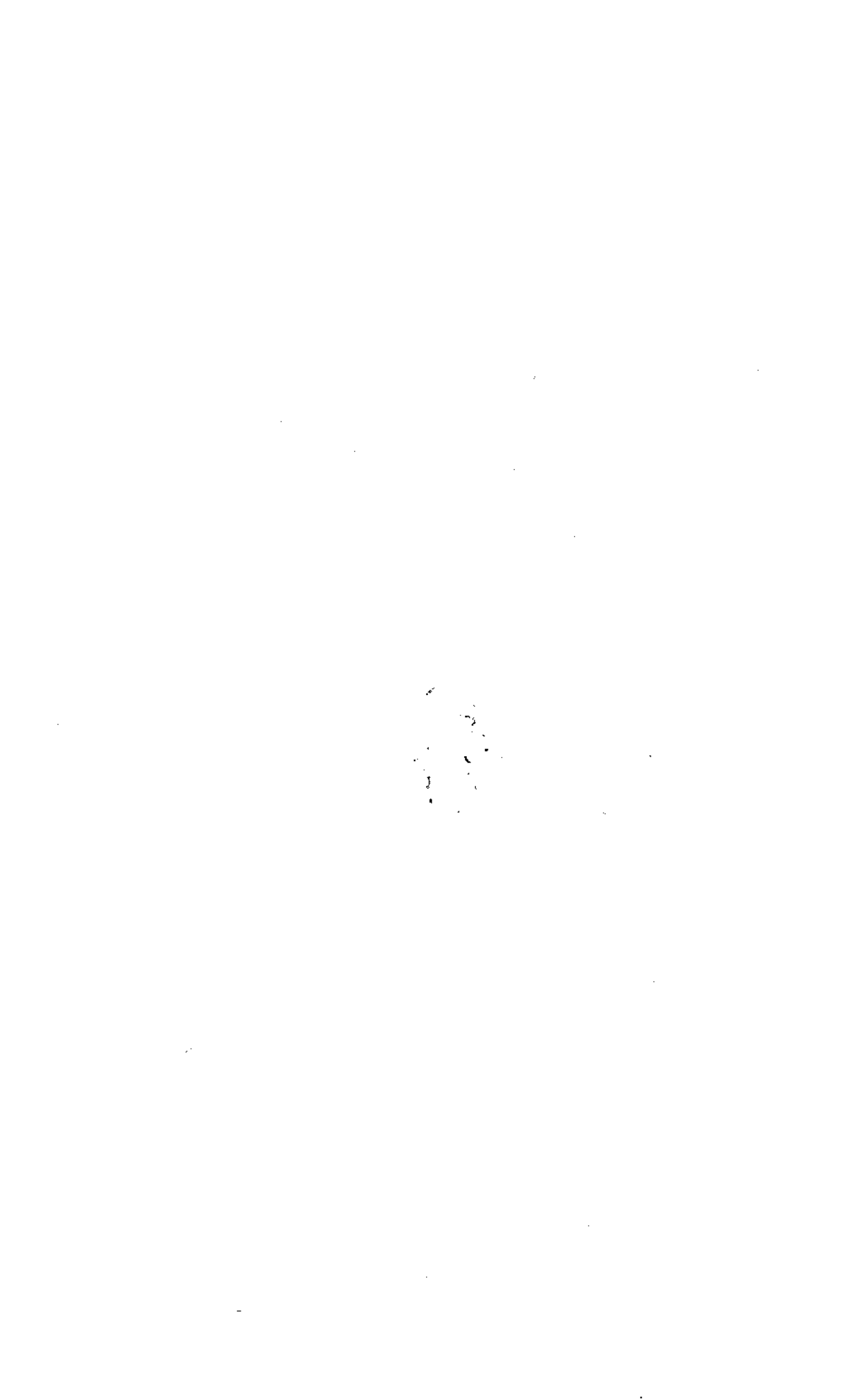
ونحن نقول.. طبعاً إنهم مجانين فعلاً وهذه هي الجاسوسية في كل زمان ومكان[1].

---

(١) نهاية الجاسوسة جودي تشبه نهاية الجاسوسة الاسرائيلية باتريشيا دوكسبورغ التي شاركت في اغتيال المراكشي احمد بو شيكا ظناً أنه علي حسن سلامه وحكم عليها بالسجن خمس سنوات ونصف من قبل محكمة الجنايات النروجية بفضل محاميها إينوس شودن. ولما كانت السجون في النروج « راقية » لدرجة السماح للمساجين بالخروج مساء السبت والعودة صباح الأثنين للسجن فقد كانت تخرج اسبوعياً مع محاميها الذي أصبح عشيقها حتى تمكن من استصدار أمر قضائي باخلاء سبيلها لأسباب طبية وعلى وجه الدقة لضعف في قلبها « وهذه الأسباب نقول أنها كاذبة لأن من كان قلبه ضعيفاً لا يعمل مع المخابرات الاسرائيلية المعادية » ثم سافرا معاً إلى جنوب افريقيا العنصرية حيث تزوجا هناك والقصة الكاملة هذه نشرناها في الصفحات ٤٣٠ ــ ٤٣١ ــ ٤٣٢ في (ملف الثمانينات).

أضواء جديدة على أعمال ونشاط المخابرات البريطانيّة الأنتلجانس سرفيس

- (فضيحة العصر)
مدير المخابرات البريطانيّة جاسوس سوفياتي
- مستشار الملكة أيضاً جاسوس للمخابرات السوفياتيّة
- نهاية الجاسوس المثقّف "كيم فيلبي"
- موظّفة مخابرات بريطانيّة تعشق ضابطاً مصريّاً
- ضابط مخابرات بريطاني يتحوّل إلى امرأة
- المخابرات البريطانيّة تكشف عميلاً سوفياتيّاً
- إنغماس الوزراء البريطانيّين بالجنس وتعاطي المخدرات



فضيحة العصر

مدير المخابرات البريطانية جاسوس سوفياتي

موظف بريطاني وصل الى مرتبة مدير المخابرات البريطانية وهو عميل للمخابرات (K.G.B.) ولم يكتشف حتى وفاته.

○ في منتصف الثلاثينات من هذا القرن، وفي الفترة التي شهدت الانهيار الاقتصادي في الغرب وبريطانيا بشكل خاص، وفي وقت بلغت فيه البطالة حوالي نصف القوى العاملة أو تجاوزت ذلك، وسقطت فيه قيمة العملة الورقية وانفجر التضخم المالي كما لم يحدث من قبل، وأصبح منظر الجياع بالألوف مألوفاً في لندن وبقية المدن البريطانية.. في هذا الوقت، شهدت الحياة الثقافية في بريطانيا إحدى أشدّ موجات النقمة على النظام القائم، وهو ما يسمونه : المؤسسة، وكفر جزء كبير من المثقفين بالنظام الرأسمالي واعتبروه نظاماً عاجزاً ومتهالكاً قد استنفذ أغراضه وتحول إلى نظام للقهر والظلم والعجز الاقتصادي في آن واحد. ولم يكن غريباً في هذه الفترة أن تسيطر النزاعات الماركسية واليسارية المتطرفة في الجامعات البريطانية، خاصةً في جامعتي أكسفورد وكمبريدج موطن أولاد الذوات والارستقراطيين البريطانيين الذين وجدوا في المراكسية والنسخة الروسية منها التي تمثلها ثورة أكتوبر في روسيا

أمل الخلاص أو الطريق الآخر، وكان التنكر للمجتمع الرأسمالي وهو وسيلتهم للتعبير عن غضبهم والتنفيس عن ضمائرهم بصفتهم أبناء الطبقة المسؤولة عن عذاب الجماهير وفقرها وجوعها. هذه الفترة بالذات، أنتجت أقدر الجواسيس البريطانيين من طلبة أكسفورد وكمبريدج والذين ينتمون الى أرفع طبقات المجتمع الأرستقراطي، والذين وضعوا أنفسهم في خدمة المخابرات السوفياتية.وقد علمنا من كتبنا المسلسلة هذه أو من غيرها من الكتب التي أصدرها كتّاب غربيّون أنه قد تمّ الكشف عن أربعة جواسيس من النوع الراقي المثقف يعملون عن عقيدة للمخابرات السوفياتية أي بمعنى أنهم يعملون للنظام السوفياتي حيث كانوا يجدون فيه راحتهم الفكرية وهم :

○ دونالد ماكلين، الذي كان موظفاً رفيعاً في السفارة البريطانية في أميركا ومسؤولاً عن أدق أسرار الأبحاث الذرية الأميركية والبريطانية المشتركة.

○ غابي بيرغيس « بيرجيس ». الموظف الكبير في الخارجية البريطانية وأحد المسؤولين عن العلاقات الأميركية ـــ البريطانية حتى انكشافه.

○ أنطوني بلانت، مستشار الملكة الفني ولم يكشف أمره إلّا في السنوات القليلة الماضية وهو الوحيد الذي « أعطي » حصانة قبل اعترافه بالتجسس.

○ كيم فيلبي، الذي كان رئيساً للقسم السوفياتي في المخابرات البريطانية وقد كشف للمخابرات السوفياتية كل أسماء العملاء الأميركيين والبريطانيين في الدول الشرقية .كما أحبط محاولات التسلل الى المعسكر الشرقي وقام بكشف عملية ثورة مسلحة أعدتها المخابرات البريطانية في

ألبانيا. « يوجد في هذا الكتاب وهذا الفصل عن أعمال المخابرات البريطانية فصل خاص عن نهاية فيلبي بوفاته في موسكو ».

وأخيراً كان هنالك « الرجل الخامس » أو الجاسوس الخامس واسمه الحركي « إيلي » الذي تأكد وجوده سابقاً الى جانب هؤلاء الجواسيس الأربعة الذين افتضح أمرهم وعرفت أدوارهم.. ولكن الجاسوس الخامس لم تعرف هويته في حينه على وجه التحديد واليقين.

من هو الرجل الخامس ؟

أخيراً تضافرت أدلة متعاظمة بأن الرجل الخامس لم يكن سوى « مدير المخابرات البريطانية بالذات » الذي شغل إدارة المخابرات البريطانية من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٦٥ أي لمدة ٢٩ تسعة وعشرين عاماً المستر « روجر هوليس » الذي ابتدأ عمله موظفاً بالمخابرات البريطانية ثم تدرج بالترفيع حتى أصبح مديرها العام ورجلها الأول في السنوات الأخيرة من عمله. وهذه هي قصته قصة الرجل المكلف بالتجسس على السوفيات الذي كان في حقيقة الأمر جاسوساً كبيراً للسوفيات أي بالعكس وحسب المثل العامي « حاميها حراميها ».

○ ولد روجر هوليس سنة ١٩٠٥ من والد كان رجل دين معروف بميوله اليمينية التي سهلت للابن قبوله موظفاً في المخابرات البريطانية. وهو من هذه الناحية شبيه بأنطوني بلانت، العميل الآخر رقم (٣) الذي كان والده رجل دين أيضاً. كان روجر في صغره ضعيف البنية، فأحس بشيء من مركب النقص نحو أشقائه الثلاثة وقد صار أحدهم كوالده رجل دين، في حين أن الثاني اهتم بالتاريخ والعمل السياسي فاستطاع أن يكون نائباً، أما الثالث فكان مثله ميالاً للخدمة في المخابرات، وقد عمل بالفعل في القسم الذين عمل فيه فيلبي « قسم مكافحة الجاسوسية

السوفياتية » بالذات. وبعد الدراسة في كليفتون كوليدج في بريستول، التحق روجر بجامعة أوكسفورد، لمتابعة دراسته الجامعية غير أن نتائجه الدراسية لم تكنَ مشجعة على ما يبدو في السنتين الأولتين.فآثر أن يترك الجامعة خوفاً من الفشل في الدراسات النهائية كما يقول متهموه متظاهراً بأنه يفضل الذهاب الى المكسيك بصحبة أحد رفاقه الذين تعرف إليهم في الجامعة. ولكن حياته في مرحلة التعليم كانت تتسع لأكثر بكثير من مجرد الشاطات التعليمية، فقد نشط في ناد جامعي للاصلاح الاجتماعي والسياسي. وتعرف الى زميل له يعمل في جريدة « الدايلي ووكرز » الشيوعية، وهو كلود كوكبرن الشيوعي، ثم تعرف على شيوعي آخر هو موريس ريتشاردسون. ولعل أهمية هذه الفترة القصيرة في الجامعة هو مشاركته في الأجواء الليبرالية الجامعية المناهضة للسلطات المحافظة، وتعزيز مزية الاستقلالية لديه، ويبدو أن بذور المعارضة بدأت تترسخ عنده هنا، إنما بشكل سري وهادئ.

○ غضب والد روجر لتركه الجامعة قبل إتمام تعليمه. وامتنع عن الصرف عليه. ثم أصيب روجر بنكسة أخرى حين علم أن رفيقه موريس ريتشاردسون عدل عن رأيه بالذهاب معه الى المكسيك فما كان منه إلا أن بحث عن عمل فوجده في أحد المصارف اللندنية لتأمين نفقاته. ولتوفير بعض المال لتنفيذ مشروع عمل بالصين عوضاً عن المكسيك.

○ لماذا اختار روجر الانتقال الى الصين ؟ لا ندري.لعلها رغبة من قبيل الرومانسية والتعلق بالشرق، أو لعلها مغامرة لجمع المال، بدلاً من الذهاب الى المكسيك. على أن ذهابه إلى الصين هو دليل عناد ومثابرة. وكانت السنوات التي قضاها في الصين مهمة بالنسبة لهذا الشاب وخصوصاً لعمله في المستقبل. ولعل عزمه وإصراره كانا تعويضاً على ما بدا عليه من مستوى عقلي معتدل، في رأي منتقديه، أو لانعدام موهبته كما يقول خصومه. ولكنه استطاع برغم ذلك أن يجد له مجالاً للعمل

في شركة تبغ أميركية بريطانية في شنغهاي « قسم الاعلان » بينما كان ينضب ما معه من مال. ولهذه السنوات التي قضاها في الصين أهمية أخرى في حياته بالنسبة للمستقبل. ففي شنغهاي التقى بصحافية أميركية يسارية تدعى أغنيس سميدلي، التي كانت معروفة بعلاقاتها بالكومنترن « أي الشيوعية الدولية » وبفرع المخابرات السوفياتية في الصين. وفي أجواء الصين وخاصة جو العلاقات الصينية اليابانية المتشنجة وسياسة تشان كاي تشيك المعادية للشيوعية في حينه، ونشاط المخابرات السوفياتية لدعم النضال الصيني ضد اليابان، تعرّف إلى « أورسولا بيرتون » وهي شيوعية معروفة، كما ألف أجواء الصراع الطبقي المحموم الذي كان المناخ السائد في تلك الأيام.

○ ليس هناك من يجزم بأن روجر قد تعرف الى المسؤولين السوفيات في هذه الحلقات، لكن الأنباء التي نشرتها عنه المخابرات الأميركية بعد الشك في أمره، منذ سنوات قليلة، أشارت الى اشتغاله آنذاك « عميلاً » للقسم العسكري في هيئة المخابرات السوفياتية العامة «K.G.B.» وباشراف الجاسوس السوفياتي الشهير « ريتشارد سورج » الذي أسس بعد ذلك أضخم شبكة تجسس للمخابرات السوفياتية في طوكيو. وألقي القبض عليه نتيجة خطأ مهني وأعدم في السجن لأن المخابرات السوفياتية لم تستطع الاعتراف به في حينه لضرورات الأمن وقد نشرنا قصته كاملة لمن يحب الاطلاع في الصفحات ١٠٦/٨٢ بالجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن المخابرات، وعزي تجنيده في هذا القسم إلى أن المسؤولين عن المخابرات السوفياتية استغلوا ميوله الجنسية العنيفة وانغماسه في المغامرات النسائية في شنغهاي بالصين مما يحمل على الاعتقاد بأن روجر أصبح « شيوعياً » ومن ثم « عميلاً للشيوعية » وهو في الصين أي أنه دخل في خدمة المخابرات السوفياتية قبل دخوله في خدمة مخابرات بلاده بريطانيا.

○ من المعروف أن الابتزاز الجنسي والتهديد بالتشهير والفضيحة كانا من الوسائل المجدية لاختراق المخابرات البريطانية التي كانت تضم عدداً كبيراً من اللواطيين.وهذا شيء غريب في بريطانيا ككل المخنثين وأصحاب العادات الجنسية المنحرفة المنتشرة بين الانجليز، والتي هي الأخرى إحدى الصفات المشهورة للأرستقراطية البريطانية. ومن أشهر حوادث التجسس التي تعبق برائحة الجنس والشذوذ قضية الجاسوس البريطاني وليم فاسال الذي باع للسوفيات أسرار البحرية البريطانية، وقد تستر عليه روجر فيما بعد حين أصبح رئيس المخابرات البريطانية ومديرها العام.

○ في الصين أصيب روجر بداء الصدر. فانتقل الى سويسرا للاستشفاء عبر خط سيبيريا الحديدي ماراً بروسيا حيث قضى وقتاً قصيراً. والمعروف أنه اجتمع باورسولا بيرتون التي تعرف عليها بالصين مرة أخرى في سويسرا أثناء وجوده فيها للاستشفاء.ولهذه المرأة أهمية خاصة في حياته ولو أنه تجاهل في وقت لاحق معرفته بها كما سنرى، ثم أن أهمية وجودها في أوكسفورد عند وجود روجر فيها أيضاً لم تتضح سوى عام ١٩٦٧.

روجر هوليس يكلف بالتحقيق عن « نفسه » بتهمة الجاسوسية

○ بعد الصين وبعد الاستشفاء في سويسرا عاد روجر الى وطنه الى لندن الضباب ليؤدي دوره الذي أسند إليه من قبل المخابرات السوفياتية هناك وكان عليه أن يلتحق بالمخابرات البريطانية وبالقسم الذي يتولى عمليات مكافحة التجسس الخارجي وخاصةً الجاسوسية السوفياتية. كيف يتسنى له ذلك وهو الشيوعي والعضو في المخابرات السوفياتية « مسبق الصنع »؟

○ من المعروف أن هنالك أولويات عمل للمخابرات السوفياتية في خطتها لاختراق المخابرات البريطانية فهي تفضل أن تزرع عميلها في المجالات التالية التي نذكرها بحسب أهميتها من وجهة النظر السوفياتية :

أولاً : ضمن المخابرات البريطانية نفسها وفي قسم مكافحة النشاطات السوفياتية إن أمكن. وقد نجحت المخابرات السوفياتية بزرع روجر ثم فيلبي في نفس هذا المركز بالذات.

ثانياً : في هيئة الاذاعة البريطانية (بي. بي. سي.) لما يوفره مثل هذا الموقع من صلات واسعة في السياسة البريطانية والعالمية.

ثالثاً : في جريدة « التايمز » لما يتيحه المكان من صلات واسعة مع كبار المسؤولين في الحكومة أو الجيش أو الاقتصاد.

رابعاً: في وزارة الخارجية البريطانية.

خامساً: في وزارة الداخلية بما فيها « المباحث العامة اسكتلنديارد ».

وهذا الترتيب في الأهمية يعكس الأهمية الحقيقية لمختلف المجالات المتصلة بعالم المخابرات في بريطانيا إذ تتيح هذه المجالات الاطلاع على أكبر قدر من المعلومات.

○ والظاهر كما شرحنا أن تحركات روجر في الصين وعلاقاته هناك كانت تتمّ وفق خطة موضوعة، مكّنته فيما بعد من الالتحاق بالمخابرات البريطانية لأن هذا ما أرادته له المخابرات السوفياتية. ولكن كانت حالته الصحية غير جيدة، كما كان في وضع معنوي متدهور، لا سيما بعد فشله في أول محاولة له لدخول المخابرات البريطانية، لكنه عاد وتمكن من الالتحاق بالمخابرات البريطانية ــ هيئة مكافحة التجسس السوفياتي ــ كما خطط له، حيث ابتدأ عمله مساعداً لجاين سيسمور المسماة « جاين آرتشر في وقت لاحق » وهي موظفة كبيرة في المخابرات البريطانية، من غير أن يخضع للتحقيق الصارم المألوف بالنسبة لتعيين أمثال هؤلاء الموظفين. لقد كانت الفرصة مؤآتية له آنذاك إذ أن هذه الهيئة كانت تتوسع بسرعة خصوصاً لمواجهة الخطر السوفياتي مما استلزم تجنيد عدد متزايد من رجال المخابرات.ومن المؤكد أن بيئته الدينية بصفته ابن أسقف « أوحت للمخابرات البريطانية بالاطمئنان إليه » وقُبِلَ دون أن يتم التحقيق عنه.

○ من الطبيعي أن لا يذكر روجر علاقاته اليسارية في طلب التوظيف في المخابرات وتسمى بالبلاد العربية « نشرة استعلامات » أثناء وجوده بالجامعة أو أثناء عمله بالصين، حتى أنه لا وجود لملف له عن هذا

النشاط في القسم الذي عمل به وحتى نهاية عمله بالمخابرات التي بلغت ٢٩ تسعة وعشرين عاماً بصفته موظفاً عادياً في البداية، ثم نائب مدير قسم ثم مدير قسم وفي النهاية مديراً عاماً للمخابرات البريطانية، وعلى الأغلب أنه هو نفسه قد أتلف ملفه.

○ كانت مهمة أو عمل روجر الرئيس باعتباره المساعد الأول لجاين سيسمور في ابتداء عمله أن يشرف على عمليات المخابرات السوفياتية في بريطانيا ومستعمراتها. وكان طبيعيا وهو في هذا المنصب أن يطلع على محاولات المخابرات البريطانية لاختراق الحزب الشيوعي البريطاني وتجنيد أعضائه، أو زرع عملاء في داخله. والملاحظ أن المخابرات البريطانية كانت قد تمكنت أن تفك رموز الشيفرة السرية لاتصالات الكومنترن بالأحزاب الشيوعية وبرجال المخابرات السوفياتية. ومن هنا كانت أهمية إصرار المخابرات السوفياتية على دخول روجر إلى هذا القسم أو المنصب. والواقع أن كل الاتصالات المذكورة عبر تلك الشيفرة والرموز قد توقفت بعد انتساب روجر الى هذا القسم.

○ الحياة الشخصية لروجر هوليس ذات أهمية كبيرة، لأن تجاهلها كلياً يترك فراغاً لا مبرر له. ولعل الاشارة السريعة إليها تثير شيئاً من التسلية القصصية للقارئ وتلقي بعض الضوء على شخصيته وعلى اسلوب تفكيره ومعتقداته، وإن طلاقه لزوجته الأولى وزواجه من سكرتيرته له علاقة وثيقة باثارة التحقيق معه في سنة ١٩٧٠.

○ كان روجر وسيماً، متوسط القامة، هادئاً بوجه عام متكتماً بطبيعته، قليل الكلام. فلا يفتح شفتيه إلا نادراً حين يرد على سؤال موجه إليه، كما أنه كان يكره النقاش والحوار. ولئن اعتبره اصدقاؤه وخصومه معاً غير موهوب، فالواقع أنه كان محباً للدعابة ولكنه رصين إلى أبعد حدّ في الوقت نفسه، دقيقاً في تعليماته، واضحاً في تحديد ما يريده.

وجميع هذه المزايا كانت قد أصبحت معروفة عنه حين استلم « رئاسة » قسم مكافحة التجسس بدلاً من جاين سيسمور نفسها، وبذلك بلغ أول مركز مرموق في جهاز المخابرات البريطانية.

○ كذلك كان معروفاً عنه أنه يجيد لعب الغولف. ويذكر الذين رفضوه في محاولته الأولى لدخول المخابرات أنهم لم يروا فيه سوى شخص عادي لا يصلح سوى لوظيفة عادية لأن مزيته الوحيدة أنه يلعب الغولف.

○ على أيّ حال فإن نجاح روجر في التسلل الى المخابرات البريطانية ووصوله الى المركز الذي أرادته له المخابرات السوفياتية يدل بوضوح على قصور اجراءآت الأمن في المخابرات البريطانية والتي كانت تعتمد على العلاقات الخاصة بين أفرادها الذين ينحدر معظمهم من الطبقات الأرستقراطية والمحافظة، وهي صنعة كانت تفتح الأبواب وتتيح الفرص دون تحقيقات جدية.

ابتداء الشك بروجر هوليس

○ ابتدأت الشكوك تحوم حول روجر عندما لجأ الى الغرب عدد من ضباط المخابرات السوفياتية، وكشفوا عن مدى التسلل السوفياتي في المخابرات الغربية والبريطانية « بشكل خاص » وعن وجود حلقة مؤلفة من « خمسة » من البريطانيين في خدمة المخابرات السوفياتية، وكان هروب دونالد وبيرغس العاملين في المخابرات البريطانية إلى الاتحاد السوفياتي بداية تشكيك قوي وتنبيه عنيف إلى هذه الحلقة وضرورة معرفة بقية أفرادها اعتقاداً بأن العميلين المزدوجين اللذين فرّا هما اثنان فقط من بين الخمسة. والواقع أن المخابرات الأميركية لم تتمكن من الكشف عن هذه الحلقة الخماسية. يضاف الى ذلك أن الملاحظات

حول تصرفات روجر لم تثر أي اهتمام به أو انتباه اليه. ولكن المعلومات أو الوقائع التي توفرت في وقت لاحق دفعت البعض الى الشك به وتوجيه أصابع الاتهام اليه. والجدير بالذكر هنا أن المخابرات الأميركية كانت واثقة من ضلوع روجر بالخيانة. وقد قامت بالتحقيقات بمعاونة مكتب التحقيق الاتحادي الاميركي وفق خطة مدروسة خاصة بالمؤسستين. وقد اعترف شخص يدعى آرغو وهو موظف الشيفرة في السفارة التشيكية بواشنطون وعميل سري لمكتب التحقيقات الاتحادي، بمعلومات عن وجود « عميل مهم » للسوفيات في المخابرات البريطانية وقد عمد العملاء السوفيات الى تغيير طريقة عملهم مما يدل على معرفتهم بأنهم مراقبون. وبعد ذلك أبلغ غوليستين الموظف بالسفارة السوفياتية في هلسنكي (فنلندا) المخابرات الأميركية بوجود عميل كبير للسوفيات في المخابرات البريطانية، وأشار الى حلقة خماسية معززاً بذلك انباءً وشكوكاً سابقة. وأيضاً كشف ايغور غوزينكو الموظف في السفارة السوفياتية في أوتاوا (كندا) لأول مرة عن وجود عميل سوفياتي في المخابرات البريطانية باسم إيلي (ELLI) وقال عنه أنه موظف عالي الرتبة، واستطاعت المخابرات الغربية بالتالي أن تكشف النقاب عن حلقة من العملاء السوفيات في الغرب، أما العميل العالي المكانة، الملقب إيلي، فظل مجهولاً لأن اتصال المخابرات السوفياتية به كان عبر رسائل سرية توضع له في أمكنة سرية وفي شقوق أو ثقوب لا تخطر على البال» وباعتبار روجر مسؤولاً عن مكافحة الجاسوسية السوفياتية في بريطانيا والبلدان الأخرى الخاضعة لها، فقد انتدب هو بالذات للذهاب إلى كندا للتحقيق بشأن غوزينكو وصحة معلوماته. ومن المعلوم أن « إيلي » أبلغ السوفيات عن معلومات المخابرات البريطانية بشأن العملاء الروس في بريطانيا.

والطريف الخطر هنا في عمل المخابرات أن « إيلي » وهو نفسه « روجر » قد كلف بالتحقيق في كندا مع غوزينكو السوفياتي عن

معلوماته عن « إيلي » نفسه. وفي العام نفسه جاء أحد رجال المخابرات السوفياتية إلى سفارة بريطانيا في أنقره بتركيا وأبلغها نبأ وجود عميل للمخابرات السوفياتية في رئاسة المخابرات البريطانية، لم يستطع تحديد هويته لكنه أكد أنه رفيع المستوى. وحين كثرت المعلومات المتواردة للمخابرات البريطانية عن وجود عميل رفيع المستوى للمخابرات السوفياتية بين جدرانها أرادت المخابرات البريطانية أن تقوم بحملة واسعة لمكافحة عمليات التجسس والتخريب الشيوعية في بريطانيا. وطلب من « روجر هوليس » نفسه وكان مدير دائرة مكافحة الجاسوسية السوفياتية أن يجري « تحقيقاً » حول هذا الموضوع.فقام بتحقيق تافه وبسيط ينفي هذه الادعاءات ولم يتضمن هذا التحقيق أية معلومات ذات قيمة، رغم اعتقاد رئيس المخابرات ورئيس الوزراء الذي يطلع على بريد وأعمال المخابرات البريطانية بوجود مثل هذه العمليات.

○ في هذه الفترة أيضاً وأثناء رئاسة روجر لقسم مراقبة النشاطات السوفياتية في بريطانيا وافق على استخدام العالم الذري « كلاوس فوخس » في المحطة الذرية البريطانية للأبحاث الذرية، وهو المعروف بميوله الشيوعية منذ لجوئه إلى بريطانيا من المانيا. وكانت السلطات البريطانية المختصة بالمخابرات والمباحث العامة قد أجرت بشأن العالم الذري كلاوس ستة تحقيقات متواصلة ولكنها لم تسفر عن شيء، كما تجاهل روجر بالذات علاقة كلاوس بالشيوعية أورسولا بيرتون وغض النظر عن قيامها بدور المراسلة له وعن علاقة الاثنين بحلقة مخابرات سوفياتية في سويسرا، وهي معلومات كان يفترض أنها معروفة جيداً من رجال المخابرات المتخصصين في مراقبة محاولات التسلل السوفياتية، رغم أن روجر نفسه كان على علاقة بأورسولا أثناء وجودها بالصين وتجددت هذه العلاقة في جامعة أوكسفورد، التي انتقل إليها روجر فترة من الوقت.

○ تمكنت المخابرات الأميركية من فك رموز شيفرة سوفياتية تكشف عن عمالة العالم الذري كلاوس فوخس وقدمت هذه المعلومات كهدية منها للمخابرات البريطانية. لم يعترف العالم الالماني كلاوس بعمالته للمخابرات السوفياتية إلا بعد تحقيق عنيف متواصل من قبل أحد المحققين البريطانيين المعروفين بالحنكة والقدرة، وبمشاركة المخابرات الأميركية ورغم اعتراف كلاوس لم يتبيّن بصورة مباشرة أي دور لروجر في اخفاء حقيقته في الفترة السابقة.

لقد كان افتضاح أمر كلاوس فوخس ضربة عنيفة، لا من حيث القاء الشك على قدرة المخابرات البريطانية فحسب وإنما أيضاً من حيث أثرها على العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة، ذلك أن المخابرات الأميركية أصبحت لا تثق بالمخابرات البريطانية ولا تضمن أن لا يسرب العملاء السوفيات من داخلها كل المعلومات التي تصلها من الولايات المتحدة. وبالتالي فإن الأميركيين أصبحوا أقل تعاوناً مع البريطانيين في مجالات المخابرات. ولم تمض فترة قصيرة حتى حدث ما يعزز المخاوف والشكوك الأميركية في المخابرات البريطانية. قبل الهروب كانت الشكوك تحوم حول ماكلين وبيرغس واحتمال اتصالهما بالمخابرات السوفياتية. ومرة أخرى لعب روجر دوراً هاماً في هذا المجال إذ أبلغهما ومعه فيلبي عن عزم المخابرات البريطانية واهتمامها بإجراء تحقيق معهما بشأن هذه الظنون حولهما مما أدى الى فرارهما الى موسكو الأم في حينه. وليس هنالك ما يثبت بصورة قاطعة بأن روجر الذي كان « في حينه » مسؤولاً عن قسم مكافحة الشيوعية والنشاط السري السوفياتي في بريطانيا، هو الذي قام بدور التنبيه وحده للعميلين ولكن القرائن الميَسرة بهذا الصدد هي التي توجه أصابع الاتهام نحوه، وحده كان في وضع يستطيع معه معرفة موعد التحقيق وكل تفاصيل الرقابة الموضوعة عليهما والأنباء المتواترة في أوساط المخابرات بعد

اعتراف العديد من العملاء الهاربين من الاتحاد السوفياتي الذي أكّد وجود عدد من العملاء للمخابرات السوفياتية. وعادت اعترافات الفارين بعد فرار ماكلين وبيرغيس « تؤكد » بقاء أو وجود عميل آخر ضمن إدارة المخابرات البريطانية وفي مركز عال وحصرت دائرة الاتهام روجر وحده وعلى نار هادئة. فهناك عميل روسي واسمه « راستوروف » رفض الذهاب الى لندن بعد انقلابه على بلاده « خوفاً » من اختراق المخابرات السوفياتية المعروف للمخابرات البريطانية. وهناك قول لأنطوني بلانت العميل للمخابرات السوفياتية وهو مستشار الملكة شخصياً بأن السوفيات لم يطلبوا منه أية معلومات عن القسم الذي يرأسه روجر. وتفسير ذلك أن روجر كان ينقلها لهم بنفسه، ثم أن نجاح المخابرات البريطانية بالنسبة للمخابرات غير السوفياتية بالمقارنة مع فشلها المتواصل مع المخابرات السوفياتية بالذات يؤكد الشكوك حول روجر.

○ قصة نهاية فيلبي لها فصل خاص في هذا الكتاب وبذلك أصبحت حكايته معروفة للقارئ لكننا نودّ هنا أن نتعرض لموقف روجر بمقدار ما يؤكد خيانته وضلوعه مع السوفيات.فالرأي الذي طرح على بساط البحث في دوائر المخابرات الغربية هو أن قيام روجر وفيلبي بتسهيل فرار ماكلين وبيرغيس « كان يستهدف » إنقاذ كيم خوفاً من أن يؤدي التحقيق معهما إلى افتضاح أمره في وقت كان يتولى فيه كيم إدارة الدائرة السوفياتية في المخابرات البريطانية.والواقع أن الشكوك كانت تحوم حوله قبل ذلك بسنوات من غير أن يكشف التحقيق ما يدينه. وبازدياد هذا الشك كان روجر لا يزال مسؤولاً عن فرع مكافحة أعمال المخابرات السوفياتية في بريطانيا و« نائباً » للمدير العام فقام بالاتفاق معه أي المدير العام وأرسل فيلبي الى بيروت كمراسل صحفي... ألخ. لابعاده عن مرمى بصر المرتابين به في لندن أو واشنطون حيث كان الشك قد أخذ يساور المخابرات الأميركية، بل أن نائب المدير فيها « بيدل سميث » كان يعرف بالتأكيد من أن فيلبي « جاسوس سوفياتي ». ووقتها برز دليل

جديد على علاقة كيم فيلبي بالمخابرات السوفياتية. ونعتذر من قرائنا لعدم ذكر هذا الدليل من حياة فيلبي مع الفصل الخاص به في هذا الكتاب لورود هذه المادة المترجمة من لندن بعد ختم موضوعه بوفاته. فقد كانت إحدى « رفيقاته » بالحزب الشيوعي سيدة يهودية تدعى فلورا سلومون وهي بنفس الوقت صديقة كيرنسكي، وكانت تعلم بصلة الرفيق فيلبي بالمخابرات السوفياتية بل وكانت تتابع رسائله الصحافية التي كان يرسلها وتنشر تباعاً في جريدة « الاوبزرفر » البريطانية من بيروت، فغاظتها جداً الرسائل التي كانت تنتقد اسرائيل اشد الانتقاد وتصفها بالمعتدية وبذلك لم يأت بشيء من عنده كما غاظها أن يأخذ فيلبي جانب العرب والاشادة بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأعماله في تلك الفترة.

فقررت أن تكشف أمر فيلبي، وبالفعل أبلغت معلوماتها للمخابرات البريطانية وبذلك انقطع الشك باليقين، وتأكدت عمالة فيلبي للسوفيات بما لا يقبل الشك.



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كان فيلبي يشيد بأعماله الوطنية ويكتب عن ذلك إلى « الاوبزرفر Observer

وأخيراً الجاسوس روجر هوليس يصبح رئيساً للمخابرات البريطانية

○ بعد أن تأكدت عمالة فيلبي للمخابرات السوفياتية اسقط في يد روجر هوليس وكان قد أصبح « مديراً للمخابرات البريطانية » وهو لا يستطيع بحكم منصبه أن يرفض اجراء التحقيق مع كيم وموافقته ضرورية للقيام به. ووصول روجر الى رئاسة المخابرات البريطانية وهو أول جاسوس بالتاريخ يصبح مديراً لمخابرات بلده وهو يخدم ويتجسس ويعطي ولاءه لبلد معاد « إنها مهنة المخابرات والجاسوسية ». وكان ترشيحه لرئاسة المخابرات البريطانية من قبل رئيسه المباشر السير ديك هوايت، وموافقة رئيس الوزراء البريطاني في حينه انطوني إيدن شخصياً. ولذلك كان روجر مضطراً لمواجهة فيلبي، كذلك « عرف » فيلبي بما يدور من حوله وبشهادة السيدة اليهودية. فهل كانت معرفة كيم بما يحوم حوله مجرد حدس ؟ أم أنه عرف بذلك نتيجة إتنبيه من شخص ما كلّف بذلك ؟ إن الأحداث المتصلة بهذه القضية تتهم روجر بأنه الشخص الذي أنذر كيم وأعلمه بانكشاف أمره. وكان فيلبي في بيروت وقتئذٍ ولا بد من إرسال محقق مقتدر للوصول الى الحقيقة فتقرر إرسال « آرثور مارتن ». ولكن مدير المخابرات البريطانية روجر وهو عميل مثل فيلبي عمد الى تغيير المحقق الوحيد تقريباً الذي يمكنه أن يحمل فيلبي

على « الاعتراف بعمالته ». ورغم الضجة التي انفجرت داخل المخابرات فإن مديرها روجر تمكن بحكم سلطته من تنفيذ كلمته وتغيير المحقق، ثم وافق على اجراء تحقيق ملطف مع كيم في بيروت دون اللجوء الى استدراجه الى لندن أو خطفه من بيروت وكان لديهم الامكانية للخطف ولكنه « تُرك » في بيروت ليتمكن من الهرب (يرجى مراجعة فصل نهاية فيلبي في هذا الكتاب بالذات). وبدئ مع فيلبي بتحقيق ملطف يبين إن كان يعلم برغبة المخابرات بالتحقيق معه من قبل وقد استعد فيلبي للاجابة على جميع الأسئلة. والآن وبعد هذه السنوات « تأكد لنا » أن فيلبي لم يهرب من التحقيق « قبل هروبه الأخير » لئلا يشك بأن هنالك شخصاً آخر قد أبلغه بما حدث « وهنا الوفاء ».

○ أثناء التحقيق الهادئ مع فيلبي في بيروت عرض المحقق عليه أن يعطى حصانة من توجيه أي اتهام له، إذا اعترف وتعاون مع المخابرات البريطانية في كشف ماضيه ومن يتعامل معهم. بكل احتراف الجاسوس اعترف فيلبي بالقليل من ماضيه غير الضار أي أنه اتصل بالمخابرات السوفياتية وعرضوا عليه العمل معهم فوعدهم بدراسة العرض، ولكنه أنكر أنه تعاون معهم فيما بعد كما أنه حاول تضليل التحقيق باعطاء المحقق معلومات تافهة ومضللة، ثم طلب وقتاً للتفكير بشأن القبول بالحصانة والعودة بملء إرادته الى لندن. لكنه وهنا القول الصحيح كان قد استنفذ خلال سنواته الثلاثين كعميل مزدوج للمخابرات البريطانية التي يعمل بها، والمخابرات السوفياتية التي كان يعمل لها جميع أنواع العمالة وأعطي الضوء الأخضر للاستراحة في كنف المخابرات السوفياتية وضيافتها حتى نهاية العمر وكما حصل بالفعل وذكرناه في الجزء الأول من هذه السلسلة وفي هذا الكتاب أيضاً فقد نجح في الهروب من بيروت في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ إلى « موسكو ».

والى هنا نغلق الباب نهائياً عن أعمال فيلبي التي فاتنا أن نذكرها في

الفصل الخاص به ونعود الى قصة الأهم من فيلبي الذي كاد أن « يصل » الى مرتبة مدير المخابرات البريطانية وهو عميل للمخابرات السوفياتية الى العميل المماثل الذي وصل بالفعل الى ادارة المخابرات البريطانية وهو أيضاً عميل للمخابرات السوفياتية « روجر هوليس » وقبل متابعة القصة الى النهاية.. وحتى تاريخ انكشافه اللاحق واجراء التحقيقات المتعلقة بروجر بالذات. وقبل أن نتناول قصصاً أخرى كانت لروجر علاقة بها بحكم مركزه، ينبغي أن نذكر التطورات التي حدثت لروجر بالنسبة لمركزه. ففي الوقت الذي كان تصرفه في عمله بالمخابرات البريطانية مثار شك على الأقل بالنسبة للبعض، أو اثباتاً على خيانته فيما بعد بالنسبة للبعض الآخر، وقد لاحظنا أن مركزه في المخابرات البريطانية كان يرتفع ويترسخ برغم هذه الشكوك الآخذة بالتزايد إلى أن أصبح روجر نائباً لرئيس المخابرات، ثم ليصبح بعد ثلاث سنوات مديرها العام برغم الشكوك الحائمة حوله، حتى قيل أن فترة إدارته للمخابرات البريطانية التي امتدت تسع سنوات كانت ولا سيما في القسم الثاني منها، فترة صراع عنيف ظاهر حيناً وخفي حيناً آخر بين روجر والمشككين.

○ لقد استمر عمل روجر في المخابرات البريطانية تسعة وعشرين عاماً كانت من أكثر الفترات أحداثاً في هذا القرن الخصب، وكان طبيعياً أن تكون للمخابرات البريطانية علاقة بهذه الأحداث، كما كان طبيعياً بالتالي أن يكون لروجر موقف من كل منها، أو تصرّف معيّن حيالها، مما يفسح أمام خصومه ومتهميه بالعمالة والخيانة مجالاً جديداً لتعزيز الشكوك. والواقع في هذا الاطار أن جميع تصرفات روجر كانت عرضة للريبة قبل استقالته. ثم موضوعاً لأكثر من تحقيق بعد ذلك، ثم حكاية طويلة وخطيرة تثير اهتمامات الحكومة البريطانية بالذات بعد وفاته ببضعة أعوام وعرضاً تفصيلياً لأعمال من وصفته المخابرات الأميركية « بأخطر الجواسيس ضرراً في التاريخ ».

○ لقد تناولنا حتى الآن حياة روجر من بداياتها وسردنا بعضاً من الحوادث والقضايا التي أدت إلى تزايد الارتياب فيه، وهو المسؤول الأول عن الدفاع عن الدولة والحؤول دون تسرب أسرارها إلى الخصوم فهل يستطيع المشككون به أن يثبتوا خيانته ؟ فلنتابع القصة للآخر :

○ ظلت المعلومات السرية الخطيرة تتسرب الى المخابرات السوفياتية أولاً بأول وعلى مدار الأيام والشهور والسنين. هكذا توحي الأحداث المتوالية بالنسبة لعدد من رجال المخابرات البريطانية ولكن روجر نفسه كان يرفض اجراء التحقيقات مع أحد من منتسبي المخابرات البريطانية « بحجة » ان توجيه التهم مهين للعاملين في هذه المخابرات ويؤدي الى تثبيط العزائم وتدمير المعنويات، إن لم يؤد الى اضطراب العلاقات بين الدول الصديقة لبريطانيا، وكثيراً ما سخر من القول « بوجود » عملاء للسوفيات ضمن المخابرات البريطانية. وهو نفسه الذي وقف بوجه التوسع في التحقيق مع أحد رجال البحرية بلاي هوتون عن علاقته بالمخابرات السوفياتية بعد أن تلقت المخابرات الأميركية وشاية عنه من أحد عملائها في بولونيا ويدعى ميكل غولينفسكي ولقبه « القناص » الذي أكد أيضاً وجود عميل كبير للسوفيات في المخابرات البريطانية. وكان مبرر « المدير العام » روجر نفسه لمعارضة التحقيق الموسع، إن ذلك قد يضر بمنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) لأنه سيتناول أشخاصاً آخرين أيضاً، ويفضح عدداً من كبار المسؤولين الغارقين في حياة الشذوذ الجنسي. وأيضاً أُبلغ روجر عن وجود عميل بريطاني لتشيكوسلوفاكيا ينقل معلومات عن الصواريخ البريطانية ولكنه كمدير للمخابرات البريطانية لم يفعل شيئاً مع العلم بأن العميل ألقي القبض عليه وأدين قضائياً بهذه التهمة وأودع السجن.

○ وأيضاً جرى اعتقال أعضاء حلقة تجسس في البحرية البريطانية بقيادة مسؤول في المخابرات السوفياتية حمل اسماً مزوراً هو (غوردون

لونسدايل) وأدت التحقيقات التي أجرتها المخابرات البريطانية إلى معرفة تحركات لونسدايل واتصالاته (قصته الكاملة للراغبين منشورة في الصفحة ٤٠٣ من الجزء الثاني من هذه الكتب عن المخابرات) ثم إلى مداهمته وهو يجري اتصالاً لاسلكياً مع إدارة المخابرات السوفياتية في موسكو. كان المحققون ينوون مواصلة التكتم حول الموضوع للكشف عن أعضاء آخرين واعتقالهم، ولكن الخوف من تسرب النبأ إلى السوفيات « بَتَرَ » عملية التحقيق وفرص الاسراع باعتقال لونسدايل. ولعب المدير العام روجر دوراً مهماً في بتر التحقيق وإعلانه وإنذار من يجب إنذاره قبل توسع التحقيق.

○ حتى عام ١٩٦٤ كان عدد الذين افتضح أمرهم من أفراد الحلقة الخماسية الذين يعملون للمخابرات السوفياتية كما سبق أن ذكرنا أربعة وهم: ماكلين وبيرغيس، وفيلبي، وبلنت. وبقي الخامس الذي كان معروفاً أن اسمه المتداول في الاتصالات السرية هو (إيلي — ELLI) وهو روجر هوليس بالذات. إن اعترافات بلنت لم تثبت ذلك ولم تنفه. ثم أن القرائن التي أثبتت ذلك على وجه اليقين والقطع ودون أدنى شك ليست متوفرة، ولكن استمرار انتقال المعلومات السرية الى المخابرات السوفياتية أثبتت وجود رجل خامس وفي مركز عال في المخابرات البريطانية. والدليل على ذلك تطورات لا يمكن أن يعرفها غير روجر أو من هو في مركزه.

○ لقد وجدت المخابرات البريطانية « صعوبة » إلى درجة الاستحالة في تجنيد مواطن سوفياتي واحد من الجالية السوفياتية أو من أعضاء السفارة السوفياتية في لندن ليعمل لمصلحتها أثناء رئاسة روجر للمخابرات البريطانية. وتفسير ذلك أن روجر نفسه ومنذ كان يرأس قسم مكافحة المخابرات السوفياتية إلى أن رأس المخابرات البريطانية كان « يبلغ » المخابرات السوفياتية عن مثل هذه المحاولات. وبهذه المناسبة

شهد ضابط مخابرات سوفياتي كان على صلة بالمخابرات الأميركية أن الجالية السوفياتية في لندن لم يكن لها قسم خاص بها، كما هي الحال بالنسبة للجاليات السوفياتية في دول أخرى. لا بد أن روجر نفسه كان هو « المخبر » بالنسبة لأفراد هـذه الجاليـة. وَمَـنْ غيـره فـي مركـزه السابق كرئيس لقسم المكافحة، أم في مركزه التالي، كمدير عام للمخابرات، يستطيع أن يحصل على أسماء الرجال السرّيّين الذين يعيّنون من قبل المخابرات البريطانية « لمراقبة » المشتبه بهم من الروس ؟ إنه روجر الذي كان ينقل هذه الأنباء للمخابرات السوفياتية. وقد تأكدت المخابرات البريطانية أنها لم تكن تتخذ إجراءآت لمراقبة أي مسؤول سوفياتي في لندن حتى يقوم هذا المسؤول بتغيير كل نشاطاته السابقة بما في ذلك نقل السكن حالاً إلى سكن جديد غير معروف من قبل المخابرات « مما يؤكد معرفته بأنه كان تحت مراقبة المخابرات ».

○ وإذا لم نأخذ بمعلومات نقلها عملاء ومخبرون في سفارات غربية في دول شرقية، أو مواطنون سوفيات عاملون في المخابرات السوفياتية ثم انقلبوا ولجأوا الى الغرب، عن وجود موظف كبير في المخابرات البريطانية « يعمل » لمصلحة المخابرات السوفياتية، فمن كان يستطيع أن يعرف بوجود ثقب صغير بقدر رأس دبوس في جدار السفارة السوفياتية في لندن للتنصت على السفارة ؟ إن اكتشاف ذلك بالصدفة مستحيل، فكيف إذا كان اكتشافه قد تم بسرعة ؟ ومن المعروف أن لدى المخابرات السوفياتية في موسكو ملفاً كبيراً عنوانه « معلومات عن المخابرات البريطانية » ومن الطبيعي أن يكون روجر هو الذي وفر هذه المعلومات لأن المعلومات التي تجمعت حول ذلك الملف تشير إلى أنه هو « الرجل الخامس » في حلقة الجواسيس الكبار.

○ كان نشاط روجر لمصلحة المخابرات السوفياتية « يتجاوز » لندن ليصل الى السفارتين السوفياتيتين في « أوتاوا » بكندا و« كانبيرا »

في اوستراليا. في هذا الوقت كان روجر قد أصبح « نائباً » لمدير المخابرات البريطانية وهذا المركز يتيح له الاطلاع على معلومات سرية وخطيرة ومهمة.

○ شب حريق في السفارة السوفياتية في كندا ولما أرادت السلطات السوفياتية إعادة بناء سفارتها، استغلت السلطات الكندية والمخابرات البريطانية هذه المناسبة فدسّت بين العمال الذين قاموا باعادة البناء بعض خبراء المخابرات لادخال أجهزة تنصت سرية. وقد تم وضع الاجهزة والميكروفونات أثناء البناء وصب الباطون المسلح، لكنه تبين بعد وقت أن السلطات السوفياتية عرفت واكتشفت أجهزة التنصت هذه فحفر فريق من الخبراء السوفيات وحصروا أماكن الميكروفونات ومن ثم أجروا تعديلاً في غرف المخابرات وأمكنة اجتماعات السفير بهم، وبعد ذلك أصبحت المخابرات السوفياتية ترسل عبر هذه الأجهزة معلومات لا قيمة لها تضليلاً للمتنصتين. إنها المخابرات المضادة.

○ علمت المخابرات الاوسترالية أن السوفيات يعملون على قلب حكومة أوستراليا فعمدت هذه المخابرات إلى وضع أجهزة تنصت في السفارة السوفياتية، خاصة في مكتب رئيس فرع المخابرات. كانت هذه الأجهزة تدار بتموجات إشعاعية من أمكنه مجاورة للسفارة ولكن مخابرات السفارة السوفياتية كشفت ذلك وتركت هذه الأجهزة تعمل.. وإنما في نقل معلومات غير ذات قيمة، بحيث أضاع الأوستراليون وقتهم وجهدهم سدى. وبذلك فشلت الحكومة الأوسترالية في محاولاتها، وقد وافق رئيس الحكومة الأوسترالية على تخصيص مراقبين سريين من المخابرات الأوسترالية لأفراد البعثة السوفياتية الدبلوماسيين في أوستراليا، ولكن المراقبة لم تسفر عن نتيجة لأن روجر رئيس المخابرات البريطانية قد علم بذلك وسرّب الخبر الى السوفيات.

○ استطاع روجر مدير المخابرات البريطانية اقناع وزارة الداخلية باعلان ان السلطات البريطانية ستعتقل ماكليـن وبيرغيس إذا « مرّا » ببريطانيا، وكان العميلين سيمران بلندن وهما في طريقهما إلى مؤتمر في كوبا وقد لا يكون مثل هذا الاعلان ضرورياً « لتحذيرهما » ولكنه يعتبر نوعاً من التنبيه من المدير العام للمخابرات البريطانية الذي كـان يقضُ مضجعه أدنى احتمال لوقوع أحدهما في أيدي مخابرات بلاده لأن ذلك سيؤدي بطبيعة الحال الى كشفه وفضحه.

بداية ونهاية

○ في سنة ١٩٦٥ وبعد حياة حافلة وخدمة المخابرات البريطانية من موظف حتى وصوله الى مرتبة المدير العام « استقال » روجر هوليس من إدارة المخابرات البريطانية ليعيش حسب ادعائه في حينه « حياة هادئة » وبعد ذلك لوحظ أن المخابرات البريطانية ولأول مرة منذ استقالته من منصبه « استطاعت » هذه المخابرات أن تحقق بعض الانتصارات على المخابرات السوفياتية في حربهما السرية الدائمة والمستمرة حتى أيامنا هذه.

○ أول ما نشير إليه هنا هو اعتقال المخابرات البريطانية لجاسوس للمخابرات السوفياتية « جورج بلايك » الذي كان يعمل في المخابرات البريطانية نفسها وقد تمت عملية اصطياده واعتقاله في الأيام الأخيرة من خدمة روجر وبدون علمه وقد فوجئ بها ولم يستطع انقاذه.

○ بعد ذلك عمدت السلطات البريطانية الى « طرد » مائة ضابط مخابرات سوفياتي كانوا يعملون في السفارة السوفياتية في لندن وقد عرفت اسماؤهم من عميل بريطاني في المخابرات السوفياتية جرى التعامل معه بعد استقالة روجر.

○ حتى الجاسوس الالماني الشرقي غونتر غيوم « مستشار »

المستشار الالماني السابق فيلي برانت لم يكن من الممكن كشفه لو بقي روجر على رأس المخابرات البريطانية لثبوت صلة المخابرات البريطانية في كشفه (صفحة ٣٧٧ حتى ٣٨١ ــ من الجزء الأول من هذه الكتب المسلسلة عن المخابرات).

○ يؤخذ على روجر أنه لم يجر أي تحقيق بوفاة هيو غايتسكيل « بمرض غامض » أثبت خبراء المخابرات البريطانية بأن المخابرات السوفياتية « دسّت » له جرثومة في القهوة والكعك الذي قدمته أثناء زيارته للقنصلية السوفياتية في لندن لأخذ « تأشيرة » لزيارة الاتحاد السوفياتي. ومن المعروف أن غايتسكيل كان المرشح الأقوى لزعامة حزب العمال ومعروفاً باتجاهاته اليمينية في الحزب وحرصه على التعاون العسكري والنووي مع الولايات المتحدة، ويعتبر اغتياله من قبل المخابرات السوفياتية حدثاً تاريخياً في حزب العمال أتاح لليسار البريطاني فرصة القبض على زمام الأمور.

○ في معرض الصراع الداخلي في بريطانيا بين حزبَيْ المحافظين والعمال، وقعت فضيحة جنسية بطلها وزير الحربية السابق جون بروفوميو بسبب علاقته بفتاة شابة تعمل بغي راقية وتُطْلب «بالهاتف اسمها « كريستين كيلر ».والقصة باتت معروفة لا سيما وقد نشرت الفتاة قصتها في الصحف البريطانية الباحثة عن الفضائح. ونحن أيضاً نشرنا القصة كاملة في الجزء الأول من سلسلة المخابرات والعالم في الصفحة (٢١٩) وأسفرت هذه الفضيحة الأخلاقية فيما بعد عن:

١ ــ تعرض الحكومة البريطانية للانتقاد في مجلس العموم (في حينه).
٢ ــ استقالة الوزير جون بروفوميو من وزارة الدفاع.
٣ ــ طلب مغادرة الملحق العسكري السوفياتي « يوجين إيفانوف » خلال ثلاثة أيام وفعلاً غادر لندن في حينه.

٤ ــ استقالة مدير الفرع أم ــ إي ــ ٦ وليس المدير العام روجر هوليس.
٥ ــ انتحار المخبر الأساسي وهو ستيفان وارد.
٦ ــ الشهرة التي اكتسبتها صاحبة الفضيحة كريستين كيلر والأموال التي غنمتها من الصحف والتلفزيون حتى أن هذه الفضيحة أنتجت فيلماً سينمائياً.

والمهم في هذه الفضيحة موقف مدير المخابرات البريطانية روجر واهتمام المخابرات السوفياتية بها في معرض السعي للحصول على معلومات بشأن تسليح المانيا الغربية في حينه بأسلحة ذرية. ويبدو أن أهمية القصة نشأت عندما ارتبطت كريستين كيلر بعلاقة جنسية مع الملحق العسكري السوفياتي في لندن يوجين إيفانوف وكانت تدعوه بالفحل. ونتيجة هيامها به أخذت تقص عليه أثناء ساعات المتعة والجنس ما تعرفه عن أصدقائها ومنهم السير جون بروفوميو وزير الدفاع البريطاني فطلب منها الحصول من الوزير المذكور على معلومات حول تزويد بريطانيا لالمانيا الغربية بالأسلحة الذرية .ولكن وزير الدفاع انتبه للفخ السوفياتي ورفض أن يقول ما يعمله. ففشلت المحاولة السوفياتية هذه لا سيما وإن جهات أخرى غير المخابرات وضعت يدها على القضية وعملت على إفشال المحاولة السوفياتية وكانت النتيجة بالنسبة للسفارة السوفياتية بأن طلبت من ملحقها العسكري مغادرة لندن بناء لطلب وزارة الخارجية البريطانية وانتهى الأمر عند هذا الحد. وفي نظر متهمي روجر مدير المخابرات أن المخابرات السوفياتية.لم تكن تستطيع توجيه القضية لصالحها على أحسن مما فعل روجر مدير المخابرات البريطانية.

○ بعد خمس سنوات من استقالته تجمع لدى المخابرات البريطانية عددٌ من الأدلة ضده وقد ضمت جميعها بشكل ملف عهد به الى خلفه في رئاسة المخابرات البريطانية للتحقيق معه للكشف عن الواقع ليس إلا.

والظاهر أن هذا التحقيق الذي استمر بضع جلسات خلال يومين أثبت رباطة جأش روجر في جو التحقيق المكهرب وليس براءته. لأنه اعترف بعلاقاته ببعض الشيوعيين في جامعة أوكسفورد كما اعترف بصلته بأغنيس في شنغهاي، لكنه عجز عن تبرير رغبته في الانضمام إلى سلك المخابرات، كذلك لم يكشف بوضوح عن تحركاته ونشاطاته منذ عودته من الصين مما أضفى الغموض على تحركاته خلال هذه الفترة، كذلك تناسى عنوان منزله في أولى مراحل حياته بعد العودة من الصين، وأنكر معرفة أحد الموظفين في المخابرات البريطانية مع أنه كان صديقاً حميماً للجاسوس الآخر بيرغيس. والغريب في الأمر أنه لم يعثر له على ملف في كل تلك السنوات.

أما بالنسبة لخلافه مع المحقق المقتدر آرثر مارتين ورفض تكليفه بالتحقيق مع كيم فيلبي فأجاب روجر في التحقيق : إن سبب ذلك يعود الى ميول هذا المحقق وأساليبه الشبيهة بميول الغستابو أي المخابرات الألمانية أثناء حكم هتلر. كذلك تبين من هذا التحقيق أن روجر كان يعارض اجراء تحقيقات بشأن الاختراق السوفياتي للمخابرات البريطانية، كما تبين أن ذاكرته كانت « وفق » رغبته ومصلحته، تخونه في مناسبات معينة من التحقيق، أو حين تكون أجوبته غير مقنعة، ولا تخونه في مناسبات أخرى. وأما بالنسبة لمحاكمته كرئيس للمخابرات البريطانية وله حصانة أقوى من حصانة رئيس مجلس العموم البريطاني. فقد ارتأت الحكومة البريطانية أن ذلك لا يخدم مصلحة الوطن كما أن المحاكمة سوف تضر بالعلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية التي كان لديها دائماً من يشكك بالمخابرات البريطانية ويدعو إلى الاحتياط منها وعدم التعاون معها. أثناء التحقيق مع رئيس المخابرات السابق استمر روجر محافظاً على رباطة جأشه، ولم يتراجع لأنه كان خبيراً ويعلم أن « القانون البريطاني » لا يحاكمه إذا لم يعترف، ولذلك أصر على

الصمت أو النسيان أو الانكار. ولعل أبرز ما يثبت هذه القدرة على رباطة الجأش والانضباط هو حديث جرى بين روجر وأحد المحققين على الوجه التالي :

ــ قال روجر للمحقق : لماذا تعتقد أنني جاسوس ؟

بلع المحقق ريقه وهو يحقق مع رئيسه السابق ثم روى له الأسباب التي تدفعه على هذا الاعتقاد ثم سأله :

ــ هل تنكر هذه الحقائق الثابتة ؟

وهزّ روجر كتفيه وقال :

ــ إن كل ما أستطيع أن أقوله هو أنني لست جاسوساً.

المحقق : وهل لديك ما يثبت هذا النفي ؟

ردّ روجر على ذلك وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة :

ــ كلا وهل تحسب أنك وضعت القيود في يدي ؟

ثم عاد إلى منزله بمنتهى الحرية وكأن شيئاً لم يكن.

○ في سنة ١٩٧٣ توفي روجر هوليس أثر نوبتين قلبيتين، وهو بالطبع عالم بما كان يدور حوله من شبهات من اصرار الكثيرين على اثبات هذه الشبهات. وما كان لوفاته أن تنهي القضية. ومرة أخرى أثيرت قضية اتهام روجر بالجاسوسية حتى بعد وفاته وبقوة وبتحريض من رجال المخابرات البريطانية. وكان لا بد من تحقيقات جديدة تتناول التحقيقات السابقة كلها بدون استثناء في محاولة جديدة للبت بالموضوع. وفي سنة ١٩٧٤ قامت لجنة ثانية بعملية التحقيق بشأن التهمة الموجهة إلى روجر وابتدأت عملها بمقابلات مع الأحياء واعادة النظر بملفات التحقيق السابقة فأثبتت وجود عميل أو عميلين على الأقل في دوائر المخابرات البريطانية من غير تسمية. وقد استمرت تحقيقات هذه اللجنة وهي برئاسة اللورد تريند سنة كاملة، فشملت أعمال اللجان السابقة وملفات موظفين في مراتب مختلفة وتبين لها أن المخابرات

البريطانية كانت في الواقع مخترقة حتى النخاع، لكن تحديد الأشخاص لم يكن ممكناً. وإن القرائن لم تكن لتدين روجر على وجه القطع واليقين ودون أدنى شبهة.. كما أنها لم تكن لتبرئه. والملاحظ أن اللجنة قررت عدم نشر التحقيقات والملابسات. وفي رأي البعض أن تكليف اللورد تريند باجراء التحقيق كان يستهدف لفلفة القضية، والجدير بالذكر أن التقرير النهائي لم ينشر كله ولا يسمح بنشره حتى سنة ٢٠٠٤ م أي بعد انقضاء ثلاثين عاماً على اجراء التحقيق حسب القوانين البريطانية.

○ بعد هذا كله يجب أن نتساءل : هل نجح الخصوم باثبات التهمة على روجر وهل هو حقاً عميل مزدوج؟ وهل أدّت التحقيقات للوصول الى الرجل الخامس في الحلقة؟ وهل انتهت الاختراقات حقاً؟ لقد ذكرنا في هذا الفصل العجيب جميع القرائن التي تشير بأصابع الاتهام، مباشرة أو غير مباشرة. ولكن اللجنة لم تستطع أن تعتبر ذلك كله كافياً للادانة والاثبات. إن العناصر التي يمكن الاستناد اليها لادانة روجر تتلخص بعدة نقاط أبرزها :

أولاً : اعترافات بعض رجال المخابرات السوفياتية الذين لجأُوا إلى الغرب.

ثانياً : وجود روجر في مركز يستطيع معه أن يعرف كل شيء ومعرفة السوفيات بالتالي بالكثير مما كان يدبر للسفارات السوفياتية.

ثالثاً : معارضة روجر للتحقيقات الموسعة عند ظهور شبهات في هذا المجال.

رابعاً : روجر لم يذكر صداقاته وعلاقاته القديمة وحتى عنوان منزله وهذا منتهى الدهاء.

خامساً : امتناعه عن تقديم العملاء السوفيات لدى اعتقالهم إلى القضاء.

سادساً : امتناعه أيضاً عن اتخاذ التدابير المتوقعة في حالات معينة.

كل ذلك مما زاد الشك به. ولعل أبرز « مبرر » لاتهامه هو أن المخابرات البريطانية لم تستطع أن تحقق أية نجاحات في مكافحة الجاسوسية والمخابرات السوفياتية أثناء إدارته للمخابرات البريطانية، بالمقارنة مع النجاحات التي تحققت في هذا المجال « بعد استقالته » كل ذلك كان يدفع بالتأكيد الى عمالته للمخابرات السوفياتية.

○ رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر قالت إن مبرر إجراء التحقيقات بشأن السير روجر هوليس حتى بعد وفاته كان لوجود دلائل، لا اثباتات، تشير إلى وجود عميل روسي في مركز عال في المخابرات البريطانية. وقد اعتبرت صحيفة « التايمز » اللندنية هذا التصريح من تاتشر اعترافاً رسمياً بشكوك خطيرة حول السير روجر هوليس، لم يؤد التحقيق إلى نفيها. وهكذا تنتهي هذه القصة العجيبة عن الجاسوسية والمخابرات والتي كان من الممكن أن لا يصدقها أحد لولا البراهين والحقائق التي قدمناها بين يدي القارئ كعادتنا في هذه الكتب عن أعمال المخابرات في العالم.





قصر وست مينستر.



تاتشر تعترف بتجسس روجر.

أضخم فضيحة تجسس في بريطانيا



○ بلاء بريطانيا بالجواسيس العظام الذين يعملون للمخابرات السوفياتية.

○ مستشار الملكة اليزابيت جاسوس للمخابرات السوفياتية منذ ٢٥ سنة وبمعرفة المخابرات البريطانية.

○ المخابرات السوفياتية تعرف أدق الأسرار عن العائلة المالكة البريطانية وجميع الأمور السياسية الهامة في بريطانيا.

○ أصيب الأمن البريطاني ومن ورائه المخابرات البريطانية بأضرار فادحة نتيجة هروب كل من دونالد ماكلين وجاك بيرغيس وجورج بليك وأهمهم كيم فيلبي وغيرهم من الجواسيس المزدوجين إلى الاتحاد السوفياتي، ومن هذه الأضرار كشف عشرات الجواسيس الذين زرعتهم المخابرات البريطانية والغربية في بلدان الكتلة الشرقية واعدام بعضهم نتيجة كشفهم ومن ثم توقف حصول المخابرات البريطانية على

المعلومات عن الدول الشرقية وخاصة الاتحاد السوفياتي لمدة طويلة حتى تمكنت المخابرات البريطانية والغربية من زرع بعض العملاء الجدد لكنهم لم يكونوا بأي حال أحسن من العملاء الذين كشفوا. ومع ذلك « بقيت ثغرة » في بريطانيا تتسرب منها المعلومات الى الاتحاد السوفياتي فأثيرت الشكوك حول « السير أنطوني بلانت » مستشار القصر الملكي في لندن وهو بنفس الوقت مستشار الملكة اليزابيت الفني. ولكن أحداً لم يستطع إظهار هذه الشكوك من القلب إلى العلن حتى عام ١٩٧٩ حين قامت المخابرات البريطانية بتكليف القاضي ستيفن بلوك وهو من القضاة البريطانيين المتمرسين في عملهم بالتحقيق في هذه « الشكوك ». وقد اصطدم هذا القاضي في كل مرة كان يطلب فيها المستشار أنطوني بلانت للتحقيق معه حول الشكوك به، بصدور أوامر ملكية من القصر الملكي بالذات باقفال ملف التحقيق. وكان يقال تلميحاً عن القصر بأن سبب إقفال التحقيق بأوامر ملكية هو لسدّ الطريق على الاشاعات التي ستطلق حول المستشار بلانت فيما لو خضع للتحقيق أو اعتقل لأن هذه الاشاعات كانت ستخترق « حزام العفة » الذي يحيط بأسرار العائلة المالكة البريطانية، وكان بعض الذين يقفون وراء أنطوني بلانت ويحبونه عن غباء ودون علمهم أنه يعمل قبلاً للمخابرات السوفياتية، يصورون للملكة بأن « أعداء التاج البريطاني » يراهنون على انهيار الملكية في بريطانيا من وراء مثل هذه الادعاءات. ولكن الصحف البريطانية التي تبحث عن الأسرار والفضائح الحقيقية لتقديمها إلى ملايين القراء أكدت أن الملكة اليزابيت تعلم منذ عام ١٩٧٥ بنشاط « مستشارها » الذي كان يتخذ من البلاط الملكي فترة ذهبية يختبئ وراءها، ولكن الملكة لم تفعل شيئاً تجاه بلانت لأنها كانت مقتنعة بأن مستشارها فنان يتعاطف فقط مع الفنون السوفياتية، وأن المسألة لا تتعدى كونها « تعاطفاً وجدانياً » يمتلكه فنان حيال أوضاع معينة. ومع ذلك حاول رجال المخابرات البريطانية إيجاد تفسيرات مغرضة وسيئة ضدّه ولكن

عندما يجد ضابط المخابرات مهما كانت رتبته بأن الملكة شخصياً « تحمي » مستشارها المتورط وتنفي عنه تهمة التجسس... فماذا يفعل...؟

السقوط :

• من المعروف أن أي جاسوس مهما كان بارعاً في عمله ومتستراً وراء منصبه « لا بد من سقوطه يوماً » ولا بد من أن تضع المخابرات يدها على كتفه « تفضل معنا ». إلّا إذا تدارك الأمر وهرب إلى البلد الذي يتجسس له كما فعل الجواسيس الذين ذكرناهم في أول هذا الفصل. وخير دليل على ذلك إلقاء المخابرات الألمانية الغربية القبض على الجاسوس العقيد « غونترغيوم » الذي وصل بتجسسه للمخابرات الألمانية الشرقية إلى مرتبة السكرتير الأول « مدير مكتب المستشار الألماني الغربي فيلي برانت — في حينه ». الذي لم يتمكن من الهرب فاعتقل وهو على رأس عمله مما سبب استقالة المستشار الألماني بالذات من منصبه الرفيع واعتزاله السياسة.

وأنطوني بلانت الذي نسلط الضوء على قصته كان يتعامل مع نفس المخابرات البريطانية قديماً وقد استخدمته هذه المخابرات رغم معرفتها بكونه ماركسي النزعة، بل ولم يكن ماركسياً عادياً في جامعة كمبريدج فقد قاد « موضة الشيوعية » التي تفشت في حينه .كما أن المخابرات البريطانية التي كانت تأمل منه الكثير تغاضت عن « الشذوذ الجنسي » الذي كان يمارسه بلانت. وكان بلانت قد أعلم كيم فيلبي الذي كان يشغل منصباً مماثلاً في المخابرات البريطانية عن الشكوك التي أحاطت بزميلي الدراسة الجامعية جاك بيرغيس ودونالد ماكلين مما جعله ينصحهما بالهروب « أي فيلبي » لكي لا يقعا في قبضة المخابرات البريطانية وهكذا كان. وقد استمر بلانت في العمل لصالح الفرع (أم —

أي ـــ ٥) حتى قبلت استقالته لينتقل للعمل « مستشاراً فنياً » في قصر برمنغهام وليكون عمله الاشراف على المجموعة النادرة من التحف والآثار التي كانت بحوزة الملك جورج السادس.والسبب المباشر لموافقة القصر الملكي على منحه لقب (مستشار) هو كونه مؤرخاً فنياً عالمياً.

ومن أهم أعماله الفنية دراسة لوحات الفنان نيقولا بوسان ووضعه كتاباً شيقاً عنها دلّ على وجود تعاطف داخلي شديد بين بلانت وبين بوسان صاحب الشخصية المليئة بالمتناقضات والشكوك عدا عن كونه من ألمع مؤرّخي الفن في العالم حتى أن الجامعات الأجنبية كانت تعتمده كمرجع أول في عمليات تقييم النظريات والأعمال الفنية. وقد وجد في بريطانيا بلد المتناقضات « من يقول » : إن المخابرات البريطانية نفسها هي التي « زرعت » بلانت في القصر الملكي لتبقى على اطلاع تام ومعرفة « خبايا القصر الملكي » وإن هذه المخابرات كانت تعرف بأن بلانت يتعامل مع المخابرات السوفياتية بتأثير المراهقة الفكرية وإن المخابرات البريطانية أيضاً عادت وأقنعته « بوصل » الخيوط مع موسكو وذلك بالاتفاق مع شريكتها المخابرات المركزية الأميركية التي تقاسمها مثل هذه الأعمال.ولكن بلانت الذي كان يخدم المخابرات السوفياتية عن (عقيدة راسخة) وجد هذه الفرصة مؤآتية لأنه كان منذ نشأته يكره الأنظمة الرأسمالية والملكية خصوصاً. وبعد أن أصبح فناناً مرهف الحس زادت كراهيته لهذه الأنظمة، ووجد في العقيدة الشيوعية راحة نفسه واستقرارها، فأخذ يزوّد الانتلجانس سرفيس « قبل استقالته » بمعلومات (خاطئة) سواء عن القصر أو عن العملاء السوفيات. بينما كان يزوّد المخابرات السوفياتية بمعلومات (صحيحة) وقد رأى أن هذه خير وسيلة لتحطيم الملكية من الداخل.

○ الكاتب البريطاني الشهير « أندرو بويل » بقي سنوات طويلة وهو يتقصى أعمال المخابرات البريطانية وعملائها في الداخل والخارج.وعندما

تجمعت لديه معلومات مذهلة عن هذه المخابرات وكيف تعمل أصدر كتابه الشهير (مناخ الخيانة) الذي كشف به شبكة جاسوسية مؤلفة من خمسة وعشرين عميلاً وعلى رأسهم المستشار أنطوني بلانت الذي أثبت أندرو أنه عميل للاتحاد السوفياتي... وكان بلانت من الذكاء بحيث هيأ نفسه لمثل هذه الفضيحة المرتقبة فحبس نفسه في مكتبه بالقصر الملكي تاركاً الأمور بين يدي الملكة. عند ذلك أسقط في يد الملكة فاستدعت مارغريت تاتشر رئيس الوزراء وعقدت معها اجتماعاً مغلقاً توجهت تاتشر بعده إلى مجلس العموم البريطاني الذي انعقد في جلسة مغلقة أيضاً وصرحت أمام الأعضاء: « إن السير أنطوني بلانت (المستشار الفني للملكة) كان يعمل لحساب المخابرات السوفياتية ». بينما كانت الملكة تستمع الى اعتراف رئيسة وزرائها بتجسس بلانت وعيناها تدمعان لدى سماعها ذلك، ولكن هل تكفي هذه الدموع لطي دور الملكة في هذه القضية ،لأنه من الثابت من التحقيق فيما بعد أن بلانت سبق أن أخبر سكرتير الملكة بعمالته للمخابرات السوفياتية بحكم كونه صديقاً له وان هذا السكرتير أبلغ الملكة بذلك.ومع هذا فإن الملكة تجاهلت الموضوع وكأن بلانت قد ارتكب « مخالفة سير » ولم يرتكب « الخيانة بحق وطنه » بحيث علم البريطانيون من صحفهم أن جميع أسرارهم وأسرار ملكتهم قد ذهبت الى المخابرات السوفياتية على طبق من ذهب.. ومع ذلك باعتقادنا كخبراء في هذه الأمور التي تحدث في أغلب دول العالم أن هذه القضية طويت بعد أن منح أنطوني بلانت « حصانة ملكية » مثلما طويت قضايا غيره من الجواسيس العظام.ولو أن قضية مثل هذه القضية قد حصلت في أيّ بلد آخر لدفعت نظام ذلك البلد للسقوط ولكن في بريطانيا كم من الأمور تطوى بهذا الشكل حيث أصبح المجهول في قضية هذا الرجل أكثر من المعلوم. ولعل هذه هي المرة الأولى التي تطرح فيها قضية جاسوس من هذا الحجم « في حضوره » أي دون أن يكون قد فرّ كفيلبي أو مات كروجر. وأهم ما في هذه القصة عن الجاسوس.

بلانت الذي اعترف عن تجسسه للمخابرات السوفياتية وأعطي حصانة كما ذكرنا لقاء هذا الاعتراف. وبالتالي لم تتمكن المخابرات البريطانية من تقديمه للمحاكمة، فعاد للعيش كإنسان مثقف وفنان. ومع ذلك أخذ بعض السياسيين البريطانيين الذين هزّتهم الفضيحة يحاولون نبش تهمٍ أخرى غير التي اعترف بها. قد دفع هؤلاء السياسيون بعض الصحافيين البريطانيين لاستجواب بلانت في مبنى صحيفة « التايمز » اللندنية المعروفة، حيث قَبِل بلانت التعرض لهذا الاستجواب بروح رياضية لأنهم صحافيون وليسوا مخابرات.



الجاسوس غونتر غيوم بجانب المستشار فيلي برانت.



تاتشر أبكت الملكة باعترافها بتجسس بلانت.

أنطوني بلانت جاسوس بحصانة.



تبديل الحرس في القصر الملكي

ثلاثة صحافيين يستجوبون الجاسوس بلانت
وهذا أهم ما ورد في الاستجواب

○ تقول أنك أخذت اجازة سنة من جامعة كامبريدج، أين قضيت هذه السنة ؟

ـ في روما حيث وضعت دراسة حول الأمور الهندسية. أجل لقد قضيت ذلك العام بين روما وجنوب المانيا.

○ لقد طرحت عليك هذا السؤال لأن البعض يقول أنك ذهبت إلى روسيما للقاء غي بيرغيس العميل الذي فر إلى الاتحاد السوفياتي مع دونالد ماكلين.

ـ لقد ذهبت فعلاً الي روسيا في اجازة ولكن ليس للقاء بيرغيس الذي لم يكن قد فر أصلاً الى موسكو. إنما كانت تلك رحلة سياحية عادية نظمتها وكالة « أنتوريست » وقد ذهبت إلى هناك برفقة بعض الماركسيين واليساريين المتحمسين.

○ هل لك أن تحدد لنا بالضبط التاريخ الذي أقنعك فيه بيرغيس بالعمل للسوفيات؟.

ـ لا، لا يمكنني بالتحديد. لكني أعتقد أن ذلك تمّ في أوائل ١٩٣٦.

○ قلت أن نشاطك في ذلك الوقت كان لمناهضة الفاشية، فهل كانت مهمتك انتقاء المؤهلين للعمل مع المخابرات السوفياتية ؟
ــ نعم.

○ كم رجلاً اخترت للعمل في هذا المجال ؟
ــ إنني لا أستطيع الافصاح عن ذلك وفقاً للقانون المتعلق بأسرار الدولة.

○ خلال تلك الفترة، هل كنت تعرف أن بيرغيس وماكلين لا يزالان يعملان للمخابرات السوفياتية ؟
ــ أجل.

○ كيف حدث ذلك ؟ كيف توصلت إلى معرفة وضع بيرغيس وماكلين ؟
ــ عن طريق كيم فيلبي.

○ متى حدث ذلك ؟
ــ بعد عودة ماكلين من أميركا وقبل فراره إلى موسكو بعشرة أيام.

○ هل أن ماكلين هو الذي أخبرك بأن فيلبي أطلعه على قرب انكشاف أمره وبيرغيس ؟
ــ أجل.

○ ألم تشعر آنذاك أن من واجبك اطلاع المخابرات ؟
ــ لا، لأنهم كانوا أصدقائي.

○ لقد قلت في بيانك الى الصحافة أنك أجريت اتصالاً مع الروس لحساب بيرغيس.

ــ أجل وكان ذلك بعد ذهاب ماكلين. وقد أمرت في ذلك الوقت أن أذهب الى روسيا لكنني لم أذهب.

○ إنك تستخدم كلمة أوامر. ماذا تقصد بذلك ؟ فأنت تقول أنك لم تعمل لحساب المخابرات السوفياتية بعد الحرب ؟

ــ الحقيقة أنني لم أقطع معهم العلاقة رسمياً.

○ إنك تقول أنك لم تتصل بهم خمس أو ست سنوات، فماذا كانوا يعتقدون أنك كنت تفعل خلال هذه الفترة ؟

ــ أعتقد أنهم كانوا يظنون أنني لا أزال معهم.

○ هل كان بيرغيس هو الذي دعاك لكي تعمل مع هؤلاء الناس ؟

ــ نعم.

○ هل كان ذلك لأنك كنت آنذاك في كلية « ترينتي » وتمثل نوعاً من النموذج لجيل من الخريجين ؟

ــ إلى حد ما. ولأنني كنت أسكن في كامبريدج.

○ ماذا كنت تعمل عندما جئت الى لندن ؟

ــ لقد حصلت على عمل في معهد « واربورد ».

○ هل كنت لا تزال تمارس آنذاك مهمة اختيار العملاء للمخابرات السوفياتية ؟

ــ لا.

○ إنني لا أدري كيف ينطبق قانون أسرار الدولة على الافصاح عن عدد أولئك الذين اخترتهم للعمل مع المخابرات السوفياتية ؟

ــ أجل أعتقد أن ذلك ينطبق على هذا القانون.

○ أريد أن أكرر بأن لا يعتبر قانوناً سرياً ما هو ليس معلومات حكومية، فهل أفهم من ذلك أنه طلب منك ألّا تكشف النقاب عن تلك الأسماء ؟

ــ حسناً. ألا يعني لكم أنني قد كشفت عن هذه الأسماء للمخابرات وبالتالي أصبحت (سراً) من أسرار الدولة.

○ هل بحثت هذا الأمر مع المخابرات وهي التي قررت لك ماذا تستطيع أن تفشي من الأسرار وماذا لا تستطيع، وبالذات مع السير روبرت أرمسترونغ الوزير الأول المسؤول عن هذه القضية ؟

ــ لا. إنني أفعل ذلك حسب فهمي لقانون أسرار الدولة.

○ هل كان بيرغيس الرابط الوحيد بينك وبين المخابرات السوفياتية ؟

ــ لقد كنت أعرف أيضاً بوجود فيلبي وماكلين.

○ هل كانت علاقتك الوحيدة مع المخابرات السوفياتية ؟

ــ نعم.

○ ألم يكن هناك رجل أو عميل أو رسائل أو اي شيء من هذا القبيل ؟

ــ لقد أصبحت في النهاية على اتصال شخصي بالمخابرات السوفياتية.

○ على ما نعتقد هناك من يقول أن المخابرات البريطانية رفضت طلبك للعمل معها.

ــ نعم. لقد قبلت ثم رفضت من المسؤولين أنفسهم، ومن ثم انضممت للجيش.

○ علمنا أنك ذهبت الى فرنسا، ثم عدت منها وانضممت الى المخابرات، كيف تقدمت بالطلب وهل رتّب لك احدٌ ذلك؟

ــ فعلاً لقد تمّ ذلك ببساطة، فقد أوصى بي أحد العاملين في المخابرات.

○ هل لك أن تسمي هذا الشخص ؟

ــ أفضل ألّا أفعل.

○ هل كان ذلك الشخص نظيفاً ؟

ــ تماماً.

○ عندما قبلت في المخابرات هل دققوا في أمرك قبل قبولك ؟

ــ أعتقد أنهم فعلوا ذلك بالطريقة الروتينية.

○ هل لأن الجميع كانوا مشغولين في ذلك الوقت ؟

ــ أعتقد أن الأمر كذلك.

○ الأرجح أن الرجل الذي ذكاك للعمل في المخابرات كان يعرف ميولك العلنية السابقة.

ــ نعم.

○ عندما كنت تعمل مع المخابرات السوفياتية، إلى من كنت تقدم المعلومات ؟ هل كنت تقدمها إلى عميل أو الى أحد أصدقائك الانكليز العملاء ؟

ــ إلى الاثنين معاً.

○ إذن لقد التقيت العميل، هل كان روسياً ؟

ــ نعم كان روسياً.

○ هل كان من موظفي السفارة السوفياتية في لندن ؟
ــ أعتقد ذلك.

○ أين التقيتما ؟
ــ حسناً، إنني أعتقد مرة أخرى أن هذه الأشياء يجب عدم ذكرها.

○ أي نوع من المعلومات كنت تقدم ؟
ــ تقريباً لا شيء مهم. ففي تلك المرحلة كنت في قطاع غير مهم اطلاقاً ــ قطاع لم يكن يمكنني من الحصول سوى على القليل من المعلومات ــ كان نوعاً من القطاعات الروتينية جداً.

○ بعد ذلك أي نوع من المعلومات كنت تعطيهم ؟ الأرجح أنك كنت قد أصبحت في منصب أعلى آنذاك.
ــ أجل كنت قد ترقيت. لم يكن منصباً رفيعاً جداً وإنما كنت في وضع يمكنني من الاطلاع على الكثير من المعلومات الهامة.

○ هل كان جهاز « أم. أي. ٥ » من المخابرات البريطانية في ذلك الوقت مهتماً بالنشاط السوفياتي في بريطانيا ؟
ــ نظرياً أجل. وكان هناك « فرع » من الجهاز عمله تتبع النشاط السوفياتي والحزب الشيوعي البريطاني، لكنه كان فرعاً عادياً جداً وغير دقيق.

○ هل كانت لديك معلومات سوفياتية حول هذا الموضوع ؟ ذلك لأننا نعتقد أنه كان هناك بعض القلق من النشاط السوفياتي في بريطانيا والأرجح أنك قدمت للمخابرات السوفياتية مثل هذه المعلومات.
ــ لو توافرت لديّ مثل هذه المعلومات لكنت قدمتها فعلاً، ولكني لا أذكر ذلك.

○ إن الكثيرين من رفاقك في كامبريدج وغيرها تخلّوا عن الشيوعية. لكنك لم تفعل. ماذا كنت تشعر آنذاك ؟

ــ حسناً إنني لم أفعل لأن حجتي كانت ببساطة آنذاك قوية.

○ هل استمروا مهتمين بك ؟ هل كانت لديك اتصالات مستمرة معهم ؟

ــ لا أعتقد. ولكنني لم أكن في مكانة تخولني من إعطائهم أية معلومات مهمة. وثمة من يقول أنني اطلعت على أوراق سرية في قصر باكنغهام، ولكن هذا بالطبع هراء.

○ لقد قيل أيضاً أنك استمريت في العمل معهم على أيّ حال، وإنك كنت صلة الوصل بين بضعة عملاء للمخابرات السوفياتية ؟

ــ إن ذلك غير صحيح مطلقاً.

○ كيف توقفت عن العمل والاتصال مع المخابرات السوفياتية ؟

ــ ماذا تقصد، في أية مرحلة ؟ في نهاية الستينات. حسناً، لقد حصل ذلك. لقد تيقنوا أنني لم أعد مهماً بالنسبة لهم في حينه.

○ إن اسم العميل غي بيرغيس لا يكف عن الظهور. إنه أحياناً يصوّر كسكير وأخرى كشاذ جنسي ومتوحش وما الى ذلك. ويبدو أنه لعب دوراً بالغ الأهمية. كيف تقيِّم أنت زميلك بيرغيس؟

ــ كان بيرغيس شخصاً ممتازاً جداً وكان اكثر اللامعين بين رفاقه الجامعيين. ودعني أشدد وهذا من واجبي بأنه كان من أذكى الرجال الذين عرفتهم.

○ إلى أي مدى كانت إتصالاتك مع الأعضاء السابقين في المخابرات ؟

ــ لم يكن لي أية اتصالات سوى أنني كما أعتقد كنت ألتقي من حين الى آخر بواحد أو اثنين « على كأس » ولم يكن لي أي اتصال رسمي بهم من أي نوع.

○ اذكر أنني قرأت في مكان ما أنك كنت تلتقي بالسير « ديك وايت » الذي كان يحتل مركزاً رفيعاً جداً في المخابرات البريطانية ؟

ــ أجل لقد عرفته. لقد كان السير ديك وايت رئيسي المباشر، إلاّ أنني لم ألتقه سوى مرات قليلة. لقد التقيته طبعاً خلال التحقيق، وبعد ذلك لم أعرفه شخصياً بصورة حسنة... وهو لم يكن من الرجال الذين لهم نشاط اجتماعي.

○ متى ابتعدت عن السوفيات أي عن المخابرات السوفياتية بشكل عملي ؟ هل كانت هناك نقطة حاسمة بالنسبة إلى ذلك ؟

ــ أجل لقد شعرت بوضوح أنني أردت العمل، بعد أن أعطيت « الوظيفة الملكية » فابتعدت عن الجاسوسية.

○ هل خطر في بالك آنذاك أنه بسبب ماضيك قد يكون بعض الاحراج للتاج ؟

ــ أعتقد أنني في ذلك الوقت اعتقدت أن الأمر لن ينكشف على الاطلاق.

○ إذاً الاحراج لم يخطر ببالك؟

ــ الواقع أنني نظرت إلى المنصب كمستشار فني للملكة هو ضمن نطاق اختصاصي الفني الأكاديمي فعلاً، وقد كان مهماً بالنسبة لي لأنه كان في مقدوري القيام به.

○ هل أن المخابرات أعطتك الضوء الأخضر للوظيفة ؟

ــ أجل.

○ هل أخبرت الذين حققوا معك قبل إعطائك الوظيفة عن رفاقك القدامى ؟

ـ أجل. لكني أخشى أنه ليس في استطاعتي أن أجيبك على هذا السؤال بوضوح.

○ تقول في بيانك أنك استجوبت ١١ مرة. ماذا كانت طبيعة تلك الاستجوابات، هل كانت استجوابات بالمعنى الكامل للكلمة، أو كانت مجرد لقاءات وأسئلة حول كأس ؟

ـ قبل كل شيء إن الرقم (١١) لا يعني لي شيئاً في هذا المجال. ثانياً، إن معظم هذه الاستجوابات جرت نتيجة لهروب ماكلين وبيرغيس وكانت تلك الاستجوابات في معظمها عبارة عن محادثات مريحة وفي منتهى الصراحة، لكن كان واضحاً في أيّ حال أني كنت موضع شبهة.

○ هل أن زملاءك السابقين هم الذين أجروا معك هذه التحقيقات ؟

ـ أجل لقد أجراها أناس التقيتهم في لندن، ولكن لم أكن صديقاً لهم.

○ في تلك المرحلة كنت في حالة نفسية قلقة ومع ذلك فقد قطعت مرحلة الاستجواب بهدوء ورباطة جأش ؟ كيف فعلت ذلك ؟

ـ لست أدري، وعلى كل حال لعل المرء ينمي في نفسه شيئاً من المقاومة في مثل هذه الحالات.

○ لقد كان أولئك الذين استجوبوك اناساً تعرفهم. وهذا يعني أيضاً أنهم عملوا معك في المخابرات نفسها ؟ فهل كانوا يعتقدون أنك مذنب ؟

ـ أعتقد أن البعض ظن أني مذنب، أمّا البعض الآخر فلا.

○ عندما أنعمت الملكة عليك بلقب « سير » وهو أمر كما تعرف

من شأنها وحدها ولا حاجة بها للعودة إلى رئيس الوزراء فيه، هل خطر لك آنذاك أن مثل هذا اللقب يجعلك في مكانة رفيعة بحيث أن أي انكشاف لأمرك قد يحرج التاج بعد تلك الاستجوابات ؟

ـ لا. لقد اعتقدت خطأً أن المسألة قد انتهت.

○ هل أصبحت بعد ذلك متفقاً تماماً مع النظام البريطاني ؟

ـ نعم.

○ إن عدداً كبيراً من الناس يتحولون من اليسار الى اليمين وقد أصبحوا إما كاثوليك وإما يمينيين متطرفين. فإلى أي الفريقين تنتمي؟

ـ أنا لا أنتمي لأي من الفريقين، وأعتقد أن الطريقة البريطانية في الحياة الدستورية البريطانية هما الأفضل.

○ لماذا تقول ذلك، هل هي أفضل من النظام الأميركي ؟

ـ دعنا لا ندخل في ذلك. لا علاقة لهذا بذلك.

○ هل لا تزال اذن تحمل شيئاً من العداء نحو الأميركيين ؟ إن ذلك كان معروفاً عنك كما تدري.

ـ لا. كنت سابقاً في حالة حقد وخوف وهستيرية خوفاً من أن تقحم المخابرات الأميركية نفسها في التحقيق.

○ هل قررت الاعتراف بماضيك قبل أن تمنح « الحصانة » أو بعدها ؟

ـ لقد حدث الأمران في وقت واحد تقريباً.

○ هل تعني أنهم عرضوا عليك الحصانة عندما جاءوا لبحث أمر التحقيق معك ؟

ـ نعم.

○ هل لك أن تصف لنا كيف وقعت تلك الأحداث ؟ إن كل شيء يبدو أنه انتهى فماذا حدث ؟

ــ أعتقد أن هذا شيء لا يمكنني الدخول في تفاصيله. لكنهم جاءوا إليّ ببعض المعلومات التي أظهرت لي أنهم كانوا « يعرفون الكثير عني ».

○ أعتقد أنك قلت في الحديث التلفزيوني أن هروب كيم فيلبي هو الذي جعلك تشعر بالتحرر من ولائك لأصدقائك، هل هذا صحيح ؟ وأعتقد أنك قلت أيضاً أن الذي حررك هو الأفعال وليس أقوال أصدقائك.

ــ أجل لقد قلت هذا وهو صحيح.

○ هل أن المعلومات التي حملها إليك جهاز المخابرات كان مصدرها جواسيس هربوا أم من زملاء سابقين؟

ــ لم تكن من الهاربين.

○ وهذا يعني أنها جاءت من زملاء سابقين ؟

ــ أجل، إنها من زملاء أو أصدقاء في المخابرات البريطانية.

○ لقد أدلى فيلبي باعتراف، هل للمرء أن يعتقد بأن الاعتراف الذي أدلى به هو الذي كشف أمرك بحيث تغير الوضع كلياً ؟

ــ لا أعتقد.

○ هل لك أن تعرف مصدر تلك المعلومات، هل أتت من روسيا أم من هذا البلد ؟

ــ إن هذه النقطة كما ترى شيء رئيسي، إنني لا أستطيع أن أفصح عن أي شيء من هذه الناحية.

○ هل أن المعلومات التي أعطيتها للمخابرات البريطانية واعترافك كانا من الأهمية بعد مضي كل هذه السنوات ؟

ـ أجل، لقد اعتبروها مهمة. فقد رأوا برغم أن الزمن قد مرّ عليها أنها منطلق لأبحاث جديدة تؤدي إلى مواضيع جديدة.

○ هل لنا أن نسألك من الذي جاء بالتحديد إليك في هذا الموضوع ؟

ـ كان عضواً بارزاً في فرع (أم ـ إي ـ ٥).

○ هل كان رجلاً تعرفه ؟

ـ أجل كنت أعرفه ولكن ليس جيداً.

○ هل هو المحقق في المخابرات « فيك سكدرون » الذي استجوبك ؟

ـ لا.

○ إذا هل هو المحقق « هولس » ؟

ـ لا. اني آسف لا أستطيع التذكر تماماً. إني أتذكر اسمه الأول ولا أتذكر اسم عائلته.

○ إن السؤال الذي طرحه المهتمون وننقله للقراء هو أنك رجل ارتكبت « خيانة » ضد بلدك بريطانيا، ثم غيّرت رأيك بعد ذلك ولكن بعد أن ارتكبت الجريمة، ويستغرب الكثيرون أن تعطى « الحصانة » بعد أن تكون قد أدليت باعترافك، فهل كان ذلك لأن المعلومات التي أعطيتها ذات قيمة؟

ـ أجل أعتقد أن ذلك كان الدافع. وأعتقد أنهم شعروا بأنني إذا أُعطيت الحصانة فمن الواضح أني أتعاون معهم. ولكني لا أعرف إذا

كانوا قد اعتقدوا أنني سأكون كعميل مزدوج. وإن اعتقدوا ذلك فانهم كانوا على خطأ.

○ هل حاولوا استخدامك كعميل مزدوج ؟
ـ لا. ربما لأنه لم يكن لديّ أية وسيلة لمثل هذا العمل.

○ هل عرضوا عليك الخيار (هذا السؤال مكرر من صحافي آخر) أن تعترف ثم تعطى الحصانة أم ماذا؟
ـ لا، لأن ما فعلت كان بكل بساطة اعترافاً مباشراً.

○ ماذا تفهم الآن عن شروط تلك الحصانة ؟ وكيف فهمتها في ذلك الوقت ؟
ـ لقد فهمتها ولا أزال أفهمها كونها تعني الحصانة التامة من التقديم إلى المحاكمة.

○ أي أنها لا تشمل النشر في الصحافة وكتب المخابرات ؟
ـ لا، لا أعتقد أن ذلك ممكنٌ من الناحية القانونية.

○ لكنك اعتقدت ذلك لبعض الوقت ؟
ـ لقد اعتقدت في الواقع أن القضية كلها ستبقى طيّ الكتمان داخل جدران بناء المخابرات.

○ عرضت عليك هذه الحصانة بتخويل من فرع (أم ـ إي ٥)؟
ـ لقد كنت تحت انطباع قوي، بل أني أخبرت بالواقع أنها عرضت بناء لطلب سلطة عليا.

○ ماذا تعني بـ« سلطة عليا » ؟
ـ لا أريد أن أحدد هذه الأشياء ولكن انطباعي الشخصي أن الذي

أعطى التحويل هو رئيسة الوزراء، غير أني لا أريد أن أؤكد ذلك لأن رؤساء الوزراء يقولون أنهم لا يعرفون على ما يبدو. وربما أنني كنت على حق.

○ هل جاءتك الحصانة ضمن نطاق المفاوضات، أم كصفقة شاملة واحدة ؟
ــ لقد جاءت كذلك، والواضح أنه كانت هناك محادثات قبل ذلك ولكن ليس معي.

○ هل عرضت عليك على أساس أنها مسألة لها سوابق مماثلة وأنهم أقدموا عليها في حوادث سابقة ؟
ــ لا.

○ ألم يقولوا لك بأننا سوف نعطيك الحصانة ؟ وإننا مستعدون بأن نفعل ذلك بالنسبة إلى الآخرين من الذين كانوا أصدقاء لك ؟
ــ لا، كل ما حدث أنه عرضت عليّ أنا الحصانة فقط على حدّ علمي هـذا لم يحدث مع غيري.

○ هل فهمت آنذاك أن الملكة اطلعت على الأمر ؟
ــ حسناً، إنها مسألة أخرى أشعر أنني لا أعرفها تماماً. ففي حينه لم أعرف أي شيء، لكنني أبلغت فيما بعد بأن الملكة كانت مطلعة على الأمر. وكان هذا انطباعي دائماً.

○ إذن إن سكرتير الملكة كان قد علم بالأمر ولكنه قرر بمبادرة منه أن يطلع الملكة ؟
ــ حسناً ولكن ليس في ذلك الوقت. وبعد ذلك تأكدت أن السكرتير الخاص قد عرف، سواء أخبر الملكة أم لا، فإني لا أدري.

○ لقد أكد بيان السيدة تاتشر رئيسة الوزراء، أن بقاءك في منصبك في القصر الملكي كان ضرورياً من أجل تأمين تعاونك مع السلطات ؟
ـ هل قالت ذلك حقاً ؟

○ لقد قالت ذلك مرتين.وورد ذلك في بيانها.
ـ كنت أجهل ذلك تماماً.

○ إن مسؤولياتك في القصر الملكي في ذلك الوقت كانت محصورة في التحف والصور الفنية، إذن أيّ نوع من الصلة كانت لك مع الملكة والناس القريبين منها ؟
ـ كانت صلتي قليلة جداً. فقد كانت مهمتي الرئيسية العناية باللوحات العريقة. وكان يفترض أن أحادث الملكة فقط في حال الاضطرار إلى قرار بشأن إعادة تعليق التحف، أو تغيير الديكور.

○ هل أزعجك انكشاف تعاملك مع المخابرات السوفياتية ؟
ـ بالطبع لقد أزعجني ذلك. وإنني لا أستطيع القول بأني اعتقدت في أية مرحلة بأن الحصانة تعني أن الأمر لن ينكشف، لا بصراحة. ولقد قيل بأني غضبت من السيدة تاتشر لأنها خرقت دورها في صفقة الحصانة لكن الواقع أني لم أقل شيئاً من هذا القبيل.

○ لقد قال أحد أصدقائك أنك أخذت تصبح أكثر راحة مع الناس وأكثر اطمئناناً، هل هذا صحيح ؟
ـ أجل، وقد ظهر ذلك جلياً عليّ. وكانت راحة كبرى لي أن أزيح هذا العبء عن صدري.

○ لقد قيل أن السبب الذي كشف أمرك ليس الصحافة ولا التلفزيون ولا كتاب المخابرات بل هم بعض أعضاء المخابرات الذين لم يكونوا راضين

عن الصفقة التي تمت معك على الاطلاق وهذا ما حملهم على فضح القضية.

ــ ربما وهذا ممكن . وقد اعتقدت بعض الوقت أن هذا محتمل، ولكن عندما قال أندرو بويل مؤلف كتاب المخابرات في لندن بأن اسمي قد أعطي له من قبل غولوريسز شعرت بأن ذلك كان تفسيراً كافياً. وهذا يعني أنه لم يكن هناك أي تسريب معلومات من الفرع (أم ــ إي ــ ٥)

○ هل كانت لك إتصالات مع أجهزة الأمن الأخرى أو مع أيّ مسؤول آخر حول إمكانية اجراء أي اتصال مع المخابرات السوفياتية أو حول أية معلومات أخرى ؟

ــ لقد استمرت المحادثات والتحقيقات من قبل المخابرات فقط ولفترة طويلة.وأعتقد أنهم كانوا يعدّون في كل مرة بعض الأسئلة.

○ أين تمّ ذلك. ثم هل أنهم كانوا يفرغونك من المعلومات بالمعنى العسكري للكلمة أو ماذا ؟ وهل تمّ ذلك خلال سلسلة من الاجتماعات ؟

ــ أجل تمّ ذلك في سلسلة من المحادثات التي جرت في مقر المخابرات حيناً وفي شقتي حيناً آخر.

○ من الذي كان يستجوبك ؟

ــ لا أعتقد أن ذلك مهم خصوصاً وأن زميلك قد سألني نفس السؤال وعلى كل حال إنه ضابط أحيل على التقاعد.

○ دعنا نطرح عليك سؤالاً عاماً جداً. قد يكون محرجاً بعض الشيء ولكن إذا نظرت إلى إناس مثل بيرغيس وماكلين (وليس فيلبي) ترى أنهم شاذون جنسياً ؟

ــ سبق أن دافعت عن ماكلين وأكرر الآن أنه لم يكن شاذاً جنسياً.



شارع السفارات في لندن مقصد الجواسيس



الجاسوس غاي بيرغيس
هل كان شاذاً؟



كيم فيلبي في شبابه



الجاسوس دونالد ماكلين
كان طبيعياً

○ إن الجواسيس الآخرين اشتهر عنهم أنهم شاذون جنسياً. أقصد هل هناك علاقة ما بين الشذوذ الجنسي وبين الخضوع لمهنة التجسس، هل أن « الشاذ » يفعل ذلك لأنه يشعر بأنه مرفوض من المجتمع ؟

ــ لا أعتقد ذلك، أعني أنه في هذه القضية بالذات فيلبي لم يكن شاذاً على الأطلاق، وماكلين كان طبيعياً إلى حد بعيد، لا أعتقد في حالات الخضوع للتهديد أنه قد استخدم الشذوذ مع غيرهم. لكن هناك أساليب أخرى لابتزاز الانسان من قبل المخابرات وتسخيره لخدمتها.

○ ألم تطلب أو تحاول استئناف الاتصال مع المخابرات السوفياتية بعد حصولك على الحصانة؟ أو بالأحرى بعد انتهاء التحقيق معك وهدوء الأحوال؟

ــ أبداً.

○ قبل ذلك هل جرت أية محاول لوصلك بأية دولة أخرى وراء الستار الحديدي ؟

ــ لا.

○ هل جرى تهديدك في أي وقت من قبل المخابرات السوفياتية أنك إذا لم تنفذ الأوامر فسوف تواجه مضاعفات. وبالأصح هل كان لهم أي ممسك عليك يستعملونه كنقطة ضعف ؟

ــ لا، وأعتقد أنهم كانوا يعرفون بأنني سوف أنفذ طلباتهم.

○ ألم يقولوا لك بأنهم قد يقتلونك ؟

ــ كلا.

○ لكنك في النهاية اعتقلت وأدليت بما لديك ؟

ــ أجل.

○ ماذا كان نوع المعلومات التي أدليت بها، هل أعطيت عدداً من الأسماء؟ من الواضح أنك عرضت تاريخ القضية كلها، لكن المخابرات كانت مهتمة بأسماء الذين كانوا باقين على قيد الحياة
ــ أجل، خصوصاً أولئك الذين كانوا يعملون مع المخابرات السوفياتية.

○ هل استطعت أن تعطي تلك الأسماء وضميرك مرتاح؟
ــ لا، لكني استطعت بخبرتي إعطاء بعض الأسماء دون أن يتعرضوا للأذى.

○ هل استطعت أن تحدد هوية عناصر المخابرات السوفياتية العاملين في هذا البلد ؟
ــ أجل.

○ كيف استطعت تحديد هوياتهم ما دمت لم تكن على اتصال بهم ؟
ــ هنا كان استعمالي للذكاء والخبرة. فقد كان الذين حددت هوياتهم من الذين كنت على اتصال بهم في البداية أي أني أعترف باتصالي بالمخابرات السوفياتية سابقاً استناداً لحصولي على الحصانة ولكن جميع الذين ذكرتهم كانوا قد غادروا لندن. أو أنهم لم يكونوا هنا.

○ هل حددت هوية أي بريطاني يتعامل مع المخابرات السوفياتية أو أحد معاصريك أو زملائك ؟
ــ إن ذلك ــ لا شك ــ كان من الاهتمامات القصوى بالنسبة إلى فرع (أم ــ إي ــ ٥).

○ سرت تكهنات كثيرة أخيراً بأن عدداً كبيراً من الناس هم في مثل

وضعك، البعض قدرهم بثمانية والبعض الآخر يقول عشرين.فما هو تقديرك لهذا العدد ؟

ـ هذا مجرد تكهن. وأعتقد أنه كان هناك عدد كبير من الناس الضالعين في العمل الجاسوسي وأنهم جميعاً توقفوا عن ذلك منذ فترة طويلة.

○ هل لا تزال أسير الرغبة في حماية أصدقائك القدامى في هذه القضية؟ لقد كنت شديد التحفظ حول البعض منهم.

ـ إن هذه المشكلة لم تعد قائمة.

○ هل نفهم من ذلك أن الأصدقاء الذين كنت تدين بالولاء لهم قد ماتوا جميعاً الآن، أو ذهبوا؟ ثم أن جميع اولئك الذي التقيتهم في جامعة كامبريدج قد ماتوا؟

ـ آسف لا أستطيع الاجابة على ذلك.

○ إنك قلت أنه كان هناك عدد كبير من الناس ضالعين في مثل هذا الأمر فهل كان هؤلاء في الخدمة العامة ؟

ـ أعتقد ذلك إلى حد كبير، لكني آسف إذ يجب أن ألتزم الصمت حول هذا الموضوع لأنني أتحدث الآن عن معلومات رسمية عامة.

○ لقد قلت في حديثك التلفزيوني أن حلقة كامبريدج كانت مؤلفة من بيرغيس، وماكلين، وفيلبي، وأنت ولم يكن أحد غيركم ؟

ـ لا.

○ ألا تعتقد أنه كان هناك عملاء آخرون في جامعة كامبريدج ؟

ـ لا، ليس في الوقت الذي تحدثت عنه.

○ لقد قيل أيضاً أن تلك المشكلة لم تكن قائمة في كامبريدج وحدها بل أن أشياء مماثلة حصلت في اكسفورد وجامعات أخرى.
ــ هذه مسألة لا أعرف عنها شيئاً.

○ لكن بالنسبة لتجربتك هل تعتقد أن هذا صحيح ؟
ــ اجل. إذا كنت تطلب مني مجرد التكهن، لا بد من إجابتك أن هذا صحيح.

○ لقد سئلت وأكرر عليك السؤال بالنسبة الى الكشف عن أمرك كخائن .كيف تشعر ؟
ــ من الصعب الرد على هذا السؤال، وأوضح في النهاية أني أصبحت مضطرباً بعد هذا السيل من الأسئلة التي لم تسألها المخابرات لي. أما بالنسبة لشعوري فلا أستطيع تقديم تعبيراً كافياً عنه ولا عما أشعر، إلا أنني « أشعر » وقد يبدو لكم ذلك غريباً، أني تصرفت وفقاً لضميري، أما كلمة « خائن » فهي من ضميركم أنتم فقط.

وهكذا تنتهي هـذه المقابلـة الصحافيـة « الاستجـواب » لجاسـوس القصر الملكي البريطاني « أنطوني بلانت » وقد تجرأ في نهاية هذه المقابلة واعترف لهم بأن اسئلتهم كانت أقوى من أسئلة المخابرات البريطانية أثناء التحقيق معه.ونحن نقول أن موضوع التحقيق معه واعترافه بالتجسس الصريح لصالح المخابرات السوفياتية وحصوله على حصانة حَمَته من إحالته الى المحاكمة كان من أغرب ما مرّ علينا.ومع ذلك يمكن أن يكون في ذلك مصلحة عليا لا نعرفها. إنها دنيا المخابرات. دنيا العجائب.





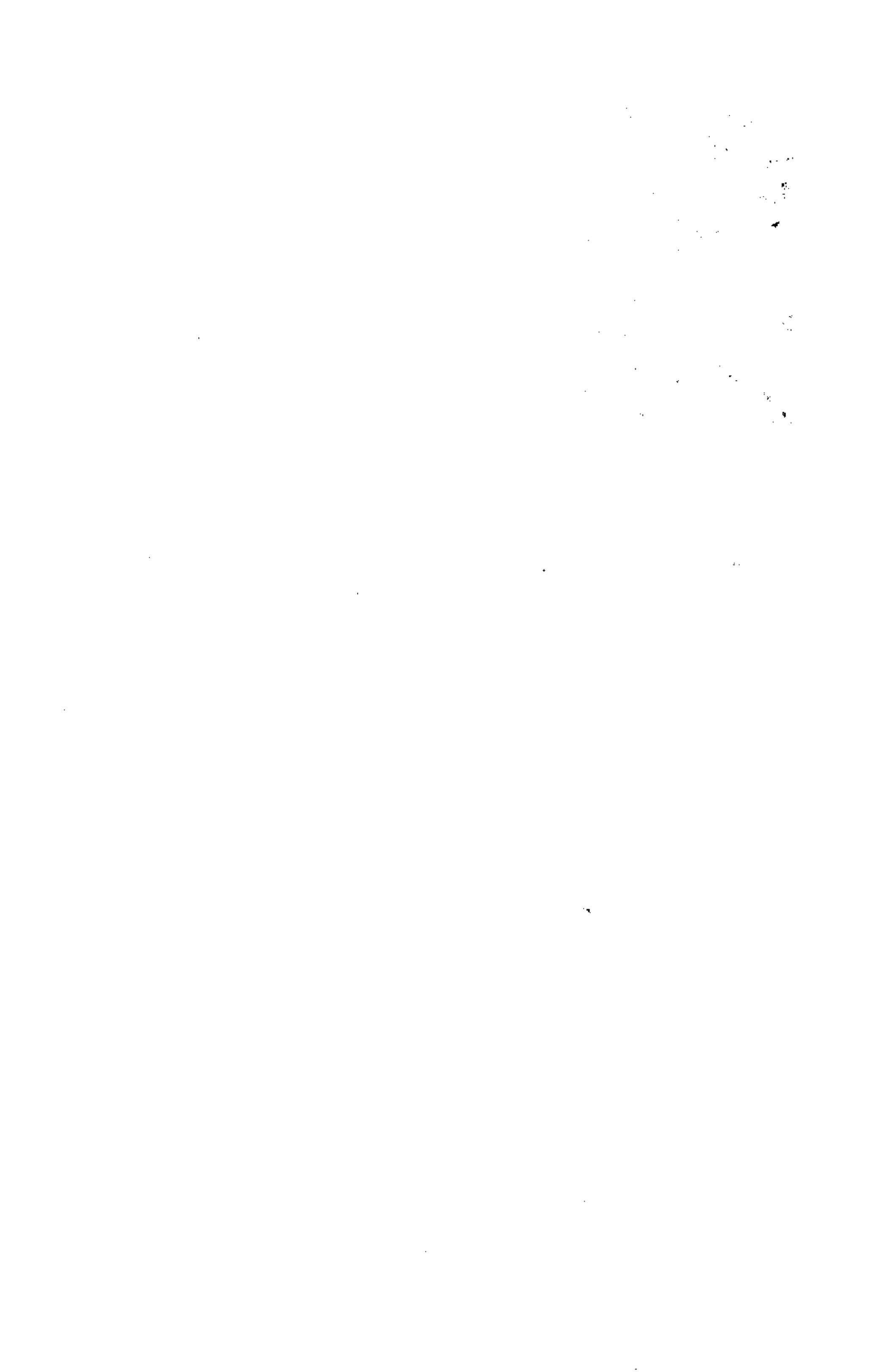
أضواء جديدة
على أعمال
الجاسوس البريطاني
كيم فيلبي
الخارقة

النهاية الطبيعيّة للجاسوس المُثقَّف

كيم أخطر جاسُوس سُوفيَاتي

\- - - - -

فيلبي، بريطاني وُلِدَ في الهند وعاش في بريطانيا والبلاد العربيّة وتوفيَ جنرالاً في الجيش الأحمر



أضواء على أعمال ونهاية الجاسوس كيم فيلبي

○ لكل شيء نهاية ونهاية الجاسوس البريطاني المثقف المستر كيم فيلبي كانت في موسكو حيث أذاع القسم العربي من الاذاعة البريطانية في الساعة السابعة من صباح يوم الخميس الموافق ١٢ أيار (مايو) لعام ١٩٨٨ عن « وفاة » الجاسوس البريطاني كيم فيلبي في موسكو الذي هرب اليها بقصة أغرب من الخيال سبق أن نشرناها في الجزء الأول من كتاب (المخابرات والعالم) في الصفحات ١٠٦ إلى ١١٨. وبعد انقطاع خلال إصدار كتاب المخابرات والعالم — الجزء الثاني وكتاب ملف الثمانينات عن حرب المخابرات عن ذكر أي شيء من المعلومات التي توفرت لنا عن الأعمال والنشاطات التي لم تذكر في الكتب السابقة حتى لا نتّهم بتكرار المواضيع ولكن وفاة هذا الجاسوس المثقف في موسكو عن ستة وسبعين عاماً حافلة بأعمال الجاسوسية والمغامرات النسائية. وها نحن نقدم أول حديث على لسان زوجته اليانور برور الأميركية الأصل التي سبق أن انتزعها من زوجها زميله الصحافي الأميركي سام بوب برور مراسل جريدة « النيويورك تايمز » في بيروت التي تحدثت بعد اختفاء زوجها كيم فيلبي من بيروت بتاريخ كانون الثاني ١٩٦٣ بفترة قصيرة فقالت أنها كانت تعلم أن زوجها جاسوس..!

ولكنها لم تكن تتصور أنه جاسوس للسوفيات، وأنه ظل يضحك على المخابرات البريطانية ثلاثين سنة كاملة. وقالت إن زوجها الجاسوس فيلبي كان يسحر النساء وقد وقعت سيدات كثيرات في حبه لأنه كان لطيفاً معهن بالاضافة إلى كونه ذكياً وماهراً.

○ في ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٧ كشفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية أنها هي التي « باعت » فيلبي لصحيفة الأوبزرفر وكشفت وثائق أخرى في ذات الوقت النقاب عن أن فيلبي بدأ حياته السياسية بعد تخرجه من جامعة كامبريدج نازياً متطرفاً، وقد سافر إلى اسبانيا خلال الحرب الأهلية ووقف إلى جانب الجنرال فرانكو، ولكنه ما لبث أن عاد الى لندن والتحق بالمخابرات البريطانية بعد أن أصبح ماركسياً وجاسوساً للاتحاد السوفياتي، وكان من المهارة والبراعة ومتانة الأعصاب بحيث أنه لم يكشف نفسه « أي لم يخطئ » خلال ثلاثين سنة.

وتابعت زوجة فيلبي حديثها عن زوجها الجاسوس بقولها :

الجميع يسألونني إذا ما كنت على علم بأن كيم (اسم الدلع لفيلبي) كان يعمل في حقل المخابرات. طبعاً كنت أعلم أنه يعمل في المخابرات البريطانية، ولكن لم يخطر ببالي قط، ولا حتى في الأحلام، أنه كان بنفس الوقت جاسوساً للمخابرات السوفياتية. غير أني عندما أعود ببصري إلى الوراء يخيّل إليَّ أن زوجي كان يستخدم عمله في « الانتلجانس سرفيس » ليخفي تجسسه لحساب السوفيات، كما كان يستغل عمله الصحفي كمراسل لصحيفتي « الأوبزرفر » و« الايكونوميست » لتغطية عمله في المخابرات البريطانية والمخابرات السوفياتية بنفس الوقت وعلى حد سواء. لكنني لم أشك يوماً في أن له علاقة بالمخابرات السوفياتية على الرغم من أنني كنت أشاهده يجتمع بأشخاص لا أعرف

عنهم شيئاً، لكنني كنت أظن أن اجتماعه بمختلف أنواع الناس يشكل جزءاً من عمله الصحفي. ومن المعروف أن دوائر المخابرات اعتادت أن تبلغ زوجات الجواسيس أو زوجات البعض بأن أزواجهن يقومون بأعمال سرية دون التوسع في التفاصيل. لأن الذين يصلون إلى مرحلة إدارة جهاز مخابرات يعرفون من الخبرة الماضية الشيء الكثير عن النفس البشرية، ويدركون أن الزوجة يجب أن لا تترك في حالةغموض كامل حول طبيعة عمل زوجها وإلا سببت له متاعب كثيرة. ولذلك وبغية تحاشي متاعب من هذا النوع، جرت العادة في المخابرات البريطانية على اطلاع الزوجة على ما يكفي لمنعها من القلق وإثارة المتاعب. وفي بعض الحالات تقوم المخابرات باستخدام الزوجة أيضاً، بحيث يصبح الزوج والزوجة « جاسوسين » متعاونين متلازمين يعملان كفريق واحد. ولكن الوضع لم يكن كذلك بالنسبة لي. وبكلام آخر فإن « الانتلجانس سرفيس » لم تفكر باستخدامي قط. وكنت في أغلب الأحيان أعرف ما يحدث عندما يغادر كيم المنزل للاجتماع بالجاسوس البريطاني الآخر الذي كان مكلفاً بالاتصال به من بيروت « حسب إدعائه ». ولم تكن ثمة مشكلة هنا لأن هذا الشخص كان بالاضافة الى عمله مع زوجي، صديقاً لنا، ولكني عندما أعود الآن بذاكرتي الى الوراء أعتقد أن كيم كان يتوجه أحياناً لمقابلة عناصر المخابرات السوفياتية الذين كان يعمل معهم ولهم، عندما كان يدّعي أمامي أنه متوجهاً لمقابلة زميله البريطاني..

ولقد كان أول اتصال لي مع المخابرات السوفياتية في بيروت إثر اختفائه أو هروبه.

ففي ذات ليلة ممطرة عاصفة في آخر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ وبعد استلامها عدة رسائل من فندق النورماندي. ذكر لها بآخر رسالة أنه إذا احتاجت أية خدمة ضرورية فما عليها إلا أن تضع لناءً معيناً فيه ورد في نافذة غرفتها فسوف يأتي شخص موثوق به

لخدمتها فوراً. فتقول اليانور أنها قرأت الرسالة بتعجب وعلمت بينها وبين نفسها أن المخابرات السوفياتية تراقبها منذ مغادرة زوجها للأراضي اللبنانية وقررت أن تجرب موضوع الإناء، فوضعته في النافذة حسب طلب زوجها. وبعد أقل من ساعة قرع باب شقتها شخص مؤدب قدم نفسه باسم مانويل قائلاً لها : « هل تريدين رؤيتي يا مسز فيلبي ؟» فعرفت أنه موظف في السفارة السوفياتية في بيروت وسوف ينفذ لها أي طلب فصرحت له بحاجتها إلى تأمين بطاقات السفر من مكتب الخطوط للجوية التشيكية. فأجابها بأن عليها أن تذهب في الوقت الذي حدده لها زوجها الى مكتب شركة الطيران التشيكية وتعلن عن اسمها إلى مدير المبيعات فستجد تذاكر السفر بانتظارها، لها وللأولاد. فشكرته وقالت له : الآن اطمأنيت على زوجي فانصرف. وهنا والكلام لزوجة الجاسوس فيلبي « اكتشفت بل تأكدت من أن كيم كان يعمل للمخابرات السوفياتية، وهو الذي يفخر بحمل وسام الملك جورج السادس نظير خدماته. وفي الشهور المقلقة أي قبل سفري شاهدت عدداً كبيراً من موظفي المخابرات ومن جميع الجنسيات ومنهم ضباط من المخابرات العربية رغبوا بكل أدب أن يطلعوا مني عن نشاط زوجي قبل اختفائه وأجبتهم بما أعرفه. ولعل أغرب ما لاحظت خلال اختلاطي بهؤلاء الضباط وغيرهم من الضباط حرصهم الشديد ويقظتهم المتناهية، بل ولطفهم الزائد. والواقع أني ذهلت لهذا اللطف الذي لم أكن أتوقعه قط من رجال كهؤلاء يخيل للمرء للوهلة الأولى وكما كنا نسمع ونتخيّل بأنهم وحوش في ثياب رجال. وكنت قبل أي اجتماع مع رجال المخابرات وخاصة البريطانية والسوفياتية أحسب لهذه المقابلة ألف حساب.ولكن في جميع الحالات تقريباً كنت أعامل معاملة لطيفة وكريمة جداً، ولكن الجميع يحرصون في الوقت نفسه على ابقائي في الظلام وعدم تعريفي بشيء حقيقي تقريباً. صحيح أنني كنت أعرف دائماً كذب الاسطورة التي تصور الجاسوس أو رجل المخابرات بأنه شخص متوحش يعمل بعنف



وسام الامبراطورية العظمى
تقديراً لخدمات الاستاذ فيلبي





وسام العلم الأحمر ـــ اعتراف بالجميل للجنرال كيم فيلبي

(المخابرات السوفياتية ترفض جاسوساً بريطانياً)

● أذاع القسم العربي في اذاعة لندن بتاريخ ١٩٨٧/٤/١٧ ضمن نشرة أخبار الخامسة أن المستر « مايكل بتياني » وهو بريطاني الجنسية قد حكمت عليه المحكمة المختصة بالسجن ثلاث سنوات لأنه « حاول » التجسس لصالح المخابرات السوفياتية بأن قدم لهم بعض المعلومات. ولكنهم رفضوا التعاون معه وردوا له المعلومات ظناً منهم أنه جاسوس مزدوج.

شديد. ذلك أنّ طبيعة عمله تحتم عليه أن يكون رقيقاً لطيفاً وناعماً مهذباً، كما ينبغي عليه أن يكون ــ كما اكتشفت فيما بعد ــ قادراً على السيطرة على أعصابه بشكل لا يصدق وفي كل زمان ومكان ».

لقاء زوجي الهارب في موسكو

○ انتظرت اليانور وحسب تعليمات زوجها حتى شهر نيسان (أبريل) وقامت بشراء بطاقة طائرة لها ولولديها على طائرة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار إلى لندن وحددت عليها الـ« أوكي » أي تاريخ السفر. ثم توجهت خفية إلى مكتب شركة الخطوط الجوية التشيكية وقدمت نفسها إلى مدير المبيعات الذي رحب بها كثيراً وسلمها بطاقات سفر إلى لندن مع الأولاد حيث حدد عليها الـ« أوكي » أيضاً بنفس تاريخ سفر الطائرة البريطانية إلى لندن مع فارق ساعة فقط. وقد علمنا أن فيلبي مع مضيفيه في موسكو بحثوا وانتظروا حتى توافق موعد الطائرة البريطانية مع الطائرة التشيكية. بسبب الحصانة التي ستكسبها حين صعودها للطائرة التشيكية. وقد توجهت مع أولادها إلى مطار بيروت قبل ساعة فقط من الموعد وقد سمعت النداء للرحلة ٥١٢ للطائرة البريطانية إلى لندن (فتجاهلته) وصعدت حالاً الى الطائرة التشيكية. هذه المقدرة على التحضير والتكتيك من قبل فيلبي من وراء آلاف الكيلومترات لزوجته لكي تحضر إليه دون أن يمسها أي أذى أو مضايقة ليست بغريبة عليه بعد أن أمضى ثلاثين عاماً في سلك المخابرات البريطانية وهو يخدعها ويعمل للمخابرات السوفياتية. ونعود لحديث اليانور زوجة فيلبي عن هذه السفرة العجيبة فتقول :

« عندما وصلت الى موسكو على الطائرة التشيكية بعد أن رتب لي كيم هذه الرحلة العجيبة وبطريقة ملتوية يقال لها « من دواعي الأمن » فهمت فعلاً وللمرة الأولى في حياتي أن زوجي كان عميلاً راقياً للمخابرات السوفياتية من طريقة الاستقبال في مطار موسكو حيث استقبلني من على سلم الطائرة. ثم انتقلنا بسيارة خصوصية سوداء تشبه سيارات الرويس يقودها سائق سوفياتي ساعدنا على استلام حقائبنا وبدون أية اجراءات ثانية. وبعد هذه الزيارة اضطررت للنظر الى علاقاتنا الخاصة نظرة جديدة تختلف اختلافاً كلياً عن النظرة السابقة. وكان ردّ الفعل الأول في نفسي هو أن حياتي الزوجية مع كيم كانت كلها فراغاً لأنها كانت قائمة على الكذب من قبله. ولكن يخيل إلي أن علاقة كيم مع النساء ومعي بالطبع بصورة خاصة اكثر تعقيداً مما ظننت عندما اكتشفت علاقاته السرية بالمخابرات السوفياتية للمرة الأولى. إن النقطة الهامة هي أنه على الرغم من أن كيم أبعدني تماماً عن هذا الجانب من شخصيته، فإن زواجنا كان من ناحية ثانية زواجاً مثالياً، وكنت مغرمة جداً به لدرجة أننا كنا قلما نفترق إلّا عندما يتطلب عمله الخاص ذلك. وباختصار كان كيم « أفضل الأزواج وأحسن الآباء في العالم » وكنا نعيش في شهر عسل دائم صدقاً. هذا هو اللغز الذي كان يحيرني منذ أن تركته في موسكو، أو بالأحرى منذ أن تركني. وإن أحد الأسباب الرئيسية يدفعني لمحاولة استعادة ما حدث لي بالتفصيل لكي أستطيع أن أفهم كيف كان زواجي بمثل هذه السعادة والهناء مع رجل أُدْرِك أني ما عرفته يوماً على حقيقته. كما يخيل إليّ الآن أن الأشخاص الذين يكرسون أنفسهم وحياتهم كلها للجاسوسية، يلجأون دائماً للحذر ويخفون أسرارهم العادية حتى عن أقرب الناس إليهم، وهذا شيء طبيعي، بل إنه نتيجة منطقية للعمل الذي يقومون به. ويخيل إليّ أيضاً أن الأشخاص الذين يعيشون حياة كهذه حافلة بالغموض وملأى بالأسرار كثيراً ما يحاولون التعويض عن ذلك بالاسراف في علاقاتهم الشخصية مع النساء والسخاء في اظهار

عواطفهم، وهذا بالضبط ما حدث لكيم فيلبي معي ومع النساء. ولربما كانت علاقات كيم النسائية المتعددة هي التي مكنته من تحمل الارهاق الذي عاش في ظله كجاسوس محترف طوال ثلاثين عاماً. ومهما يكن من أمر فليس من الغريب أن يكون كيم زير نساء مشهوراً، فقد كان والده المشهور سان جون فيلبي المشهور باسم (عبدالله فيلبي) الذي اعتنق الدين الاسلامي أثناء عمله مدة طويلة مستشاراً للملك الراحل عبد العزيز آل سعود وقد جمع بين زوجتين في آن واحد لأن الدين الاسلامي يسمح للرجل بأربع نساء.وقد تزوج عبدالله فيلبي والد كيم جارية أهداها له الملك عبد العزيز أنجبت له عدة أولاد بالاضافة الى زوجته الانكليزية التي أشهرت اسلامها معه أيضاً. وقد أثرت شخصية عبدالله فيلبي في ابنه كيم من زوجته الثانية الانكليزية تأثيراً كثيراً، وكان كيم بجانب سرير والده عندما لفظ أنفاسه الأخيرة.. وبقي كيم يذكر آخر عبارة قالها والده قبل أن يغمض عينيه : يا رب لقد مللت هذه الحياة ».

وأعتقد الآن (والكلام لا يزال لزوجة فيلبي) أن مشاعر الوله الشديد التي أظهرها كيم لي كزوجة طوال حياتنا الزوجية إنما كانت لشعوره بأنه كان يجد بين أحضاني الاستقرار والطمأنينة اللذين كان يفتقدهما في عمله المحفوف بالأخطار، فضلاً عن التفهم العميق والحب. ولا أنكر أنني شعرت بالألم لأن كيم تزوج مرة أخرى، أثناء وجوده في الاتحاد السوفياتي كما قيل، إذا لم يكن لشيء فلأنه لم يطلقني قط. ومع ذلك فإن أنباء زواجه من مليندا ماكلين زوجة « تلميذه » في الجاسوسية الدبلوماسي البريطاني السابق ماكلين الموجود مثله في الاتحاد السوفياتي، لم تفاجئني كثيراً. فإن قصة غرامه بمليندا ــ وهي أميركية مثلي ــ بدأت عندما كنت لديه في موسكو. وانني أشعر الآن بالأسى والشفقة على زوجها دونالد ماكلين وعلى أطفاله بالذات. فإن كيم ودونالد كانا يعيشان في شبه عزلة بموسكو ولا شك أن طلاق مليندا من زوجها

السابق وزواجها بكيم أدى إلى خلاف بين الصديقين السابقين وبالتالي زاد من عزلتهما وهما في كنف المخابرات السوفياتية التي لم تتدخل قط في الحياة العائلية والشخصية لجواسيسها. ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن كيم ودونالد لم يكونا في يوم من الأيام صديقين حميمين. الواقع أن الصداقة الحميمة كانت موجودة بين كيم وبيرجيس الدبلوماسي البريطاني الذي عمل وفرّ إلى الاتحاد السوفياتي أيضاً. ومع ذلك لم يقدّر لي أن أرى بيرجيس في يوم من أيام وجودي في موسكو لأنه قضى نحبه في حينه. ثم هناك الجاسوس الآخر جورج بليك وهو من الجواسيس البريطانيين الذين عملوا للاتحاد السوفياتي ثم هرب إلى موسكو بمساعدة سجين مثله حيث كان قد حكم عليه بالسجن لمدة (اثنين وأربعين عاماً). وأعتقد أن بليك هذا ليس ما يجمعه مع كيم أو يجعله صديقه وقد علمت أن كيم كان قد اجتمع مع بليك عندما كان كلاهما يدرس في معهد شملان بلبنان[1]، ولكن كيم قال لي عندما طرح اسم بليك أنه لم يسبق له أن اجتمع به. وأظن أن هذا الجواب بالنفي وهو غير صحيح كان من حرص زوجي على عدم اطلاعي على شيء من أعماله للمخابرات الصديقة وغيرها. وقد حاولت أخيراً عن طريق أحد المحامين أن أجس نبض كيم وأعرف ماذا يريد أن يحدث لعلاقتنا الزوجية.وقد ردّ كيم بقوله أنه لا يعتزم أن يطلقني أو يتزوج امرأة غيري. ولكنني علمت أن الطلاق في الاتحاد السوفياتي سهل جداً خاصة إذا كان المرء له أصدقاء، مثل زوجي كيم. وبعد هذا التصريح الكاذب أيضاً علمت أنه طلقني قبل أن يتزوج من مليندا إلّا إذا كان قد فعل ما فعله والده من قبل

---

(١) معهد شملان في لبنان هو معهد دراسة الجواسيس الغربيين ويقع في ضواحي بيروت الجبلية واسمه الحقيقي (معهد السلك الدبلوماسي الاميركي) يقبل للدراسة به جميع الجواسيس الغربيين المثقفين أمثال كيم. وتنفق السفارة الأميركية في بيروت على هذا المعهد.



فيلبي (الى اقصى اليسار) مع المشير
السلال عقب ثورة اليمن.



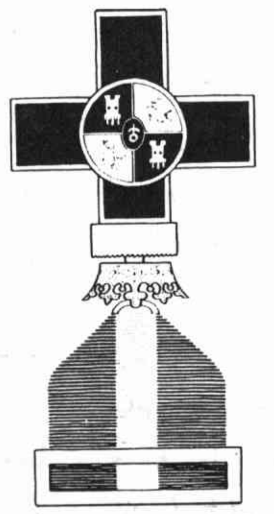
فيلبي (ضمن الدائرة) في حفلة الجمعية
الالمانية البريطانية في لندن..



فيلبي على شرفة منزله في شارع القنطاري
ببيروت...



اليانور — رفيقة فيلبي
في موسكو.



وسام الاستحقاق العسكري
منحه اياه فرانكو...

حيث جمع زوجتين في وقت واحد. وعندما اختفى فيلبي من بيروت بهذا الشكل المفاجئ عشت شهوراً في قلق وخوف، وأخيراً تقبلت الفكرة التي حدثني عنها الجميع وهي أنه من المحتمل أن يكون قد فر الى الاتحاد السوفياتي. وعندما تأكدت من الحقيقة عشت في حالة من الصراع بين حبي لهذا الرجل وبين كل شيء آخر لأني ترعرعت وأنا مؤمنة به. وابتدأت أطوف على أصدقائي واتصل بهم سائلة نصحهم عما ينبغي عليّ أن أفعله، ولكنهم جميعاً تخلوا عني وفرّوا من وجهي فرار الشخص السليم من الأجرب. وأخيراً أدركت أن ما من أحد سواي يجب أن يتخذ القرار النهائي ولذلك توجهت إلى موسكو. إن حياتي مع كيم علمتني الحقيقة البسيطة الأساسية التي قلما نعترف بها وهي أن ما من إنسان يستطيع أن يفهم إنساناً آخر على حقيقته مهما كان مقرباً منه وملتصقاً به ». وقد نشرت صحيفة « الأوبزرفر » التي زرع فيلبي فيها من قبل المخابرات البريطانية كمراسل لها في بيروت وبقي مراسلاً لها حتى فراره الى الاتحاد السوفياتي، تحقيقاً صحفياً روت فيه كيف استخدمت فيلبي، وقالت في التحقيق الصحفي أن وزارة الخارجية البريطانية هي التي زرعت بطلب من المخابرات البريطانية هذا الجاسوس في مؤسستها.

وأضافت تقول: « قبل ساعات معدودة من وقوف إدوارد هيث وزير الدولة البريطانية السابق في مجلس العموم البريطاني ليعلن أن « كيم فيلبي » كان جاسوساً للسوفيات « فعلاً » وأنه ثبت ذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع، تلقت الصحيفة مخابرة هاتفية من وزارة الخارجية. كان على الجانب الآخر من الخط احد كبار موظفي وزارة الخارجية وقد طلب أن يتحدث الى رئيس التحرير حيث أبلغه النبأ المذهل : إن مراسلكم في بيروت كيم فيلبي جاسوس للاتحاد السوفياتي، وسيعلن هذا النبأ رسمياً في مجلس العموم بعد قليل (في حينه).. وقد رغبت أن أبلغكم ذلك مسبقاً لأنه كان لوزارتنا يد في توظيفه لديكم. وقد اعترف الموظف الكبير بأن الرجل الذي « باعته » الوزارة للأوبزرفر كان جاسوساً

للسوفيات طول حياته.. بل اعترف هذا الموظف بما هو أدهى وأمرّ.. اعترف بأن وزارة الخارجية « كذبت » عامدة متعمدة على الصحيفة البريطانية ولم تعلمها بخلفية فيلبي الجاسوسية وذلك بطلب من المخابرات البريطانية التي طلبت زرعه فيها وارساله إلى بيروت لسببين لا يعلمهما إلا رئيس فرع (M-G) في الأنتلجانس سرفيس وهما :

١ ــ إرساله كمراسل لصحيفة الأوبزرفر في بيروت بعيداً عن مركز الأنتلجانس سرفيس في لندن الذي كان يزحف فيه فيلبي بدهائه وسني خدمته لكي يصبح رئيساً للمخابرات البريطانية. ثم العمل على كشفه على حقيقته كعميل للمخابرات السوفياتية حيث عادت الشكوك حول علاقته بالايعاز إلى صديق دراسته بيرجيس بالهرب لأن المخابرات البريطانية تودّ اعتقاله في حينه.

٢ ــ تعمدت المخابرات البريطانية أيضاً إرساله إلى بيروت لكي تضعه تحت المجهر وقد أرسلت خلفه خيرة الضباط البريطانيين لمراقبته ٢٤ ساعة. وكانت نتيجة المراقبة « ثبوت » عمالته للمخابرات السوفياتية فأحضر إلى السفارة البريطانية وواجهه ضباط المخابرات البريطانية بما عرفوه عن اتصالاته بطريقة الأدب البريطاني المعروف فلم يجب بأية كلمة بل بقي هادئاً متزناً كعادته في الأزمات ولذلك طلبوا منه عدم مغادرة بيروت فقط لحين التشاور مع المخابرات البريطانية. وكان بامكانهم ابقاؤه في السفارة قيد الاعتقال لا سيما وهم سفارة دولة عظمى كما يقولون. ولكن الاتفاق كان « ترك مجال » له ليتمكن من الفرار من بيروت أفضل من تقديمه لمحاكمة لا يعلم سوى الله تعالى ما كان سيكشف بها ومن ثم قيام المخابرات السوفياتية بتهريبه من بريطانيا ومن بين يدي الانتلجانس سرفيس كما سبق أن هربت زملاءَه ماكلين وبرغيس وجورج بليك من لندن إلى موسكو ».

وهكذا نذكر القارئ بأنه اختفى أو هرب من بيروت مساء كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣ كمن يلبس طاقية الاخفاء وهذا طبعاً من ترتيب المخابرات السوفياتية وقد ظهر فيما بعد في موسكو وسافرت إليه زوجته... الخ.

آراء اصدقائه في بيروت عنه

○ بعد هذه المعلومات الجديدة التي نقلناها للقارئ عن كيم فيلبي « جاسوس القرن العشرين » على لسان أقرب الناس إليه وهي زوجته وشريكة حياته التي كان يتجسس عليها ولم يكن يتجسس عليها أي يقدم عنها معلومات للمخابرات السوفياتية.. أبداً بل كان تجسسه عليها هو إخفاؤه عنها وببراعة وذكاء عمله مع المخابرات السوفياتية طيلة سنوات شهر العسل كما سمتها هي بنفسها. نقدم نموذجاً لآراء وأحاديث أصدقائه في بيروت الذين لم يكن لدى أيّ منهم أدنى شك بأن فيلبي الذي عرفوه هو غير فيلبي الحقيقي الجاسوس.

فقد كان كيم وزوجته اليانور يشتركان مع جيرانهم « آل فيستر » في تناول ديك الحبش بمناسبة عيد الشكر، الأمر الذي يبدو بمثابة قصاص ذاتي لفيلبي الذي كان معروفاً عنه نفوره من طريقة الحياة الأميركية، وقد تعمقت علاقاتهم مع مرور السنين بحيث وصف فيستر فيلبي بأنه واحد من أقرب أصدقائه. ولكن بعد فراره إلى الاتحاد السوفياتي أخذ فيستر يجمع ذكرياته عنه، مثل جميع الذين عرفوه في بيروت بحثاً عن تلميحات سابقة نطقها فيلبي تكشف بأنه كان يخفي ميولاً سياسية يسارية. فتذكر أمرين فقط : ذات ليلة كان فيستر يناقش مجموعة من القوميين العرب حول موضوع كان مطروحاً بقوة « هل أن الأهداف الأساسية للديموقراطية الأميركية والشيوعية الروسية مشابهة ؟ » القوميون

العرب ردّوا بالإيجاب، أما فيستر فكان رأيه : بكل تأكيد، لا. وباعتباره أميركي قال أن الشيوعية السوفياتية تهدف إلى استعباد الرجال الأحرار. واستنجد فيستر بفيلبي الذي أعرب ببرودة أعصاب بأن الأهداف متشابهة. مؤخراً قال فيستر « لقد اعتقدت دائماً بأن فيلبي يؤيد العالم الحر، ولم أفهم كيف كان بامكانه أن يساوي بين الشيوعية والحياة الأميركية ». وقد أثيرت قضية القوميات في مناسبة أخرى حضرها فيلبي مع فيستر فقال فيلبي « ولدت في الهند، وعشت في أنحاء مختلفة من البلاد العربية، ودرست في انكلترا، فأنا لا أشعر بأنني أنتمي إلى أية قومية ». هذا الكلام دهش فيستر الذي قال فيما بعد : « لم يكن باستطاعتي تصديق ذلك. كيم كان يظهر بريطانياً جداً. وبدا أنه يتنكر لبلاده ».

○ ثنائي لبناني كان يتحدث لساعات « للجار » الانكليزي فيلبي حول شؤون الشرق الأوسط، السيد يوسف الصايغ وزوجته السيدة روز ماري. بعد فراره أمضيا أياماً عديدة وهما يحاولان أن يتذكرا أي شيء يكشف « ميوله السوفياتية » على امتداد صداقة استمرت أربع أو خمس سنوات كان بامكانهما أن يتذكرا « فقط » بأن فيلبي قد قال مرة بأن « النظام الطبي في روسيا جيد ».

○ جيران آخرون يتذكرون، محسن البحري وزوجته هدى من فلسطين العربية قالا أن فيلبي كان من الذكاء والتعاطف وحسن الجوار بحيث يزورهم في الأعياد الاسلامية ويتعشى لديهم في بعض أيام رمضان من كل عام حتى اختفائه.

نادراً ما كان فيلبي يخوض في مناقشات سياسية. كان خلافاً لذلك مستمعاً جيداً، يتخصص في مقاطعات ذكية. كما شارك في عدد لامتناه من اللقاءات السياسية، وكانت مهنته الصحافية تفرض ذلك، في الوقت

الذي تمكن فيه من اقناع أشخاص متنوعين مثل « القوميين العرب » وحتى بعض الأميركيين الأعضاء في أندية الروتاري وهي أندية تغطي الماسونية أقنعهم بأنه « واحد منهم ».

○ بعض البريطانيين في بيروت « زعموا » في وقت لاحق لهروبه بأنهم كانوا قد أصبحوا ملمين حينذاك بازدواجيته، وكانوا يزودونه بمعلومات خاطئة على أمل أن يقوم بنقلها الى الروس.

○ وأخيراً هل كان فيلبي يعلم أن المخابرات البريطانية تعلم بدورها ؟ وهل في المقابل جعلهم يعتقدون بأنهم يستخدمونه طول الوقت، بينما كان فيلبي يستخدمهم؟ ما هو مؤكد أن فيلبي كان يقدم « تقارير » إلى المخابرات البريطانية وأنه قد زار قبرص عشرين مرة بين العامين ١٩٥٦ ــ ١٩٥٨ لتغطية الحرب مع اليونان، وأنه أصبح صديقاً مع محام هندي يدعى روستومجي وكانا يشربان بكثرة. وكان هذا المحامي معادياً للبريطانيين واليونانيين ويعتقد بأن الأتراك لا يلقون الاهتمام الكافي من الخدمات الحكومية، ويسيء البريطانيون واليونانيون معاً معاملتهم. أما فيلبي فكان يهاجم روستي لمحاربته إلى جانب البريطانيين في الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك فكان يبدي اهتماماً بجميع الأمكنة التي كان يزورها روستي وخاصة المحاكم العسكرية حيث كان يدافع عن أفراد القوات المسلحة البريطانية. وكان فيلبي بحكم عمله للمخابرات السوفياتية أو البريطانية يسأل اسئلة مثل، ما هو الموقف الحقيقي في قبرص تجاه بريطانيا ؟ هل تستمر الحكومة طويلاً ؟ ومعظم هذه الأسئلة وأحاديث غيرها كانت تدور حول كأس من الويسكي في فندق ليدرا بالاس، أو في نادي نيقوسيا، أو نادي سانتكلير الذي يبقى مفتوحاً حتى آخر رجل فيه، وغالباً ما كان فيلبي الرجل الأخير. وعاد الى بيروت مقره الرسمي وعاد إلى حياته الروتينية كصحافي يستيقظ في الساعة العاشرة ويتناول شراب الصدف الذي يعده بنفسه ثم يسير حوالي

٣٠٠ متر نزولاً إلى فندق النورماندي في منطقة الزيتونة حيث يتفقد بريده ويشرب أول كأس ويسكي له. كان يمضي حتى بعد الظهر في النورماندي ويتناول العشاء مساءً مع أصدقائه العديدين في الخارج. أما عمله الصحفي في صحيفتي الأوبزرفر والايكونوميست فظل كفوءاً ومتماسكاً ويرتكز بنوع خاص وبدقة على وقائع العالم العربي. وقد وسع اتصالاته الرسمية ولكنه كان يمضي وقتاً طويلاً مع رجال السفارتين البريطانية والأميركية « دون أي مراسل صحفي آخر ».كان يمضي وقتاً في مكتب رئيس فرع المخابرات البريطانية في المنطقة (ومكتبه ضمن السفارة البريطانية) وأيضاً كان في حينه على علاقة حميمة مع ميلز كوبلاند المستشار في المخابرات الأميركية المتقاعد الذي يقطن بيروت أيضاً. ولكن قبوله من هؤلاء لم يكن يتم بدون « تحفظ ». فقد انفرد أحد ضباط المخابرات الأميركية الذي وصل إلى بيروت بالصديق اللبناني ـــ ك. ص ـــ لفيلبي وقال له : كن حذراً من هذا الرجل.

○ القضية الوحيدة التي خدم فيها فيلبي المخابرات البريطانية حدثت خلال الأحداث التي أدت إلى نزول قوات البحرية الأميركية « المارينز » إلى شواطئ بيروت عام ١٩٥٨، فالتجمعات الناصرية بدأت بالتحرك في لبنان في بداية ذلك العام ضد تجديد الرئيس الراحل كميل شمعون الذي كان ينوي دعوة المجلس النيابي اللبناني لتعديل الدستور لكي يتاح له التجديد، حيث انطلقت بعض أعمال العنف في أيار، وأصبح من الصعب السيطرة عليها فاستدعى الرئيس شمعون القوات الأميركية لمساعدته على حفظ النظام، ونزلت هذه القوات فعلا الى بيروت يوم ١٩ تموز (يوليو) ١٩٥٨. كان فيلبي دقيقاً جداً فيما يتعلق بوصول المارينز، أبلغ زملاءه المراسلين الصحافيين الآخرين قبل ثلاثة أيام بالأمر، بطريقة مختلفة عن التكهنات الصحافية. تكلم كشخص يعلم بكل تأكيد ماذا سيحدث. أي عن معرفته المسبقة بوصول المارينز وكما أعلم المخابرات البريطانية « بصدق » المنتسب لها عن ذلك.

○ في سنته الأخيرة في بيروت أصبح فيلبي يسكر غالباً وكلمة يسكر في بيروت والشام معناها « يفقد الوعي من السكر » وفي مصر يقال عن السكير أو السكران « طينة ». وفي بعض الأحيان كان يسكر من تناول مارتيني واحد. ومع ذلك لم يزل لسانه بشيء عن عمله بالجاسوسية. تهدمت حياته العائلية، وتوقف الأصدقاء عن الاتصال به، متذرعين بأنهم لم يعد باستطاعتهم تحمل شتات ذهنه ولا شكاوي زوجته اليانور عن المتاعب المالية. ومع هذه المتاعب المالية كان بامكان فيلبي جمع المال لمساعدة صديق كان في ضيق وهو رالف إيزارد البريطاني الذي أمن له ١٠٠ ألف جنيه استرليني كان بحاجة لها للذهاب الى لندن لمعالجة ابنه المريض.

○ كان كيم فيلبي متحمساً بصورة عامة للميول العربية : فتاة بريطانية كانت تروي في بيروت وبحضوره كيف تناولت الطعام مع بعض الشيوخ العرب المسؤولين وكيف أن أحد الشيوخ « بادلها الصحن » وفي وقت لاحق علمت أن هذا الشيخ كان يخشى أن يكون الطعام مسموماً. وقد جلبت هذه الرواية ضحكاً فتحمس فيلبي لأنه كان مغتاظاً جداً حيث ألقى ما يشبه المحاضرة حالاً على الموجودين عن الضيافة العربية والكرم العربي الأصيل ووجدوا صعوبة في تهدئته حتى اعتذرت المتحدثة عن العرب له.

○ ازداد سكره في أوائل عام ١٩٦٣ ونضب إنتاجه الصحفي. وقالت زوجته اليانور لعدد من الأصدقاء في حينه بأن فيلبي يعاني من كوابيس مرعبة، وكان يستيقظ أحياناً طالباً النجدة. تخيّل الجميع أن ثمة متاعب منزلية أو عاطفية أو مالية وراء انهياره ولكن السبب الحقيقي كان تأكده بأن المخابرات البريطانية قد أيقنت بما لا يقبل الشك بأنه عميل للسوفيات (هذا الأمر قبل استدعائه للسفارة البريطانية ومجابهته بالحقيقة).

كيف غادر فيلبي بيروت الى موسكو

○ وأخيراً وضع فيلبي نهاية درامية لاقامته وعمله الصحفي ومغامراته في بيروت وتجسسه واختفى بتاريخ ٢٣ كانون الثاني (يناير) وقد ذكرنا هذا الاختفاء أو الهروب الكبير في الجزء الأول من هذه السلسلة في ما يلي:

دعي فيلبي وزوجته اليانور الى الحفلة التي أقامها المستر « غلين بلفور » السكرتير الأول للسفارة البريطانية في بيروت، ولكن اليانور وصلت الى الحفلة وحدها وصرحت للذين سألوها عنه أنه اتصل بها هاتفياً، وطلب منها الذهاب وحدها للحفلة لأنه سيلحق بها. ونظراً لأن فيلبي سبق له أن فعل ذلك عدة مرات فقد ذهبت بمفردها للحفلة، وهي مطمئنة انه سيلحق بها كعادته. ولكن الحفلة انتهت ولم يحضر فيلبي فتطوع أحد أصدقائه بتوصيلها للمنزل لعل فيلبي كان مشغولاً بتتبع خبر صحفي. ولكن مضى الليل طويلاً على اليانور وأصبح الصباح ولم يعد فيلبي الى منزله لأول مرة في حياته الزوجية. اتصلت اليانور برجل أعمال أميركي تعلم أنه على اتصال مع السلطات اللبنانية، وطلبت مساعدته في البحث عن زوجها. وحالاً اتصل الأميركي بالعقيد توفيق جلبوط الذي أجرى « جرداً » على جميع مخافر الحدود اللبنانية براً وبحراً وجواً، فاتضح أن فيلبي لم يغادر « رسمياً » من أي مركز حدود، ثم أجرى

فحصاً شاملاً ودقيقاً للمستشفيات والنظارات، والسجون اللبنانية فلم يعثر له على أثر.لقد اختفى فيلبي تماماً...!

○ المؤلفون الصحافيون بروث بيج، ديفيد ليث، وفيليب كانتلي، أكدوا في لندن بأنهم يكشفون « للمرة الأولى » بأن فيلبي وصل إلى أراضي الاتحاد السوفياتي بعد أربعة أيام من مغادرته بيروت أي أنه وحسب حسابهم ظهر في موسكو بتاريخ ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٣. أما عن الطريقة التي سلكها في هروبه فيقولون بأنه بالرغم من أن لدى المخابرات البريطانية والأميركية تفسيراتهما، فقد كانتا غير قادرتين على تأكيدها بصورة جازمة. أما فيلبي نفسه فقد رفض حتى مماته التحدث عن فراره ربما لحماية الأشخاص الذين ساعدوه على الفرار. الكشف الجديد هو أنه قد صرح لأحد أولاده عندما زاره في موسكو بأنه وصل إلى دار الأمان بالنسبة له أي « موسكو » وقد أنهكت رجلاه من السير الطويل والصعب. والرأي الجديد الذي اكتشفه هؤلاء الصحافيون وينشر لأول مرة هو أن فيلبي ركب مع صديق لبناني وهو الذي تكتم على اسمه حتى الموت وبمعنى أنه أوفي لهذا الرجل اللبناني الذي ساعده وعده بكتمان اسمه حتى النفس الأخير. ركبا سيارة مرسيدس ـــ ١٩٠ عمومي لبنانية حيث أوصله هذا الصديق الى « نقطة ما من الحدود السورية » فتركه استناداً لوجود أصدقاء ينتظروه على الجانب السوري.ومن هناك ركب شاحنة تركية خرجت به الى تركيا وهو يحمل جواز سفر « مزوّر » ومن تركيا انتقل الى أرمينيا السوفياتية حيث قدم نفسه للمخابرات في أرمينيا التي أمنت نقله حالاً إلى موسكو بكل وسائل الراحة والاحترام. وفي المخابرات السوفياتية (K.G.B.) التي خدمها ثلاثين عاماً استقبل في مقرها الفخم الكائن قرب الكرملين في ٢ ساحة دزيرجنسكي المطل على مسرح بولشوي ومدخل الساحة الحمراء ومنح منزلاً فخماً (جميع مخابرات العالم حتى المخابرات العربية لديها مثل

هذه المنازل الفخمة استعداداً للطوارئ) وبعد استراحة وجولات للتعود على « جو » الاتحاد السوفياتي أعلم بشكل إداري أنهم يرغبون إليه متابعة الافادة من خبرته اعلامياً هذه المرة. وأخذوا يضعون تحت تصرفه كل صباح الصحف البريطانية ليقرأ مقالاتها وما تحويه ويضع تقريراً مفصلاً بذلك وعما يجده مناسباً من الردّ على بعض هذه الصحف. وبنفس الوقت كما شرحنا أحضرت زوجته إليه ومن ثم أولاده. ثم تزوج وتابع إقامته في ضيافة المخابرات السوفياتية وفي أعلى المعنويات. ومن المعلوم أنه منح رتبة عسكرية حين وصوله إلى موسكو وقد تدرج ترفيعه حتى أصبح برتبة « جنرال » حين وفاته.

وأخيراً النهاية الحتمية للجميع :
« وفاة كيم فيلبي »

○ أذاعت محطة لندن كما شرحنا في أول هذا الفصل عن وفاة كيم فيلبي ودفنه في موسكو.وبعد ارتحاله عن الدنيا نشرت الصحف معلومات جديدة عن حياته قبل لجوئه في الاتحاد السوفياتي (ومنها معلوماتنا الجديدة هذه) زواجه في موسكو، هواياته، إضافة الى دوره في الاتحاد السوفياتي بعد اللجوء. وفي مقابلة أخيرة مع راديو ليتيوانيا، أذيعت قبل شهر من موته، أشار فيلبي عن شعوره بدنو أجله وأنه يريد أن « يدفن » في الاتحاد السوفياتي، كما عبّر عن عدم شعوره بأي ندم لدوره وماضيه، بل بالعكس فقد كان فخوراً بخدماته لبلده « الجديد » الاتحاد السوفياتي. كما أظهر في هذه المقابلة الاذاعية شعوره بالفخر لمناصبه العسكرية في المخابرات السوفياتية وقد ذكرنا أن رتبة « جنرال » أي عميد في الجيوش الأخرى كانت آخر رتبة حصل عليها. كما ذكر أنه سعيد جداً بشقته الكبيرة الفخمة في وسط موسكو. وبزوجته الأخيرة وهي فتاة روسية، وفخور بكتبه وصداقاته. لكنه كان « يأمل » زيارة بريطانيا ولو لمدة شهر ليرى إلى أيّ مدى تغيّر بلده الأول.

○ بمناسبة وفاته انفتحت الجروح القديمة في أجهزة المخابرات: زملاء فيلبي أدلوا بآرائهم من جديد حوله وحول مدى الضرر الذي ألحقه

بالأمن الغربي وأسرار الغرب. بعضهم كان رحيماً وتكلم بلغة رؤوفة عن وحدته وحزنه وغربته. لكن الصحف البريطانية البارزة التي تمثل الاعلام البريطاني ركزت على إدانته وإدانة الحزب الشيوعي الذي تأسست من خلاله هذه الحلقة الخطيرة من العملاء السوفيات. بينما كانت الجهات الرسمية في موسكو ترتب لتشييع جنازته. تم نقل جنازته من منزله في وسط موسكو بحضور الأهل والأصدقاء إلى المقبرة الخاصة بشكل مؤثر جداً فقد سار خلف سيارة النعش مسؤولون سوفيات وجنرالات في المخابرات السوفياتية إذ كان فيلبي أحد زملائهم يتقدمهم جندي يحمل وسادة صفت عليها الأوسمة الخاصة به. ويبدو أن خدماته للسوفيات « فاقت » في أهميتها كل الاعتبارات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي وبريطانيا بلده الأصلي، فدفن باعتباره مناضلاً أممياً، بينما كانت اللعنات تنهال عليه وعلى ماضيه في معظم وسائل الاعلام الغربية وخاصة البريطانية الحاقدة عليه وعلى المخابرات السوفياتية.

○ كان فيلبي قد كرس حياته وكتابته لادانة النماذج الديكتاتورية وأساساً الستالينية. وضع حياته لخدمة نفس النموذج مؤكداً على قوة التربية الأيديولوجية الستالينية واخلاصه لها. كما ناقض فيلبي اتجاه والده في التفكير والانتماء السياسيين، إذ كان والده ميالاً إلى الفاشية البريطانية. وما هو غريب بالأمر أن فيلبي « خان الجميع » أصدقاءه صديقاته.

(من تصريحات كيم فيلبي في موسكو)

١ ــ إن المخابرات البريطانية أوعزت باغتيال الصحفي المرحوم « كامل مروه في بيروت ».

٢ ــ إن السيد فريد شهاب كان يتعامل معه شخصياً. وقد نفى السيد شهاب ذلك نفياً قاطعاً.

زوجاته. رؤساءه البريطانيين. لقد كان يعتبر الخيانة أمراً ضرورياً لانقاذ الانسانية من شرور الرأسمالية وقد قدم إخلاصه للايديولوجية على انتمائه الوطني ولم يندم على هذا الموقف حتى مات.

○ وبوفاة فيلبي انتهى عصر تجسس الرباعي البريطاني الشهير ماكلين، بورغيس، جورج بليك، وفيلبي. الذي انضم لخدمة الجاسوسية السوفياتية بواسطة أحد رجال المنظومة الكومنتيرن الشيوعية الذي أقنعهم خلال وبعد تخرجهم من جامعة كامبريدج بأنهم سيعملون من أجل الشيوعية الدولية وليس من أجل موسكو. إضافة إلى أن المعلومات التي كانوا يمدون بها الاتحاد السوفياتي لم يكن لها في البدء أي طابع سري. فلم يشعروا بأنهم كانوا يقومون بعمل تجسسي .كل ذلك كان استراتيجية طويلة الأمد من دون شك وقد ساروا بها. إن تجنيد العملاء المثقفين في خدمة الـ(ك. ج. ب.) تبدلت اليوم لأن عدد أصحاب العقائد الخياليين انخفض، وأصبح من الصعب على أي « مثقف يساري » أن يدعي أن الاتحاد السوفياتي، هو أرض حرية، وديموقراطية، إضافة الى أن حجة محاربة الفاشية فقدت معناها في عالم اليوم. كما أن المعروف أن الرباعي التجسسي الراقي فيلبي وماكلين وبرغيس وجورج بليك كان يطمح الى الوصول إلى المراتب العليا. وقد ذكرنا أن فيلبي بالذات كاد أن يصبح « رئيساً » للأنتلجانس سرفيس. ولكنه في أيامنا من الصعب أن يطمح جواسيس اليوم إلى مثل هذه المستويات لأن مستوى الجواسيس نفسه قد انخفض.وهذه الملاحظة الأخيرة هي جامع مشترك بين جواسيس الشرق وجواسيس الغرب على حد سواء.

ونختم هذا الفصل الكامل عن الأضواء الكاملة عن نهاية جاسوس العصر ونحن نؤكد أننا قد قدمنا كل شيء عنه ولم يبق ما يقال عنه ولن يظهر بعد الآن غرائب تستدعي العودة للكتابة عنه.ومسك الختام كما

يقولون نقدم للقارئ ما كتبه الزميل غسان الامام عن نهاية فيلبي في الوطن العربي العدد (٦٤ ــ ٥٩٠) :

○ الجاسوسية منطقة خفية ضائعة بين الدبلوماسية والصحافة والسياسة. والجاسوس كوكتيل عجيب من الفضول والخيال والحقائق والأكاذيب.

كان نابليون يرفض مصافحة الجواسيس لأنهم عملاء له خانوا أوطانهم.

وكان خروشوف يدعو ندّه جون كنيدي لاطفاء لهيب الحرب الباردة، لأنه ضاق ذرعاً بأكاذيب الجواسيس والعملاء « المدوبلين ».

أما جاك شيراك فلم يؤمن قط بأجهزة المخابرات، لأنها مُختَرَقة من كل الثقوب والجوانب.

الأقمار الصناعية والأجهزة الالكترونية وأقبية التعذيب والمسدسات الكاتمة للصوت واكياس الدولارات « بهدلت » مهنة الجواسيس.

الجاسوس التقليدي « جنتلمان » انكليزي من نتاج الثالوث المقدس : العائلة. الجامعة. المؤسسة.

وفيلبي سر أبيه. « ومن شابه أباه فما ظلم ».

ــ الأب جون فيلبي من المدرسة المخابراتية التي أنجبت لورنس وغلوب. فقد فتن بسحر الشرق فعاش في الهند، وهوى صحراء العرب، فدرج على رمالها، وارتدى عباءتها، واعتَمَر بعقالها، وتكلم لغتها، وأسلم لالهها، وحج إلى بيتها، وتسمى بأسمائها فكان « الحاج عبدالله » الخادم المطيع للأنتلجانس سرفيس.

ــ هارولد بن عبدالله وعى في جامعة كامبريدج صراع الثلاثينات الأوروبي بين الفاشية والشيوعية والرأسمالية، فاختار الماركسية عقيدة،

والجاسوسية مهنة. وفي أول مهمة له في فيينا، جندته يهودية اسمها ليتزي فريدمان لخدمة المخابرات السوفياتية، فتزوجها مكافأة لها، لكن اخلاصه ووفاءه كانا للزوجة الثانية الشيوعية.

ـ هارولد فيلبي جاسوس العصر الذي كان يقتل بلا مسدسات، ويطعن بلا خناجر، ويخون وهو يغازل، ويتجسس وهو يشرب أقداح الويسكي إلى الثمالة.

هارولد فيلبي مايسترو الخداع الذي كان يرسل مئات من عملائه البريطانيين والأميركيين إلى حتفهم، ثم يأوي إلى مكتبه في بيروت ليكتب تقاريره الصحافية إلى « الأوبزرفر » و« الأيكونوميست » كمراسل أمين لصحافة المؤسسة الحاكمة.

هارولد فيلبي ملك « الدوبلة » الذي ألهم غراهام غرين[1] وجون لوكاريه أروع قصص الجاسوسية.

هارولد[2] فيلبي مات جنرالاً متقاعداً في المخابرات السوفياتية وعاش رئيساً لقسم مكافحة الشيوعية في المخابرات البريطانية.

وينتهي الى هنا ما كتبه الزميل غسان الامام عن نهاية فيلبي وأنا أضيف إلى ذلك بالاذن من الاستاذ غسان بأن هذه الأسطر البليغة كانت بمثابة رثاء جاسوسي أو عزاء مخابراتي.. والى اللقاء مع « فيلبي » آخر...

---

(١) غراهام غرين كاتب بريطاني معروف دافع عن فيلبي بكتاب سماه (انطباعات عن شخصية فيلبي).

(٢) مع الاحترام للزميل غسان الامام فان اسم هارولد اسم بريطاني صحيح وعريق لكنه ليس اسم جاسوسنا فيلبي. فهو من مواليد ١٩١٢ في مدينة أمبالا بالهند وسماه والده « كيم » تيمناً ببطل رواية رود يارد كبيلينغ الشهيرة والاسم الكامل السابق للحاج عبدالله فيلبي، هو: المستر هاري سانت جون بريد فيلبي، موظف سابق لدى حكومة الهند.

موظفة كبيرة بالمخابرات البريطانية
تعشق ضابطاً مصرياً

خيانة رئيسة مخابرات القنال لقاء علاقاتها الجنسية

○ أصبحت الجاسوسية مع تطور الزمن عماد كافة الدول في كل شيء للوصول إلى معرفة أسلحة الجيش وعتاده وأسرار الاختراعات والتكنولوجيا العسكرية والأوضاع العسكرية والأوضاع الاقتصادية والسياسية والداخلية لدى الدول المعادية. وكثيراً ما قامت أجهزة المخابرات بالتدخل لخلق أجواء ثورية تربك الدول الأخرى وتجعلها في شغل شاغل في الداخل كيلا تفيق لمواجهة أعداء الخارج. وقد أصبحت هذه الأجهزة تتصرف حتى في سلطات رؤساء الدول أنفسهم. والأمثلة كثيرة ذكرنا بعضها في كتبنا السابقة والبعض الآخر ينشر تباعاً خاصة عن الدولتين العظميين.

في الخمسينات كان اللواء صلاح متولي الضابط السابق في قوى الأمن المصرية مديراً للمباحث العامة في منطقة القنال بمصر. وكانت القوات البريطانية موجودة في تلك المنطقة أي أن الاستعمار البريطاني كان لا يزال يتحكم بمصير الشعب المصري. وكانت المقاومة الشعبية المصرية في ذلك الوقت على أشدها للعمل على اخراج هذا المستعمر

من أرض مصر وتسعى جهدها إلى إقلاق أفراد هذه القوات وبث الذعر في نفوسهم حتى يفكروا تفكيراً جدياً في عدم الانتظار ليغادروا مصر الى غير رجعة. كانت المعسكرات البريطانية على امتداد قنال السويس من بورسعيد والاسماعيلية حتى السويس، وكان لهم في هذه المناطق كل شيء : المحلات « سوبرماركت » النوادي، المسابح، المساكن، المستشفيات، المنتشرة على ضفاف البحيرات وكافة سبل المواصلات. وبذلك كانوا يشكلون مملكة داخل مملكة وكأنهم يعيشون في بريطانيا نفسها والفارق هو جمال جو مدن القنال المصرية. وقد اتحد الشعب المصري في كفاحه ضد المستعمر.فقد امتنع التجار في منطقة القنال عن بيع الأجانب بالمنطقة سواء كانوا من العاملين بالقوات البريطانية أو في شركة القنال من الفرنسيين. وبدأ اللواء متولي بتنظيم المقاومة الشعبية.

عرف أن الأغذية كانت تستورد لهم من الخارج إلّا أنهم كانوا بحاجة ماسة الى الألبان (الحليب يسمى في مصر لبن) ومنتجات الطيور فراريج ــ حمام ــ عصافير والبيض وجميع أصناف الخضروات والفواكه، واللحوم الطازجة. وبدأ اللواء متولي بالاشراف على أفراد المقاومة الشعبية. ويقبض على أي شخص وطني يتعامل مع الانكليز سواء بالمساعدة أو الاتجار.وقد تمكن مع المقاومة الشعبية من الاستيلاء على الكثير مما يرسل لهم من الخارج من معدات وأغذية فبدأوا يشعرون بالحصار الوطني المدبّر. كانوا في البداية يتعاملون مع متعهدين للحوم والخضروات والفاكهة ومنتجات الألبان، ويعتمدون على مقاولين محليين في كل شيء. وبدأت المقاومة الشعبية المصرية في قطع ذلك عنهم تدريجياً. وكان رجال المخابرات البريطانية ينشطون للحصول على تحركات المقاومة المصرية وما ترمي إليه. وكان اللواء متولي معروفاً منهم بالطبع بأنه يوجه ويقود الحركة ضدهم وعلى ذلك كان اللواء متولي نصب أعينهم وكان يعاونه بعض الضباط وضباط الصف والعساكر وبعض

المرشدين (درج البوليس المصري وحتى أيامنا بالاستعانة بالمرشدين لكشف العصابات والأعمال المخلة بالأمن ويسمون في بعض البلاد العربية « المخبرين » جمع « مخبر » وتستعملهـم المخابـرات أيضاً بكثرة) الموثوق بهم الذين جندهم اللواء متولي في مجال الاطلاع على أعمال ومؤآمرات البريطانيين. وقد ذهل البريطانيون من نشاط المقاومة المصرية رغم قدرة مخابراتهم التي اشتهروا بها.

○ في تلك الفترة الحرجة دخل أحد الضباط المرموقين — وكان موضوع ثقة اللواء متولي — إلى مكتبه وبعد التحية طلب الاذن في الجلوس لسرد قصة عجيبة على السيد اللوء. فسمح له لأنه كان بحالة يرثى لها وفاقداً لأعصابه. طلب له اللواء متولي القهوة واستمع إليه حيث قال : عندي موضوع خطير جداً وهو أني وقعت فريسة المخابرات البريطانية. فطمأنه اللواء متولي حالاً بأنه لن يمس بأي أذى أو ضرر طالما « صرح » عما وقع به من الخطأ قبل إتمامه عملاً بالمادة ٨٤/أ من قانون عقوبات مصر العربية أولاً، وثانياً لأن وضع قوات الأمن المصرية في حينه يسمح بمثل حالات التسامح هذه. وطلب منه أنْ يصارحه ويكاشفه بخطأه الذي أوقعه فريسة المخابرات البريطانية بكل أمانة وصدق فقال الضابط : « يا افندم منذ حوالي شهر تقريباً وعند عودتي إلى منزلي، شعرت بأحدٍ داخل المنزل.. ولما دخلت الصالونِ المعد لجلوس الضيوف وجدت سيدة أجنبية جميلة جداً استقبلتني بالأحضان وهنا كانت المفاجأة حيث صرحت لي بأنها زوجة أحد مديري شركة القنال الأجانب وقد اختارتني أنا شخصياً لتكون صديقة لي باعتباري عازباً وأنه سيكسب كل منا من الآخر متعةً لا حدّ لها... في الواقع (والكلام لا يزال للضابط المصري) أنا لا أنكر أنني وجدت فيها وفي جمالها فرصة العمر لأنها امرأة أجنبية وفي منتهى الجمال والأنوثة ويتمناها أي رجل خاصة وقد حضرت بنفسها إلى منزلي. فجلست إلى جانبها أسألها عن

حياتها مع زوجها وكيف عرفتني وعرفت مسكني وكيف دخلت المنزل وهنا كانت المفاجأة.. اعترفت لي أنها تعمل في فرع مخابرات القنال البريطاني وأنها كانت مكلفة بتعقب حركاتي حتى جمعت عني كل المعلومات وعرفت أني أعزب وليس لي علاقات نسائية مع أحد، وأنها رأتني عدة مرات بالعين المجردة وأعجبت بي إضافة لوظيفتها. ونظراً لأنها تميل للعلاقات الجنسية لدرجة الشبق بسبب انشغال زوجها عنها لذلك فكرت وتجرأت وقررت أن تقيم معي انا علاقات جنسية إضافة إلى طلبها قيام تعاون مخابراتي بيننا. والمنفعة متبادلة فهي تزودني بمعلومات « تنفع في عملي » وأنا أزودها بمعلومات تعزز مركزها في فرع المخابرات البريطاني ! في الحقيقة (والكلام لا يزال للضابط المصري) وافقت إثر سحرها وحديثها العذب وخاصة لأني كنت متشوق لأية امرأة لكوني أعزب وأشاهد الكثير من النساء الأجنبيات الجميلات مثلها. وقد لعب الشيطان برأسي فوافقت واعتبرتها صيداً ثميناً وابتدأت معها الجنس المحرم. كانت تحضر لمنزلي كل يومين مرة حيث نمضي الليل سوياً



موظفة المخابرات البريطانية التي قدمت نفسها للظابط المصري.

حتى تطورت العلاقة وأصبحت أتمنى لقاءها أكثر فأكثر كما لمست منها ذلك أيضاً.. واليوم (حين يعترف الضابط للواء متولي) كاشفتني بصراحة عن طلب خطير للمخابرات البريطانية التي تبارك علاقتها الجنسية معي خدمة لمخابرات صاحبة الجلالة، وطلبها أن أعطيها « نسخة طبق الأصل » عن تقاريرك التي ترسلها إلى وزارة الداخلية عن أعمال المقاومة وما سيقومون به مستقبلياً من العمليات أولاً بأول. وتركتني على أن تعود بعد يومين كعادتها، وبعد انصرافها وجدت أنها تركت في درج مكتبي أثناء وجودي في الحمام مبلغ ٥٫٠٠٠ خمسة آلاف جنيه مصري (المبلغ ضخم جداً في حينه وحتى الآن في مصر) ولم تكن قد ذكرت لي شيئاً عن هذا المبلغ... هذا كل شيء عنها يا سيادة اللواء وهذه صورتها وها هو المبلغ تحت تصرفكم ».

○ عندما انتهى الضابط من رواية الجاسوسة البريطانية كان اللواء متولي رئيسه المباشر قد فهم وفكر بكل حرف وكلمة حكاها الضابط وبالاجراء الذي سيتخذه. فخطر على باله أن يستغل ميلها الجنسي نحو الضابط فقال له: أنت تأخذ الفلوس ديّه. أي الخمسة آلاف جنيه وتقوم باجازة إلى بلدك ولا تعود إلا عندما أطلب منك ذلك. وقام اللواء متولي بتحرير كل ذلك على محضر رسمي أرسله للرئاسة. مرّت ثلاثة أيام وإذا بزوجة اللواء متولي تتصل به من المنزل تخطره بوجود سيدة أجنبية تود لقاءه ؟ كان يعرف من هي ومن تكون فطلب من زوجته أن تستقبلها وتكرمها إلى حين حضوره. توجه اللواء متولي إلى منزله فوراً وكانت زوجته قد سمحت للسيدة الأجنبية بالدخول وقدمت لها « حاجة ساقعة » كما يقولون. انتاب زوجة اللواء متولي الشك بزوجها عندما سلم على السيدة الأجنبية وأدخلها إلى صالونه وطلب من زوجته أن ينفرد بها فتركته على مضض.. قالت المرأة للواء متولي بصراحة : أنا جئتك لنعقد صفقة وهي أن تترك لي الضابط. وأنا مستعدة للقيام بأي عمل تكلفني

به.. ولن أخفي عليك بأنني أصبحت رئيسة فرع مخابرات المنطقة ولكنني كامرأة لن أقوى فراق.. الضابط. وبكت وتوسلت إلى اللواء متولي أن يعيد لها صديقها وحبها. شعر اللواء بأن أنوثتها وحبها للجنس تغلبت على اخلاصها للوظيفة الهامة التي تتمتع بها في المخابرات البريطانية. أو أنها وعدت رؤساءها بأنها ستفعل المستحيل لاعادة الضابط لها ولهم فهي تشبع نهمها الجنسي أولاً وثانياً تستمر في اصطياد المعلومات الهامة منه أثناء ساعات الصفاء. تعلم اللواء متولي من هذا الحديث على الفور الطريقة التي تتبعها المخابرات البريطانية فقال في نفسه : لماذا لا نحاربهم بشيء من طرقهم فقال للسيدة الأجنبية أنا موافق على طلبك ولكن لا بدّ لي أن أطلع على دليل من إخلاصك لنا وإلا لن تنالي من الضابط شيئاً. فقالت:إن عندي التقرير اليومي عن أعمالنا والذي يرسل الى الرئاسة، وأنا على استعداد بأن أحضره لك يومياً قبل إرساله ولمدة نصف ساعة فقط. وكانت النصف ساعة كافية لتصوير التقرير وإعادته لها. وهكذا خرجت من منزل اللواء متولي تحت نظرات زوجته المحرجة ولكنه أفهم زوجته فيما بعد سبب زيارتها بشكل مختصر.

أصبحت ترسل التقرير اليومي حسب الاتفاق يومياً. وأعيد الضابط المصري إلى عمله وإلى علاقاته معها. وكان اللواء متولي يتأكد من صحة التقرير لما يحدث من جانب القوات البريطانية في الأيام التالية. وفي نفس الوقت كان الضابط المصري يطلعها على أسرار مفتعلة ومهيأة وغير صحيحة عن نشاط المقاومة الشعبية المصرية. وتأكدوا من ردود فعل التقارير المصرية المزيفة بأن أعلمها مرة بأن المقاومة الشعبية ستهاجم معسكر الجيش البريطاني في منطقة فايد بمنطقة القنال. وفي اليوم التالي كانت جميع قوات الشرطة العسكرية تحاصر المعسكر وتتحقق من هويات الداخلين والخارجين، فتأكدوا أن لهذه المرأة فعالية ومركز مرموق في المخابرات البريطانية.

كان الضابط « حسن » العنصر الهام في الابقاء على الحصول على المعلومات الهامة من رئيسة فرع مخابرات القنال التي باعت نفسها في سبيل شهوتها الجنسية. دائماً الطبيعة تتغلب على كل شيء فهي لم تخرج من أن تكون امرأة تسعد بلقاء الرجل الذي تتمناه اية امرأة أيضاً. كانت هذه المرأة نموذجاً للطرق التي تستخدمها المخابرات للوصول إلى مآربها وغاياتها من الوصول الى الأسرار الدفينة نتيجة الاغراء سواء بالنساء أو الأموال أو العطايا.

وقد تعلّم اللواء متولي من هذه الواقعة أن يحارب الانسان سواء كان ضابط مخابرات أو ضابط مباحث جنائية الداء بالداء نفسه. فالأمراض المستعصية يعدّون لها أمصالاً من نفس نوع الميكروب الذي أحدث المرض فيكون كفيلاً بالقضاء على المرض نفسه بنفسه.

النهاية

لكل قصة نهاية ونهاية قصتنا الحقيقية هذه من عالم المخابرات أن السيدة كلير جوردن وهو اسمها الحقيقي رحلت فجأة مع زوجها. وقد علم اللواء متولي أنه صدرت لهما الأوامر بالانتقال من منطقة القنال مع طلب التحقيق معهما في لندن. وذلك لأن رئاسة المخابرات كشفت أنها أصبحت عديمة الفائدة لأن التقارير التي كانت تقدمها نتيجة الموافقة لها على التضحية بنفسها وبسمعة الأنتلجانس سرفيس كانت مفتعلة وكاذبة. لأن الضابط المصري كان يعطيها معلومات عن هجوم في مكان وساعة محددة فيستعدون له بينما تضرب المقاومة في مكان آخر لم يكونوا هم قد استعدوا فيه. وبذلك ارتبكوا ارتباكاً كاملاً، أما نتيجة أعمال المقاومة المصرية المنظمة في القنال والمناطق المصرية الأخرى مع اندلاع ثورة

تموز ١٩٥٢ بقيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورفاقه الضباط الأحرار فكانت اغلاق قناة السويس وتأميمها ثم خروج المستعمر البريطاني من مصر نهائياً بعد ذلك...

من غرائب المخابرات البريطانية..!

ضابط مخابرات بريطاني يتحول الى امرأة..!

المخابرات البريطانية رغم عراقتها خلال الأربعمائة سنة التي مضت على تأسيسها تحوي بين منتسبيها منذ عشرات السنين وحتى الآن أغرب حالات الشذوذ والشواذ. وها هو « لورنس » يطل علينا من الماضي البعيد بكوفيته أي عقاله العربي وقد أمضى السنوات العديدة في الجزيرة العربية يخدم المخابرات البريطانية وكان من الشاذين. ولمن يهمه الاطلاع على المعلومات الكاملة عن حياته عليه مراجعة الصفحات ١٥٦ إلى ١٦٧ من كتاب (المخابرات والعالم ــ الجزء الثاني) لنفس هذه الموسوعة المسلسلة عن المخابرات. كما أن المخابرات البريطانية نفسها زرعت ستيفان وارد ومهنته تسهيل لقاءات رجال الأعمال والسياسيين البارزين مع فتيات مومسات ومنهن كريستين كيلر التي اشتهرت من وراء فضح علاقتها الغرامية مع وزير الحربية في حينه. وأيضاً النص الكامل لهذا الموضوع نشر في كتاب (المخابرات والعالم ــ الجزء الأول) صفحات ٢١٩ و٢٢٠. وأيضاً نعرض في هذا الجزء الثالث من سلسلة كتب المخابرات والعالم قصة موجزة لضابط مخابرات بريطاني سابق يدعى « جيمس موريس » خدم في الفرقة التاسعة من جيش الاحتلال البريطاني لفلسطين قبل عام ١٩٤٨ كضابط مخابرات منتدب الى فرع



الكابتن جيمس موريس الضابط في المخابرات البريطانية في صورة تذكارية مع أحد العرب الفلسطينيين.

في أسفل الصورة «السيدة جين موريس» سيدة تبحث عن زوج.

مخابرات مدينة القدس وكان يتجسس على الفلسطينيين العرب في حينه. هذا الضابط تحوّل مؤخراً على يد طبيب بريطاني مقيم في الدار البيضاء في المغرب الى « امرأة » بعد عملية جراحية ناجحة حيث أصبح يدعى « السيدة جين موريس » وأصبحت هذه السيدة تبحث عن زوج شاذ مثلها يرضى بها زوجاً ويتحمل معها ما تحمل من أثم ووزر في الحاق الأذى بالمناضلين الفلسطينيين. وأيضاً قامت السيدة جين موريس مؤخراً بتأليف كتاب تروي فيه قصة حياتها أو حياته.. سابقاً بما فيها من غرابة الشذوذ والمغامرات العديدة في عملها ــ أو عمله بالمخابرات البريطانية وأضاف لهذه المغامرات محاولة قهر قمة جبل أفرست بعد أن تحول للحياة المدنية. وهكذا نتساءل هل هي المصادفة أن يكون بعض العاملين في المخابرات البريطانية وضد العرب من هذه الأصناف؟

المخابرات البريطانية
تكشف عميلاً سوفياتياً

○ المخابرات البريطانية « الأنتلجانس سرفيس » تعمل منذ إنشائها قبل حوالي أربعمائة عام في كل مكان وزمان. فعملاؤها وضباطها منتشرون في جميع دول العالم وقد ذكرنا عن نشوئها وبعض أعمالها ونشاطاتها الهامة في الجزء الأول من سلسلة المخابرات والعالم وذلك في الصفحات ١٨٠ إلى ٢٢١. ونظراً لاستمرار هذه المخابرات في التآمر والنشاط وبسبب ظهور بعض المعلومات عن أعمال سابقة قامت بها هذه المخابرات العريقة عدنا للكتابة عن بعض هذه الأعمال في الجزء الثاني من سلسلة المخابرات والعالم في الصفحات ١٥٦ إلى ١٨٤. أما في كتابي (ملف الثمانينات ـــ عن حرب المخابرات) الذي صدر إلى أسواق الكتب فلم أذكر شيئاً عن أعمال هذه المخابرات المستمرة نظراً لتخصيص الملف لمواضيع خاصة بالثمانينات. وفي هذا الجزء الثالث من سلسلة المخابرات والعالم نعود إلى عرض مواضيع هامة عن المخابرات البريطانية، وقد آن الأوان لتقديمها أو عرضها على القراء حسب السياسة التي اتبعناها في اكمال الاعلام عن أعمال المخابرات بشكل عام مع مراعاة عدم تكرار المعلومات.

المخابرات البريطانية تساعد على كشف عميل سوفياتي بالنرويج

○ درجت جميع مخابرات العالم على مراقبة أي عميل تشك في نشاطه لتعلم مع من يتصل من مواطني البلد التي يتجسس بها. ولكن المخابرات البريطانية بالتعاون مع المخابرات النرويجية بدأت في قصتنا هذه بصورة مغايرة. فعندما علمت المخابرات البريطانية بطرقها الخاصة أن المدعو « آرني ترهولت » السكرتير الصحافي في وزارة الخارجية النرويجية قد باع نفسه للمخابرات السوفياتية (K.G.B.) أعلمت زميلتها المخابرات النرويجية بذلك واتفقت معها على اجراءآت إلقاء القبض على المذكور بالجرم المشهود (كما يقال بلغة المباحث الجنائية). فجرى ترصد حركاته حيث تأكدوا أنه يقيم في فندق هيلتون في فيينا التي اختارها مركزاً للالتقاء برؤسائه الروس لتقديم المعلومات التي جمعها لهم ثم قبض ما يستحق له لقاء ذلك. وقامت المخابرات النرويجية بترصد خروجه من الفندق وقاموا بتصويره حينما كان يسير مع الجنرال تيتوف والمقدم الكسندر لوباتين وهما من ضباط المخابرات السوفياتية وذلك بتاريخ يوم ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٨٣. وفي يوم ٢١ آب تمت متابعة مراقبته من قبل دورية مختلطة من المخابرات النرويجية والبريطانية وهو يتصل بالضباط السوفيات ويسلمهم الوثائق والأوراق السرية فتم تصويره أيضاً. ثم عاد الى الفندق ودفع حسابه وتوجه الى مطار أوسلو لمغادرة البلاد. وفي المطار وعندما وصل الى المكان المخصص لمشاهدة جواز سفره وختمه ختم المغادرة، عندها تقدمت منه عناصر المخابرات النرويجية وعرفته بأدب عن نفسها ثم طلبوا منه التوجه معهم برفق وبدون ضوضاء إلى مركز المخابرات (كثيراً ما نشاهد مثل هذه المناظر في الأفلام السينمائية).

وفي التحقيق اعترف ترهولت بأنه يتعامل مع المخابرات السوفياتية من أواخر الستينات عندما تعرف على الجنرال تيتوف وكان برتبة أقل من ذلك والذي كان يعمل في سفارة بلاده في نفس أوسلو حيث قبضت عليه المخابرات النرويجية سابقاً في عملية تجسس أخرى.وتم في ذلك الوقت طرده فقط من النرويج لأنه يتمتع بالحصانة الدبلوماسية.أما في هذه المرة فكان الجنرال تيتوف قد عاد الى النرويج بجواز واسم جديدين لمتابعة الاتصال مع ترهولت عميل الأمس القريب. وكانت المخابرات السوفياتية قد اختارت ترهولت للتعامل معه بعد أن أجرت دراسة تامة عن تاريخ حياته قبل التعامل معه حتى وصلوا الى اكتشاف « نقطة ضعف » لديه. فقد كان على علاقة غرامية مع فتاة بلجيكية تعمل في حلقة تجسس أيضاً كما عرفوا عنه انغماسه في لعب القمار بالاضافة الى خسارته حوالي ٨٠ ثمانين ألف دولار في سوق الفروسية.وأيضاً عرفوا عنه ذكاءه المفرط وسعة ثقافته والمستقبل السياسي الذي كان ينتظره بعد أن كان يعمل صحافياً في الجريدة الرسمية للحزب الديموقراطي الاشتراكي (أربا يتربلات) وأنه كان يشق طريقه بثقة تامة بنفسه حتى أصبح في مطلع الثمانينات نجماً ساطعاً في سماء السياسية النرويجية وفي عام ١٩٨٣ أصبح سكرتيراً صحافياً في وزارة الخارجية. وفي التحقيق اعترف أنه كان سيعود إلى فيينا بتاريخ ٢٩ كانون الثاني (يناير) من نفس العام لاجراء مقابلة ثانية مع الجنرال تيتوف. وطبعاً فإن هذه المقابلة ألغيت بعد إلقاء القبض عليه. وكان الجاسوس ترهولت قد تقدم قبل القبض عليه بأوراق حقيقية للحصول على جواز سفر جديد لتنقلاته في عالم الجاسوسية دون أن يختفي وراء اسم مستعار مثل معلمه الجنرال تيتوف الذي ذكرنا أنه عاد الى النرويج بجواز سفر مزوّر. وقد أثيرت زوبعة سياسية أثر القاء القبض عليه في الحياة السياسية وقررت الحكومة النرويجية طرد خمسة دبلوماسيين سوفيات من النرويج نظراً لعلاقتهم مع العميل ترهولت وبسبب الأسرار التي يمكن أن يكون هذا

العميل قد نقلها لهم والتي تخص الأمور العسكرية الهامة في حلف شمال الأطلسي. وأثناء فترة الحجز والتحقيق التي امتدت ثلاثة أشهر استمر ترهولت في الادلاء باعترافاته الغزيرة التي بلغت ١٠٠ مائة صفحة ضمنها أسماء عملاء آخرين كانوا يعملون تحت أمرته اعتقلوا أيضاً بأمر النيابة العامة. وفي نهاية التحقيق عبّر ترهولت عن أسفه لتجسسه ضد بلاده.

وأكد رئيس الوزراء النرويجي « كاري فيللوخ » في مقابلة صحافية أن الجاسوس ترهولت قد سبب بتجسسه لبلاده خطراً وأضراراً كبيرة. وقد علمت المخابرات النرويجية أثناء التحقيق أن ترهولت كان قد تقدم بطلب للاشتراك بدورة عسكرية لمدة سنة في أكاديمية أوسلو العسكرية ووافقت له وزارة الدفاع النرويجية في حينه. وقد ثبت أنه أراد بذلك الانتساب زيادة معلوماته العسكرية لاستخدامها في نشاطه العسكري التجسسي ضد حلف شمال الأطلسي. ومما لا شك فيه أن ترهولت كان يمثل الجناح اليساري في حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي أي أنه كان يمثل وجهة النظر السوفياتية. وتعتبر فترة خدمته في مكتب وزير البحرية جيمس إيفنس من أخطر الفترات نظراً للمشاكل البحرية التي كانت قائمة بين النرويج والاتحاد السوفياتي والتي انتهت بشكل يلائم الطرف الآخر وذلك بتأثير من ترهولت. ومن المعروف أن السفارة السوفياتية في أوسلو أبقت لديها حوالي مائة دبلوماسي بعد طرد النرويج لخمسة دبلوماسيين كانت الأدلة قد أشارت الى علاقاتهم مع ترهولت عدا عن اعترافه عليهم.

وأخيراً انتهى التحقيق وقدم الى محكمة جنايات أوسلو التي حكمت عليه بالسجن الفعلي خمسة عشر عاماً ونقل بعدها الى سجن أوسلو المركزي ليقضي عقوبته « إلّا » إذا جرى تبادله مع جاسوس مثله في الطرف الآخر... إنها حياة المخابرات.

انغماس الوزراء البريطانيين بالجنس والمخدرات

اهتمام المخابرات البريطانية بفضائح الوزراء البريطانيين

○ اهتمت المخابرات البريطانية ــ الانتلجانس سرفيس ــ بالفضيحة الجديدة التي طغت على الأحداث السياسية وهي فضيحة انغماس بعض الوزراء البريطانيين بتعاطي المخدرات والجنس الحرام. وها هو التاريخ يعيد نفسه بعد فضيحة البغي كريستين كيلر التي هزت الحكومة البريطانية وأطاحت بوزير الدفاع « في حينه » السير جون بروفيومو. وها هو وزير جديد يقع فريسة انغماسه بتعاطي المخدرات والجنس الحرام.

○ اللورد جيليكو كان عضواً في الوزارة البريطانية منذ عام ١٩٧٠ ثم عيّن حامل أختام الملكة ثم زعيم المحافظين في مجلس اللوردات وبحكم منصبيه المذكورين كان مطلعاً على أهم أسرار الدولة البريطانية. كشفت المخابرات البريطانية مؤخراً أنه كان يقيم علاقة جنسية مع بعض فتيات الهوى بواسطة الاتصال بوكالة تعلن عن نفسها في الصحف البريطانية بأنها مستعدة لتقديم الفتيات « كمرافقات » لرجال الأعمال وضيوف بريطانيا. وكان اللورد جيليكو يتصل بالوكالة ويطلب فتاة « ستكون جميلة بطبيعة الحال » ثم يدعوها للعشاء ثم يصطحبها بطبيعة

الحال إلى شقته الخاصة بعيداً عن عش الزوجية وإلى عش الجنس الحرام والشاذ لأن الأفعال التي يقوم بها مع مثل هذه البغي الراقية يمنعه حياؤه ولو كان بريطانياً من ممارستها مع زوجته وأم أولاده. وقد تعامل مع عدة وكالات لتأمين الفتيات المرافقات بالهاتف وتحت اسم مستعار ولم يكشف النقاب عن هويته الحقيقية أو وظيفته الهامة لأية فتاة وفي أي وقت من الأوقات. وعلى الرغم من ذلك الحرص فإن هويته الحقيقية « عرفت » وأصبح بالتالي محوراً للاشاعات والهمس. وبحكم المصادفة فقط تسربت هذه المعلومات إلى المخابرات البريطانية التي لها في كل مكان « عين » وأذن كما علمنا من العديد من القصص في هذا الجزء وغيره من كتب المخابرات.

○ اللورد لامبثون ـــ الوكيل البرلماني لوزارة الدفاع البريطانية لشؤون السلاح الجوي البريطاني والوكيل البرلماني لوزارة الدفاع البريطانية ـــ أيضاً كانت له علاقة جنسية مع المومس البريطانية « نورما ليفي » وقد تعرف عليها أيضاً عن طريق الاتصال بالهاتف مع وكالة خاصة لتقديم الفتيات لطالبي اللذة مقابل اجور عالية جداً. كما تعرَّف اللورد لامبثون على غيرها من فتيات الهاتف وأخذ يستفيد من خدماتهن الجسدية لتبييض الوجه أمام بعض أصدقائه اللوردات أيضاً، وأبقى لنفسه المومس نورما ليفي. واسمها الكامل كما عرف فيما بعد : هانور ماري رسل، كما سمت نفسها أيضاً : « نورما رسل » ونورما هارينغتون. وقد تزوجت من رجل مشهور في عالم الاجرام والاحتيال وتسهيل الدعارة يدعى كولين. وقد واظبت على تعاملها الجنسي مع اللورد لامبثون ولكن بأسعار عالية، وكانت المواعيد تنظم هاتفياً وعن طريق « المدام » صاحبة وكالة تقديم المرافقات. وكان من بين زبائن المدام (الشبكة) الكثير من رجال السياسة ورجال الأعمال والادارة.

نورما ليفي تتبع خطى كريستين كيلر في فضح السياسيين

○ كان اللورد لامبتون يستقبل نورما في شقة قريبة من مكتبه للاختلاء معها وكان يدفع لها مقابل الجنس مئات الجنيهات الاسترلينية ثم أخذ يعطيها ثمن الجنس أو بدل أتعابها « شيكات » تحمل اسمه وتوقيعه وهنا الغلطة أو الطامة الكبرى. وقد حاول أحد الزملاء في أيام ماضية إعطاء شيكات بنفس الطريقة ولكن زميلاً آخر نصحه فامتنع، ويظهر أن اللورد لامبتون لم يجد من ينصحه. وقد عرفته نورما من أول « شيك » وأعلمت زوجها عن شخصيته السياسية الهامة فاعتقد كولين أن بامكانه أن يحصل على مال وفير بطريقة الابتزاز بعلاقة زوجته مع اللورد فاتفق معها وهما شريكان حيث التقط صوراً جنسية فاضحة وحتى شاذة لزوجته وللورد لامبتون في الفراش واللورد لا يدري شيئاً. بعد طبع الصور الفاضحة توجه كولين الى صحيفة « نيوز أوف ذي وورلد » المتخصصة بنشر الفضائح حاملاً الصور. وبعد جلسة مريحة مع رئيس التحرير طلب منه مبلغ ٣٠ ثلاثين ألف جنيه استرليني ثمناً لهذه الصورة ولكن رئيس التحرير استمهله وأخذ يماطله بحجة التأكد من « صحتها ». عند ذلك كانت نورما تعيش على أعصابها فوقع خلاف بينها وبين زوجها. عند ذلك غضبت نورما وتوجهت الى المباحث العامة « اسكوتلنديارد » وأعلمتهم عن علاقتها الجنسية مع اللورد لامبتون لتقطع الطريق على زوجها وتمنعه من ابتزاز الصحيفة أو اللورد بواسطة الصور الفاضحة التي التقطها بنفسه لها وللورد.

○ أصبح بين يديّ المباحث البريطانية ملف عن علاقة اللورد لامبتون مع المومس نورما ليفي زوجة كولين وبين يدي المخابرات البريطانية ملف عن علاقة اللورد جيليكو بالمومسات وتعاطي الممنوعات لدى المخابرات البريطانية. وطالما أن الجهازين يتبادلان المعلومات والقضايا

المماثلة لبعضه فقد تم توحيد الملفين تحت اسم « فضيحة الجنس والمخدرات ». ونظراً لمكانة اللوردين الاجتماعية والسياسية فقد شكلت وزارة العدل البريطانية لجنة قضائية عليا برئاسة القاضي اللورد « ديبلوك فارد » للتحقق من هذين الملفين، وقد أمضت هذه اللجنة ٣٨ يوماً في البحث والدراسة والتحقيق والاستماع إلى الشهود، وقد نشرت فيما بعد تقريرها الذي كان هدفه الرئيسي بيان « هل هناك خطر على الأمن نتيجة انغماس اللوردين بالجنس والمخدرات ». ومن المعلوم أنه قبل أن تبدأ اللجنة أعمالها « استقال » اللورد لامبتون، ثم تبعه بالاستقالة اللورد جيليكو أي بعد انفضاح تورطهما في شبكة الدعارة والمخدرات. صدر تقرير اللجنة بشكل موجز لم يزد عدد صفحاته على تسع صفحات ولكنه كشف بلغة بسيطة واضحة ليس ما حدث فقط، بل ما كان يمكن أن يحدث في عالم يقع فيه اختيار المسؤولين الهامين على إحدى المومسات لقضاء الليل معها بسبب مشاكل معينة مع زوجته أو بسبب « شذوذ ما » ثم يتبين أنه ربما لها « علاقة » مع مخابرات أجنبية ربما تكون معادية لبريطانيا.

○ عندما شكل وزير العدل البريطاني هذه اللجنة باسم الحكومة البريطانية أبلغ رئيسها بأن مهمته الأولى تنحصر في الاجابة على السؤالين التاليين :

١ ــ هل تسربت معلومات سرية يحتمل أن يؤدي تسربها لالحاق الضرر بمصالح بريطانيا وحلفائها من قبل دولة أجنبية يمكن أن تصبح معادية لبريطانيا ؟

○ ردّ قرار اللجنة بعد التحقيق: كلا لم تتسرب أية معلومات.

٢ ــ هل كان من الممكن أن يتعرض أمن بريطانيا وحلفائها إلى الخطر لو أن اللورد لامبتون واللورد جيليكو « بقيا » في منصبيهما

الوزارَيْن الهامين، واستمرا في إقامة العلاقات الجنسية مع المومسات المشبوهات ؟

○ فيما يتعلق باللورد جيليكو كان جواب اللجنة هو : النفي، وقال التقرير : لا. إننا لا نعتقد أن بقاء اللورد جيليكو في منصبه كان من الممكن أن يكشل خطراً، حتى لو استمر في معاشرة فتيات الهوى، ولكن فيما يتعلق باللورد لامبتون فقد كان جواب اللجنة مختلفاً حيث ذكرت في تقريرها: « من المحتمل أنه لو بقي اللورد لامبتون في منصبه الوزاري لكان ذلك قد شكل خطراً على أمن بريطانيا وحلفائها وذلك بسبب انحرافاته الجنسية من ناحية وبسبب تعاطيه المخدرات من ناحية ثانية ».

وقد استهلت اللجنة تقريرها بالقاء أضواء كاشفة على الأخطار التي كان من المحتمل أن تلحق بأمن بريطانيا وحلفائها نتيجة اتصال أشخاص ذوي مراكز حساسة تمكنهم من الاطلاع على أعظم وأدق الأسرار بالمومسات.

وجاء في التقرير : من المعروف أن المخابرات في العالم تضطر للاستعانة بالمومسات خاصة في أوروبا للوصول الى الأسرار الهامة. فإذا كان عشيق أو « زبون » المومس مطلعاً على أسرار بلاده الهامة، أو قادراً للوصول إليها، فإنه ذلك يعرض الأمن بصورة عامة للخطر بطريقتين مختلفتين :

١ ــ يقوم هذا الشخص الزبون بكشف الأسرار الى المومس أثناء أوقات المتعة وبقصد التباهي أمامها.
٢ ــ إنه نفسه قد يعرض نفسه للخطر بعد تصويره مع المومس وهو لا يدري طبعاً بالفراش وبأوضاع مخزية ثم يجري تظهير الصور والبدء بعملية المساومة والابتزاز المالي أو التجسسي. وفي هذه الحالة قد يضطر إلى تقديم ما يطلب منه مرغماً الى المخابرات الأجنبية أو المبتزين ليتحاشى فضحه والحيلولة دون التشهير به

وتصبح هذه العملية مثل ابريق الزيت الذي يتندر بهاللبنانيون لأن الصور لا تنضب طالما لها أصل ولا يصدق من يتمسك بمثل هذه الصور طالما أن « بطل الفيلم » يدفع من ماله أو كرامته.

○ ونعود لمحتويات التقرير التي تقول : إن خطر كشف المعلومات والأسرار دون قصد موجود في جميع أشكال الاتصالات الاجتماعية مع المعارف الذي يلتقي بها الانسان بطريقة عابرة، أو مع الغرباء. وإن كشف المعلومات يمكن أن يحدث خلال حفلات الكوكتيل أو في مآدب العشاء المختلطة واكثر ما يحدث من كشف للمعلومات هو ما ذكرنا « أثناء المتعة مع المومس ». لكن الخطر الأكبر ينجم عن اضطرار الشخص المطلع على الأسرار إلى كشف المعلومات تحت ضغوط التهديد بالابتزاز والتشهير. ولهذا السبب بالذات تلجأ المخابرات الأجنبية وخاصة المخابرات الاسرائيلية للاستعانة بخدمات « فتيات الهوى » المدربات في معهد خاص بتل أبيب. ومن أهم أعمالهن مع الشبكات المختصة ومن أخطر أساليب التهديد واكثرها فعالية « التقاط الصور الفاضحة » للشخصية المقصودة والمطلعة على الأسرار. ومع هذا فإن الخطر على الأمن الناجم عن الابتزاز يجب أن ينظر إليه في إطار الظروف الخاصة المحيطة به. فهو من ناحية يتطلب تسهيلات للحصول على صور فاضحة حقيقية وخاصة إذا كان « للمستهدف » شذوذ ما، فتبدأ الاتصالات بتوجيه المومس المدرّبة من المخابرات ضد الضحية فتستدرجه إلى الشقة المعدّة للتصوير الخفي (مع الاعتذار من الفنان فؤاد المهندس وبرنامج الكاميرا الخفيّة). فيحدث ما يحدث. وهنا نؤكد أنه ليس كل الضحايا على استعداد لخيانة بلادهم. أما إذا كان الضحية يقيم فقط علاقات جنسية مع مومس عادية ومهما كان شأنه في الدولة فإن ذلك لا يشكل جريمة ولا خطيئة في « بريطانيا » إلّا بالنسبة لزوجة الضحية وأسرته.

وذكر في التقرير أيضاً :

إن التحقيقات التي أجريت أثبتت أن أيّاً من أعضاء شبكات الدعارة المستترة تحت اسم (وكالات تقديم المرافقات) لم يكن على اتصال مع اية مخابرات أجنبية أو معادية لبريطانيا سواء في الداخل والخارج. وختم التقرير باسهاب كيف انفجرت الفضيحة وكيف استقال اللورد لامبثون واللورد جيليكو من منصبيهما. وإن اللجنة واثقة من أن اللورد لامبثون « لم يفش » أية أسرار هامة، لكن الخطر كان موجوداً باحتمال حدوث ذلك نتيجة لادمانه على تعاطي المخدرات.وقد ثبت للجنة بأنه كان يتعاطى تدخين الحشيش فقط، وقد جعله ذلك معرضاً للابتزاز والتشهير اكثر من التشهير بالصور الفاضحة التي التقطت له مع المومس نورما ليفي من قبل زوجها. كما ذكر التقرير أن جميع الاشاعات القائلة بأن وزراء آخرين في حكومة صاحبة الجلالة « متورطون » في مثل هذه الفضيحة جاءت من مصادر غير موثوقة. ونحن نقول أن هذه الاشاعات صحيحة وسيأتي الوقت والسبب لكشفها.وإن غداً لناظره لقريب.

نشاط المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا

عش الجواسيس الاسرائيليين في لندن

○ تمكنت المخابرات البريطانية في شهر تموز ١٩٨٨ من كشف «خلية جواسيس» للمخابرات الاسرائيلية هدفها التجسس على العرب بصورة عامة وملاحقة النشاط الفلسطيني على الأراضي البريطانية. وقد علم أن أعضاء خلية الجواسيس هذه قد غادروا لندن بعد أن طلبت الخارجية البريطانية بالاتفاق مع المخابرات ترحيلهم بهدوء «بدلاً» من تفجير العلاقات البريطانية الاسرائيلية، التي تمر من اكثر من سنة بفترة حساسة نتيجة بعض التراكمات وبعض الممارسات الجاسوسية والسياسية بين الطرفين. ورحيل الخلية الجاسوسية الاسرائيلية من لندن، بعكس رغبة الطرفين البريطاني والاسرائيلي في عدم تفجير المزيد من الخلافات بين البلدين، خصوصاً بعد أن كشفت المخابرات البريطانية بالصدفة البحتة تغلغل المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا وقيامها بعدة عمليات على الأراضي البريطانية. وقد تمت هذه العملية المفاجئة عندما قبضت المخابرات البريطانية على شخص اسمه «اسماعيل حسن صوان» من مواليد ١٩٦٠ فلسطين ــ، للاشتباه في أنه قاتل رسام الكاريكاتير

الفلسطيني المرحوم « ناجي العلي ». وأثناء التحقيق مع اسماعيل الصوان اكتشف المحققون أنه « عميل » للمخابرات الاسرائيلية وأن هذه المخابرات قد زرعته داخل منظمة التحرير الفلسطينية للتجسس على نشاطها ورصد تحركات أفرادها. وقد اعترف « صوان » بالاضافة لتجسسه لاسرائيل.

وقال المحامي البريطاني « دايفيد كوكس » أثناء المرافعة الدفاعية عن موكله « اسماعيل صوان » أمام محكمة أولد بيلي أن موكله يعترف بتجسسه لصالح المخابرات الاسرائيلية وأنه كان يتقاضى منهم راتباً شهرياً هو « ٦٠٠ ستماية جنيه استرليني » لقاء مدّهم بمعلومات حول نشاطات عضو منظمة التحرير الفلسطينية عبد الرحيم مصطفى الذي تعتقد المخابرات البريطانية أنه وراء جريمة اغتيال ناجي العلي. وقال القاضي فرانش هايدن في الحكم الذي أصدره على اسماعيل صوان الذي أدانته هيئة محلفين بريطانية مؤلفة من ١٢شخصاً، بأنه مذنب وأنه ارتكب جناية خطيرة. وكان المدعي العالم البريطاني قد طالب بالحكم على اسماعيل صوان بأقصى العقوبات لأنه قبل تخزين حقائب الأسلحة والمتفجرات لمصطفى عبد الرحيم، مع معرفته الأكيدة بعلاقة المذكور بمنظمة التحرير خاصة وأنه كان يتجسس « عليه » لصالح المخابرات الاسرائيلية منذ فترة طويلة. وكان اسماعيل قد اعترف بأنه كان مكلفاً من « الموساد » باقامة علاقات مع « مصطفى عبد الرحيم » العضو البارز في الفرقة «١٧» الانتحارية الفلسطينية كما يدعي « صوان » والتي تعتقد المخابرات البريطانية أنه يقف خلف عملية اغتيال « ناجي العلي ». ومن المهم التأكيد على أن قصة عبد الرحيم مصطفى، وتخزين الأسلحة لدى اسماعيل صوان هي من صنع المخابرات الاسرائيلية بالكامل وأن الصوان لم يرد كشف هذه القصة أمام المحكمة، حتى لا يحاكم بعملية اغتيال ناجي العلي لأن الموساد يهمها إثارة الشكوك حول دور منظمة التحرير

في عملية اغتيال رسام الكاريكاتير الراحل. وقد فجرت اعترافات الصوان بأنه عميل للموساد أخباراً في غاية الخطورة، فكما يقول خبراء المخابرات والمحللون أن المخابرات البريطانية اكتشفت أن هناك شبكة جاسوسية كبيرة للمخابرات الاسرائيلية تعمل في بريطانيا وهي لا تعلم عنها شيئاً. وأدركت هذه المخابرات أنها أمام نشاط استخباري قوي يعمل من خلف ظهرها لحسابه الخاص ولتصفية القضايا المعادية له. هذا الاكتشاف أصاب المخابرات البريطانية بذعر شديد، خصوصاً وأن المسألة لها علاقة بالسيادة الأمنية، فالمخابرات البريطانية لا يمكن أن تسمح لأي جهاز مخابرات أن يعمل على أرضها « بدون علمها » وبدون أن تعلم أهدافه ونواياه. وهذه الحادثة أضاءت الضوء الأحمر، في مكاتب عمليات المخابرات البريطانية، التي فتحت حالاً ملف المخابرات الاسرائيلية في لندن. وعندما فتحت هذا الملف، وجدت أوراقاً في غاية الخطورة، تؤكد نشاط الموساد في بريطانيا منذ سنوات، وتدلّ على عمليات معينة قامت بها أجهزة المخابرات الاسرائيلية في قلب بريطانيا. ولخصت المخابرات البريطانية الموضوع في تقرير شامل ومكثف وجدته مارغريت تاتشر رئيسة الوزراء على مكتبها في شارع « داوننج ستريت ١٠ » وعليه كلمة « سري جداً » وكلمة « عاجل ».

وعندما قرأت تاتشر محتويات التقرير لم تخف انزعاجها الشديد وقلقها، لأنها ترفض تماماً كمخابراتها أن تتحول بريطانيا لساحة مفتوحة أمام أية أجهزة مخابرات، يتساوى في ذلك الأصدقاء والأعداء معاً، لأن قضايا الأمن القومي، تخص البريطانيين وحدهم، ولا يشاركهم فيها أيّ جهاز آخر من مخابرات العالم.

لذلك عندما ظهرت تاتشر في برنامج تلفزيوني بريطاني اسمه « العالم من حولنا » لم تخف انزعاجها الشديد من مضمون ومعلومات التقرير الذي قدمته لها مخابراتها عن نشاط المخابرات الاسرائيلية في بريطانيا

(هكذا عندهم رئيسة الوزراء تطرح على مشاهدي التلفزيون موضوع تقرير سري جداً رفع إليها من المخابرات). وقالت لمعدّ ومحلل البرنامج أنها أرسلت رسالة إنذار وجهتها إلى إسحاق شامير رئيس وزراء اسرائيل حول نشاط المخابرات الاسرائيلية في لندن. وجاء في رسالة تاتشر لاسحاق شامير كما قال معدّ البرنامج أن المخابرات الاسرائيلية ستجد نفسها على لائحة الأجهزة غير الصديقة إذا ما استمرت في مثل هذه النشاطات السرية الضارة بأمن بريطانيا. وهنا نذكر أنه طالما البرنامج برنامج تلفزيوني رسمي يُحضر السيدة تاتشر كرئيسة وزراء لمناقشتها فمعنى هذا أن بريطانيا « تعلم بعلم رئيسة الوزراء أن للمخابرات الاسرائيلية نشاطاً في بريطانيا ولكنها تعتبرها من المخابرات الصديقة ». وذكر البرنامج أن هذه الرسالة من تاتشر قد أرسلت الى شامير بعد شهرين من اعتقال « اسماعيل صوان » بتهمة حيازة أسلحة ومتفجرات في شقته بمنطقة « هال » في لندن، وبعد أيام على ابعاد شخص آخر يدعى بشارة سمارة عن الأراضي البريطانية بتهمة أن المخابرات الاسرائيلية قد « زرعته » أيضاً للتجسس على النشاط الفلسطيني.

وبعد انفجار أسرار قضية « اسماعيل صوان » وعلاقته بالمخابرات الاسرائيلية طلبت وزارة الخارجية البريطانية ترحيل الدبلوماسي الاسرائيلي « جاكوب براد » لأنه أصبح شخصاً غير مرغوب فيه. وقالت المصادر المقرّبة من المخابرات البريطانية : أن جاكوب براد كان يدير النشاط الاستخباري في السفارة الاسرائيلية (وكر التجسس في لندن) وهو الذي كان يتولى نشاط سماره والصوان المدسوسين على الفلسطينيين، وأنه قد غادر لندن فعلاً إلى تل أبيب حيث لا تسمح السلطات البريطانية بعودته بعد ذلك. وتم أيضاً إبعاد الملحق في السفارة الاسرائيلية « آري رجف » أثر انفجار قضية سمارة والصوان.

وقامت في الوقت نفسه السلطات البريطانية، بابعاد أحد العاملين في

مكتب « منظمة التحرير الفلسطينية » النظامي في لندن وهو السيد زكي أبو الهدى، بسبب انتمائه الى الفرقة الضاربة رقم (١٧) كما قالت مصادر الخارجية البريطانية. وتضيف الخارجية أن أبا الهدى والفرقة (١٧) الفلسطينية هما وراء اغتيال ناجي العلي في لندن. ولم تكن عملية ابعاد الملحق الاسرائيلي « آري رجف » والدبلوماسي الفلسطيني زكي أبو الهدى من لندن نهاية المطاف بعد فضيحة الصوان وسمارة لأن المخابرات البريطانية اكتشفت أن هناك « شبكة مخابرات اسرائيلية » تعمل بنشاط وحيوية شديدة على الأراضي البريطانية ومنذ مدة طويلة. وقد أعادت هذه المخابرات إلى الأذهان واقعة محاولة ترحيل الوزير النيجيري المعارض لحكومته عمر ديكو من أحد مطارات لندن في صندوق خشبي للبضائع، هذه المحاولة التي اكتشفت بالصدفة. وبعد التحقيق اكتشف تورط المخابرات الاسرائيلية « كما جاء في الفصل السابق لهذا الموضوع » واكتشفت علاقة الموساد بأجهزة المخابرات في بعض الدول الافريقية ودورها في القيام بعمليات خاصة لصالح بعض الأنظمة والحكومات الافريقية.

○ واقعة ثانية أو عملية ثانية قامت المخابرات الاسرائيلية بتنفيذها في لندن هي خطف المهندس الاسرائيلي النووي « مردخاي فانونو » العامل في المفاعل النووي الاسرائيلي في ديمونا من لندن، بعد قيامه بكشف أسرار الصناعة النووية الهدامة في اسرائيل عبر تحقيق باعه لجريدة « الصانداي تايمز » اللندنية لقاء مبلغ ضخم أغرته به هذه الجريدة. وقد اختفى هذا المهندس من لندن عقب نشر التحقيق بشكل سري، حيث ظهر فجأة بعد ذلك في اسرائيل أمام محكمة عسكرية اسرائيلية حكمت عليه بالسجن ١٨ عاماً بسبب إفشاء الأسرار العسكرية النووية لاسرائيل. وقد تمكن فانونو أثناء نقله من السجن الى المحكمة أن ينقل إلى بعض مراسلي الصحف خبر « خطفه » من لندن عبر روما إلى اسرائيل. مكتوباً



مقر السفارة السورية في لندن والحقد البريطاني الواضح



شامير، أنذرته تاتشر
لسحب مخابراته
من لندن.



ناجي العلي.
من قتله؟



هنداوي ومحاولة
نسف طائرة العال
الاسرائيلية.



فانونو اختطف
من لندن
لاسرائيل.

على ورقة صغيرة التقطها أحد هؤلاء المراسلين. وقد تأكدت المخابرات البريطانية بعد ذلك بأنه قد خطف فعلاً من لندن وتمّ ترحيله إلى اسرائيل بشكل سري ومخالف لجميع أنواع الأنظمة والقوانين.

○ والواقعة الثالثة هي وجود أكثر من إشارة استفهام في لندن ترصدها المخابرات البريطانية تدل على ضلوع المخابرات الاسرائيلية في فبركة قصة محاولة نسف وإسقاط طائرة العال الاسرائيلية بوضع قنبلة موقوتة ضمن حقائب إحدى المسافرات إلى تل أبيب من قبل الاردني « نزار هنداوي » واتهامه بأنه « عميل » للمخابرات السورية وأن هذه المخابرات هي التي دربته للقيام بهذه العملية. وما نتج عن ذلك من تدهور العلاقات بين بريطانيا وسوريا إثر هذه الاتهامات المغرضة والتي انساقت اليها السلطات البريطانية دون أن تتأكد أن الموساد الاسرائيلية هي « وراء » هذه العملية القذرة. وقد حكم على الهنداوي فيما بعد دون ذكر اسم المخابرات السورية مما جعل المخابرات البريطانية « تتأكد » من عملية توريط اسم السلطات السورية من قبل المخابرات الاسرائيلية نتيجة الحقد الأسود المتمثل في السعي للاساءة للمخابرات السورية البعيد كل البعد عن هذه العمليات. ومع هذا استمرت الحكومة البريطانية برئاسة تاتشر في تعنتها مدة من الزمن ثم بدأت بمحاولة إعادة العلاقات مع سوريا وجس النبض عن طريق وسطاء أوروبيين ولكن الحكومة السورية لم تستجب لأن موقفها واضح وهي صاحبة حق في الاستمرار بقطع العلاقات مع بريطانيا المتجنية دائماً.

○ هذه المعلومات أعادت المخابرات البريطانية قراءتها جيداً مرة أخرى. واكدت عمليات الرصد البريطانية، أن هناك خلية اسرائيلية كاملة من المخابرات الاسرائيلية « تعمل باستمرار في لندن ومن مقر السفارة الاسرائيلية التي يجب أن تغلق ». وان هذه الخلية تعمل تحت اسماء وصفات مستعارة ووظائف وأعمال وهمية غير حقيقية، وقد قامت

المخابرات الاسرائيلية بعد ذلك بسحب بعض عملائها من لندن واعادتهم الى تل أبيب بعد أن كشفتهم المخابرات البريطانية.

والحقيقة ان طريقة سحب هذه الخلية يكشف أن الطرف البريطاني، لا يريد توسيع نقطة الصدام مع الطرف الاسرائيلي، خصوصاً أن هناك فترة توتر منذ بعض الوقت في العلاقات نتجت بسبب تصريحات بعض المسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية، اعتبرتها اسرائيل معادية لها. وأيضاً سحب هذه الخلية من قبل اسرائيل بهدوء ودون ضجة، يترجم رغبة الجانب الاسرائيلي في عدم استفزاز المخابرات البريطانية، أو إحداث أيّ حرج للخارجية البريطانية، لأن اسرائيل تعلم أن انفجار فضيحة الصوان وسمارة قد أضرّت بالعلاقات الاسرائيلية البريطانية، خاصة وأن بعض المسؤولين البريطانيين هاجموا السياسة الاسرائيلية في الأراضي المحتلة إبّان الانتفاضة التي عرفت الآن ونحن في عام ١٩٨٨ أنها حرب الحجارة والبطولة ضد جيش محتل وقوي. وان المسؤولين البريطانيين هاجموا اسرائيل ووصفوها بأنها تطبق الاجراءات الشديدة ضد المواطنين العرب أصحاب الأرض أصلاً، بنفس الأساليب التي تتبعها جنوب افريقيا وحكومتها العنصرية. وقد كشف في لندن أيضاً أن سفر الخلية الاسرائيلية إلى فلسطين المحتلة تمّ على متن طائرة اسرائيلية تابعة لشركة العال، قامت برحلة مستأجرة من المخابرات الاسرائيلية واضافية عاجلة لانجاز هذه المهمة بشكل سريع. وقد رفضت في حينه وزارة الخارجية البريطانية والسفارة الاسرائيلية في لندن، بحث الموضوع باعتبار أنه يدخل في نطاق الأمن. كما أكدت مصادر بريطانية أن الاسرائيليين الخمسة الذين أبعدوا بعد ثبوت مشاركتهم في العمليات التجسسية ومؤآمرات خطف الناس في بريطانيا، كانوا يتنكرون خلف صفة رجال أعمال، وأنهم غادروا بريطانيا بهذا الشكل السريع بعد عملية الكشف التي قامت بها المخابرات البريطانية، وفضحت نشاط هذه الخلية

الجاسوسية التي كانت تمارس عملية التجسس، وعملية ترتيب ترحيل الخلية، بشكل سري وغير معلن، يكشف أن هناك عمليات تهدئة وتصفية، قامت بين الطرف البريطاني والاسرائيلي. فبريطانيا من ناحية لم تكن تريد تفجير الصدام الجديد مع الاسرائيليين، كما ان الاسرائيليين لم تكن لديهم الرغبة في إحداث المزيد من الخسارة لعلاقاتهم ببريطانيا، هذه العلاقات التي شهدت مصادمات عديدة في الشهور الأخيرة.

○ وقد بدأ مسلسل التصادم بين بريطانيا واسرائيل كما يلي :

١ ــ عندما نقد وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية ممارسات اسرائيل الهمجية لجهة قتل المواطنين الفلسطينيين يومياً، حصول عدة حالات تكسير وتعطيل أعضاء بعض الشبان الفلسطينيين شاهدها الجميع على شاشات التلفزيون حيث وصفها الوزير المذكور بأنها « وصمة عار » في جبين البشرية إذا سكتت عن هذه الممارسات الاسرائيلية البشعة.

٢ ــ الصدام التالي، عندما عقدت بريطانيا صفقة العصر مع المملكة العربية السعودية، التي ستقوم بريطانيا بموجبها ببيع أسلحة للسعودية تبلغ قيمتها حوالي ١٠ عشرة مليارات جنيه استرليني، وأعلنت اسرائيل عن خوفها صراحة من هذه الصفقة ومن وصول هذه الأسلحة المتطورة الى السعودية لأنها تهدد الاحتجاج الاسرائيلي غير المنطقي والذي اعتبر « تدخلاً » في الشؤون البريطانية.

٣ ــ الصدام الثالث، هو ما ذكرناه من تهجم وزير الشؤون الخارجية « دايفيد ميلور » على ممارسات السلطات الاسرائيلية المحتلة في الأراضي المحتلة ووصفه هذه الممارسات بأنها شبيهة بتلك التي تطبقها الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا. هذا التصريح

« الجريء » من وزير بريطاني قد أثار اللوبي الصهيوني في بريطانيا وخارجها ضد السياسات والتوجهات البريطانية.

○ ويأتي حادث « ترحيل » الخلية الجاسوسية الاسرائيلية من بريطانيا، دون ضجة ليؤكد أن الطرفين، يريدان التخلص من عوامل القلق وفتح صفحة جديدة. وكان الطرف البريطاني قد اشترط أن تقوم اسرائيل بحل هذه « الخلية » وترحيلها من لندن، حتى يمكن تهدئة الجو المتوتر بين الطرفين.

ويرى بعض المحللين في أمور المخابرات أن هذه المسألة هي نهاية فصل[1] من فصول الجاسوسية الاسرائيلية في بريطانيا. ويرى البعض الآخر، أن هذه العملية، قد تكون بداية لصيد عشرات خلايا التجسس الاسرائيلية التي لم يفضح أمرها وهي موجودة فعلاً في بريطانيا لأن من المعروف عن المخابرات الاسرائيلية أنها تزرع في الدولة التي يوجد لها مصلحة دائمة في التجسس عليها وبها، عدة خلايا جاسوسية « منفصلة عن بعض » حتى إذا كشفت إحدى هذه الخلايا « استمرت » بقية الخلايا في التجسس. ورغم الخلاف في وجهات النظر، إلاَّ أنه من المؤكد أن المخابرات البريطانية ستتعامل مستقبلياً مع نشاطات المخابرات الاسرائيلية بطريقة مختلفة، عن تلك التي كانت قائمة قبل انفجار فضيحة الصوان وسمارة وعمالتهما لتلك المخابرات وغير ذلك من المؤآمرات الاسرائيلية التي نفذت بين ظهراني التاج البريطاني.

---

(١) المصدر: جريدة البيان عدد ١٩٨٨/٨/٣ ومن الزميل خليل التقي مراسل مجلة الموقف العربي في سوريا. جريدة النجم الأحمر عدد ١٩٨٨/٨/٩، ومن الزميل مراسل وكالة سانا للأبناء في موسكو.

هذه المخابرات إذا لم تراقب السفارة الاسرائيلية في لندن ١٠٠٪ لاستمرت المياة تسير من تحتها وتظهر بين الفينة والفينة فضيحة جديدة عن تدخل المخابرات الاسرائيلية في الحياة البريطانية وتنفيذها المؤامرات على الأرض البريطانية.



دايفيد ميلور الوزير البريطاني الذي هاجم التصرفات الاسرائيلية



من كاريكاتير ناجي العلي



التّاريخ يُعيدُ نفسه

إغتيال
نائب القائد العام للثّورة الفلسطينيّة
المرحوم خليل الوزير - أبو جهاد
في تونس

من قِبل المخابرات الإسرائيلية
في صورة طبق الأصل

عَن

عملية إغتيال كمال ناصر وكمال عدوان ومحمّد يوسف النجّار
في بيروت عام ١٩٧٣

أول وأدق التفاصيل عن عملية « اغتيال » المرحوم ــ خليل الوزير ــ أبو جهاد.



○ التاريخ يعيد نفسه كما يقال. وهنا الحقد الاسرائيلي الأسود لا يتغير ولا يتبدل حيث تأتي جريمة اغتيال الشهيد خليل الوزير « أبو جهاد » نائب القائد العام للثورة الفلسطينية فجر يوم السبت الواقع في ١٩٨٨/٤/١٦ (١٦ نيسان أبريل ١٩٨٨) في منزله الكائن في الضاحية الشمالية في منطقة سيدي بوسعيد بالجمهورية التونسية، بعد خمس عشرة سنة بالضبط من تاريخ عملية مماثلة وطبق الأصل أقدمت عليها المخابرات والبحرية الاسرائيلية. وبالتحديد كانت العملية السابقة بتاريخ ١٩٧٣/٤/١٠ (العاشر من نيسان أبريل ١٩٧٣) وفي منطقة « فردان »

في بيروت وعرفت في حينه بـ« عملية فردان ». وقد تمكنت مجموعات من الكوماندوس والمخابرات الاسرائيلية من اغتيال ثلاثة من كبار القادة الفلسطينيين في منازلهم وهم الشهداء:

أولاً : محمد يوسف النجار « أبو يوسف » الذي كان المسؤول العسكري لحركة « فتح » وأحد قادتها التاريخيين.

ثانياً : كمال عدوان، المسؤول عن العمل النضالي داخل الأرض المحتلة، حيث استولى المهاجمون الاسرائيليون على وثائق هامة من منزله. وقد شرحنا قصتهم في الصفحات السابقة.

ثالثاً : كمال ناصر، الناطق « في حينه » باسم منظمة التحرير الفلسطينية.

والجريمة الجديدة ليست الضربة الاسرائيلية الأولى ضد القيادة الفلسطينية بعد انتقالها إلى تونس، إذ سبق أن أغارت الطائرات الاسرائيلية على مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في منطقة حمام الشط من الضاحية الجنوبية في العاصمة التونسية بتاريخ ١٩٨٥/١٠/١. (الأول من تشرين الأول ــ اكتوبر ــ ١٩٨٥). حيث تقدمت تونس في حينه بشكوى عاجلة الى مجلس الأمن فأصدر المجلس إدانته لاسرائيل في نفس شهر تشرين الأول ١٩٨٥، بسبب قصفها لمقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وهي العملية التي أسفرت في حينه عن مقتل « ١٥٦ شخصاً بين فلسطينيين وتونسيين ». لكن اسرائيل وكعادتها لم تعترف رسمياً في حينه بمسؤوليتها، وعندما أعادت اسرائيل المعتدية الكرّة واغتالت خليل الوزير على الأراضي التونسية، تقدمت تونس بشكوى جديدة إلى مجلس الأمن الدولي وسافر وزير الخارجية التونسية

محمود المستيري إلى نيويورك حيث ألقى كلمة أمام مجلس الأمن يوم ٢٢ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ طالب فيها أعضاء المجلس ببحث الوضع الناجم عن « العدوان الجديد المبيت ضد أمن وسلامة تونس ». ودعا الوزير التونسي إلى « إدانة قوية وصريحة لارهاب الدولة الذي تمارسه اسرائيل مع اتخاذ الاجراءات اللازمة لمنع تجدده فوق الأراضي التونسية ». وأضاف المستيري بأن لدى تونس ما يكفي من الأدلة لاتهام « اسرائيل » بتنفيذ هذه العملية الارهابية مشيراً بالتفصيل الى نتائج التحقيق التي توصلت اليها تونس. وجاء أصلاً في الشكوى التي قدمتها تونس الى مجلس الأمن أن اغتيال القائد الفلسطيني أبو جهاد يؤكد التدخل الاسرائيلي وانتهاك سيادة الأراضي التونسية حيث أن تونس من الدول المستقلة، وهي عضو في الأمم المتحدة. وما قيام اسرائيل بانتهاك سيادتها وللمرة الثانية إلا دليل واضح على تجاهلها التام للأعراف والقوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة في كل زمان ومكان. وأيضاً لم تعترف اسرائيل بكل وقاحة بعمليتها الجديدة الأمر الذي شكل مبرراً للمندوب الأميركي وبعض المندوبين الآخرين في مجلس الأمن لإبداء تحفظاتهم ازاء مسودة مشروع القرار الذي تقدمت به ست دول تنتمي إلى حركة عدم الانحياز، ويدعو مجلس الأمن إلى ادانة اسرائيل وأعمالها الارهابية واتخاذ الاجراءات الفورية والفعالة لمنعها من تكرار مثل هذه الأعمال الاجرامية. وهكذا عارضوا ادانة اسرائيل بالاسم، وطالبوا أن يكون هناك برهان ساطع أو اعتراف رسمي من جانب الحكومة الاسرائيلية. وفي مقابل المساندة القوية للموقف العربي التي أبداها المندوبان السوفياتي والصيني حول وجود ما يكفي من الأدلة لادانة اسرائيل، كان المندوب الياباني الموال للمندوب الأميركي بطبيعة الحال واضحاً في ابداء تحفظات بلاده مطالباً بحجج دامغة. كذلك أدان ممثلا فرنسا وبريطانيا اغتيال ابو جهاد وعبرا عن تعاطفهما مع تونس. لكنهما امتنعا عن توجيه اتهام مباشر لاسرائيل لعدم كفاية الأدلة وهذا يعتبر تواطئاً

صريحاً منهما. وهكذا نظراً الى اعتراضات الدول الغربية وافق وزير الخارجية التونسي محمود المستيري على أن لا يشير مشروع القرار إلى اسرائيل بالاسم سوى في مقدمته التي تتحدث عن الشكوى التي رفعتها تونس ضد اسرائيل في هذا العمل العدواني الجديد الذي جاء عقب اعتداء ١٩٨٥ المشكو منه والمسجل لدى مجلس الأمن كسابقة عدوان ضد اسرائيل.

وأعرب المستيري عن أسفه لموقف البلدان التي ترفض قبول أو الاعتراف بمسؤولية اسرائيل واستبعد أن تقدم تونس تنازلات أخرى في شأن نص مشروع القرار قائلاً: « ان النص يجب أن لا يكون ضعيفاً الى درجة تجعله يتحول إلى برقية تعزية لعائلات الضحايا ».

وفي مساء يوم الاثنين ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ أدان مجلس الأمن اسرائيل على العدوان الذي تعرضت له الأراضي التونسية وتنفيذ عملية اغتيال خليل الوزير نائب القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية. وجاءت الادانة بأغلبية ١٤ صوتاً لمصلحة القرار، وامتناع الولايات المتحدة عن التصويت. واعتبرت الادانة العملية التي قامت بها اسرائيل « انتهاكاً صارخاً لميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي »، وحثت الادانة الأعضاء على اتخاذ التدابير الملائمة لمنع تكرار مثل هذا الاعتداء الذي يهدد الاستقرار في حوض البحر الأبيض المتوسط كما حث قرار الادانة على « اتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ هذا القرار » مع ترك هذه المسألة قيد النظر الى حين الحصول على « عناصر جديدة ».

خلفية عملية الاغتيال لدى الحكومة التونسية

○ بعد ادانة اسرائيل من قبل مجلس الأمن حسبما شرحنا قام الرئيس التونسي الجديد « زين العابدين بن علي » بتقديم التهنئة للشعب التونسي عبر الاذاعة التونسية بمناسبة هذا الانتصار الذي ردَّ الاعتبار ودل على احترام تونس أمام المجتمع الدولي. كما عبّر أحمد المستيري الأمين العام « لحركة الديمقراطيين الاشتراكيين » المعارضة عن ارتياحه « لهذا النجاح الذي حققته الدبلوماسية التونسية ». وبعد ذلك شكلت لجنة تحقيق من قبل الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وبدأت البحث فوراً في ملابسات جريمة الاغتيال الغادرة التي تمت بمشاركة المخابرات الاسرائيلية « الموساد » والقوات البرية « كوماندوس » والبحرية والجوية الاسرائيلية بتنسيق كامل. وقد تم التحضير للعملية بواسطة ثلاثة عناصر من رجال المخابرات الاسرائيلية الناطقين باللغة العربية مع الأسف لعدم كشفهم وقد حضروا إلى تونس بجوازات سفر لبنانية مزوّرة « وما أكثرها » وهم :

١ ـــ خليل صبحي كاتم ـــ من مواليد ١٩٤٨.
٢ ـــ حوات علام مصطفى ـــ من مواليد ١٩٤٧.
٣ ـــ مجيد رياض أبو رياح ـــ من مواليد ١٩٤٨.

وهؤلاء الثلاثة هم الذين استكشفوا الطريق إلى منزل أبي جهاد وهم الذين استأجروا السيارات المدنية لاستعمالها في الاغتيال « بصورة طبق الأصل عن عملاء عملية فردان في بيروت منذ ١٥ سنة ». أما الطائرة العسكرية الاسرائيلية التي اشتركت في العملية فهي من طراز « بوينغ ٧٠٧ » تحمل الرقم ٤X٩٧٧. وهي معدّلة لتكون طائرة تجسس وتشويش بنفس الوقت ويجب إسقاطها من قبل الدول التي تحترم سيادتها بعد التأكد من عدم وجود ركاب مدنيين بها. وقد تزامن تحليقها في ممر

دولي للطيران على بعد ٥٥ كلم من المجال الجوي التونسي في نفس زمن ووقت تنفيذ عملية اقتحام منزل خليل الوزير واغتياله أي من الساعة ١,١٥ ــ إلى الساعة ١,٤٥ ــ وتمثل دورها في التشويش الالكتروني وتعطيل شبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية في المنطقة « أي أن مدى تشويشها وتجسسها يمتد الى اكثر من مسافة ٥٥ كلم بكثير » مع قيامها بالاتصال بنفس الوقت مع أفراد عملية الاغتيال وتوجيهها للسفينة الاسرائيلية إلى شاطئ « روّاد » التونسي المقفر حيث وجدت آثار انسحاب القتلة هناك.

وأكدت إيطاليا المعلومات التي توصلت إليها لجنة التحقيق التونسية، حيث ذكرت نقابة مراقبي الجو الايطاليين أن فنيين إيطاليين يعملون في برج مراقبة إيطالي اتصلوا بطائرة بوينغ ٧٠٧ إسرائيلية كانت تعبر أجواء البحر الأبيض المتوسط أثناء عملية اغتيال أبي جهاد. كما أكدت معلومات خبراء المخابرات والاعلام العسكري من جهتها، أن طائرة « بوينغ ٧٠٧ » على متنها ضباط اسرائيليون بينهم الجنرال أفيهو بن نون قائد القوات الجوية والميجر جنرال إيهود باراك، قد عبرت أجواء الساحل التونسي وأشرفت على تسيير وضبط عملية اغتيال ابي جهاد.

عملية الاغتيال ولحظات الرعب لحظة بلحظة

○ قبل انتقال ابي جهاد وعائلته الى العاصمة التونسية أثر أحداث بيروت وبعد انتقالهم، كانت « أم جهاد » واسمها انتصار الوزير تواصل العمل إلى جانبه في أحلك الظروف وأقساها، لا كزوجة فحسب وإنما كمقاتلة ومسؤولة، وكعضو في المجلس الثوري لحركة فتح الذي يعتبر المحطة الثانية في القيادة الفلسطينية. وكما في حصار بيروت وفي طرابلس وجميع معارك منظمة التحرير، برزت أم جهاد كواحدة من أفضل النساء الفلسطينيات، حيث بقيت إلى جانب زوجها الراحل ابي جهاد حتى شاهدت لحظات استشهاده على يد العملاء المأجورين وقتلة المخابرات الاسرائيلية المحترفين. وحتى أنها حاولت أن تفديه بنفسها ولكن القتلة كانوا يريدونه هو نتيجة حقدهم الأسود على جميع القادة الفلسطينيين سابقاً ولاحقاً.

قبل الدخول إلى منزل ابي جهاد في ضاحية سيدي بوسعيد في الضاحية الشمالية من العاصمة تونس. هذا المنزل الذي استشهد فيه قبل ساعات فقط من هذه المقابلة الحيّة التي أجرتها الصحافة مع أم جهاد، وكانت آثار دمائه الزكية لا تزال على الجدران، كان من المتوقع رؤية امرأة منهارة ومحطمة بسبب اغتيال زوجها أمام عينيها. لكن كانت هناك

« مفاجأة ». فقد بدت « أم جهاد » غاية في الحزن وكانت آثار الفاجعة على وجهها البشوش رغم ضخامة المأساة. لكنها كانت متماسكة وتتصرف برباطة جأش وقالت لدى محاولة مؤاساتها: « لقد أعدني أبو جهاد لمثل هذا اليوم منذ أكثر من عشرين سنة ». وقد عُلم أن أم جهاد لدى عودتها من المستشفى الوطني التونسي الكائن في العاصمة التونسية والذي كان جثمان الشهيد مسجى فيه بانتظار نقله الى دمشق، انطلقت أصوات النسوة اللواتي كنّ قد تجمّعن في منزلها بالصراخ والعويل فوقفت أم جهاد أمامهن وقالت بصوت عال « كفى عويلاً وبكاءً. لقد استشهد أبو جهاد ورحل. هذه حقيقة. وعلينا أن لا نتوقف ونستمر في الطريق الذي سار عليه ». ووضعت في آلة التسجيل شريطاً مسجل عليه بعض أناشيد المقاومة وأخذت تزغرد. بينما عقد أولادها جهاد وباسم وإيمان وحنان دبكة فلسطينية على أنغام الشريط الوطنية الفلسطينية، بينما أخذ نضال الصغير الذي يعتبر نسخة عن والده الراحل يصفق بيديه الصغيرتين.

وقف الجميع دقائق إجلالاً لروح الشهيد التي كانت لا تزال ترفرف فوقهم ثم شربوا القهوة « المرّة » حسب الطريقة الفلسطينية. وفي سكون ليل تونس الطويل روت « أم جهاد » ما جرى في الدقائق واللحظات القاسية بحضور عدد من مسؤولي المقاومة الفلسطينية ومرافقي ابي جهاد وعائلته فقالت :

بقي أبو جهاد في لقاء عمل مع الأخ أبو اللطف « فاروق القدومي » « وزير الخارجية الفلسطيني المقبل » حتى الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل. وعندما عاد إلى المنزل بدا لي مشرقاً وفرحاً ومتحمساً أشد الحماس. وبعد أن تناولنا العشاء صعدنا إلى الطابق العلوي وجلسنا في غرفة النوم التي تضمّ مكتبه الذي يستخدمه للعمل في الليل. لقد كنا هو وأنا وابنتنا حنان، بينما ذهب بقية الأولاد للنوم للتو وأولهم نضال.

وتضيف أم جهاد وهي تحاول بجهد كبير التقاط خيوط تلك الرواية الدامية التي امتدت لحظاتها وكأنها الدهر كله فتقول :

« بينما كنت مستلقية على سريري جلس أبو جهاد وراء مكتبه وأخذ يقرأ على مسمعي تقريراً جاءه من الأرض المحتلة قبل ساعات. ثم ضحك بأعلى صوته وهو يقرأ وأخذ يردد : « إن الله مع شعبنا.. إننا سننتصر. تصوري ؟ لقد اصطدمت باخرتان قبالة شاطئ غزة فسقطت حمولتهما من المواد الغذائية من جبن وسمن ومعلبات في البحر وطفت مع جرف الأمواج للساحل فهرع الناس المحاصرون وأخذوا ينتشلون هذه المعلبات ويوزعونها على العائلات الفلسطينية المتضررة في المخيمات. وعندما علمت الحكومة الاسرائيلية ومخابراتها صاحبة الحقد الأسود بذلك أعلنت أن المواد التي تحتويها الصفائح « مسمومة » لكن الناس في غزة عرفوا أن هذا الاعلان مجرد خدعة وكذبة من فبركة المخابرات الاسرائيلية بادعائها أن الأطعمة الطافية على وجه البحر قبالة غزة « مسمومة »[1] فاستمروا في التقاطها وغنموا اكبر كمية منها ».

وتستطرد « أم جهاد » وبحسرة : « ليتني لم أنم لكن النعاس غلبني حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد منتصف الليل. آخر كلمات أبي جهاد التي سمعتها أنه طلب من ابنتنا حنان أن « تترجم » له تقريراً باللغة الانكليزية كان قد وصله مؤخراً من الأرض المحتلة[2] وسمعته ــ وأنا بين الحلم واليقظة ــ وكان لا يزال مرتدياً لباسه العسكري الكامل وهو يجلس خلف مكتبه ».

---

(١) اعتراف واعلان اسرائيل عن السم منتهى الوقاحة كما أنها سممت الحمضيات فعلاً لتلحق الضرر بالمزارعين العرب.

(٢) ما هو مصير هذا التقرير، وقد ذكرت ام جهاد أن المهاجمين لم يأخذوا معهم أية أوراق رسمية لأبي جهاد.

لحظات الجريمة والغدر الاسرائيلي

○ كانت أم جهاد قد استسلمت للنوم باطمئنان الزوجة لوجود زوجها بجانبها وبين أولادها وقد استفاقت مرعوبة بعد اقتحام القتلة المنزل وها هي تتابع سرد لحظات الرعب : « كنت أغطّ في نوم عميق وإلى جانبي ابني نضال، فاستقيظت مذعورة على صوت صرير طاولة أبي جهاد (أي إزاحتها من مكانها بضغط من أبي جهاد على الطاولة فوق بلاط الغرفة) عندما نهض فجأة ودفعها إلى الأمام وسحب الكرسي الذي كان يجلس عليه إلى الخلف. وهنا بالضبط فتحت عيني فرأيته ينهض بعد هذه الحركة ويتجه نحو باب غرفتنا « غرفة النوم » بحذر وسرعة وهو يحمل مسدسه بيده يشهره بمحاذاة كتفه. هنا نهضت من سريري فوراً ولحقت به. وكانت المسافة بيني وبينه نحو ثلاثة أمتار. وعندما وصلت إلى جانبه تماماً أشار لي رحمه الله بالابتعاد دون أن يلفظ كلمة واحدة، وفتح باب الغرفة وانتحى هو مكاناً في زاوية بهو صغير ملحق بغرفة النوم وأطلق رصاصة واخدة باتجاه الدرج المؤدي من الطابق الأرضي إلى الطابق الثاني الذي نحن فيه وتقع فيه غرفة النوم. وبعد ذلك مرت لحظات سريعة لكني خلتها الدهر كله. لم نسمع أي اطلاق رصاص جواباً لطلقة زوجي. لقد نظرت من جانب زوجي باتجاه نهاية الدرج الموصل من الطابق الأرضي الى الطابق العلوي فرأيت أشباحاً تصعد الدرج وتتقدم وهي تطلق النار باتجاه زوجي، أحسست بالرصاص ينطلق وأنا ساهمة من هول المفاجأة دون أن أسمع شيئاً. ورأيت أبا جهاد وقد انطرح على الجدار بجسده ــ فيما غطت الدماء وجهه. وسقط المسدس من يده وهوى بعد ذلك على الأرض بعد إصابته بالعديد من الرصاصات في صدره ورأسه (من فمه) وساعده ».

فتوقفت أم جهاد عن الكلام برهة وقد سرحت بنظرها قليلاً الى الأعلى ثم استدركت قائلة :

• لقد كان القتلة أربعة.
• لم ألاحظ إذا كانت بينهم فتاة أم لا.
• لم أتمكن من التأكد إذا كانوا يحملون كاميرا ويصورون أم لا.
• لقد كان ثلاثة منهم متشابهين بالطول ونحالة الجسم.
• كان الرابع بديناً إلى حد ما.
• كانوا جميعاً يضعون على أنوفهم وأفواههم كمامات من النوع الذي يستخدمه الأطباء خلال العمليات الجراحية.
• لم أرَ وجه أي منهم بالضبط ولكني أتذكر كالحلم في مخيلتي أن أحدهم كانت عيناه زرقاوين.
• كانوا يرتدون ملابس عسكرية داكنة وأحذية رياضية ضخمة.
• كانت مسدساتهم من النوع الرشاش الخفيف المزوّد بكاتم للصوت وقد صوبوها نحو أبي جهاد. ومن كثرة الطلقات التي أصابته مالت طاقيته العسكرية إلى الأمام وغطت وجهه.
• تكلم أحدهم باللغة العربية لدى انسحابهم من الطابق العلوي إلى الطابق السفلي، عندما قال لابنتنا حنان التي خرجت من غرفة نومها المقابلة لغرفتنا وهي تصرخ من الفزع « بابا.. بابا » : « روحي لعند أمك ولّا ».

○ واصلت أم جهاد روايتها المؤثرة عن لحظات الجريمة الاسرائيلية البشعة والرعب فقالت :

« بعد أن سقط أبو جهاد على الأرض، أخذ الأربعة القتلة يتناوبون في اطلاق النار عليه. لقد كان أحدهم بعد أن يفرغ خزان مسدسه صوب جسد أبي جهاد المسجى بجانب الحائط، يخلي مكانه الى الآخر. وهكذا حتى أفرغوا أربعة مخازن في جسده الذي تناثر دمه على جدران البهو وسال الدم من تحته في المكان بكل اتجاه. وكان أحدهم يراقبني بالذات فكلما حاولت القاء نفسي باتجاه أبي جهاد يصوب مسدسه

نحوي ويطلب مني الابتعاد باشارة من المسدس الذي كان يحمله. وقد هددني به أكثر من مرة لاسكاتي عندما كنت أصرخ من هول الجريمة وكان يضع فوهة المسدس على رأسي. وكنت أشيح بوجهي نحو الحائط وأنا أردد بعض آيات القرآن الكريم. وعندما انتهى رابعهم من افراغ طلقات مسدسه في جسد أبي جهاد وجدت نفسي وقد فقدت السيطرة على أعصابي وصحت بأعلى صوتي : « خلاص.. خلاص.. لقد مات. ماذا تريدون ؟ حرام عليكم ».

○ وسكتت ام جهاد لحظات ثم استعادت انفاسها وتابعت قائلة : « لم تستغرق الجريمة سوى دقيقتين أو ثلاثة دقائق. وبعد أن أفرغوا رصاص خزاناتهم في جسد أبي جهاد وتيقنوا من أنه قد فارق الحياة بالفعل، توجه أحدهم بعد أن غاص بحذائه الثقيل في دم الشهيد الى غرفة كان نضال ينام فيها وأطلق عدة رصاصات أتبعها برصاصات أخرى على الجدران وستائر الشبابيك، ثم عاد مسرعاً والتحق بالآخرين فنزلوا جميعاً الى الطابق السفلي. وقد ظننت أنه قتل الطفل نضال أيضاً فاتجهت حالاً نحوه فوجدته يصرخ ويبكي من هول إطلاق المجرم النار بجانبه وفوق رأسه فعرفت أنه لا يزال على قيد الحياة فحملته وخرجت به وأعطيته الى شقيقته حنان، ثم عدت إلى أبي جهاد وانحنيت فوقه متحسسة جبينه. كان جسمه حاراً. لم أشعر أن نبضه كان لا يزال مستمراً. حاولت استخدام الهاتف لكنني وجدته معطلاً. فتركته ونزلت الى الطابق الأرضي مع الأولاد وخادمة المنزل التي كانت شبه فاقدة الوعي ».

استدركت أم جهاد قائلة : « كنت قد لاحظتهم وأنا في الطابق العلوي ينسحبون من باب الحديقة الخارجي باتجاه الشارع العام. كان عددهم أكثر من أربعة. وقد نزلت متجهة نحو خارج المنزل فوجدت الحارسين الفلسطينيين مقتولين. وكذلك الرجل التونسي الذي يعتني بالحديقة قتله المجرمون أيضاً. فأخذت أصرخ بأعلى صوتي. كان نضال

الصغير يسألني : هل أنت خائفة يا ماما ؟ أين بابا يا ماما ؟ لماذا حبيب « الحارس التونسي » نائم يا ماما ؟ بينما اختفى المجرمون الذين لم تدم غارتهم الدموية الرهيبة سوى ثمان دقائق. وفي الشارع العام أمام المنزل، أخذت أصرخ بأعلى صوتي دون أن يجيبني أحد. وكأن هذه المنطقة قد خلت من أي كائن حي بعد استشهاد زوجي وحراسه والحارس التونسي للحديقة. كنت أهرول بين طابقي المنزل حيث أبي جهاد والحديقة حيث جلست الخادمة مع الأولاد، وحيث بالقرب منهم جثث الحراس والبستاني ممدة على أرض الحديقة. لقد مرت أكثر من نصف ساعة وأنا على هذه الحالة[1] وفجأة ساقت ليّ الأقدار سائقاً فلسطينياً يسكن في جوارنا فهرع فوراً لمساعدتنا فقمنا بنقل أبي جهاد بسيارته للمستشفى، ولكن بعد فوات الأوان. لقد كنت متأكدة من أنه فارق الحياة منذ اللحظات الأولى للهجوم الغادر عليه واطلاق النار بهذا الحقد وهذه الغزارة رغم أن الأخ الذي جاء لمساعدتنا وحمل أبا جهاد إلى سيارته قد أكّد لي أن عروق أبي جهاد كانت لا تزال تنبض وأنه لم يفارق الحياة في الطريق الى المستشفى ».

○ وحول ما إذا كان القتلة المجرمين قد حملوا معهم أية أوراق أو وثائق قالت أم جهاد : « أبداً. لقد كنت أراقب كل حركاتهم وهم ينفذون الجريمة. انهم لم يأخذوا شيئاً لأن أبا جهاد لم يكن يحتفظ بالوثائق المهمة في هذا المنزل. إنني متأكدة من أنهم لم يأخذوا شيئاً، وإن حقائب أبي جهاد التي كنت قد أعددتها للسفر منذ الصباح وفيها

(١) هل من المعقول أن تبقى أم جهاد نصف ساعة وهي تصرخ وتستغيث بعد استشهاد زوجها بدون أن يهب أحداً لنجدتها؟ هل من المعقول أن يبقى منزل « نائب القائد العام للثورة الفلسطينية » يحرسه حارسان فقط ومن المفروض أن يكون المكان يعج بالحراس لمعرفتهم بغدر المخابرات الاسرائيلية، لا أن ينقل الحراس إلى الأراضي اللبنانية لمقاتلة أشقائهم.

جميع أوراقه اليومية، لا تزال في غرفتنا التي اقفلتها بيدي ولم يمسسها أحد ».

بهذه الكلمات أنهت أم جهاد حديثها الحي الى الصحافة وبعض الأهل والأصدقاء حيث روت عملية الاغتيال الغادرة من الألف الى الياء. وقد تم نقل جثمان الشهيد أبي جهاد في اليوم التالي إلى دمشق وسجي في مستشفى المواساة الرسمي حيث شيع في اليوم التالي في دمشق تشييعاً رسمياً يليق بقائد عسكري شهيد. وقد سار خلف نعشه كبار المشيعين من المسؤولين السوريين ومن الدول العربية والدول الصديقة فكيف تم ذلك ؟

الرئيس حافظ الأسد يوافق شخصياً على دفن «أبو جهاد» بدمشق

○ أثر وصول جثمان الشهيد خليل الوزير الى المستشفى الرسمي في تونس وإعلام رفيق دربه أبي عمار، اجتمعت القيادة الفلسطينية المتواجدة في تونس وتداولت بالبحث عن المكان الذي سيتم فيه «دفن الشهيد». فاقترح بعض الحضور أن يتم الدفن في تونس مكان الاستشهاد باعتبار أنه أصبح في تونس مقبرة للشهداء الفلسطينيين عقب الغارة



الرئيس حافظ الأسد استقبل عرفات بعد استشهاد أبو جهاد.

الاسرائيلية الوحشية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط بتونس واستشهاد ١٥٦ شخصاً بين فلسطيني وتونسي ودفنهم فيها. بينما اقترح البعض الآخر أن يتم دفنه في مقبرة الشهداء في بيروت بجانب زملائه القادة الثلاثة الذين استشهدوا في منطقة فردان بعملية مماثلة من الغدر والحقد الاسرائيلي الأسود عام ١٩٧٣. والبعض اقترح القاهرة

والآخرون عمّان. كما تم عرض الجمهورية العربية اليمنية بترحيبها على لسان العقيد علي عبدالله صالح باحتضان جسد الشهيد الكبير ودفنه فيها. ولكن الأغلبية من المجتمعين فكرت بدفنه في دمشق ورجحت هذه الفكرة. وهكذا تم الاتصال بالسيد خالد الفاهوم (أبو العبد) رئيس المجلس الوطني الفلسطيني السابق ورئيس جبهة الانقاذ حالياً المقيم بدمشق. وجرى إبلاغه القرار مع رغبة عائلة الشهيد خليل الوزير بدفن شهيدهم في مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق. توجه الفاهوم على رأس وفد من جبهة الانقاذ وعرض هذه الرغبة على السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية، الذي نقلها فوراً الى السيد الرئيس حافظ الأسد الذي يقدس الشهادة تقديساً كبيراً وهو الذي أطلق الشعار الأبدي عن الشهداء بأنهم « أكرم من في الدنيا وأنبل بني البشر » فوافق فوراً وكلف نائبه السيد خدام بالاشراف على ترتيبات التشييع مع وفد جبهة الانقاذ برئاسة السيد أبي العبد الفاهوم، بما في ذلك استقبال الجثمان وتشييعه بكل مظاهر التكريم العسكري اللائق بمكانة الشهيد. وتضمنت هذه الترتيبات التي أشرف عليها السيد عبد الحليم خدام استقبال الشخصيات العربية الرسمية والصديقة التي حضرت لدمشق بعد إعلان نبأ « دفن جثمان الشهيد أبو جهاد » فيها ومنها :

١ ــ السيد محمد شريف ساعدية ــ الأمين المساعد لحزب جبهة التحرير الجزائرية.

٢ ــ السيد مروان دودين ــ وزير شؤون الأرض المحتلة (في حينه) في الأردن.

٣ ــ السيد عبدالله بركات ــ وزير الداخلية في الجمهورية العربية اليمنية.

٤ ــ السيد أحمد القروي ــ مدير التجمع الدستوري الديموقراطي التونسي.

٥ ـــ السيد نجيب بن عمار ـــ وزير الداخلية التونسي.
٦ ـــ الباهي الأدغم
٧ ـــ الأخضر الابراهيمي.
٨ ـــ الوفد السوفياتي برئاسة ميخائيل كابيتسا رئيس لجنة التضامن الأفرو أسيوي.

إضافة إلى القيادات السورية واللبنانية والفلسطينية، كما أعطيت التعليمات الرسمية لرجال الشرطة العسكرية وقوى الأمن الداخلية بمصاحبة الجثمان ومرافقة التشييع من مستشفى المواساة إلى مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك بدمشق، والتغاضي خلال التشييع عن كل الشعارات التي انطلقت في لحظة فوران العاطفة. حتى الشعارات التي تشكل إساءة ما. فلحظات وداع الشهيد مقدسة، لا يجوز إفسادها لأي سبب من الأسباب. وهذا ما جرى فعلاً ولكن بدون أية هتافات مغايرة للأصول. فقد تجمع أكثر من نصف مليون مواطن فلسطيني وعربي أتوا من جميع الاتجاهات واماكن التجمع. فقد أتى الفلسطينيون من لبنان ومن الأردن حيث منحوا التسهيلات الانسانية لحضور تشييع أبي جهاد، وأتوا من مخيمات اليرموك، وحمص، وحماه، وحلب، واللاذقية، وخان الشيخ، خان دندن، السبينة، جرمانا، وانتظروا جميعا وصول الجثمان المسجى على « عربة مدفع » تكريماً لمكانته في الثورة الفلسطينية كشهيد كبير للشعب الفلسطيني. وما إن وصل موكب الجنازة الى موقف الجسر في بوابة المخيم حتى اندفعت الآلاف نحو النعش وحملوه من على عربة المدفع وساروا به مرفوعاً على الأيدي وهم يرددون : لا إله إلا الله. والشهيد حبيب الله. ومنهم من هتف لوحدة منظمة التحرير الفلسطينية حتى تمّ دفنه في مقبرةالشهداء في مراسم تليق بالشهداء الكبار وودع المسؤولون الفلسطينيون الضيوف الذين حضروا خصيصاً للمشاركة في التشييع. ومن ثم عاد الجميع إلى منازلهم وبقي جسد

الشهيد أبي جهاد يرقد تحت تلة صغيرة من التراب تغطيها أكاليل الورود الدمشقية ولم يبق بجانبه سوى زوجته أم جهاد المتشحة بالسواد وأولاده الخمسة يودعونه بالبكاء. وقد استمرت السيدة أم جهاد وأولادها وشقيقات أبي جهاد وبعض النساء الفلسطينيات يزورونه في مرقده لعدة أيام.

○ خلال ذلك كان السيد ياسر عرفات ـــ أبو عمار يراقب سير الأحداث من تونس. ولما اطمئن إلى اتمام عملية دفن الشهيد أبي جهاد في دمشق طار الى الجزائر حيث اجتمع بالرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد بحضور السيد شريف مساعده الذي كان قد عاد من دمشق بعد حضور التشييع. ثم انتقل أبو عمار الى الجماهيرية حيث اجتمع بالعقيد معمر القذافي وبعض أعضاء قيادة ثورة الفاتح، عارضاً رغبته في السفر الى العاصمة السورية بصحبة قائد ثورة الفاتح العقيد القذافي « ليضمن » استقبالاً رسمياً وهو بصحبة العقيد القذافي من الرئيس حافظ الأسد. ولكن العقيد القذافي رفض طلبه وسمح للعقيد مصطفى الخروبي بالسفر معه إلى دمشق واتصل بالسيد الرئيس حافظ الأسد هاتفياً متمنياً على سيادته استقبال ياسر عرفات في هذه الظروف وهكذا تم. فقد حطت في مطار دمشق الدولي مساء الأحد ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٨٨ طائرة ليبية خاصة هبط منها رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات والعقيد مصطفى الخروبي عضو مجلس قيادة ثورة الفاتح، والسيد صلاح خلف (أبو إياد) وبعض المرافقين الأمنيين. وكان في استقبالهم السيد سعيد حمادي عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والدكتور محمد حربة وزير الداخلية السوري. وكان هناك موكب رسمي يحوي العديد من السيارات الرسمية السوداء ـــ سيارات المراسم ـــ يحيط بها الكثير من راكبي الدراجات النارية حيث توجه الموكب بعرفات والخروبي ومرافقيهم رأساً إلى مخيم اليرموك

بدمشق حيث قرأوا الفاتحة على روح الشهيد وفوق ضريحه الندي. وفي اليوم التالي استقبل السيد الرئيس حافظ الأسد ياسر عرفات في القصر الجمهوري ولمدة أربع ساعات، وقد حضر اللقاء السيد فاروق الشرع وزير الخارجية السوري وبعض أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح. وصرح الأستاذ جبران كورية الناطق الرسمي الصحفي للقصر الجمهوري (أنَّ الحديث دار حول الوضعين العربي والفلسطيني وبخاصة حول الانتفاضة الشعبية ضد المحتلين الاسرائيليين في الأراضي الفلسطينية المحتلة وأهمية دعمها. قد سبق هذا اللقاء استقبال الرئيس حافظ الأسد للعقيد الخروبي الذي ذكرنا أنه حضر مع عرفات بنفس الطائرة الليبية. وقد صرح عرفات بعد ذلك بقوله «أشعر أني أعود إلى إخواني وأحبائي ورفاق الخندق الواحد، وسنسير سوياً إن شاء الله حتى يرتفع علم امتنا العربية فوق مآذن القدس وأسوار القدس وكنائس القدس.. إن الانتفاضة هي التراكم الثوري في أمتنا العربية وفي شعبنا الفلسطيني. نحن على موعد أن نلتقي في القدس لنصلي سوياً إن شاء الله». وقد غادر عرفات دمشق بعد ٤٢ ساعة واستمعنا إلى تصريحات لأكثر من مسؤول فلسطيني فيما كان الحديث عن غياب ابي جهاد بأن الخسارة أكبر من أن تعوض، وأن الظروف لا يمكن أن تتكرر بسهولة وهي التي ساهمت في وضع هذا الرجل في المواقع الأولى وجعلته يشغل المكانة التي كان يشغلها. وأنه في حين كان بالامكان «تعويض» قياديين فلسطينيين آخرين سقطوا شهداء على طريقة المسيرة الفلسطينية، فإن تعويض خليل الوزير لا يمكن أن يكون سهلاً، وإن تعبئة الفراغ الذي تركه تحتاج إلى جهود بالغة.

المخابرات الأميركية تدَّعي أن العملية كانت لاختطاف أبو جهاد وليس اغتياله

○ بعد الاعلان عن عملية اغتيال ابي جهاد من قبل فريق اغتيالات اسرائيلي مؤلف من عناصر مجرمة من المخابرات الاسرائيلية والكوماندوس والبحرية والقوى الجوية الاسرائيلية تصاحبهم امرأة مجرمة شقراء اللون كانت تحمل كاميرا فيديو صوّرت بها عملية الاغتيال والانسحاب بكاملها، طلبت المخابرات الأميركية والوكالات الأمنية والعسكرية الأميركية « الحصول » على نسخة من فيلم الفيديو التسجيلي للعملية، كما أبدت دوائر قيادات القوات الخاصة الأميركية وفروعها المختلفة في وزارة الدفاع اهتماماً شديداً بدراسة مخطط العملية من الألف للياء، وذلك بهدف استخلاص « الدروس المستفادة ».. وبالأحرى معرفة ما يمكن تطبيقه من جوانب الخبرة الاسرائيلية بهذا النوع من العمليات. ولم يعرف فيما إذا كانت القيادة الاسرائيلية قد استجابت لمطلب المخابرات والقيادات الأميركية المعنية بشأن « فيلم الفيديو » التسجيلي للعملية. ونحن نقول : إذا كان هناك فيلم فيديو مصوّر عن العملية وقد نفت أم جهاد وهي الشاهدة الوحيدة أنها لم تشاهد أحداً يصور العملية كما أنها لم تلاحظ وجود أية امرأة مع الفريق المجرم. نقول إذا كان هناك أي فيلم تم تصويره من قبل المخابرات الاسرائيلية، فسوف تحصل عليه المخابرات الأميركية إن عاجلاً أو آجلاً.وذلك مسألة

وقت باعتبار أن هذه ليست أول مرة تتاح فيها للمخابرات والأجهزة الأمنية الأميركية الاطلاع ودراسة العمليات الاسرائيلية بعد تنفيذها. وقد علمنا من مصادر اعلامية مترجمة عن « تقرير سري » رفع إلى وكالة الأمن القومي التابعة للبنتاغون ينطوي على « نظرية » على درجة عالية من الاثارة.. ويقول هذا التقرير وفقاً لتلك المعلومات أن « عملية الاغتيال التي اعتبرتها الدوائر الأميركية دقيقة مئة بالمئة من حيث التخطيط والتنفيذ » ما هي في الحقيقة سوى « عملية اختطاف فاشلة ». والمقصود أن العملية الاسرائيلية كانت مخططة على أساس أن تكون عملية اختطاف الزعيم الفلسطيني خليل الوزير لنقله الى اسرائيل وتقديمه هناك الى المحاكمة فيما بعد، ولها في ذلك باع طويل. فقد اختطفت المخابرات الاسرائيلية الجنرال النازي السابق « آدولف آيخمن » بعد عشرات السنين من اختفائه في البرازيل (للاطلاع رجاء مراجعة الجزء الأول من المخابرات والعالم من الصفحة ٤١٥ الى الصفحة ٤١٩). ويذهب التقرير الى أن العوامل التي أدت الى هذا الفشل لم تدرس بالتفصيل بعد. وعلى الرغم من أن هذه المصادر الأمنية لا تقول صراحة أنها كانت على علم مسبق بالعملية ضد أبي جهاد سواء اغتيال أم اختطاف. إلاّ أنها تبدو على ثقة من أن الهدف الحقيقي للعملية كان الاختطاف وليس الاغتيال. وتشير أنّ التقرير السري الأميركي المشار اليه يتضمن ما يعتبر دلائل على صحة هذه « النظرية » ومنها :

١ ــ إن الاحتياطات الكثيفة والتفصيلية التي اتخذت حول المبنى الذي يسكنه أبو جهاد، والتي تطلبت اشراك عدد كبير من الاسرائيليين ــ مخابرات ــ كوماندوس ــ مشاة ــ بحرية ــ قوى جوية ــ لم يكن يستوجبها هدف «التصفية » فضلاً عن إشراك سيارات ميكروباص.

٢ ــ إن اغتيال ثلاثة فلسطينيين وتونسي حراس مبنى ابي جهاد لم يكن ضرورياً لو كان الهدف هو التصفية.

٣ ــ إن العملية لم تكن فيما يبدو وفقاً لهذه المعلومات « المحاولة الأولى » إنما سبقتها محاولات سابقة اخطأت عناصر الوقت أو المكان، وإن المحاولات السابقة وقعت كلها منذ عام ١٩٨٢، أي منذ انتقال القيادة الفلسطينية الى تونس. وكانت آخر محاولة لاغتيال ابي جهاد ستتم في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ لكنها فشلت.

٤ ــ إن تنفيذ العملية الأخيرة سبقه تجميع قائمة اتهامات طويلة وجديدة ضد ابي جهاد منها أنه حضر « قمة سرية إرهابية » استضافها العقيد معمر القذافي في الجماهيرية. وكان الهدف من تلك القمة « وضع خطط لعمليات كبيرة وهامة وعلى درجة كبيرة من الخطورة ضد اسرائيل » وهي خطط وضعها التقرير الأميركي ــ ونقلاً عن مصادر المخابرات الاسرائيلية ــ بأنها « على درجة عالية من الطموح سواء من النواحي العملياتية أو السياسية.

وأنه في ذلك المؤتمر بدأت التمهيدات للجمع بين قيادات القوى الأكثر عداءً لاسرائيل: سوريا ــ ليبيا ــ إيران ــ منظمة التحرير الفلسطينية، وتصفية أية خلافات يمكن أن تكون باقية... في ضوء التأثيرات التي أحدثتها الانتفاضة الفلسطينية البطلة في الأرض المحتلة. كما زعمت المعلومات الأميركية ــ الاسرائيلية ان الخطط المبدئية وضعت في ذلك المؤتمر لعدة هجمات عسكرية فلسطينية مفاجئة وغير متوقعة داخل اسرائيل (أي داخل الأراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨). وشاركت في وضعها الجماهيرية مع خبراء من دول أوروبا الشرقية في وضع خطط العمليات الخاصة ».

٥ ــ إن الدور الذي أدته الطائرة المدنية الاسرائيلية المحولة إلى طائرة تشويش وتجسس، والتي شاركت في تنفيذ العملية وقامت بالتشويش على الأجهزة السلكية واللاسلكية التونسية ــ لم يكن

الدور الوحيد.. بل إن الدوائر الأميركية تعتقد أن مثل هذا الدور لم يكن مرسوماً للطائرة، إنما استخدامها كان سيتم إذا لزم الأمر في حال نجاح عملية « الاختطاف ».

وعلى أي حال فإن المصادر الأميركية تشير من ناحية أخرى إلى أن الاختطاف يبدو هدفاً « أكثر اثارة » في الظروف الاحتفالية التي تمت بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على قيام الكيان الصهيوني. وهي ترى مع ذلك أنه ربما كانت الأوامر التي حملها الفريق المنفذ هي القيام بالاغتيال « إذا » بدت هناك أية عقبات قد تفشل عملية الاختطاف.

ولا تزال الخلافات مستمرة داخل وزارة الخارجية الأميركية حول كيفية التعامل العلني مع قيام الاسرائيليين باغتيال أبي جهاد على الأراضي التونسية.. وهي الخلافات التي أربكت المتحدثين الرسميين في الرد على التساؤلات عما إذا كانت الحكومة الأميركية تعتبر أن هذه العملية تقع تحت التعريف الأميركي للارهاب. وقد كان جورج شولتز وزير الخارجية الأميركية صاحب التوجيه الذي قضى بوصفها بأنها « عملية اغتيال سياسي » وشجبها على هذا الأساس رافضاً الاستدراج إلى أي تصريح أو تلميح يفيد معرفة الحكومة الأميركية المسبقة بحقيقة ان اسرائيل هي التي نفذت العملية لوحدها. وبينما تلاشت في واشنطون الأصوات التي حاولت أن تلقي اللوم على اسرائيل، فإن المخابرات الأميركية والوكالات الأمنية الأخرى توسع دائرة اهتمامها « بالمشاركة » في المعلومات التي حصلت عليها اسرائيل خلال تنفيذ عملية اغتيال أبي جهاد. ويبدو أن الاسرائيليين قد تعمدوا إصدار اشارات أو تلميحات معينة عن انجاز العملية وتصويرها الى الأجهزة الأميركية « لاسالة لعابها » ووجود ملفات وأوراق اقتنصها الفريق الاسرائيلي الذي نفذ العملية من جوارير مكتب أبي جهاد. ولهذا يعتقد الأميركيون ــ في تلك الأجهزة أن

الاسرائيليين حصلوا على « ثروة من المعلومات في هذه الملفات يمكن أن تكون مفيدة ليس للاسرائيليين وحدهم.. وإنما أيضاً للأميركيين ».

ومن الواضح أن المخابرات الأميركية تعلق آمالاً كبيرة على النصيب الذي يمكن أن يعود إليها من هذه المعلومات.. ولديها أمنيات خاصة بأن يكون فيها ما يتعلق بالولايات المتحدة وشركاتها ومؤسساتها وافراد سفاراتها في الشرق الأوسط. أما فيما يتعلق بمدى « مصداقية » المعلومات التي تقول أن الأجهزة الأميركية كانت بشكل أو بآخر ــ على علم مسبق بعملية اغتيال ابي جهاد ــ فإن قياس هذا المدى قد يبقى صعباً مدة طويلة.. قد تمتد لسنوات، ولكن الأمر المؤكد أن المخابرات الأميركية والاسرائيلية « تنسق » الآن معاً دراسة شاملة لاحتمالات الضربات الانتقامية التي ستأتي « مستقبلاً » وكيفية « تفاديها ». وقد بدأت الحكومة الأميركية بايعاز من مخابراتها بالاتصال السري مستخدمة بعض « قنواتها » العربية في توجيه تحذيرات مشددة لعدم « شمول » المصالح الأميركية لدى القيام بأعمال انتقامية من هذا القبيل بحجة عدم تدخلهم بعملية الاغتيال. فهل نصدق؟



الرئيس حافظ الأسد استقبل عرفات
بعد استشهاد أبو جهاد..



المسؤولون السوريون والفلسطينيون
والأصدقاء خلف نعش الفقيد.



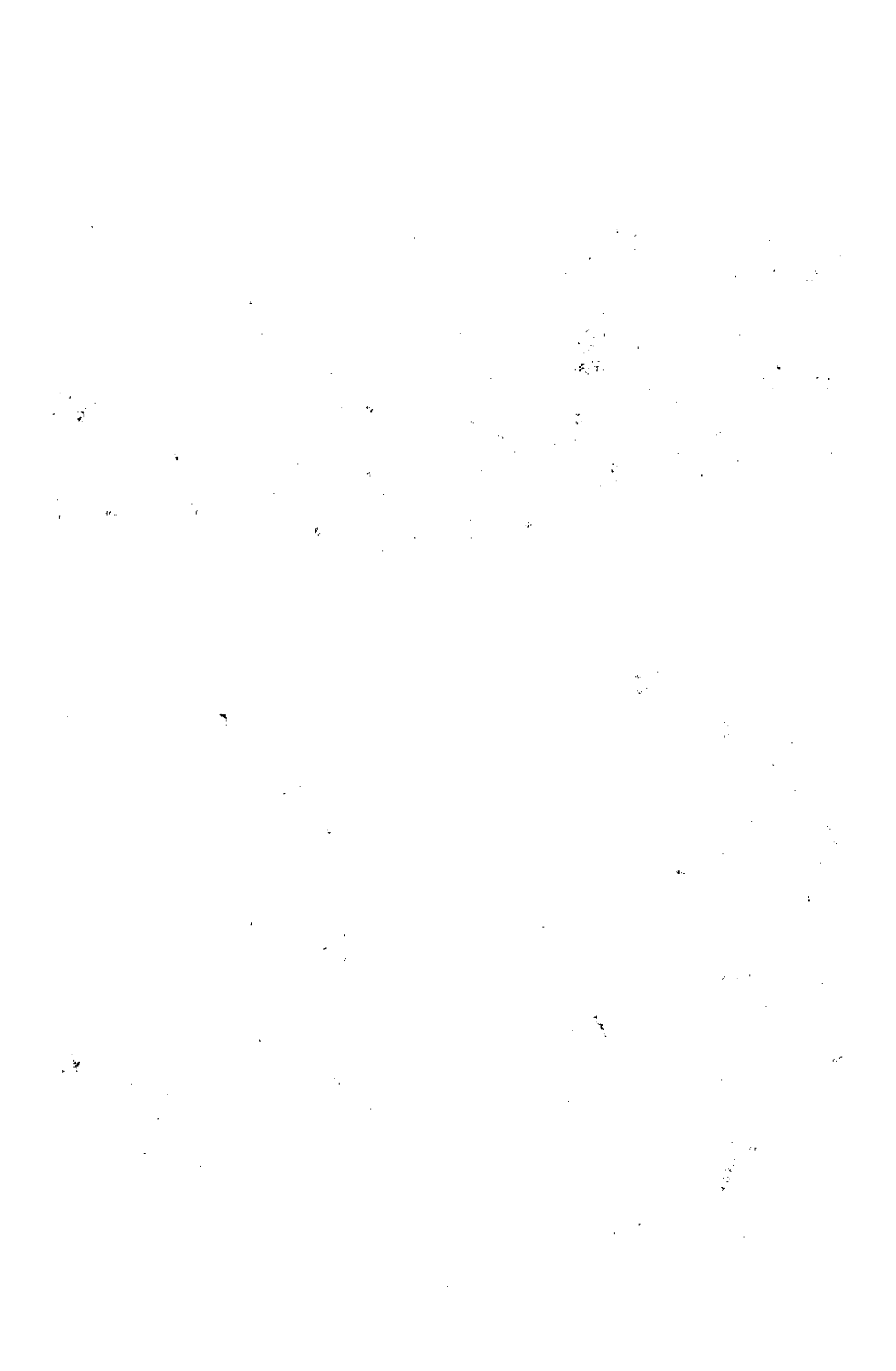
شامير سيدفع الثمن.



أم جهاد تشير الى مكان
الرصاص في مكتب زوجها



« رؤوس » المخابرات
الاسرائيلية (موساد)



مخاوف إسرائيلية من سوريا

استمرار المخابرات الاسرائيلية «الموساد» بالتجسس والادعاءات الكاذبة وعلى سوريا الحذر!



التجسس على الدول العربية وخاصة سوريا

○ كشف تقرير سري تسرب من المخابرات الأميركية أو سُربَ منها لا فرق في واشنطون إثر أزمة الجاسوس الأميركي الاسرائيلي جوناثان بولارد، النقاب عن الأساليب التي تتبعها ربيبتها المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بشكل تفصيلي والأجهزة التي تستغلها كغطاء لعملائها وجواسيسها في جميع دول العالم. وأفاد التقرير السري أن الموساد تقوم بالتجسس على نطاقين حسب تقديرات المخابرات الصهيونية :

الأول : هو التجسس على الأقطار العربية وخاصة على سوريا لتخوف اسرائيل دائماً من تقدم الاستراتيجية العسكرية فيها.

الثاني : التجسس بهدف الحصول على المعلومات العلمية والأسرار العسكرية وتوجه نشاطها في هذا الاتجاه إلى الدول المتقدمة علمياً وذات التقنيات العسكرية الراقية.

وقد خص التقرير الصادر عن المخابرات الأميركية أن المخابرات الاسرائيلية توجه اهتمامها فعلاً وبالدرجة الأولى في تجسسها على الأقطار العربية إلى سوريا التي تحسب اسرائيل لتقدمها العسكري والعلمي ألف حساب. وقد أعدت لهذا الهدف « شبكة كبيرة من الجواسيس العرب »

وجعلت من مصر مركزاً أساسياً « لعبور » الجواسيس إلى الأقطار العربية وأيضاً بصورة خاصة الى سوريا بعد تدريبهم. والمخابرات الاسرائيلية تتجسس للحصول على معلومات تتعلق بسياسة البلدان الغربية في الشرق الأوسط والفاتيكان والأمم المتحدة، وكذلك المعطيات الضرورية لارغام التكتلات المعادية لاسرائيل في الغرب لالتزام الصمت. والموساد تتجسس أيضاً على الدول المتقدمة علمياً للحصول على الأسرار العلمية إضافة الى تجسسها على البلدان الافريقية. وأيضاً تقوم الموساد بالتجسس للحصول على معلومات وأسرار علمية ولا يقتصر هذا التجسس على الدول المعادية لاسرائيل، بل يمتد الى البلدان الصديقة المتقدمة علمياً بما في ذلك الولايات المتحدة وذلك « لسرقة » الأسرار المتعلقة بصناعة الأسلحة المتقدمة علمياً التي تحجبها واشنطون عنها. وقضية بولارد لا تزال ساخنة وذلك لاستخدامها في صناعة الأسلحة في الكيان الصهيوني.

وفيها يخص تجسس اسرائيل في البلدان الافريقية يقول التقرير أن نشاط الموساد يشمل التجسس على كل شيء يخص هذه الدول من جيش وقوات الأمن الداخلي والاقتصاد وجميع الشؤون الأخرى التي تهم المخابرات الاسرائيلية والأميركية معاً. ومن المعروف أن الموساد تجند الجواسيس لصالحها بوسائل مختلفة وبالتعاون مع مختلف الأجهزة الأمنية والوزارات المعنية حيث تقدم وزارة الخارجية الصهيونية غطاءً جيداً لعدد كبير من هؤلاء الجواسيس باسم ممثلين دبلوماسيين عاملين في السلك الدبلوماسي. وكذلك فإن الشركات الحكومية الصهيونية مثل شركة « العال » للطيران وشركة « تسيم » للملاحة البحرية تقدمان غطاءً منظماً لجواسيس للموساد باسم « وكلاء » لهاتين الشركتين. وهناك الكثير من الجواسيس يعملون تحت غطاء غير رسمي مثل وكلاء سياحيين أو رجال أعمال أو أعضاء في المنظمات التجارية الدولية. ونحن نؤكد أن المخابرات الاسرائيلية تتبع كافة الوسائل الوحشية وغير المعقولة

حيث ترى أن هذه الوسائل مفيدة لها أو تحقق أغراض حكومة الكيان الصهيوني. ومن هذه الأعمال الوحشية التي ذكرناها في أماكن أخرى من هذا الكتاب وغيره اغتيال العديد من قادة ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في أنحاء العالم. وكان آخرها اغتيال الشهيد خليل الوزير في تونس في عملية جيمس بوندية شرحناها في هذا الكتاب بالتفصيل.

شركة « أوتراغ » تنفي ادعاءات اسرائيل عن سوريا

○ نفى المدير الفني لشركة « أوتراغ » الألمانية الغربية فرانك فوكاتش نفياً قاطعاً الأنباء التي نشرتها صحيفة « معاريف » الاسرائيلية بأن شركته قد وقعت عقداً ضخماً مع سوريا بشأن انتاج صواريخ ووقود سائل وبيعها لها. وأضاف فوكاتش أن شركته التي تنتج الصواريخ والوقود السائل فعلاً ليس لها أية طموحات لبيع انتاجها العسكري ولا تربطها في الوقت الراهن عقود مع اية دولة من دول العالم بما في ذلك الدول التي تخشى اسرائيل « بيعها » هذه الصواريخ وأولها سوريا والجماهيرية والسعودية. وقال المدير العام أيضاً نحن متأكدون أن هذا النبأ الذي نشرته الصحيفة الاسرائيلية هو من اختلاق القسم الصحافي الخاص بالمخابرات الاسرائيلية في تل أبيب عاصمة الكيان الصهيوني.

خشية الكيان الصهيوني من سوريا

○ أذاعت محطة الاذاعة الاسرائيلية للكيان الصهيوني في نشرتها باللغة العربية في الساعة ١٢,٣٠ من ظهيرة يوم ١٩٨٨/٧/٢٦، ان اسرائيل اخذت تخشى السلاح الكيماوي الحديث الذي أصبحت سوريا تمتلكه وسوف تستعمله بضخامة لدى أول مجابهة عسكرية مع

اسرائيل. ومن المعروف اعلامياً أن اسرائيل تطلق بين الفينة والفينة مثل هذه الأخبار وخاصة عن سوريا كبالون اختبار. ومن المفروض أن يقف الاعلام السوري « ضد » هذه الأخبار ليفشلها.

ادعاء اسرائيل أن سوريا تهددها

○ كما جاء في الافتراءات الاسرائيلية ما أذيع في نشرة أخبار القسم العربي من الاذاعة الاسرائيلية على لسان الميجر جنرال بيند الاسرائيلي وقائد منطقة غاليه العسكرية في جنوب اسرائيل في الساعة ٩,٣٠ من يوم ١٩٨٨/٨/٢ الذي صرح بأن سوريا أصبحت تهدد اسرائيل وأنها (أي سوريا) سوف تشن الحرب ضد اسرائيل وأن اسرائيل سوف تتأثر كثيراً من اية حرب مفاجئة تشنها سوريا بسبب الضائقة الاقتصادية التي تعاني منها.

مخاوف اسرائيل أيضاً من سلاح الدبابات السوري

○ وتتابع سلطات الكيان الصهيوني في ادعاءاتها المغرضة ضد سوريا ولكن هذه المرة عن طريق مصادر بريطانية في لندن ونحن لا نستغرب اشتراك المصادر البريطانية مع المصادر الصهيونية في اي عمل دعائي أو افتراء ضد سوريا بعد تلفيق عملية نزار هنداوي واتهام المخابرات السورية بها في حينه. فقد أعلنت مصادر بريطانية بواسطة صحيفة السانداي تلغراف اللندنية وطبعاً « ثمن النشر » مدفوع سلفاً، أن اسرائيل تتخوف من التصفيح الاضافي للدبابات السورية في مرتفعات الجولان. وذكرت هذه المصادر البريطانية الصهيونية بتاريخ ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ « أن مئات الدبابات السورية المنتشرة في

المناطق المقابلة للجولان مزوّدة بمواد مصفحة بالغة السرية والقوة من صنع الاتحاد السوفياتي. وهذا التصفيح يزيد بشكل كبير من قدرات تلك[1] الدبابات في الصمود أمام دبابات اسرائيل الموجودة في الطرف الآخر من مرتفعات الجولان في حالة نشوب حرب تتخوف منها اسرائيل.

وقالت هذه المصادر « إن التصفيح الاضافي يعد بمثابة غطاء آخر للدبابات السورية قابل للانفجار بطريقة معينة عند إصابته بقذيفة أو صاروخ بحيث « يبدّد » تأثير الانفجار عن هيكل الدبابة الأساسي ويمتص مفعول الانفجار مهما كان قوياً بحيث يقلل الضرر إلى درجة كبيرة ». وأشارت هذه المصادر المغرضة إلى أن البرلمان الاسرائيلي « الكنيست » ناقش موضوع نشر هذه الدبابات السوفياتية الصنع بناء لطلب وزارة الدفاع والمخابرات الاسرائيلية. وقد اتخذت توصيات في حينه تسمح لوزارة الدفاع والمخابرات العسكرية الاسرائيلية « الموساد » بتحري هذا الأمر بدقة ومن ثم إعادة عرضه على لجنة الدفاع الصهيونية في الكنيست.. ألخ. وأفادت هذه المصادر أن القوات المسلحة السورية قد نشرت أكثر من ١٣٠٠ ألف وثلاثماية دبابة سوفياتية من طراز تي — ٧٢ ثم تزويد معظمها بذلك النوع من التصفيح الخاص بالمضاد لأقسى أنواع القذائف والصواريخ وذلك خلال عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧ بحيث أصبحت هذه الدبابات أكثر مقاومة أمام راجمات الصواريخ الاسرائيلية المضادة للدروع.

(١) المصدر الزميل خليل التقي وجريدة البيان الصادرة بتاريخ ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧ نقلاً عن صحيفة الصنداي تلغراف البريطانية الصادرة بتاريخ ٢٧ كانون الأول ١٩٨٧.

وأضافت المصادر البريطانية الناطقة بلسان الكيان الصهيوني أن الاسرائيليين باتوا يخشون من هجوم سوري مباغت مستقبلاً من ناحية مرتفعات الجولان المحتلة. وأوضحت هذه المصادر « أنه بالرغم من اعتراف المسؤولين الاسرائيليين في الوقت الحاضر (أي في أواخر عام ١٩٨٧) وأمام الكنيست بعدم توقع هجوم مفاجئ من طرف سوريا »، إلا أنهم يصرّون على أن يضعوا في حساباتهم بأن استمرار تدهور الأوضاع لديهم سيعقبه « حدوث هجوم مفاجئ من سوريا » لا أحد يعرف الى أي مدى يصل مثل هذا الهجوم.ثم يعقبه طلب سوريا وقف اطلاق النار خلال ٤٨ ساعة تكون القوات الاسرائيلية قد انسحبت من الجولان « قبل » أن تتمكن من استدعاء قواتها الاحتياطية. ونسبت هذه المصادر القول إلى عسكري اسرائيلي بارز قوله : إن القوات الاسرائيلية كانت في الماضي تعتمد على تفوقها التكنولوجي لتعويض نقص الأفراد لديها، لكن تقدم « التكنولوجيا السورية » وتطويرها منذ عام ١٩٨٢ بشكل متقدم جداً وضعت التكتيك الاسرائيلي في دائرة الخطر على اسرائيل بكاملها من القوات المسلحة السورية البرية والبحرية والجوية.

السوريون يصنعون الصواريخ البعيدة المدى

○ إن مراجعة بسيطة للاتفاقات التي وقعها الجنرال الأميركي جيمس ابرامسون المدير التنفيذي لبرنامج « حرب النجوم » في تل أبيب، تظهر أن اسرائيل تتحول تدريجياً إلى ورشة فضائية، وكان دافيد بن غوريون أحد مؤسسي الكيان الصهيوني قد وصفها بالورشة الإلهية. فقد انشأت مصانع مشتركة لأكثر السلع التكنولوجية تطوراً، وهذا ما حمل مسؤول كبير في البرنامج على القول « ولو من قبيل الدعاية للكيان الصهيوني » ان هذه المصانع تؤمن مستوى من المناعة للدولة اليهودية لا تؤمنه حتى القنابل الذرية، أي أن أمن اسرائيل حسب الادعاء سيوازي من حيث

الحساسية، أمن الولايات المتحدة وهذا زمن الواقعية، ويجب أن يكون الجواب واقعياً لنكون أبناء هذا الزمن. واذا استطردنا في العمليـة الحسابية، من المعروف عن الاسرائيليين أنهم طوروا صاروخ سموه « أريحا ـــ ٢ » الذي افتتن الاميركيّـون به وأنهم لن يقفوا عند ذلك بل سيقومون خلال خمس سنوات بانتاج صاروخ أضخم ويصل الى مدى أبعد. « ومع ذلك » فالأميركيون والاسرائيليون يعلنون حالة الاستنفار لأنهم « سمعوا » أن سوريا ستحصل على صواريخ م ـــ ٩ الصينيـة والتي تصل الى مدى أبعد من مدى صاروخ أريحا ـــ ٢ وبامكانها أيضاً أن « تحمل رؤوساً نووية ». وهكذا ينبغي أن نفهم « المعادلة الصهيونية الأميركية » على أصولها : يسمح لاسرائيل بأن « تصنع » الصواريخ الكونية، ولكن يحظر على سوريا أن تشتري الصواريخ الاقليمية إذا جاز التعبير، وحتى ولو كانت هذه الصواريخ من صنع صيني ولمهمات سورية دفاعية محضة. ومع ذلك فإن الخبراء العسكريون لديهم معلومات بأن السوريين لم يشتروا من الصين أية صواريخ[1] بل إنهم يصنعونها بأنفسهم أيضاً وهذا هو الصحيح والخط الصحيح لأن اسرائيل لا تفهم سوى لغة القوة والعين بالعين.

---

(١) نفت وزارة الخارجية الصينية بيع سوريا أية صواريخ وقالت ان اسرائيل تتذرع بهذا الادعاء لغرض في نفسها، كما أن مسؤولاً عسكرياً سورياً نفى في الساعة ٨,٣٠ من مساء ١٩٨٨/٧/٢ على شاشة التلفزيون وقال بأن سوريا لم تشتري مثل هذه الصواريخ. وأيضاً الزميلة سلوى الاسطواني مكاتبة الاذاعة البريطانية في دمشق أكدت نفي سوريا لهذه الدعاية وذلك في رسالتها المذاعة من لندن صباح ١٩٨٨/٧/٣ الساعة ٨,٢٠...

القوة العسكرية السورية تشكل الخطر العسكري الرئيسي على اسرائيل

○ في سياق التهديدات الصهيونية لسوريا التي تواجه المخططات الأميركية والاسرائيلية نقلت اذاعة العدو في النشرة العربية المذاعة صباح ١٩٨٨/٩/١١ عن اسحق شامير رئيس وزراء العدو الصهيوني قوله: « إن سوريا تشكل خطراً بارزاً على اسرائيل وإن خطر الحرب معها ما زال ماثلاً لأنها لم تغيّر سياستها واستعداداتها الضخمة ».

وقال وزير الحرب الصهيوني اسحق رابين في نفس الاذاعة: « إن سوريا تشكل الآن تهديداً عسكرياً رئيسياً لاسرائيل ». وأضاف في حديثه ان اسرائيل تستطيع ضرب الخطوط السورية لكنه « اعترف » في الوقت نفسه بأن اسرائيل « غير قادرة » على التصدي للصواريخ السورية الحديثة البعيدة المدى.

وهكذا طرحنا في الصفحات القليلة السابقة مقتطفات من الادعاءات الصهيونية المغرضة ضد سوريا وما على المسؤولين سوى « استخلاص » النوايا الاسرائيلية من بين السطور لأن الكيان الصهيوني عوّدنا على « الغدر » من حرب السويس ١٩٥٦ إلى حرب حزيران الغادرة ١٩٦٧ إلى جميع الاعتداءات الاسرائيلية الغادرة وما علينا سوى الوقوف له بالمرصاد وأكرر أن العدو الاسرائيلي لا يرتدع ولا يفهم سوى بسلاح القوة والاتحاد. فهل نحن فاعلون؟



أميركا تتابع تجسسها على العالم
براً وبحراً وجواً

• • •

هكذا تتجسس أميركا على الجميع

- مكوك الفضاء للتجسس لا للإنجازات العلمية.
- روّاد الفضاء الأميركيون عملاء في الـ "سي. آي. إي".
- طائرة أس. آر. ١٣٥. تتجسس وهي على ارتفاع ٢٥ كم.
- أسرار مصرع الكابتن بوند (007)



مصرع الكابتن الأميركي « بوند 007 »

○ بتاريخ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٨٣ صدر بيان مقتضب عن البنتاغون (وزارة الدفاع الأميركية) يفيد بمقتل الجنرال روبرت بوند في حادث تدريب، ولم يتوفر من البنتاغون أي تعليق حول الحادث. وساعة بعد ساعة بدأت الأسئلة تتراكم عن مصرح الجنرال بوند:

١ ــ هل هناك علاقة تربط بين مصرع الجنرال روبرت بوند نائب القائد العام لنظام القيادة في سلاح الجو الأميركي، وبين اسقاط الطائرة الكورية الجنوبية ــ 007 فوق الأراضي السوفياتية؟

٢ ــ هل قتل الجنرال اثناء قيادته لاحدى الطائرات المتطورة ؟ واذا كان هذا قد وقع فعلاً، ما هو نوع هذه الطائرة ؟

٣ ــ كيف قتل الجنرال بوند وحده وهو الذي يبلغ من العمر ٥٤ عاماً، بينما تنص قوانين سلاح الطيران الأميركي على أن كل طيار تجاوز عمره ٤٥ عاماً لا يمكن له أن يطير بمفرده، إذ لا بد من وجود مرافق معه؟

هذه الأسئلة يبدو طرحها أقرب الى روايات « إيان فليمينغ » البوليسية من طرحها في مثل هذا الكتاب عن المخابرات،وذلك لأن سلسلة من الأحداث الغامضة رافقت الحادثتين تبرر طرح هذه الأسئلة على الأقل إن لم تقطع بوجود العلاقة السرية موضوع الفقرة (١). ونبدأ بمقتل الجنرال

بوند (يرجى ملاحظة المصادفة البوليسية بين اسم الجنرال بوند وبين رقم رحلة الطائرة الكورية 007 وبين اسم فيلم روجر مور العميل السري جيمس بوند 007) وقد استغربنا في الفقرة (٣) طيرانه بمفرده ولكن يوماً بعد يوم بدأت الاجابات تظهر: بعضها يعتمد على التخمين، وبعضها يتم تسريبه من مصادر في البنتاغون شرط عدم ذكر اسم المصدر. وكانت هذه الأجوبة تقول أن الجنرال « قتل في قاعدة نيلز » الجوية في نيفادا. وهذه القاعدة هي مركز القيادة لعدد من البرامج السرية-الجوية، ومن بينها برنامج « ستيلت » أي « الطائرة المنسلة » أو « الطائرة المنسرقة » ويقضي هذا المشروع بتطوير قاذفة قنابل استراتيجية، بالاضافة إلى طائرة مقاتلة قادرة كل منهما على الانسلال داخل المجال الجوي للعدو دون أن يكون باستطاعة حتى أحدث أجهزة الرادار التقاطها. وقالت الرواية الأولى أن الجنرال بوند قتل أثناء قيادته لطائرة تدخل ضمن هذا المشروع الذي يعتبره البنتاغون اكثر المشاريع سرية في سلاح الطيران، وهو ما يبرر أن يتولى الجنرال شخصياً القيام بالتجربة. ثم بعد ستة أيام وقعت المفاجأة عندما كشف في البنتاغون أن نائب القائد العام لنظام القيادة في سلاح الجو قتل بينما كان يقوم بتجربة طائرة سوفياتية من نوع « ميغ ٢٣ ». وبررت هذه المصادر كتمان الخبر في عدة روايات « من بينها » عدم احراج الرئيس ريغان الذي كان يزور الصين في حينه، على اعتبار أن هذه الطائرة متوفرة في الصين، وقد يستنتج المراقبون أن الولايات المتحدة حصلت عليها من الصين. وقالت هذه المصادر ان قاعدة « نيلز » تضم أيضاً مراكز لتقييم واختبار السلاح السوفياتي بادارة المخابرات الأميركية حيث يتم الحصول على السلاح السوفياتي « سراً » ومن السوق السوداء التي تغذيها اسرائيل ومخابراتها. وقالت مصادر في الادارة الأميريكة أن اسلحة الجو والبحر والبر والمخابرات تقوم بتجربة مختلف الأسلحة السوفياتية. وأنه نتيجة الحروب بين اسرائيل والعرب حصلت الولايات المتحدة على كمية كبيرة من الأسلحة

السوفياتية وأخذت تقوم بتقييمها وبتجربتها لاكتشاف نقاط الضعف والقوة فيها ومقارنتها بالسلاح الأميركي. وقالت مصادر البنتاغون أيضاً أن الجنرال بوند أمضى ٣٣ سنة في سلاح الطيران، حيث قام باكثر من ٥٠٠٠ خمسة آلاف ساعة طيران. ولعل هذا ما يبرر أن يقوم بالتجربة منفرداً. بينما كشفت مصادر في سلاح الطيران أن « جهاز اللاسلكي اللاقط » في « الميغ ٢٣ » استخدم في تجربة ميدانية في اطار مشروع « الطائرة المنسلّة » في ظروف مشابهة للمعارك الجوية الحقيقية واضافت هذه المصادر : « ان الجنرال يمكن أن يكون قد شارك في تجربة من هذا النوع أدت إلى مقتله أو ببساطة، إنه كان يقوم بتجربة « ميغ ٢٣ » ضمن مشروع « المنسلة » حيث تطلق قيادة حلف الأطلسي على « الميغ ٢٣ » اسم « فلوغر ».

من أين حصلت الولايات المتحدة على هذه الطائرة اللغز مع العلم بأن نفس الولايات وابنتها اسرائيل تكبدتا صرف الملايين للحصول على نموذج من الطائرة « الميغ ٢١ » حتى حصلت اسرائيل على طائرة بواسطة الطيار العراقي الخائن « منير روفة ».وللاطلاع على عملية سرقة « الميغ ٢١ » العراقية يرجى مراجعة الصفحات من ٤٢٨ حتى ٤٣٦ من كتاب المخابرات والعالم الجزء الأول. كما تكررت هذه الحادثة بفرار الطيار السوفياتي « فيكتور بيلينكو » إلى الولايات المتحدة عن طريق اليابان بطائرة « ميغ ٢٥ » سوفياتية تعتبر أهم من الطائرتين « ميغ ٢١ وميغ ٢٣ » بكثير حيث جرى تفكيك هذه الطائرة الهامة في قاعدة (هاكوداني) اليابانية بحضور أكثر من خمسين خبيراً أميركياً. ثم جرى نقل هيكل الطائرة السوفياتية من اليابان الى قاعدة (هيكوري) بواسطة طائرة نقل أميركية ضخمة من نوع (س. ٥. جالاكس) أرسلت خصيصاً من قبل المخابرات الأميركية التي تبنت هذه العملية ومولّتها. وإذا عدنا للاستفسار من أين حصلت الولايات المتحدة على طائرة

« الميغ ٢٣ » ؟ المصدر ما زال سرياً، لكن الخبراء العسكريين يقولون ان هذا النوع من الـ« ميغ » ظهر للمرة الأولى في الاتحاد السوفياتي عام ١٩٦٧ ثم حصلت عليه في حينه، مصر، الجزائر، العراق، فيتنام، أثيوبيا، الهند، كوبا وبعد ذلك بسنوات قليلة حصلت سوريا والجماهيرية الليبية على العشرات من هذه الطائرة. ويضيف الخبراء العسكريون هؤلاء ان الأنواع الأخرى من الـ« ميغ » متوفرة حتى أن سلاح البحرية الأميركية تلقى عرضاً لتزويده بـ ٢٤ طائرة من نوع « ميغ ٢١ » المعدّلة ليستخدمها في التدريب على القتال. غير أن الـ« ميغ ٢٣ » التي اعتمدت كطائرة رئيسية للقتال الجوي في الاتحاد السوفياتي نادرة جداً في الولايات المتحدة وإن الطائرة الـ« ميغ ٢٣ » الوحيدة التي وجدت في قاعدة « نيلز الجوية في نيفادا » والتي قتل الجنرال بوند فيها بعد أن تحطّمت شرّ تحطيم لم يكشف النقاب حتى الآن عن مصدرها أي لم يعلم حتى الان من أيّة دولة حصلت المخابرات الأميركية عليها. كما أن مقتل الجنرال بوند وهو ذو خبرة ٣٣ سنة طيران بعد أن قادها للمرة الأولى يعيد للذاكرة ادعاء الخبراء السوفيات بأن هذه الطائرة تقتل من يقودها بدون أن يعرف « سرها ».

تلك هي الرواية السائدة حتى الآن عن مصرع الجنرال بوند والنقطة المركزية فيها هي أن سلاح الجو الأميركي يضع في رأس قائمة اهتماماته تطوير مشروع « المنسلة » أو « المنسرقة » عبر صنع طائرة قادرة على التسلل من بين أجهزة الرادار الأرضية والجوية في البلد المعادي، دون أن يتم اكتشافها، وإن تكليف الجنرال « شخصياً » بقيادة طائرة « الميغ ٢٣ » وفي ظروف معركة جوية حقيقية هو لمعرفة مدى نجاح مشروع « المنسلة » في تعطيل رادارها، هو دليل على هذه الأهمية.

المخابرات الأميركية تدّعي التنصت على العقيد القذافي

○ المخابرات الأميركية تضحي بكشف بعض تصرفاتها التجسسية ضد دول العالم وشعوبه المستقلة من أجل تضخيم الأزمة التي حصلت بين بريطانيا والجماهيرية عقب مقتل شرطية بريطانية أمام سفارة الجماهيرية. كما تم في حينه كشف عدد من الجواسيس في مركز بريطانيا للتجسس في قبرص « يوضح » تجسس بريطانيا على دول الشرق الأوسط وخاصة « سوريا » بسبب مواقفها الوطنية، ومركز التجسس الرئيسي في بريطانيا يرصد كل الاتصالات العالمية. ومع ذلك لم يكتشف ما ألفته وادعته المخابرات الأميركية من سيناريو التقاط الأقمار الصناعية الأميركية « للأوامر » الصادرة من الزعيم الليبي معمر القذافي في طرابلس للمكتب الشعبي في لندن، تخوله هذه الأوامر استعمال العنف ضد الشرطة البريطانية التي كانت « تحاصر » السفارة الليبية في حينه فما هي الحقيقة في كل ذلك ؟

○ رغم تطور علوم الفضاء واستقلالها لأغراض التجسس بدرجة كبيرة لا يمكن القول بأن عالم اليوم خال من الأسرار، لأن من يعرف اسلوب عمل هذه الوسائل الاستطلاعية يعرف أيضاً كيف يحمي نفسه منها. ومع ذلك يجب الاعتراف بقدرة الدولتين العظميين، بالدرجة

الأولى، على الاطلاع على العديد من الأمور والأسرار لدى الأمم الأخرى. والولايات المتحدة تتفوق في هذا المجال خصوصاً لجهة تسخير آخر مخترعات العصر لأغراض التجسس على الجميع.

ولأن الأسرار درجات وأنواع فإن أي مهتم مثلاً يعرف الكثير عن تنصّت واشنطون ولندن ودول أخرى على الاتصالات الدولية بأنواعها، كما يعرف الكثير عن استغلال واشنطون للأقمار الصناعية في عملية التنصت والتصوير من الفضاء. ولكن أن تعترف المخابرات الأميركية بذلك « أي بتنصتها » في اطار ظروف سوف تسمح بنشر واسع لهذا الاعتراف يعم من يعرفون ومن لم يسمعوا بهذه الامكانية قط، هو أمر له مغاز كثيرة ويوضح أهمية الظرف الذي اعترفت به واشنطون. ولا يخفى على أحد للوهلة الأولى، أن واشنطون تضحي بزيادة سوء سمعتها بهذا التصرف من أجل الوصول لهدف وهو ارهاب الشعوب المستقلة وحكوماتها بسيف التجسس المسلط عليها بالعلم من الفضاء. ولا يوجد في العالم حكومة تجهل قدرة الأقمار الصناعية على التجسس، وقدرة المخابرات الأميركية والغربية على فك الشيفرات والاشارات السرية بين اية حكومة وسفاراتها بالعالم، بل إن هذه المعلومات يعرفها الكثير من الأفراد والتجار الذين لا يتحدثون بأسرارهم على الهواتف بين العواصم التي تستعمل الأقمار الاصطناعية في الاتصالات.

ونتيجة لهذه المعرفة، ومن الصعب توقع أن تلجأ أية حكومة لهذا الأسلوب وتوجه تعليمات حساسة لسفاراتها في الخارج، ولكن واشنطون وبهدف ارهاب الشعوب، أعلنت أن أقمارها الاصطناعية التقطت اتصالاً بين طرابلس ومكتبها الشعبي في لندن « السفارة الليبية » وأن محتوى الاتصال أرسل للقاعدة الخاصة في واشنطون التي قامت بتحليل الاتصال. وعندها تأكدت أنه صوت العقيد القذافي (وهنا يظهر الافتراء لأن السيد العقيد القذافي لا يتكلم على الأجهزة اللاسلكية بين طرابلس وجميع دول

العالم والذين يتكلمون هم خبراء ليبيون مختصون ينقلون الأوامر الخاصة بوزارة الخارجية الى سفاراتها). وعندما وجدت المخابرات الأميركية أن الاتصال يتعلق ببريطانيا فقد أعلم به أحد الضابطَيْن البريطانيَّين اللذَيْن يعملان في قسم التنصت الأميركي كمندوبَيْن ليُعْلِم به الخارجية في لندن. الهدف الأميركي من القصة التي لم تؤكد ولم تنف من قبل الخارجية البريطانية، هو اتهام طرابلس بتدبير حادث لندن لتصعيد الأزمة، ونحن نقول حسب خبراتنا بالتعاون الأعمى بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأميركية أن الموضوع مدبّر بينهما بشكل مسبق.

المهم في سرد الموضوع أن بريطانيا تملك بنفسها واحداً من اكبر مراكز التجسس على الاتصالات في العالم ومقره في شلتنهام وله عدة مواقع اضافية أحدها في جزيرة قبرص. وقد كشفت حوادث تجسس مؤخراً داخل المركز الرئيسي وحوادث اضطرابات عمالية. ان مركز شلتنهام هذا من ضمن أعماله التنصت على الاتصالات بين جميع العواصم العالمية، وأولها بالطبع السفارات في لندن. كما أن قوة الأجهزة المسخرة لهذا العمل تتنصت على مكالمات سائقي التاكسي في موسكو واتصالات القيادة السوفياتية من سياراتهم الخاصة بمواقع عملهم. ويضم المركز خبراء في كل اللغات العالمية، ولكن مركز شلتنهام لم يستمع للاتصال الذي ادعت المخابرات الأميركية أن أقمارها الصناعية التجسسية التقطته وهذا أمر عجيب. ثم أنه قبل حادث السفارة الليبية بأيام معدودة طفحت على السطح هناك معلومات عن اكتشاف عملاء سوفيات في المقر البريطاني للتجسس في قبرص وتم توقيف ونقل ستة من العاملين بالمقر إلى لندن للتحقيق معهم ثم قدموا الى محكمة جنايات لندن. وقيل حينها وفي العلن عن هذا المقر أنه تابع لمركز شلتنهام ووظيفته محددة في التنصت على الاتصالات والتحركات في الشرق الأوسط وخاصة سوريا. وهذا يدل على تدخّل وحقد المخابرات البريطانية على سوريا

بسبب مواقفها الثابتة في وجه الصهيونية والامبريالية والمؤامرات الغربية التي تشترك بها « بريطانيا تاتشر بشكل مكشوف » ومع ذلك فهذا الموقع أيضاً لم « يسمع » المكالمة التي ادعيّ أن القمر الصناعي التجسسي الأميركي التقطها والتي تناولتها الصحف البريطانية وأجهزة الاعلام.

ــ فنتج ان ابتلع المواطن البريطاني الطعم وأدت القصة دورها في تسخين الجو منذ البداية حيث تم قطع العلاقات من قبل بريطانيا. ومع ما بذلته المخابرات الأميركية المغرضة للحصول على مثل هذه النتيجة فإن صحيفة « الغارديان » وهي صحيفة تحترم قراءَها صدرت لتنقل بحياء وبغير تكذيب قصة أقرب للواقع حين نقلت على صفحتها الأولى عن مصادر أجنبية « لم تحددها » في العاصمة البريطانية تأكيدها « أن مثل هذه التعليمات من المستحيل أن تكون قد صدرت عن القذافي أو حكومته التي تقدر دور أوروبا وبريطانيا ». وأكدت المصادر أن اطرافاً أخرى قد تكون أجرت الاتصال بالمكتب من طرابلس ليلتقطها القمر الأميركي المسلط طبعاً على طرابلس. واذا تمت المكالمة بهذا الشكل فلا مانع من أن توجد مكالمات أخرى قبل اليوم المخصص للرحيل وبها تعليمات ليست من الحكومة الليبية. وحاولت الـ« غارديان » تبرير إرسال وفد دبلوماسي ليبي الى لندن وهو مزوّد بصلاحيات تامة لانهاء الموضوع على أرض الواقع دون اتصالات ولا تطورات. وهكذا اذن فإن مراكز بريطانيا المخصصة للتنصت أساساً، ورغم عظمتها وتخصصها في حماية لندن ووجود فرع لها في الشرق الأوسط، لم تلتقط اتصالاً وهمياً، بينما تخرج واحدة من كبريات الصحف البريطانية « تكذّب » بأدب صحفي جريء القصة الأميركية « ولكن بعد أن أدت مفعولها ».

الأقمار الصناعية التجسسية
حقيقة واقعة فوق الجميع

○ تكذيب القصة الأميركية عن التنصت على القذافي لا يعني بحال أن الأقمار الصناعية التجسسية غير قادرة على التقاط الاتصالات، بل ان قدرات هذه الأقمار اكبر من ذلك بكثير وهي في تحسن مستمر سواء على صعيد التقاط الاتصالات أو التقاط الصوّر. فمنذ صعود أول قمر اصطناعي للفضاء عام ١٩٥٧ وهو قمر سبوتينك السوفياتي، أصبح يجوب الفضاء الآن ٦٠٠٠ قمر وهيكل من صنع الانسان، منها ١٣٢٩ قمراً اصطناعياً أو محطة ارسال تقويه اتصالات تعمل بشكل متواصل، و ٢٥٠٠ تقريباً انتهى مفعولها وتجوب الفضاء ، وقد تسبب بعضها في حوادث تصادم أدت الى أن تصبح الهياكل كلها والناتجة عن التصادم ستة آلاف هيكل. ومن الهياكل العاملة، هناك الآن ١٧٠ قمراً اصطناعياً تستعمل للاتصالات الهاتفية العادية بين العواصم التي لا توجد بينها خطوط كوابل سلكية مباشرة. وتدور هذه الأقمار على ارتفاع ٣٦ كيلومتراً من الأرض وحولها. ولكن الأقمار الاصطناعية التجسسية للأغراض العسكرية لها النسبة الكبرى في الفضاء الخارجي وعددها في تزايد على حساب الأقمار التجارية والمدنية. وتغطي الأقمار العسكرية أعمالاً تبدأ من رصد الأحوال الجوية من وجهة النظر العسكرية،

والتصوير بأنواعه لاهداف محددة أو بشكل مسح لسطح الكرة الأرضية وحتى الاستماع للاتصالات والتشويش عليها إن تطلب الأمر.

من الأقمار الاصطناعية المخصصة للتنصت فقط أرسل الاتحاد السوفياتي حتى الآن اكثر من ٢٥٠ قمراً اصطناعياً، ومثلها تقريباً تملك الولايات المتحدة. بينما بدأت دول أوروبا الغربية مؤخراً بارسال أقمارها الخاصة بها. ولا يحتاج اسلوب عمل هذه الأقمار للكثير من الشرح، وهي تشابه في عملها بشكل عام الأقمار التجارية التي تستقبل المكالمات التلفونية وترسلها فوراً للطرف الآخر عبر البث اللاسلكي. ولكن الأقمار الاصطناعية العسكرية طاقتها اكبر ومعدة لالتقاط المكالمات بشكل عام، أو بتجدد مسبق لعواصم وأرقام معينة حين تتصل مع بعضها بدون اللجوء للأقمار الاصطناعية التجارية، وهي أجهزة تستعملها بعض العواصم في الاتصال مع سفاراتها عبر العالم وتشابه في عملها أجهزة الارسال والاستقبال للراديو، ولكن على موجات خاصة إلاّ أنها ليست بعيدة عن قدرة الأقمار الاصطناعية لسماعها. كذلك فإن مركز شلتنهام وأمثاله عبر العالم، مخصص للقيام بهذه المهمة من خلال رصد كل ما يقال عبر الأثير سواء من محطات الراديو العادية أو عبر أجهزة الاتصالات اللاسلكية بأنواعها المدنية والعسكرية والخاصة، الصغيرة والكبيرة. أما التنصت على التلفونات وأجهزة الاتصالات السلكية فيتم عبر رصد الأرقام المطلوب التنصت عليها سواء في مراكز الهواتف المحلية أو عبر الأسلاك بالقرب من الهواتف نفسها أو عبر أجهزة دقيقة في المباني .وهذه الأجهزة من انتاج المخابرات.

بالعودة للأقمار الصناعية التجسسية للتنصت نجد أنَّ أقمار واشنطون تمتاز عن مثيلاتها السوفياتية بطول العمر في الخدمة مما يدفع السوفيات لمجاراة ذلك بارسال عدد اكبر. القمر طراز « رايوليت » الأميركي الذي بدأ إرساله للفضاء منذ عام ١٩٧٢ مخصص للتنصت

ويمكن سماع كل الاشارات بالرادار والراديو وموجات الميكرو، وهو الذي سجل حديث الطائرة الكورية مع المطارات السوفياتية (١٩٨٣) وأرسل التسجيل في حينه لوكالة الأمن القومي الأميركية (NSA) في فورت ميد بالقرب من واشنطن وهي التي ادعت استقبالها للاشارات من طرابلس. الأقمار الأميركية من طراز « آندوز » مثلاً، وظيفتها تسجيل أي تفجير نووي على الأرض أو تحتها بواسطة رصد الأثر النيتروني من التفجير وتحديد مكانه، بالاضافة للتجسس على أيّ مصدر لأشعة « اكس »أو غاما. ومن الواضح أن هذه الأقمار تستعمل في أوقات السلم لتكشف المخابرات الأميركية ما يدور من تجارب نووية على الأرض، وفي أوقات الحرب لتعرف أين وقعت هذه الحرب بدقة. أما أقمار التصوير الاصطناعية فتشهد بلا شك تقدماً مستمراً، ولكن التمويل في هذا الأمر منتشر جداً والقصص الخرافية حول قدرات ودقة التصوير اكثر انتشاراً. وهناك العديد من الصحف التي وقعت في فخ التهويل والقول مثلاً بأن كاميرات الأقمار الصناعية التجسسية تقرأ وتصور عناوين الصحف الصباحية وهي على الأرض أو ما شابه من التهويل الأميركي المقصود. ولم يصدر حتى الآن أي تصريح علمي من الطرف الروسي أو الأميركي « يحدد » قدرات العدسات في الأقمار الاصطناعية الخاصة بالتصوير، ولكن نظرياً وحسب رأي الخبراء، فإن أدق العدسات الممكن صناعتها ستكون قادرة على توضيح وتصوير معالم جسم بطول عشرة سنتيمترات وليس أصغر من ذلك بأيّ حال نظراً لتأثير طبقات الجو من ارتفاع ٢٥ إلى ١٥٠ كيلومتراً حيث تدور الأقمار المختلفة للتصوير ولكن مثل هذه العدسات لم تخترع رغم أن المتوفر منها دقيق جداً وقريب لهذه القدرات. ونعرض أن آخر وأحدث طراز أميركي للتصوير. يسمى « كي هول ــ ١١ » ثقب المفتاح الذي ظهر أول واحد منه عام ١٩٧٦ ضمن قمر صناعي للتجسس.وقضى فترة عمل طويلة مداها ثلاث سنوات حلق خلالها حسب البرمجة المسبقة على ارتفاع يتراوح ما بين

٢٤ و٥٣ كيلومتراً. والمعروف الآن أن دقة التحديد لأجهزة التصوير تصل إلى حجم ٣٠ سنتيمتراً، أي اذا كانت حروف مانشيت الصحيفة بهذا الحجم فإن قمر ثقب المفتاح الأميركي يستطيع قراءتها. والجديد في هذا الطراز هو عدم استعماله كاميرات عادية مثل بقية الأقمار السابقة.

وبعض الأقمار السوفياتية الحديثة الآن يستعمل كاميرات عادية. وبعض الأقمار يقوم أوتوماتيكياً بدفع الفيلم بعد التصوير في كبسولة بمظلة تفتح فيما بعد وتلتقطها الطائرات من الفضاء مما يضيع الكثير من الوقت الذي قد يكون ثميناً في بعض الحالات خاصة في الحروب الحديثة. الاسلوب الجديد يعتمد على الكمبيوتر في القمر الاصطناعي التجسسي والقاعدة الأم على الأرض. فبعد التقاط الصورة فوراً بالاعتماد على المعطيات الحرارية تجزأ الصورة وترسل على شكل أرقام عبارة عن « كود » سري متفق عليه ما بين الكمبيوتر في الفضاء وزميله على الأرض ليعيد الكمبيوتر الأرضي فك « الكود » الرقمي لاشكال معينة تشكل من جديد الصورة التي التقطها القمر فوراً. وفي عالم التجسس لا بد من التجسس الضروري بالأقمار وهذا ما يفعله السوفيات الذين حصلوا من قمر جاسوس أميركي في عام ١٩٧٨ على « سر » الارسال للصور عبر الأرقام .فصنعوا قمرهم الرقمي وأرسلوه للفضاء بعد ثلاث سنوات فقط أي في عام ١٩٨١. وفي محاولة لتجنب مصاعب التصوير خلال الغيوم والضباب هناك محاولات لاعتماد اسلوب الرادار، بارسال الموجات للأرض لترتطم بها وتعود للفضاء ليلتقطها هوائي القمر الاصطناعي التجسسي الذي يرسم الصورة حسب زمن ارتداد الصدى. ورغم أن هذا يعتبر حلاً، إلاً أنه لا يخلو من المشاكل وأهمها قدرة الطرف الآخر على تسجيل موجات الارسال وتتبعها لمعرفة وتحديد مكان القمر الاصطناعي وتحديد المدار الذي يسير فيه في الفضاء وبالتالي اخفاء ما يلزم عنه في ذلك المدار أو مدّه بالمعلومات والصور الخاطئة.ومن الأنواع الأقدم أي

من الجيل الرابع للأقمار الاصطناعية لدى الأميركيين هناك طراز « بغ بورد » (العصفور الكبير) الذي يبلغ وزنه ١٣ طناً وقطره ٣ أمتار وطوله ١٥ متراً ويعمل من ارتفاع ١٨٠ ـــ ٢٩٠ كيلومتراً ومن المعروف أن الأميركيين قد أطلقوا أول أقمارهم التجسسية عام ١٩٦١.

المخابرات الأميركية تتجسس بأقمارها على الأصدقاء أيضاً

○ الحقيقة الثابتة أن المخابرات الأميركية في واشنطون لا تتجسس فقط على الاتحاد السوفياتي رغم أنه يحظى بالنصيب الأكبر من الاهتمام، ولكن التجسس يشمل كل دول العالم الصديقة والحيادية والمعادية لواشنطون وبدرجات متفاوتة بالطبع. أما أساليب التجسس فتبدأ من العميل السري بالنظارة السوداء وتصل للأقمار الصناعية التجسسية مارة مثلا بحوالي ٤٢٠٠ محطة الكترونية أرضية منتشرة فوق الكرة الأرضية لصالح المخابرات الأميركية. ومنها بعض المحطات على الأرض العربية تبث كلها معلوماتها للمخابرات المركزية الأميركية ووكالة الأمن القومي. عدا المحطات هناك السفن الالكترونية لرصد الاتصالات وتتبع الأهداف، وهناك طائرات « آر.سي. ١٣٥ » للتنصت والرصد وعددها ٤٧ طائرة واحداها كما ذكرنا رافقت الطائرة الكورية التي اسقطت في بحر اليابان بعد اختراقها المجال الجوي السوفياتي كما شرحنا في الفصل السابق. ووظيفة هذه الطائرات اجمالاً الطيران على الحدود السوفياتية أو غيرها لرصد وسماع ما يدور من اتصالات، واستفزاز الدفاعات الجوية أحياناً لمعرفة « رد الفعل السوفياتي » ابتداء من اسلوب وموجات عمل الرادار وليس انتهاء بالمكالمات بين الطائرات المطاردة والأوامر الصادرة لها.

○ ويلي هذا الاسطول الطائر المؤلف عن طائرات « يو ـ ٢ » الشهيرة التي أسقطت موسكو واحدة منها فوق الأراضي السوفياتية عام ١٩٦٠ رغم تحليقها العالي (راجع الصفحات ٢٩٥ إلى ٢٩٨ من هذه السلسلة ـ المخابرات والعالم) والنوع الأحدث لهذه الطائرات هو « تي. آر. ٧١ » ويوجد منها ٣٥ طائرة تستطيع الطيران بارتفاع عشرين كيلومتراً ورصد ما يدور في حدود عمق ٥٠٠ كيلومتر، بالاضافة الى امتلاك المخابرات الأميركية لـ٣٤ طائرة « أواكس » التي تتوفر فيها معدات أضخم ولها مهام توجيه اضافية. وقد اشترت المملكة العربية السعودية عدداً من طائرات « الأواكس » هذه وأضافتها إلى سلاح طيرانها القوي للاستفادة من خصائصها المعروفة. وأيضاً تملك المخابرات الأميركية طائرة « أس. آر. ٧١ » التي يصل مدى ارتفاعها ٢٥ كيلومتراً مما يجعلها بعيدة عن مدى الصواريخ المضادة عندما تحلق فوق أية أراض ملتقطة للصور

ونحن نقول وليس قولنا دعاية بل حقيقة بأن أسلحة الدفاع الجوي السوفياتية أصبحت الآن « تطال » أية طائرة تتجرأ على اختراق المجال الجوي للاتحاد السوفياتي. ويصل عدد الاسطول الجوي التقليدي لطائرات التجسس الأميركي الذي يتبع المخابرات المركزية الأميركية ووكالة الأمن القومي الأميركية إلى ٤٠٠ طائرة من جميع الأنواع التي ذكرناها والتي بلغت تكاليف صنعها مليارات الدولارات من أموال الشعب الأميركي المغلوب على أمره أمام مخابراته. حيث تُسخر هذه الآلة الجهنمية الأميركية مهامها الارهابية مركزة على عدة شؤون عالمية، منها. مثلاً رصد « كامل لتحرك القوات السوفياتية والشرقية »، ورصد عدد الأسلحة الجديدة وأنواعها وقدراتها وقدرات انتاج المصانع، وتحديد زمان ومكان عمل أجهزة الرادار عبر العالم بما في ذلك الدول المحايدة، لدرجة تتبعها أيضاً الطائرات المدنية والحربية في الفضاء واتصالاتها اللاسلكية. كما أن بامكانها رسم مسار الصواريخ بأنواعها المختلفة

المستعملة في العالم، ومتابعة السفن الحربية ومسارها واتصالاتها. والتجسس على السفارات ومكالماتها مع عواصمها وحتى داخل العواصم التي تعمل بها، بل إن واشنطون ومخابراتها تسجل وتراقب تقارير الصحافة الأجنبية من الولايات المتحدة وتتنصت على المعاملات التجارية للشركات المدنية الأميركية. وهكذا تثبت المخابرات الأميركية أنها تتجسس على الجميع من الفضاء وعلى الأرض والبحر في كل زمان ومكان حتى أنها تتجسس على الدول الصديقة وعلى الشركات المدنية على طريقة « الأذى طبع ».

مِنْ أعمال المخابرات المركزية الأميركية

الإرهاب الأميركي حول العالم

كيفَ أسقطت المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة حكومة الدكتور مصدق في إيران

حقائق

تُنشر لأوّل مَرّة عن تدخُل

(C.I.A)

في حياةِ الشعوب



حقائق تنشر لأول مرة بعد كشفها

كيف أسقطت المخابرات الأميركية حكومة مصدق في إيران

○ تتدخل المخابرات الأميركية منذ تأسيسها وحتى الآن في حياة الشعوب في جميع أنحاء العالم خاصة في الدول النفطية. ومن الماضي القريب وإبان حكم الشاه صعد « مصدق » في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٢ إلى رئاسة الوزراء الايرانية وهو معروف بعدائه للأميركيين والرجعيين الايرانيين. وفي ١٢ آب (أغسطس) أعلن مصدق « حل البرلمان الايراني » عن طريق استفتاء شعبي. فقد كان مطلعاً على عملية شراء النواب الايرانيين من قبل المخابرات الأميركية حيث قامت في حينه عملية هروب جماعية من قبل الضباط والتجار الرجعيين لأنهم فقدوا الحصانة السابقة التي كانوا يمتلكونها. وهنا بدأ تفكير المخابرات الأميركية بالاطاحة بحكومة مصدق حيث أوعزت للسفير الأميركي في طهران هندرسون بالاعداد لعملية إسقاط مصدق. وبدأ السفير العد العكسي فعلاً مع شقيقة الشاه الأميرة أشرف بهلوي.

○ في مصح عالمي في جنيف التقى رجل أشيب الشعر برجل بارز آخر ادّعى هو الآخر أنه قدم للاستشفاء. ثم انضم إليهما رجل ثالث ثم اكتملت الحلقة بظهور امرأة على قدر كبير من العظمة والجمال وفي

منتصف الثلاثينات من عمرها. كان هؤلاء الأربعة المتآمرون هم:

١ ــ ألن دالاس ــ مدير المخابرات الأميركية.
٢ ــ الجنرال شفارتز كوبف ــ رئيس فرع المخابرات الأميركية في طهران.
٣ ــ السفير لوي هندرسون ــ السفير الأميركي في طهران.
٤ ــ الأميرة أشرف بهلوي ــ الأخت التوأم للشاه.

تحدث ألن دالاس وتحدثت الأميرة بإسهاب عن خطورة الوضع في إيران من وجهة نظرهم. ثم جرى توزيع المهمات بسرعة إذ كان يفترض التعامل بأقصى قدر من السرعة مع الوضع في إيران. فقد كانت المفاوضات النفطية بين إيران وإيطاليا واليابان قد اتخذت أشكالاً ملموسة. وهاتان الدولتان هما المنافستان للمصالح النفطية الأميركية وخاصة « مؤسسة ستاندرد أويل ». كما وصلت إلى المخابرات الأميركية معلومات مؤكدة من عملائها في طهران. تقول هذه المعلومات أن ثمة تحضير لتنظيم مظاهرة في ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٣ بمناسبة الذكرى الأولى لاعادة مصدق الى رئاسة الوزارة (وقد خرجت هذه المظاهرة بالفعل وكان قوامها اكثر من مائة ألف إيراني يحملون عشرات اللافتات التي تندد بأميركا والرجعية) وهذه نماذج حقيقية عما كتب في هذه اللافتات:

(الموت للأمبرياليين الأميركيين). (نطالب بحل البرلمان الرجعي)
(ليتوقف تدخل القصر في شؤون البلاد). (لا. لتدخل المخابرات الأميركية)

وكانت إيران تقف على أعتاب ثورة شعبية عارمة ولكن مصدق وهو الرجل القادر على الحسم والذي كان كل شيء يتعلق بأقواله وأفعاله « إختار الصمت » لأنه ربما لم يفهم أبداً مقدار القوة التي يملكها

الشعب الايراني لا سيما وقد رأى اندفاع سياسييه « أيّ جماعته » ولكنه لم يكن يثق بصلابة الايرانيين البسطاء.ومعروف عن مصدق أنه لم يسمح للحزب الشيوعي الايراني « توده » بالعمل السياسي ولا « ليوم واحد » مما دعا الرئيس الأميركي الجنرال أيزنهاور إلى القول : طالما يوجد رجل مثل مصدق فينبغي على الولايات المتحدة الأميركية أن تقطع الطريق على الشيوعية في إيران والبلدان الأسيوية الأخرى .

الهروب الأول للشاه

قبل أن تستفحل الأمور في طهران وتصل هذه الدراما إلى نهايتها عادت الأميرة أشرف إلى طهران تحت اسم مستعار. ومع ذلك فقد تمّ التعرّف عليها في المطار وأمر رئيس الوزراء مصدق باخراجها من إيران خلال « ٢٤ ساعة » لأنه كان يكرهها بسبب علاقاتها المكشوفة مع المخابرات الأميركية. ونحن نقول رغم مضي السنين كان على مصدق أن لا يمنحها ولا ٢٤ دقيقة في حينه لأنها في هذا اليوم المنفرد الذي قضته في طهران قبل إعادتها الى سويسرا قامت بزيارة العديد من الأصدقاء كما أنها زارت القصر الامبراطوري وسهرت مع شقيقها « الشاه » الذي اتهمته في وجهه وعلناً بأنه « ضعيف ».

بعد أيام من ذلك وصل الجنرال شفارتز كوبف تحت ستار زيارة خاصة يقوم بها الى بعض الأصدقاء القدامى. كان البرلمان الايراني قد حُلّ كما ذكرنا وحصل مصدق على صلاحيات مطلقة وواسعة ولذلك قام الجنرال شفارتز بزيارة الشاه وطلب منه بشكل واضح : « ينبغي إقالة مصدق فوراً قبل استفحال أمره وتعيين زاهدي رئيساً للوزراء عوضاً عنه ». أخذ الشاه بالنصيحة الأميركية من مسؤول المخابرات واعتقد أنه لا يزال الأقوى كفاية فقرر إقالة مصدق. ولذلك سلم قائد قوات القصر الامبراطوري الشاهنشاهي العقيد نصيري كتاباً يطلب فيه الامبراطور من

مصدق التنحي عن الحكم وتسليم الجنرال زاهدي رئاسة الوزارة بدون تردد. ثم اعتقاله أي يقوم العقيد نصيري نفسه باعتقال مصدق. توجه العقيد نصيري في ١٦ آب لتنفيذ المهمة الامبراطورية مخترقاً شوارع طهران على رأس شاحنتين محملتين بأفراد الحرس الامبراطوري قدّر عددهم بستين رجلاً. توجه العقيد نصيري على مسؤوليته وبدون أمر من الشاه الى منزل الجنرال زاهدي « مرشح المخابرات الأميركية » لرئاسة الوزارة وأبلغه بأنه سيصبح في غضون ساعات قلائل رئيساً للوزراء ثم عرَّج وهو في طريقه وعلى مسؤوليته أيضاً إلى شارع الزهور فيللا رقم ١١٥ حيث يقطن رئيس الأركان الموالي لمصدق الجنرال رياحي ولكنه لم يجده فتوجه إلى الفيللا ٢٨ واعتقل وزير الخارجية ثم تابعت الشاحنتان سيرهما باتجاه فيللا مصدق رئيس الوزراء.

موقف مصدق رئيس الوزراء البطولي من أمر الشاه

دخل العقيد نصيري الى فيللا رئيس الوزراء مصدق وسلمه كتاب الإقالة وهو يزهو بنفسه لأنه يعرف أنه يسلمه كتاب أو أمر عزله. قرأ الرجل العجوز الكتاب بتمعن تام ثم حدّق بتركيز حاد بالعقيد نصيري المنتظر ثم تراجع بحركة جريئة وبطولية خطوتين إلى الخلف وقال لحرسه الخاص بصورة غير متوقعة مطلقاً: « أيها الحراس اعتقلوا هذا الرجل ». صحيح أن مصدق لم يكن مستعداً حتى لمثل هذه المفاجآت لكن موقف الشاه وأمره المنافي للأعراف السياسية جعله يتصرف هذا التصرف المفاجئ. وأحاط حرس مصدق بالعقيد نصيري وجردوه من سلاحه. فخرج باقي أفراد الوحدة الخاصة من الحرس الامبراطوري هاربين إلى الشاحنة بشكل مشتت بعد أن فقدوا رئيسهم. قام مصدق باذاعة ما جرى من الاذاعة الايرانية على الشعب الايراني فوراً فتجاوب هذا الشعب القوي معه وخرجت الالوف بمظاهرات عفوية فأصيب الشاه بالذعر

فاستقل هو والامبراطورة ثريا طائرة خاصة هبطت بهما في روما.

أسقط الأمر في يد المخابرات الأميركية بعد هروب الشاه حيث قرر ألن دالاس رئيسها الخروج الى العلن في عمله والهجوم بواسطة رجاله الخاصين به والمهيئين في طهران لمثل هذا الوقت وكان عليه العمل بأقصى سرعة مستغلاً جميع الظروف. قام متظاهرون إيرانيون بتحطيم نصب الشاه في طهران، والدعوة إلى إعلان الجمهورية. ولكن مصدق أظهر في هذه اللحظات الحاسمة « عجزه » عن مواجهة هذا الموقف السياسي. فعوضاً أن يستغل الظروف وطلبات الجماهير دعا إلى عقد اجتماع لمجلس الوصاية وأعلن رفضه إقامة نظام جمهوري. في ١٧ آب وصل إلى مطار طهران السفير الأميركي لوي هندرسون على متن طائرة عسكرية خاصة وكان ذلك إعلاناً مستهدفاً القوة وعرض العضلات. وفي اليوم التالي قابل رئيس الوزراء الدكتور مصدق وقال له « بوقاحة سياسية » : إن الولايات المتحدة لا تعترف إلّا بالجنرال زاهدي رئيساً للوزراء ــ ليس عندي شيء آخر أقوله لكم ». هذا التدخل الفظ في الشؤون الداخلية للدولة الايرانية وقع في نفس الساعة التي انطلقت فيها مظاهرات « مدبّرة » من عملاء المخابرات الاميركية في طهران حيث التقت بمظاهرات أخرى ضد اجتماع لأحد الأحزاب المؤيدة للشاه.

اختلط المتظاهرون الذين أصبحوا لا يعرفون بعضهم بعضاً ولا يعرفون ما يريدون من تظاهرهم. أخذ الجنود والشرطة يضربون المتظاهرين بالهراوات وقنابل الغاز لتفريقهم وهم يزدادون هياجاً. وفجأة دوى صوت طلقات الرصاص من جميع جوانب المتظاهرين وعليهم. من الذي أمر باطلاق النار على المتظاهرين؟ أو من الذي أطلق النار على المتظاهرين؟ البلاد في فوضى والشاه قد هرب الى أوروبا ومصدق يرفض إعلان الجمهورية ويدعو لانعقاد مجلس الوصاية على العرش أي أنه يتمسك بالملكية. لذلك قام الجنرال رياحي رئيس الأركان الخائف من تأييده

لمصدق والسير وراء سياسته الوطنية بنشر شائعات تقول أن حزب توده قد نظم هذه المظاهرات تأييداً للشاه بهدف إسقاط حكومة مصدق. ولكن الجنرال رياحي نفسه هو الذي كان قد أصدر أوامره باطلاق النار وكان رياحي قد استهدف من هذه العملية أمرين :

الأول : التضليل الكامل للجيش والشرطة.

الثاني : دفع المتظاهرين المؤيدين لحكومة مصدق الى الاعتقاد بأن رئيس الوزراء هو الذي أمر باطلاق النار عليهم.

وفي هذا الجو المتوتر امتلكت المخابرات الأميركية الحرية الكاملة للعمل وكان الأمر وكأنه من أعمال وتخطيط « جيمس بوند » أبو العجائب الجاسوسية. فمنذ تموز (يوليو) ١٩٥٣ وصل الى السفارة الأميركية في طهران المستر كيرميت روزفلت والذي يسمى اختصاراً بـ« كيم » وهو حفيد الرئيس الأميركي السابق تيودور روزفلت وأحد اخصائيّ المخابرات المركزية الأميركية للشرق الأوسط. وقد اتخذ احد سراديب السفارة مقراً له وبدأ يعدّ بدقة كل الأمور المتعلقة بيوم ١٩ آب (أغسطس) يوم المظاهرات المشؤوم القادم. وقد قام بتزويد رجل إيراني طائش يسمى « الذي لا عقل له » ومجموعة معه من رجال العصابات بالمسدسات ورزم من النقود الايرانية[1] كما اتفق مع بعض العملاء من رجال الجيش والجندرمة « الدرك » للنزول الى الشارع في وسط

---

(١) هذه النقود أصلها مليون دولار وضعت تحت تصرف « كيم » مسؤول المخابرات الأميركة الذي امتدح نفسه فيما بعد في كتاب أصدره بأنه لم ينفق من المليون دولار هذه سوى مبلغ ٧٥ ألف دولار. لأن رجال العصابات والعملاء اكتفوا بالمبالغ الصغيرة. ويقول فيليب آجي من موظفي المحاسبة في المخابرات الأميركية أن الشاه عندما سمع بذلك طالبه برد مبلغ ٩٢٥ ألف دولار الباقية لديه عندما غادر الشاه إيران هارباً للمرة الثانية والنهائية عام ١٩٧٩ بعد نجاح الثورة الاسلامية الايرانية...



الشاه عاد من الهروب
الأول بطائرة أميركية



أيزنهاور.. منع الشيوعية
في إيران.





مصدق رئيس وزراء إيران، أقعده الانقلاب الأميركي..

المظاهرات وفي الوقت المناسب ليلعبوا جميعاً دور « الشعب » وهذه الطريقة لا تزال تستعملها المخابرات الأميركية حتى الآن وفي كل زمان ومكان.

ألن دالاس رئيس المخابرات الأميركية يقود الانقلاب ضد مصدق

تولى ألن دالاس رئيس المخابرات الأميركية القيادة التنظيمية للانقلاب عبر رجل أميركي يدعى وارن مدير بعثة النقطة الرابعة وسميت عملية الانقلاب هذه باسم « اياكس ». وتولى الجنرال زاهدي تعبئة وحدات الضباط المضادة لمصدق،هذه الوحدات التي وجدت نفسها في حيرة من أمرها من تضارب الأوامر التي كانت تصلها من زاهدي ومن الضباط المؤيدين للحكومة. ولكن وارن كان يريد أن يجعل الأمر وكأن « الشعب » يقول كلمته (والشعب الذي تقصده المخابرات الأميركية هو زمرة من المتآمرين) فقد طلب وارن مرة أخرى من « الذي لا عقل له » أن يجمع رجاله في التاسع عشر من آب واندفع الجميع باتجاه طهران ولحق بهم الكثير من الايرانيين بدون هدف أو معرفة سبب التظاهر هذه المرة أيضاً.وقامت الشرطة الايرانية بالتصدي لهم وحدث اطلاق نار مدبّر ولم يعد أفراد الشرطة قادرين على التمييز بين المتظاهرين وبين من يملك السلطة والأمر ومن عليهم إطاعته. وأفلت الأمر فأعطى ضباط الشرطة الأمر لرجال الشرطة بالانضمام إلى العصابات القاتلة عوضاً عن اطلاق النار عليهم.وكانت المظاهرات موجهة كما ذكرنا من عملاء المخابرات الأميركية. فاتجه قسم كبير منها نحو المباني الحكومية بينما اتجه قسم آخر بقيادة مستشار الشرطة الايرانية الكولونيل ماك ليند الذي كان يستقل سيارة جيب عسكرية للقيام بجولة تفتيشية على المتظاهرين

المسيرين. وعندما تأكدت المخابرات الأميركية من نجاح المظاهرات المدبّرة في شل الحياة العامة في طهران أوعزت إلى الجنرال زاهدي بالتوجه إلى محطة الاذاعة حيث أعلن من هناك « الانقلاب » ضد مصدق. وعند ذلك توجه المتظاهرون المتآمرون بقيادة عناصر من المخابرات الأميركية الى فيللا الدكتور مصدق رئيس الوزراء فلم يجدوه.

حوالي الظهر وعندما عرف الناس في طهران من يزحف ضد من كان الوقت متأخراً فقد أصيب الجميع بالشلل بسبب ما حدث من اطلاق النار على المتظاهرين. كما أن مصدق التزم الصمت ولم يَدْعُ الناس للمقاومة وكان بامانه فعل ذلك وقد سيطرت قوات زاهدي على المدينة وبدأت في العصر التصفيات الدموية.

في اليوم نفسه ١٩ آب أعلن الشاه في روما مبتهجاً أمام الصحافيين : « لقد علمت من الاذاعة الوطنية الايراينة كل شيء. إن شعبي يحبني ». وانتهى منفاه القسري الأول. وقد ظل الشاه أسير تصوّر غريب عن « شعبه » حتى سقوطه الأخير نهائياً بعد ثورة آية الله الخميني عام ١٩٧٩. فقد كان يتحدث دائماً سواء سئل أو لم يسأل عن « المؤآمرة الشيوعية » كما كان يسمي انتفاضة مصدق التي كان يقول عنها أنها لم تجد صدى لدى شعبه.

○ الدكتور مصدق لم يهرب ولم يجبن بل انتظر حتى هدأت الأمور ثم سلم نفسه إلى الانقلابيين الذين قدموه للمحاكمة بتهمة « خيانة الوطن » فدافع عن نفسه بصورة أفضل من وزرائه. حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات تعقبها ثلاث سنوات إقامة جبرية ولكن الألوف الآخرين من الايرانيين لم يحصلوا على مثل هذه الرحمة. ففي الساعات الأولى لاستلام زاهدي رئاسة الوزارة تمت تصفية حساب كبرى جرى فيها قتل المئات بعد المئات في السراديب وباحات السجون والثكنات العسكرية بأوامر امبراطورية. وبعد أن تم الانقلاب الأميركي في طهران ضد مصدق

وحكومته الوطنية من قبل الجنرال نعمت الله نصيري والجنرال زاهدي والجنرال الأميركي شفارتز كويف قامت المخابرات الأميركية بوضع برنامج شامل لاعادة تنظيم جهاز المخابرات الايراني وتحديثه واعادة تجهيزه. فسميت المخابرات العامة الايرانية منذ ذلك الحين « السافاك » التي ولدت في أحضان المخابرات الأميركية (يوجد فصل كامل عن أعمال السافاك البشعة بعد ذلك حتى نهايتها مع الشاه. للاطلاع عليها مراجعة الصفحات ٦١ حتى ٨١ من الجزء الثاني من سلسلة المخابرات والعالم) كما انهالت القروض بعد نجاح الانقلاب وعودة الشاه من روما إلى طهران. ففي التاسع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٤ جرى تحويل النفط الايراني إلى كونسرتيوم دولي حصلت فيه الاحتكارات الأميركية على أغلبية الأسهم. وهكذا جرى حل مشكلة إيران لصالح ستاندرد أويل، غولف أويل كوربوريشن، تكساس كومباني، وشركة .B.P البريطانية. وفي كتاب سري وجهه نيلسون روكفيلر إلى الرئيس آيزنهاور يظهر بكل وضوح تأثير احتكارات النفط على السياسة الخارجية يقول فيه : سيدي الرئيس: إن المثال الواضح لذلك في الواقع ولما أعنيه هو التجربة الايرانية التي تعاملنا معها سوية وبصورة مباشرة. فقد نجحنا من خلال تقديم المساعدة المالية والاقتصادية في فتح الطريق الى النفط الايراني كما استطعنا احراز مواقع ثابتة في اقتصاد هذا البلد. إن تقوية مركزنا الاقتصادي في إيران مكنتنا من وضع سياستها الخارجية الكاملة تحت سيطرتنا ومن ثم أدخلناها في حلف بغداد ». وما زالت القاعدة السياسية تقول : « ما يصلح للاحتكارات النفطية كستاندرد أويل يصلح للولايات المتحدة ومخابراتها حتى اليوم ».

كيفيّة إلقاء القبض على جاسوسة

الاحتياطات العامة الواجب اتخاذها لدى القاء القبض على جاسوس أو جاسوسة

○ من المعروف الآن أن جميع أجهزة المخابرات في العالم أصبحت تزوّد جواسيسها بمختلف الوسائل التقنية الحديثة (للانتحار) لدى إلقاء القبض عليهم، لذلك يجب على المخابرات المعنية التي تلقي القبض على أحدهم التقيد بما يلي :

عدم الموافقة على أي طلب يتقدم به المقبوض عليهم (ما عدا الطلبات الضرورية طبعاً كالتبوّل والطعام والشراب وحتى بعض حالات المرض) وطبعاً يتم ذلك باشراف موظفي المخابرات بدقة، ومن الأفضل الابتداء بوضع محرمة في فم المقبوض عليهم (التنفس من الأنف ولا يغير وضع المحرمة في الفم) للتأكد من عدم وجود (سن مسمومة) مزروعة بين الأسنان يكون الجاسوس أو الجاسوسة قد درّبا على ابتلاعها بطريقة الكسر لدى إلقاء القبض عليهما. كما أنه يجب مراعاة مختلف الاحتياطات مع الجواسيس المعتقلين وقد نوهت في كتابي الأول من هذه السلسلة (المخابرات والعالم) صفحة ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠ — لدى البحث في أمور عمل رجال المخابرات وكيفية اعتقالهم العملاء والجواسيس الأعداء للدول العربية وبصورة عامة. ونقدم للقراء في هذا

الكتاب وهو الجزء الثالث من كتب المخابرات والعالم ريبورتاجاً حيّاً كما وعدناهم عن عملية اعتقال جاسوسة وسوقها إلى مركز المخابرات للتحقيق معها. وقد صورنا بعض الاجراءآت الضرورية الواجب اتخاذها للمحافظة على حياة الجاسوس الغالية لاحتمال تبادله مع جاسوس أغلى منه أو منها.



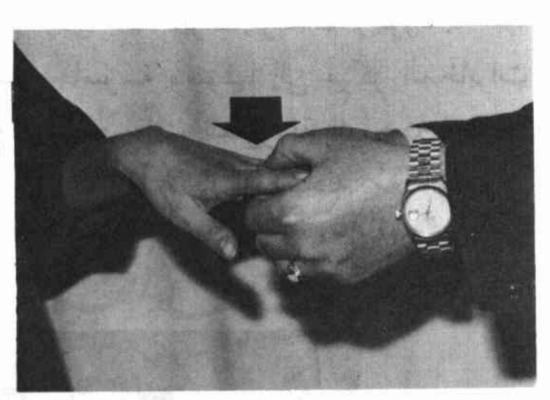
محاولة الجاسوسة اظهار مفاتنها لاغراء المحققين



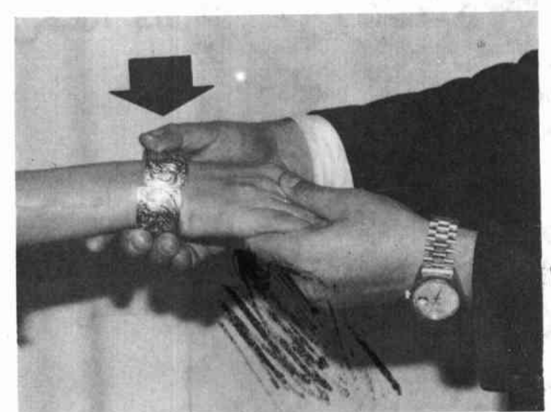
نظرة اغراء يجب الحذر منها



متابعة الاغراء ويجب الحذر باخفاء مفاتنها



تجريد الجاسوسة من الخواتم
والحلي مهما كانت



سحب جميع الحلي من يديها



تفتيش شعر الجاسوسة خشية
اخفاء أي شيء



محاولة واضحة للجاسوسة
لايذاء نفسها بالكهرباء



التفكير بكيفية الوصول
للتيار الكهربائي



عصب عيني الجاسوسة
اول مراحل الاعتقال.



تقييد يديها خلف ظهرها
لشل حركتها.



أثناء نقلها الى مركز المخابرات تقييدها
يداً بيد مع رجل المخابرات.

مسابقة الكتاب

مسابقة ثقافية يقدمها الصحافي الكاتب سعيد الجزائري مؤلف سلسلة كتب المخابرات والعالم ــ والماسونية.

أيها القارئ الكريم

سواء كنت عسكرياً أو مدنياً موظفاً أو طالباً أو تاجراً أو كنت تركت التعليم لأسباب مادية، والأهم سواء كنت غنياً أو من ذوي الدخل المحدود، سواء اشتريت جزءاً أو أجزاء المخابرات والعالم هذه من المكتبات في بلدك أو بطريقة المراسلة، أو كنت قد قرأت هذه الكتب بالاعارة (أنا آسف لظروفك)،

أتقدم إليكم جميعاً

بالعرفان بالجميل والشكر لأن شراءكم لسلسلة كتبي المتواضعة هذه هو مصدر تشجيع للناشر على إعادة الطبع وتحسين النوعية كما فعل الأستاذ عبود عبود صاحب مؤسسة دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع الذي انتقلت إليه حقوق طبع هذه الكتب المسلسلة بواسطة الاستاذ محمد اسامة الكرم صاحب دار اسامة الذي أدين له بالفضل بتحسين نوعية التأليف والتسويق. ولا أنسى السادة أصحاب مكتبة النوري الذين أدين لهم بفضل انطلاقة كتبي هذه الى السوق العربية. هؤلاء مع القراء

هم المشجعون على اعادة الطبع والاستمرار في إصدار هذه الكتب المسلسلة طالما كانت هناك حياة وطالما كانت مخابرات تعمل وتجدد أعمالها وطالما هناك جاسوسية عالمية، وطالما يتجدد قرائي الكرام وخاصة رجال المخابرات العربية ورجال قوى الأمن الداخلي العرب شرطة ــ ومباحث، الذين يدفع بعضهم ثمن كتبي من رواتبهم مفضلين شرائها على شراء بعض الحاجيات الضرورية. وحيث أن هذا الكتاب هو الجزء الثالث من سلسلة المخابرات والعالم التي ينحصر طبعها والتوزيع بدار الجيل فقط، فإني اطرح أمامكم هذه المسابقة الثقافية وهي استفتاء لكم بمناسبة توفر الكثير من المواد العالمية والمترجمة عن أعمال المخابرات ونشاط الجاسوسية المتجدد. لذلك أقدم هذا الاستفتاء للاجابة على الاسئلة الآتية :

١ ــ هل توافق على الاستمرار باصدار هذه السلسلة من كتب (المخابرات والعالم)؟

٢ ــ هل تحوي مكتبتك الأجزاء السابقة؟

٣ ــ ما هو رأيك الصريح بهذه النوعية من الكتب وبتسلسلها؟

٤ ــ هل يستفيد القارئ من اصدار هذه السلسلة سواء من جهة زيادة معلوماته المخابراتية أم من جهة تعلمه الحذر واليقظة من العملاء؟

هذه هي المسابقة والجواب برسالة مسجلة الى عنواني الدائم (بيروت ــ ص.ب.: ٥١٤٠) أو عنوان التوزيع (دمشق ــ ص.ب.: ٤٨١٦). وبعد جمع الأجوبة ستقوم لجنة اعلامية برئاسة الصحافي الكاتب خليل تقي وعضوية الكاتب محمد الحسني والصحافي نزار أورفلي، بانتقاء الفائزين بالقرعة وسيمنح الفائز الأول مبلغ ٢٥ (خمسة) وعشرون دولاراً مع نسخة مهداة من المؤلف، ويمنح الفائز الثاني مبلغ ١٥ خمسة عشر دولاراً مع نسخة بتوقيع المؤلف أيضاً، ويمنح الفائز

الثالث مبلغ ١٠ عشرة دولارات ونسخة من الكتاب، والفائزَيْن الرابع والخامس فتكون جائزتهم نسخة موقعة من المؤلف شخصياً.

وهكذا تستمر الحياة ويستمر التقارب بين الكاتب والقراء.

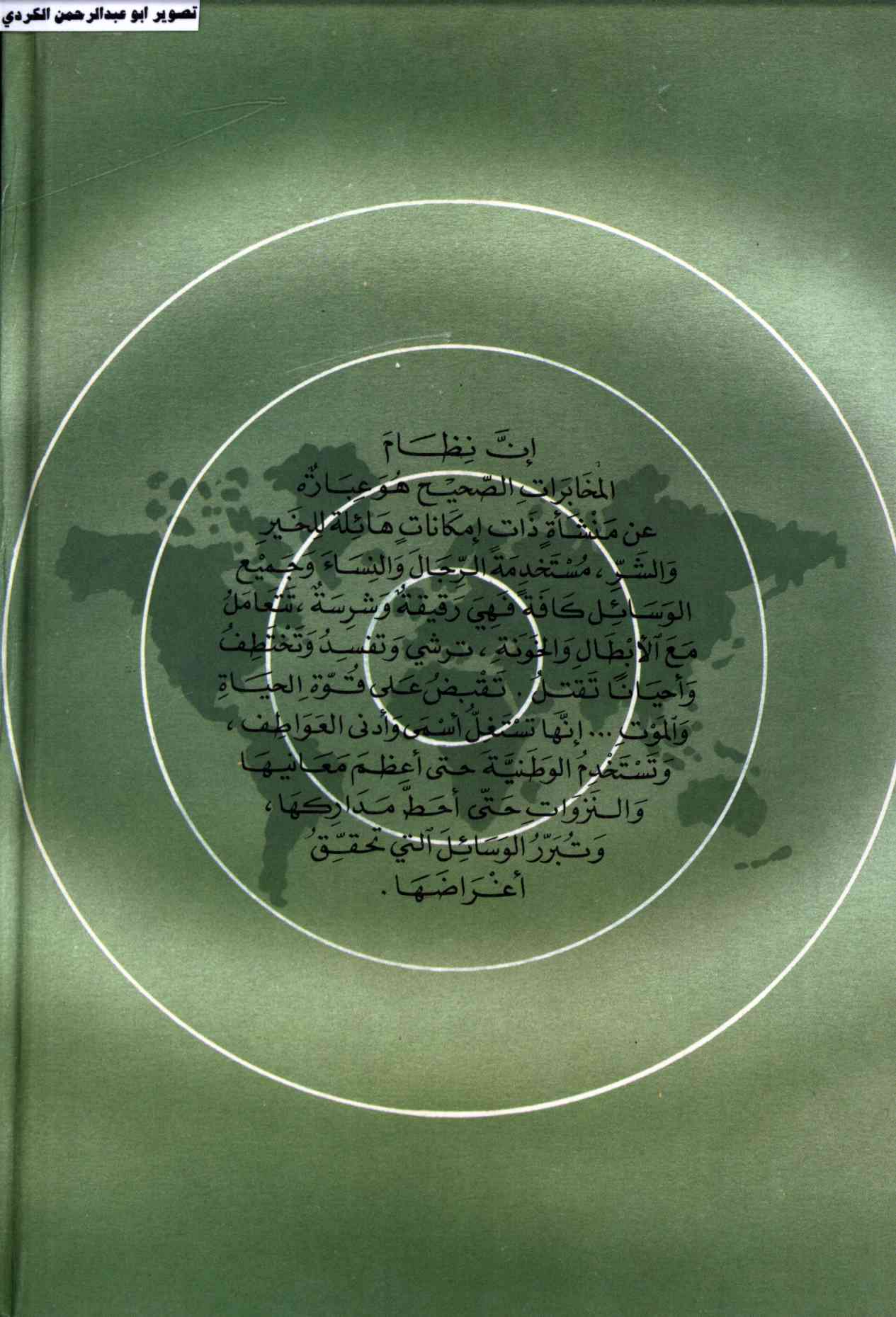
وإلى اللقاء.

المؤلف

سعيد الجزائري



فهرس المخابرات


إنَّ نِظامَ
المخابراتِ الصّحيح هو عبارةٌ
عن منشأةٍ ذات إمكاناتٍ هائلة للخيرِ
والشرّ، مُستخدِمةً الرّجالَ والنساءَ وجميعَ
الوسائلِ كافةً فهيَ رقيقةٌ وشرسةٌ، تتعاملُ
معَ الأبطالِ والخونةِ، ترشي وتفسدُ وتختطفُ
وأحيانًا تقتلُ. تقبضُ على قوّةِ الحياةِ
والموتِ... إنّها تستغلُّ أسمى وأدنى العواطفِ،
وتستخدمُ الوطنيّةَ حتى أعظمَ معانيها
والنزواتِ حتّى أحطّ مداركِها،
وتُبرّرُ الوسائلَ التي تحقّقُ
أغراضَها.